

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
(البرنامج المسائي)

الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

دراسة تحليلية

مشروع رسالة علمية مقدم لنيل درجة العالمية العالية

(الدكتوراه)

إعداد الطالب

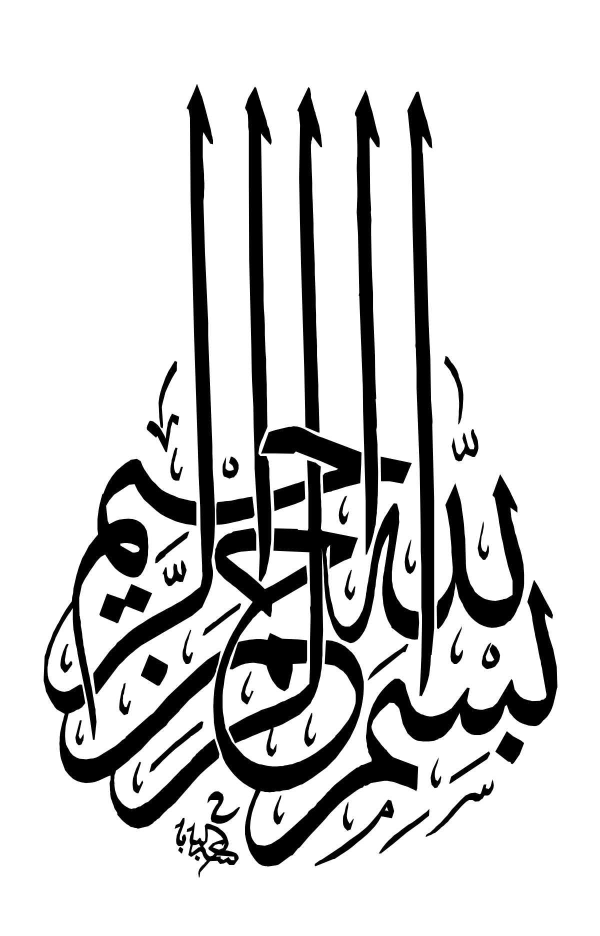
أحمد بن إبراهيم فقيرة

إشراف

أ.د. حمود بن أحمد الرحيلي

العام الجامعي

١٤٣١هـ - ١٤٣٢هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى والِديَّ العزيزين غفر الله لهما ورحمهما ورزقني برهما والإحسان إليهما.

وإلى زوجتي الغالية .. وأبنائي المباركين أصلحهم الله وهداهم.

على صبرهم ودعائهم وتضحيتهم، حتى وفقني الله لإنجاز هذا البحث.

والحمد لله أولاً وآخراً ،،،



الشكر والتقدير

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعد فقد بذلت قصارى جهدي في جميع مراحل البحث، لكي يخرج هذا العمل على الوجه المطلوب، ويكون متقناً، ويفوز كاتبه بالقبول من الله عزّ وجلّ ثم من عباده الصالحين. هذا ما أرجوه من الله تبارك وتعالى، وأن ينفعني به وسائر المسلمين، فإن حقق الله ذلك فهو محض فضل ورحمة منه، وهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة. ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٢٨٦].

وعملاً بقوله – صلى الله عليه وسلم –: [لا يَشْكُر الله مَن لا يَشْكُر النَّاس][(١)]، واعترافاً بالجميل فإني أتقدم بالشكر الجزيل للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة متمثلة في كلية الدعوة وأصول الدين وأخص بالشكر عميدها، ورئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، وأشكرهم جميعاً على إتاحة الفرصة لي بمتابعة الدراسات العليا، وأسأل الله لهم التوفيق لما يحبه ويرضاه سبحانه.

كما أقدم شكري إلى أستاذي المشرف على الرسالة فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور **حمود بن أحمد الرحيلي** – أستاذ الدراسات العليا بكلية الدعوة وأصول الدين، على جهوده وعنايته وتوجيهه وتسديده لي – جزاه الله عني خيراً، وجعل ما قدمه في موازين حسناته.

كما أقدم شكري وتقديري لصاحبي الفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ **سعد بن عبد الرحمن الجريد**، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ **غازي بن غزاي المطيري**، على ما أولياني إياه من نصح وتوجيه وتصويب من خلال مناقشتهما لهذه الرسالة فجزاهما الله عني خير ما يجزي عباده الصالحين.

(١) الأدب المفرد، البخاري، ٩٦- باب من لم يشكر الناس حديث رقم (١٦٠)، الجبيل، دار الصديق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، ج١ ص٤٧. وقال الألباني: (صحيح). انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، (المتوفى:١٤٢٠هـ)، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، الطبعة الثانية، ج١ ص١١٤٩.

ولا أجد لنفسي في الختام إلا ما قاله القاضي الفاضل عبد الرحيم اللخمي[1]: ((إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غَدِه، لو غُير هذا لكان أحسن، ولو زِيد كذا لكان يُستحسَن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، هذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جُملة البشر))[2]، والكمال المطلق له سبحانه من كل الوجوه.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا في ميزان حسناتي خالصاً لوجهه الكريم، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

اللهم إن كان هذا صواباً فمنك وحدك فلك الحمد والمنة، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان.

وأتوجه بالرجاء لكل من يطلع على هذا الجهد أن لا يبخل علي بالنصيحة، وإبداء الرأي، والله المستعان، وهو يهدي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



(١) هو عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني إمام الأدباء وقاد لواء أهل الترسل، وصاحب صناعة الإنشاء، وكان صديق السلطان صلاح الدين الأيوبي وعضده ووزيره، ذا دين وتقوى وتقشف، له مدرسة بديار مصر على الشافعية والمالكية وأوقاف على تخليص الأسارى من يد النصارى. (توفي: سنة ٥٩٦هـ). (البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى:٧٧٤هـ)، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة: الأولى، ج١٣ ص٣١). و(طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (المتوفى:٨٥١هـ)، بيروت، دار النشر: عالم الكتب، ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى، ج٢ ص٣٠).

(٢) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، لمحمد مرتضى الزبيدي (المتوفى:١٢٠٥هـ) بيروت، دار الفكر، ج١ ص٣.

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩].

والقائل: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. قال ابن كثير – رحمه الله –: ((وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ إخبار من الله – تعالى – بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى خُتموا بمحمد – صلى الله عليه وآله وسلم – الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد – صلى الله عليه وسلم –، فمن لقي الله بعد بعثته محمداً – صلى الله عليه وسلم – بدِين على غير شريعته، فليس بمتقبل. كما قال – تعالى–: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾))[١]. وقال الله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣].

فهو الدين الذي رضيه – تعالى – لنفسه، ورضيه لرسله – عليهم السلام – أن يدعوا إليه، ورضيه لخلقه أن يدينوا به، وذلك بعد أن أكمله لهم، وأتم به النعمة عليهم، ولذا طلب منهم سبحانه أن يدخلوا في السلم كافة، فقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال الشيخ السعدي – رحمه الله –: ((هذا أمر من الله – تعالى – للمؤمنين أن يدخلوا ﴿فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ أي: في جميع شرائع الدين ولا يتركوا منها شيئاً، وألّا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون

(١) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (المتوفى:٧٧٤هـ)، مكة المكرمة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، ج٢ ص٢٥.

الهوى، تبعًا للدين))[1]. وهذا ما بينه الله لنبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – في كتابه مما يحتاج إليه الخلق من بيان الحلال والحرام، وما كلفوا به من الفرائض، فقال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال الإمام الطبري – رحمه الله –: ((وأما "المحكمات"، فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل، وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جُعلن أدلة عليه من حلال وحرام، ووعد ووعيد، وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبَر ومثَل، وعظة وعِبر، وما أشبه ذلك. ثم وصف – جل ثناؤه – هؤلاء "الآيات المحكمات"، بأنهن: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾. يعني بذلك: أنهن أصل الكتاب الذي فيه عماد الدين والفرائض والحدود، وسائر ما بالخلق إليه الحاجة من أمر دينهم، وما كلفوا من الفرائض في عاجلهم وآجلهم))[2].

وفي مقابل هذا الدين ومحكماته والتدين لله به، ظهرت منذ عصور الاستعمار[3] الذي جثم على كثير من بقاع العالم الإسلامي، وما تلاها بعد رحيل المستعمر من البعثات وحركة الترجمة، وما تبع ذلك من تطور في وسائل الإعلام والطباعة والنشر، ولأول مرة في التاريخ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، (المتوفى:١٣٧٦هـ)، بيروت لبنان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، ج١ ص٩٤.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الآملي أبو جعفر الطبري، (المتوفى:٣١٠هـ)، بيروت لبنان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، ج٦ص١٧٠

(٣) الاستعمار: ظاهرة تهدف إلى سيطرة دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها من أجل تغيير دينها وطمس هويتها واستغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي بالتالي نهب وسلب منظم لثروات البلاد المستعمَرة، فضلاً عن تحطيم كرامة شعوب تلك البلاد وتدمير تراثها الحضاري والثقافي، وفرض ثقافة الاستعمار على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة (انظر: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير – الاستِشراق – الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى:١٤٢٥هـ)، دمشق، الناشر: دار القلم، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الثامنة ص ٥١).

يظهر ما يسمى بالتغريب[١] الذي امتدت جذوره وفروعه إلى عقول النخبة من المثقفين – إلا من رحم الله –.

ومع تطاول السنين أصبح العالم الإسلامي مرتعاً لعدد من التيارات الفكرية والمدارس الثقافية والأحزاب السياسية، والتي تمخضت عن ثورات عسكرية وحملات تغريبية تنصيرية، أثرت في أنماط الحكم وجعلته مرتبطاً بعد ذلك بالعلمانية والماركسية، ولم يزل ذلك الأمر في تطوره واتجاهه نحو الأسوء، حتى ظهرت المدارس الفكرية الحديثة، وعلى رأسها ما عُرف بالحداثة[٢]، وما تلاها من مناهج فكرية ألقت بظلالها على ما يُسمى بحركة التجديد في الفكر

---

(١) التغريب: هو تيار فكري كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية وفنية، يرمي إلى صبْغ حياة الأمم بعامة، والمسلمين بخاصة، بالأسلوب الغربي، وذلك بهدف إلغاء شخصيتهم المستقلة وخصائصهم المتفردة وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية. ومن أبرز المؤسسين للتغريب في العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث كل من جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده، وكان لهما من فتاوى التقريب بين الإسلام والحضارة الغربية ودعوا إلى إدخال العلوم العصرية إلى الأزهر لتطويره وتحديثه. ومن أعظم أهداف التغريب تشجيع فكرة إيجاد فكر إسلامي متطور يبرر الأنماط الغربية ومحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية بغية إيجاد علائق مستقرة بين الغرب وبين العالم الإسلامي خدمة لمصالحه. (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الرياض، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، الطبعة: الرابعة، ج١ ص١٤٥).

(٢) الحداثة: فعل "حدث" يعني وقوع وحصول الشيء، وأن هذا الذي حدث وحصل هو محدث وجديد. وفي اللغة الفرنسية فإن مفهوم الحداثة له جذر لاتيني حيث أن الحديث قد استعمل للتمييز "بين الماضي الروماني الوثني، والحاضر المسيحي الذي لم يكن قد مضى زمن طويل على الاعتراف به رسميا". ويكاد يستعمل دوماً بمعنى ضمني للدلالة على الانفتاح والحرية الفكرية، أو بمعنى الخفة وحب التغيير لأجل التغيير" وهكذا يرى الفرنسي جان بودريار: "ليست الحداثة مفهوماً سوسيولوجياً أو سياسياً أو تاريخياً، وإنما هي صيغة مميزة للحضارة، تعارض صيغة التقليد، أي أنها تعارض جميع الثقافات السابقة والتقليدية" وهكذا "تفرض الحداثة نفسها وكأنها واحدة متجانسة مشعّة عالمياً انطلاقاً من الغرب ويتضمن هذا المفهوم إجمالاً الإشارة إلى تطور تاريخي بأكمله وإلى تبدل في الذهنية". وهو تيار فكري منذ بدء المنهج العقلاني عند ديكارت، ولكن دخوله عالم الأدب كان متأخراً، وكان أحد أهم روادهم أدونيس الذي بذل كل جهده للتربع =

الإسلامي، والذي خاض فيه غير المتخصصين والمؤهلين مما ولَّد صراعاً مُتازماً، لا تزال معالمه وأحداثه وآثاره ماثله للعيان.

ومن جانب آخر فقد ظهر اتجاه فكري وفلسفي من خارج العالم الإسلامي وخاصة في الجامعات الغربية، ينفث أفكاره ويدس سمومه، ويخرج مؤلفاته، ومن تلك المؤسسات: السوربون[1] وغيرها والتي تأثرت بمدارس الاستشراق[2]، وقد وجدت هذه الأفكار طريقها إلى المثقفين باللغة الإنجليزية والفرنسية، في عالمنا العربي والإسلامي من أندونوسيا شرقاً إلى المغرب غرباً، وقد حدثت أحداثاً جساماً ولا سيما بعد الغزو الروسي لأفغانستان وما تبعه من أحداث

على هذا العرش. (موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، بيروت، الناشر: عويدات للنشر والطباعة، ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، ج٢ ص١١٦٣ وموسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، المكتبة الشاملة، www.shamela.ws).

(١) السوربون: جامعة السوربون (بالفرنسية: Sorbonne) جامعة باريسية رفيعة المستوى، وهي من أعرق وأرقى الجامعات في العالم. وتوجد في الحي اللاتيني للعاصمة الفرنسية باريس. تأسست سنة ١٢٥٣ للميلاد وذلك في القرون الوسطى بجهود روبير دي سوربون (Robert de Sorbon) أستاذ اللاهوت بالكلية والمرشد الروحي للملك لويس التاسع ملك فرنسا. وتعتبر من أقدم جامعات العالم والتي أنشأت لاهوتيةً أصلاً. وهي أول جامعة تقدم شهادة الدكتوراة، ولها عناية بالدراسات الإسلامية، واهتمام وتبني لبعض أصحاب التوجهات الفكرية المناهضة للإسلام أمثال، الحبيب بورقيبة، وطه حسين، وحسن الترابي، وغيرهم. (انظر: الموسوعة العربية العالمية: مستمدة من دائرة المعارف العالمية، وإضافات الباحثين العرب، الرياض، مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ، الطبعة الثانية).

(٢) الاستشراق: Orientalism: تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، وحضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة، معبراً عن الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بينهما. وحركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يستهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية. وقد بدأ الاستشراق اللاهوتي بشكل رسمي حين صدور قرار مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م وذلك بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، ج٢ ص١٠٥).

وتقلبات وحروب أفرزت الكم الكبير من الأفكار والاتجاهات، والتي ولَّدت مجتمعةً واقعاً جديداً مُنحرفاً لفهم الإسلام وتطبيقه والدعوة إليه، مما حداني ذلك ودفعني إلى النظر في هذه الانحرافات ومحاولة التعرف عليها عن قرب وبمنهجية علمية أهدف من خلالها إلى إبراز هذه الظاهرة (الانحراف المعاصر في مفهوم التدين) وتناولها بتوسع ونظرة شمولية من خلال ما يلي:

مفهوم التدين وضوابطه وأنواعه، وأثر التدين الباطل لدى الفرق المخالفة قديماً وحديثاً، والسمات المشتركة بينهم وبين أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وتاريخه ونشأته وأسبابه ومجالاته وأساليبه ومصادره وأصوله ومسالك القائلين به، ومواقف مراكز الدراسات والساسة والمفكرين والمثقفين منه، والشبهات والآثار والمخاطر المترتبة عليه، وأخيراً وسائل وأساليب تقويم هذا الانحراف، ونقد كتابات المؤيدين له. مستنداً في ذلك إلى المؤلفات والكتابات والفتاوى والأدبيات ونتائج الدراسات والوثائق والبيانات والتصريحات ذات الصلة.

والصادرة من بعض الكتاب والمنظرين والدعاة والمفتين المتأثرين بفكر الفرق المبتدعة في الإسلام كالمعتزلة(١) والمرجئة(٢) والباطنية(٣) قديماً.

---

(١) المعتزلة: فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (٨٠هـ - ١٣١هـ) في البصرة (في أواخر العصر الأموي) وقد ازدهرت في العصر العباسي. اعتمدت المعتزلة على العقل وقدموه على النقل، وتنسب إلى واصل بن عطاء الذي اعتزل شيخه الحسن البصري في مجلسه العلمي في الحكم على مرتكب الكبيرة: وأنه مؤمن فاسق. وأن واصلاً كان يرى أنه في (منزلة بين منزلتين)، ولهم أصول خمسة هي: التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (انظر: الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم أحمد الشهرستاني (المتوفى:٤٥٨هـ، بيروت، دار المعرفة، ١٤٠٤هـ، بدون ت ط، ج١ ص٤، والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الإسفرائني، (المتوفى:٤٢٩هـ)، بيروت، الناشر: دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، الطبعة: الثانية، ص٦٥).

(٢) المرجئة عند السلف على معنى "إرجاء الفقهاء"، وهو القول بأن: الإيمان هو التصديق أو التصديق والقول، أو الإيمان قول بلا عمل، "أي إخراج الأعمال من مسمى الإيمان"، وعليه فإن: من قال الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة. فهو مرجئ. (انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، ج١ص٧٥ والفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر، ص١٣٤).

(٣) الباطنية: دعوة أسسها جماعة، منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ومنهم محمد بن الحسين الملقب بذيذان وميمون بن ديصان، والذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، =

والعقلانية[1] والعصرانية[2] والليبرالية[3].

=

يتدثرون بالولاء لأهل البيت وحبهم وينفثون سمومهم وحقدهم في الكيد والمكر بأهل الإسلام قديماً وحديثاً، وشاع عند علماء الإسلام أن الباطنية: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين؛ لا بنوح، ولا إبراهيم، ولا موسى، ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ولا بشيء من كتب الله المنزلة، لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا القرآن. ولا يقرون بأن للعالم خالقاً خلقه ولا بأن له ديناً أمر به، ولا أن له داراً يجزي الناس فيها على أعمالهم على هذه الدار (انظر: الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر، ص١٨٣، ومجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى:٧٢٨هـ)، الناشر: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ، الطبعة: الثالثة، ج٣٥ ص١٥٢).

(١) العقلانية rationalism: مذهب فكري يزعم أنه يمكن الوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود عن طريق الاستدلال العقلي بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية وكذلك يرى إخضاع كل شيء في الوجود للعقل لإثباته أو نفيه أو تحديد خصائصه. (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني، ج٢ ص٢٠٥، موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ج٢ ص١١٦٣).

(٢) العصرانية Modernism: هي حركة تجديد واسعة نشطت في داخل الأديان الكبرى: داخل اليهودية، والنصرانية، وداخل الإسلام أيضاً، وهي وجهة نظر في الدين مبنية على الاعتقاد بأن التقدم العلمي، والثقافة المعاصرة، يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة. إشارة لتطويع نصوص الشريعة وأحكامها لتتوافق مع مستجدات العصر دون اعتبار لقداسة النص والمرجعية الشرعية وهي الكتاب والسنة. (انظر: قاموس إنجليزي عربي، منير البعلبكي، بيروت، نشر: دار العلم للملايين، ٢٠٠٨م-١٤٢٩هـ، ص٥٨٦، وموسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة لمجموعة من الباحثين بإشراف علوي السقاف، www.dorar.net).

(٣) الليبرالية: مصطلح أجنبي معرب مأخوذ من (Liberalism) في الإنجليزية، و(Liberalisme) في الفرنسية، وهي تعني "التحررية"، وهي مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، وتدعو إلى الحرية المطلقة وعبادة الفرد نفسه وهواه وشهوته، وقد عبر عنها منظروها في الحضارة الغربية سواء في فرنسا أو في بريطانيا بأنها التفلت المطلق وهي أيضاً تدعو إلى الحرية المطلقة التي لا تعترف بدين ولا نص مقدس ولا عادات ولا تقاليد ولا أي أمر يعيق الحرية الفردية (انظر: موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، ج٢ ص٧٢٦. وموسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مجموعة من الباحثين بإشراف علوي السقاف، مفهوم مصطلح الليبرالية، www.dorar.net).

والبهائيـــــــــــــــــة[1] والقاديانيـــــــــــــــــة[2] والأحبـــــــــــــــاش[3]

(١) البهائية: حركة نبعت من المذهب الشيعي الشيخي سنة ١٢٦٠هـ-١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية أسسها الميرزا حسين علي الملقب بهاء الله المولود ١٨١٧م وأنه الباب عندهم، ويقولون إن دين الباب ناسخ لشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم -. ويقولون بالحلول والاتحاد والتناسخ ويوافقون اليهود والنصارى في القول بصلب المسيح. ويؤولون القرآن تأويلات باطنية ليتوافق مع مذهبهم. وينكرون معجزات الأنبياء وحقيقة الملائكة والجن كما ينكرون الجنة والنار. ويحرمون الحجاب على المرأة ويحللون المتعة وشيوعية النساء والأموال. (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني ج١ ص٣٣٢ وموسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة لمجموعة من الباحثين بإشراف علوي السقاف، www.dorar.net).

(٢) القاديانية حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمارالإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، مؤسسها مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩هـ - ١٩٠٨م وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين، ادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - ويعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطئ ويجامع - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً -، يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد. يعتقدون أن كتابهم منزل واسمه الكتاب المبين وهو غير القرآن الكريم. يعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة .. (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني ج١ ص٣٤٠، وموسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة لمجموعة من الباحثين بإشراف علوي السقاف، www.dorar.net).

(٣) الأحباش: طائفة ضالة تنسب إلى عبد الله الحبشي، ظهرت حديثاً في لبنان مستغلة ما خلّفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل والفقر والدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية بهدف إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية. يحث الأحباش الناس على التوجه إلى قبور الأموات والاستغاثة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم، الأحباش في مسألة الإيمان من المرجئة الجهمية الذين يؤخرون العمل عن الإيمان ويبقى الرجل عندهم مؤمناً وإن ترك الصلاة وسائر الأركان، يكثر الحبشي من سب الصحابة وخاصة معاوية بن أبي سفيان وأم المؤمنين السيدة عائشة - رضي الله عنهم -. يزعم الحبشي أن جبريل هو الذي أنشأ ألفاظ القرآن الكريم وليس الله تعالى، فالقرآن عنده ليس بكلام الله تعالى (انظر: الموسوعة الميسرة في =

حديثاً، ومن تأثر كذلك بالمدرسة الفلسفية العقلية المعاصرة[1]، أو كانوا من السالكين لهـذا الطريق على غير بصيرة وعلم، فأصبح لهم من الشذوذات الفكريـة والمخالفـات العقديـة والأخطاء التعبدية والانحرافات السلوكية ما أثروا به على تدين الناس بالاسلام وتمسـكهم بمحكمات دينهم وأن يعملوا به ويعيشوه واقعاً في حياهم كما يريده الله. وذلك من خلال بعض الظواهر والمصطلحات الحادثة في الساحة الدعوية مثل: قضايا التجديـد والتطـوير المزعومة في الدين، والعقلانية المعاصرة في تكوين الفكر الإسلامي الحديث، وتجديد أصـول التفسير وتحليل الخطاب الديني، والأصول الجديدة للفقه، والقراءة المعاصرة للقرآن الكـريم وأنسنة التراث، والفتاوى الشاذة المتجددة، وما عُرف مـؤخراً بـ(التدين الجديـد)[2]،

=

الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني ج١ ص٣٥١ وموسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة علي بن نايف الشحود ص٦٩).

(١) المدرسة الفلسفية العقلية: "التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها بما يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين". الذين سلكوا طريق زعماء القطيعة مع اللاهوت المسيحي من الفلاسفة في القرنين السادس عشر والسابع عشر مثل ديكارت، وغاليليو، وكوبرنيكوس، ونيوتن، وسبينوزا، ولايبنتز، والمواصلون على طريقهم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر مثل: كانط، وهيغل، وماركس، ونيتشه، وفرويد، وأينشتاين، ومفرزاتها من الفلسفة والحداثة والتي سارت طريقها عبر العلوم الفلسفية الحالية حتى ترسخت في القرن العشرين. (انظر: موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق بن عبد الله شقير، بيروت، تاريخ النشر: ١٩٩٨م، الناشر: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى وتاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦م، الطبعة: الخامسة).

(٢) التدين الجديد: عُرف هذا المصطلح مؤخراً في الساحة الدعوية، وارتبط بدعاة يدعون إلى الدين ويؤكدون على أهمية التدين، ويقدمون الإسلام بمواصفات خاصة لأبناء الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي، بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين، ومن أبرز هؤلاء الدعاة د. عمرو خالد. وصدرت بعض الكتابات تناولت هذا المصطلح مثل: التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب في مجتمعاتنا، أنور قاسم الخضري، جدة، نشر مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى، والتدين الجديد محاولة لفهم الظاهرة والأبعاد، وسام فؤاد، بيروت لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الطبعة الأولى.

والداعون إليه يسمون كذلك (الدعاة الجدد[1]).

وهذا ما سأتناوله في أطروحتي هذه (الانحراف المعاصر في مفهوم التدين)، وسأدرس هذا الموضوع - إن شاء الله - من خلال ما يقدمه دُعاته من المؤلفات والكتابات الدروس والمحاضرات واللقاءات المتلفزة والفتاوى والمقالات الصُحفية وغيرها، وسأقدم - بإذن الله - وصفاً وتحليلاً لهذا الانحراف المعاصر في مفهوم التدين يبين حقيقته وأسباب نشأته ومصادره وأصوله وسماته وآثاره ووسائل وأساليب تقويمه. هذا وأسال الله العون والسداد والتوفيق، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

أهمية البحث:

تكمن الأهمية في أن دين الله هو الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وأن الإسلام دين الأنبياء - عليهم السلام - وأنه الدين الذي يقبله الله: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٤-٨٥]، ولأن الله أمر عباده أن يأخذوا بشرائع الدين، ويدخلوا في دين الله كله، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: ((هذا أمر من الله - تعالى - للمؤمنين أن يدخلوا ﴿فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وألّا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه، بل الواجب أن يكون

(١) الدعاة الجدد: دعاة معاصرون، متباينون فيما يحملون من علم، تعلموا بأنفسهم غالباً، وحصلوا على شهادات علمية عليا في تخصصات مختلفة، يتقنون فنون الإلقاء والخطاب الوعظي والقصصي، يهتمون بالقيم والأخلاق والسلوك، ويظهرون على الجماهير من خلال الشاشات الفضائية ومواقع التواصل الحديثة. (انظر: التدين الجديد، أنور قاسم الخضري والتدين الجديد محاولة لفهم الظاهرة والأبعاد، وسام فؤاد).

الهوى، تبعاً للدين))[١]. ولأن الله عاب على قوم إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم بالبعض الآخر فقال سبحانه ذاماً لهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]. ولأن من شروط قبول العمل عند الله، أن يكون صواباً على سنة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –، الذي قال مبيناً ومؤكداً على هذا الشرط: [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد][٢].

وفي رواية [من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رَدّ][٣]. وعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: [فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقيل يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. وعظتنا موعظة مودع. فاعهد إلينا بعهد. فقال: أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة][٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي: ج١ ص٩٤.

(٢) الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، (المتوفى:٢٥٦هـ)، بيروت، الناشر: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ج٢ ص٩٥٩، الطبعة الثالثة،٥٧كتاب الصلح، ٥باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم (٢٥٥٠) ج٢ص٩٥٩. وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (المتوفى:٢٦١هـ)، صحيح مسلم، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٣٠كتاب الأقضية، ٨باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور حديث رقم (١٧) ج٣ ص١٣٤٣.

(٣) مسلم، ٣٠كتاب الأقضية، ٨باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٨)، ج٣ ص١٣٤٣.

(٤) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، (المتوفى:٢٧٣هـ)، بيروت، الناشر: دار الفكر، كتاب المقدمة، (٦) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢)، ج١ ص١٥، قال الألباني (صحيح) انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ)، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، الطبعة: الثانية، ج٨ ص١٥٠.

وعليه فإن دراسة (الانحراف المعاصر في مفهوم التدين)، وعرضه على أصول الكتاب والسنة وبيان الموقف الشرعي منه، يكشف ويبين أهمية هذه الدراسة والحاجة إليها، في ظل زيادتها وتنامي الكتابة حولها.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب ودوافع دفعتني لاختيار هذا الموضوع، ومنها ما يلي:

١. كون الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، ظاهرة متجددة فهي بحاجة إلى دراسة وعرض على أصول الكتاب والسنة ومعرفة الموقف الشرعي منه.

٢. تنامي الكتابة حول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، والإسلام التنويري، وقضايا التجديد والتطوير المزعومة في الدين، والفلسفة العقلانية ودورها في تكوين الفكر الإسلامي الحديث، وتجديد أصول التفسير وتحليل الخطاب الديني، والأصول الجديدة للفقه، والقراءة المعاصرة للقرآن الكريم وأنسنة[(١)] التراث، والفتاوى الشاذة المتجددة، وما عُرف مؤخراً بـــ(التدين الجديد)، ودُعاته بالدعاة الجدد، وأهمية الوصول فيها إلى قول فصل مؤَيَّد بالدليل.

٣. كثرة الفتن والأهواء والمخالفة والابتداع تصديقاً لقوله – صلى الله عليه وآله وسلم –: [فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة][(٢)]. لذا لابد من دراسة صور الانحراف

---

(١) الأنسنة: هو النظر إلى الإنسان بما هو إنسان، بغض النظر عن مكونات الإنسان الدينية والأخلاقية والروحانية، فاستحضار بقية مكونات الإنسان وتغييب بعضها الآخر يسمى أنسنة، وهو في الحقيقة اختزال للإنسان، ومفهوم الأنسنة في هذا السياق ينطوي على استبعاد المضمون الديني من صياغة علاقاتنا بالآخرين، وهذا انحراف عن الوحي يؤول بصاحبه إلى مآلات خطيرة. (قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومآلات الخطاب المدني لإبراهيم السكران، المكتبة الشاملة www.shamela.ws).

(٢) سبق تخريجه ص ١٣.

المعاصرة في مفهوم التدين، ليتبين هل هو من هذا القبيل أم لا؟

٤. كيد الأعداء لهذا الدين، وهجومهم عليه، لتغييره وإضعافه، وتلبيسه على أهله، وتمرير ثقافتهم وغزوهم للمسلمين، حسداً من عند أنفسهم، وحرباً باردة موجهة للإسلام وحياضه وحدوده، وذلك مصداقاً لقوله - تعالى -: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾ [سبأ: ٣٣]. وحتى لا يكون الإسلام مسخاً بعيداً عن أصوله وثوابته، وابتساراً يقتصر على بعض أعماله وفضائله، يتمثل في هذه الظواهر الحادثة دون غيرها.

٥. الخوض في مسائل الدين، والفتوى بغير علم، ومن غير المختصين الشرعيين؛ مما يؤدي إلى الخروج ببعض الآراء الشاذة في مسائل (الاعتقاد والعبادات والأخلاق والمعاملات)، وينشأ عنها الأفكار المخالفة للدين وأصوله وقواعده، وهي صور من صور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

٦. المحافظة على محكمات الدين وحدوده وثوابته في أذهان الناس وتصوراتهم وحياتهم وواقعهم وسياستهم الشرعية تجاه أعدائهم. والانحراف المعاصر في مفهوم التدين قد يتسبب في تغير ذلك، وضياع بعض الحدود، وتمييع بعض القضايا.

٧. توسع الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وشيوع دعاوى التجديد لدى بعض المفكرين والكتاب، وظاهرة التدين الجديد، في بعض المجتمعات الإسلامية، وما عُرف بإعادة قراءة النصوص لدى بعض النخب، والانتشار الإعلامي له عبر القنوات الفضائية والشبكات المعلوماتية والمؤلفات والكتابات اليومية الصحفية، مما يخشى منه قيام هذا المفهوم المنحرف للتدين مقام حقيقة الدين على مستوى العالم أجمع، فقد تصبح الحقيقة مُحرفة تحتاج إلى تصحيح لدى أهل الإسلام والداخلين إليه حديثاً وكذلك من توجه إليهم دعوة الإسلام.

مصطلحات البحث:

أهمية تحديد الألفاظ الشَّرْعية والمصطلحات الإسْلاميَّة ذلك أن فهم مصطلحات البحث هو مفتاح فهم لمرامي الباحث ومقاصده، وبيان لمعاني تلك الألفاظ والمصطلحات؛ إذ لا بدّ

من الرجوع إلى معيار ثابت.

ومصطلحات البحث هي:

(الانحراف): التغيير والميل والشك، ((على حَرْف أَي: على شَكٍّ. قال: وحقيقته أَنه يعبد اللّه على حرف؛ أَي على طريقة في الدين لا يدخُل فيه دُخُولَ متمكّن))[1].

(المعاصر): تعريف المعاصر لغةً: قال ابن منظور- رحمه الله - في اللسان تحت مادة (عصر): ((قال الفراء[2] العَصْرُ الدهرُ أَقسم الله - تعالى - به))[3].

الدهر: اسم لقليل الوقت وكثيره، والمقصود الزمان الحالي الذي نعيش فيه.

(مفهوم): الفَهْمُ معرفتك الشيء، وفَهِمْت الشيء عَقَلْتُه وعرَفْت معناه وعملتُ بمقتضاهُ، والمقصود حسن تصور المعنى وجودة استعداد الذهن للاستنباط، وفهم المعنى وحصول لازمه[4].

(التدين): الدين: الإسلام (عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملة)، ودان: أخذ الدين وأطاع واتبع وتدين عبادة، تحسباً للجزاء، والبحث لن يقتصر على التدين العملي، بل سيشمل دراسة جذوره ومظاهره من أجل تقديم نظرة علمية متكاملة.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: سيكون البحث محدوداً ببيان الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (المتوفى:٧١١هـ)، بيروت، الناشر: دار صادر، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، الطبعة الأولى، ج٩ ص٤١.

(٢) يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي، (المتوفى:٢٠٧هـ)، إمام العربية أبو زكريا المعروف بالفراء قيل له الفراء، لأنه كان يفري الكلام، صنّف الفراء: معاني القرآن، البهاء فيما تلحن فيه العامة، اللغات، المصادر في القرآن (بغية الوعاة، السيوطي، ج٢ ص٣٣٣، وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٦ ص١٧٦).

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٤ ص٥٧٥.

(٤) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى (المتوفى:١٣٨٢هـ) وآخرون، القاهرة، جمهورية مصر العربية، نشر: مطابع دار المعارف، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، الطبعة: الثانية، ج١ص٣٠٧.

من خلال ما يلي: مفهوم التدين وضوابطه وأنواعه، وأثر التدين الباطل لدى الفرق المخالفة قديماً وحديثاً، وعلاقة المدرسة الفكرية المعاصرة، وسعيها إلى قراءة جديدة للدين، وتقديم دين جديد. والسمات المشتركة بينهم وبين أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وتاريخه ونشأته وأسبابه ومجالاته وأساليبه ومصادره وأصوله ومسالك القائلين به، ومواقف مراكز الدراسات والساسة والمفكرين والمثقفين منه، والشبهات والآثار والمخاطر المترتبة عليه، وأخيراً وسائل وأساليب تقويم هذا الانحراف.

الحدود الزمانية: سيكون البحث محدوداً (غالباً) بالكتب ونقد كتابات المؤيدين له مستنداً في ذلك إلى المؤلفات والكتابات والفتاوى والأدبيـــات ونتائج الدراسات والوثائق والبيانات والتصريحات ذات الصلة، الصادرة خلال الثلاث عقود الماضية .

الحدود المكانية: سيكون محدوداً (غالباً) بعالمنا العربي والإسلامي. وسيشمل غير ذلك عند الحاجة.

أهداف البحث:

تتركز أهداف البحث فيما يلي:

١. بيان المعنى الصحيح للتدين.

٢. إيضاح مفهوم الدين وبيان أصوله وذكر خصائصه.

٣. مقارنة مفهوم التدين بين الصحة والبطلان عند أهل السنة والمخالفين.

٤. تحديد تاريخ الانحراف المعاصر وبداية نشأته.

٥. وصف وتحليل مظاهر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

٦. ذكر أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وسماته وأسبابه ومسالك القائلين به.

٧. ذكر مجالات وأساليب ومصادر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

٨. توضيح الموقف الشرعي من الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

٩. ذكر شبهات أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين والرد عليها.

١٠. ذكر آثار ومخاطر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

١١. عرض وسائل وأساليب تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

تساؤلات البحث:

س١: ما معنى الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وما مظاهره وسماته، وأسباب نشأته؟

س٢: ما الفرق بين مفهوم التدين الصحيح والتدين المنحرف المعاصر؟

س٣: متى بدأ الانحراف المعاصر وما تاريخ نشأته؟

س٤: ما مجالات وأساليب ومصادر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

س٥: ما أصول وسمات ومسالك القائلين بمفهوم التدين المنحرف؟

س٦: ما الشبهات التي أدت إلى نشوء الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وما هي الردود عليها؟

س٧: ما آثار وأخطار الانحراف المعاصر في مفهوم التدين؟

س٨: ما وسائل وأساليب تقويم الانحراف المعاصرفي مفهوم التدين؟

الدراسات السابقة:

إن الدراسات المسجلة في هذا الموضوع قليلة وذلك لجدته، وعدم تناوله من الباحثين بما يشبعه ويستقصي جوانبه، ووجدت بعض الدراسات التي تناولت الموضوع أو أشارت إليه، ومنها:

١-الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب(١).

٢-ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي(٢).

---

(١) رسالة مقدمة لنيل درجة (الدكتوراه)، ١٤٠٤هـ، في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، نشر: دار عالم الكتب، مكتبة الأقصى، عمان الأردن.

(٢) رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص العليا (الدكتوراه)، ١٤٠٥هـ، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، طباعة دار الكلمة للنشر والتوزيع، هولندا.

٣-حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د. عبدالرحيم بن صمايل السلمي[١].

٤-منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث الإسلامي دراسة نقدية تحليلية الباحث عبدالله محمد المالكي[٢].

٥-تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر، د. أحمد بن محمد اللهيب[٣].

٦-التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان محمد أمامة[٤].

وكذلك بعض الكتابات والتراكمات العلمية، التي تناولت الموضوع أو أشارت إليه، ومنها:

١-الدين، محمد بن عبد الله دراز، دار القلم الكويت.

٢-إسلام آخر زمن، تأليف: منذر الأسعد، مكتبة العبيكان بالرياض.

٣-التدين الجديد، تأليف أ. وسام فؤاد، إصدار دار العلوم العربية، القاهرة.

٤-التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة الغرب، تأليف أ. أنور الخضري، إصدار مركز تأصيل، جدة.

٥-المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية، أ.د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي.

٦-تحولات التدين في المجتمع السعودي، مركز دراسات غيناء، الرياض.

والفرق بين دراستي، والدراسات السابقة تتضح من خلال ما يلي:

---

(١) رسالة مقدمة لنيل درجة (الدكتوراه)، ١٤٢٧هـ كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة. طباعة مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة.

(٢) بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، ١٤٣١هـ، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

(٣) رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص العليا (الدكتوراه)، ١٤٣٢هـ، كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، الرياض. طباعة مجلة البيان.

(٤) رسالة مقدمة لنيل درجة (الدكتوراه)، ١٤٣٢هـ، كلية الإمام الأوزاعي، بيروت. طباعة دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض.

ودراسة: (الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها)، د. محمد أحمد الخطيب. وتناول الفكر الباطني أصله وحقيقته وكيفية وصوله إلى العالم الإسلامي، وأصول الباطنية (الإسماعيلية والقرامطة وإخوان الصفا والدروز والنصيرية) نشأتهم وعقائدهم ومقارنة بين عقائدهم، وأثر الحركات الباطنية الفكري والاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي.

ودراسة: (ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي)، د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، تحدث فيها عن حقيقة الإيمان وارتباط العمل به، ونشأة الإرجاء وظاهرة الإرجاء، وعلاقة الإيمان بالعمل والظاهر والباطن، والشبهات النقلية والاجتهادية في الموضوع نفسه.

ودراسة: (حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها)، د. عبد الرحيم بن صمايل السلمي، وشمل موضوعات مهمة متعلقة بالليبرالية من حيث: مفهوم الليبرالية وأسسها الفكرية، الليبرالية في العالم الإسلامي عوامل ظهورها ومظاهرها، وموقف الإسلام منها.

ودراسة: (منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث الإسلامي)، عبد الله محمد المالكي، واقتصر فيه الباحث على منهج محمد أركون في نقد الدين والتراث الإسلامي.

ودراسة: (تجديد الدين لدى الاتجاه العقلاني الإسلامي المعاصر)، د. أحمد بن محمد اللهيب، وركز فيه مؤلفه على التجديد وتاريخه والدعوة إليه في العالم الغربي والعالم الإسلامي، وعلى مصادر التلقي عند أصحاب التجديد العقلاني وقواعدهم العامة في ذلك ثم الآثار المترتبة على تلك الدعوة.

ودراسة: (التجديد في الفكر الإسلامي)، عدنان محمد أمامة، وتركز حديث مؤلفه حول التجديد بمفهومه الصحيح، والتجديد في العلوم الإسلامية، والتجديد وعلاقته ببعض مصادر الاستدلال، والتجديد بمفهومه المنحرف.

وأما الكتب والتراكمات العلمية:

كتاب: (الدين)، تأليف: محمد بن عبد الله دراز: فقد كان الحديث فيه عن معنى الدين وعلاقة الدين بالثقافة والأخلاق وسائر العلوم، وأقدمية الديانات ومصيرها أمام العلوم،

ونزعة التدين في النفس البشرية، ووظيفة الأديان في المجتمع، ونشأة العقيدة الإلهية، وموقف الإسلام من الأديان من الأخرى وعلاقته بها.

كتاب: (إسلام آخر زمن): اقتصر على عرض أباطيل المستشرقين والمستغربين من الكتاب المنتسبين للإسلام، الذين ردوا تفسير السلف للقرءان وأوَّلوا السنة وأنهم يريدون تطوير الدين وإلغاء الحدود وتفسير الدين تفسيراً مطوراً على فكر الملحدين كما يزعمون، ورد عليهم الكاتب رداً علمياً.

كتاب (التدين الجديد)، تأليف أ. وسام فؤاد، فقد تركز على خطاب التدين الذي يحمله دعاة ذوو سمات جديدة، والذي يراه البعض خطاباً أكثر تجديداً وملامسة لواقع الشباب وما خصائص الخطاب الذي وفق بين هؤلاء الدعاة والشرائح الاجتماعية العليا في مجتمعاتهم؟ وما علاقة هذا الخطاب بالدعوة الإسلامية وخطابها؟ وهل ينجح الدعاة الجدد في مكافحة تشويه صورة الإسلام بخطابهم الجديد؟

كتاب (التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة الغرب)، تأليف أ. أنور الخضري، فقد ركز مؤلفه بشكل مختصر على بعض أسباب ومظاهر وخصائص التدين الجديد وعرض لبعض رموزه، وكيف أدت ظاهرة التدين الجديد إلى تمرير ثقافة الغرب في أوساط المسلمين وخاصة شريحة الشباب من الجنسين.

كتاب (المثقف العربي بين العصرانية والإسلامية)، أ.د. عبدالرحمن بن زيد الزنيدي، تحدث عن الثقافة واللغة والإسلام والدين، وعن المثقف وعناصر شخصيته، والنخبة المثقفة في العالم العربي، ومقومات المثقف المسلم من حيث الصنعة الفكرية ومرجعية القرآن والسنة وفقه الدين وفقه الواقع.

وأما كتاب (تحولات التدين في المجتمع السعودي)، مركز دراسات غيناء، فقد اقتصرت على دراسة تاريخية لمسيرة التدين في المجتمع السعودي، وبعض الظواهر والتقلبات والمثقفين السعوديين ودورهم في انحسار وتراجع التدين، وما ينبغي اتخاذه من خطط استراتيجية لدعم التدين والمحافظة عليه في المجتمع السعودي.

ودراستي (الانحراف المعاصر في مفهوم التدين)، تزيد عن الدراسات السابقة وتفرق عنها بما يلي:

١. التأصيل الشرعي في مفهوم التدين، وضوابطه، والفرق بين التدين الصحيح والباطل.
٢. عرض لهدي النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في التدين والعبادة.
٣. بيان أساس التدين الباطل بدءاً بالمتكلمين من المعتزلة والمرجئة والفرق الباطنية، والمدرسة الفكرية المعاصرة.
٤. توضيح نشأة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وأسبابه باستفاضة.
٥. ذكر أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين التي يقوم عليها.
٦. ذكر مجالات وأساليب ومصادر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.
٧. بيان مسالك الاستدلال عند أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.
٨. بيان موقف مراكز الدراسات، والمواقف السياسية، ومواقف المفكرين والمثقفين الغربيين من الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته.
٩. ذكر الشبهات الفكرية والمنهجية عند أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين والرد عليها.
١٠. بيان الآثار العقدية والسلوكية والاجتماعية للانحراف المعاصر في مفهوم التدين على الإسلام والمسلمين.
١١. ذكر وسائل وأساليب تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة، بالإضافة إلى الفهارس الفنية. وهي على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومصطلحات البحث، وأهدافه، وتساؤلاته، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: **التعريف بمفردات العنوان، وبيان حاجة البشرية للدين، ومفهوم التدين عند المتكلمين**، وفيه ثلاثة مباحث:

الفصل الثاني: **تعريف الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، ونشأته، وأسبابه**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

المبحث الثاني: نشأة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

المبحث الثالث: أسباب نشوء الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

الفصل الثالث: **مجالات الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وأساليبه ومصادره**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مجالات الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

المبحث الثاني: أساليب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

المبحث الثالث: مصادر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

الفصل الرابع: **أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وسماته ومسالك القائلين به**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

المبحث الثاني: سمات دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

المبحث الثالث: مسالك الاستدلال عند دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

الفصل الخامس: **الموقف الغربي من الانحراف المعاصر في مفهوم التدين**، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف مراكز الدراسات.

المبحث الثاني: مواقف الساسة.

المبحث الثالث: مواقف المفكرين والمثقفين.

الفصل السادس: **شبهات وآثار ومخاطر دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين والرد عليها**، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الشبهات الفكرية والرد عليها.

المبحث الثاني: الشبهات المنهجية والرد عليها.

المبحث الثالث: الآثار العقدية وبيان خطرها.

المبحث الرابع: الآثار السلوكية وبيان خطرها.

المبحث الخامس: الآثار الاجتماعية وبيان خطرها.

الفصل السابع: **وسائل وأساليب تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته،** وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وسائل تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته.

المبحث الثاني: أساليب تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته.

المبحث الثالث: نقد كتابات المؤيدين للتدين الجديد ودعاته.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وأبرز التوصيات.

الفهارس: وتشتمل على:

١. فهرس الآيات.

٢. فهرس الأحاديث.

٣. فهرس الأعلام.

٤. قائمة المصادر والمراجع.

٥. فهرس المحتويات.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي الذي يستند إلى المؤلفات والكتابات والفتاوى والأدبيات ونتائج الدراسات والوثائق والبيانات والتصريحات ذات الصلة؛ للاعتماد عليها للوصول إلى الأحكام والرؤى التي يتبناها البحث. وذلك باستقصائها وتتبعها في مظانها

وجمعها وقراءتها وتحليلها وإثباتها في مكانها من فصول ومباحث الرسالة.

وأمّا آليات هذا المنهج، فهي على النحو الآتي:

١. الاعتماد على المصادر الأصيلة، وكذلك الكتابات الحديثة في هذا الموضوع.

٢. عزو الآيات القرآنية إلى سورها من القرآن الكريم، بذكر اسم السورة، ورقم الآية، وكتابتها بالرسم العثماني.

٣. عزو الأحاديث النّبوية إلى مصادر السنّة، ونقل كلام أهل العلم في بيان درجة الحديث، ما لم يكن في الصحيحين أو أحدهما.

٤. تفسير الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية.

٥. توحيد المنهج في الهوامش، بذكر: اسم الكتاب ثم اسم المؤلف كاملاً، وتاريخ وفاته، ثم مكان النشر، ثم اسم الناشر، ثم تاريخ النشر مع بيان الطبعة (إن وجدت)، ثم رقم الجزء والصفحة (وهذا في حالة ذكر الكتاب لأول مرة، ثم، أوثّقه مختصراً بحيث أقتصر على ذكر شهرة المؤلف، وعنوان الكتاب مختصراً، ورقم الجزء والصفحة).

٦. الترجمة الموجزة للأعلام غير المشهورين.

٧. التعريف الموجز بالأماكن والبلدان والطوائف والفرق، وكل ما يحتاج إلى تعريف.

٨. الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٩. وضع فهارس تفصيلية على النحو المبين في الخطة.



التمهيد

التعريف بمفردات العنوان وبيان حاجة البشرية للدين، ومفهوم التدين عند المتكلمين

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: التعريف بمفردات العنوان
- المبحث الثاني: حاجة البشرية للدين
- المبحث الثالث: مفهوم التدين عند المتكلمين والباطنيين والمدرسة الفكرية المعاصرة

المبحث الأول

التعريف بمفردات العنوان

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الانحراف
- المطلب الثاني: المعاصر
- المطلب الثالث: مفهوم الدين والتدين

المطلب الأول:

الانحراف

تعريف الانحراف لغةً: قال ابن منظور[1] – رحمه الله – في اللسان تحت مادة (حرف): ((والحَرْفُ في الأَصل الطَّرَفُ والجانِبُ)). ثم قال: وقال ابن عرفة[2]: (من يعبد اللّه على حرف أَي على غير طمأْنينة على أَمر أَي لا يدخل في الدين دخول متمكن)، وحَرَفَ عن الشيء يَحْرِفُ حَرْفاً وانْحَرَفَ وتَحَرَّفَ واحْرَوْرَفَ عَدَلَ (الأَزهري[3] وإذا مالَ الإنسانُ عن شيء يقال: تَحَرَّف وانحرف واحرورف))[4].

وقال ابن فارس – رحمه الله – في معجمه تحت مادة (حرف): ((الحاء والراء والفاء ثلاثة

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي، صاحب (لسان العرب) الإمام اللغوي الحجة، (المتوفى:٧١١هـ)، (الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، الطبعة الخامسة، ج٧ ص١٠٨).

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة العتكي الأزدي الواسطي (المتوفى:٣٢٣هـ) الملقب نفطويه. لشبهه بالنفط لدمامته وأدمته، وجعل على مثال سيبويه لانتسابه في النحو إليه، وكان زاهر الأخلاق، حسن المجالسة، صادقاً فيما يرويه، حافظاً للقرآن، وله مصنفات كثيرة منها كتاب كبير في غريب القرآن وكتاب التاريخ (تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، (المتوفى:٤٦٣هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ج٦ ص١٥٩، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (المتوفى:٩١١هـ)، لبنان صيدا، الناشر: المكتبة العصرية، ج١ ص٤٢٨).

(٣) الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر، الأزهري الهروي اللغوي (المتوفى:٣٧٠هـ)، الإمام المشهور في اللغة؛ كان فقيهًا شافعي المذهب غلبت عليه اللغة فاشتهر بها، وكان متفقاً على فضله وثقته ودرايته وورعه وله من التصانيف: التهذيب في اللغة، تفسير ألفاظ مختصر المزني، (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، (المتوفى:٦٨١هـ)، بيروت، الناشر: دار صادر، ١٩٧١م، الطبعة: ١ ج٤ ص٣٣٤، وبغية الوعاة، جلال الدين السيوطي، ج١ ص١٩).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج٩ ص٤١.

أصول: حدُّ الشيء، والعُدول، وتقدير الشَّيء)). ثم قال: ((والأصل الثاني: الانحراف عن الشَّيء. يقال انحَرَفَ عنه يَنحرِف انحرافاً. وحرّفتُه أنا عنه، أي عدَلتُ به عنه. ولذلك يقال مُحَارَفٌ، وذلك إذا حُورِف كَسْبُه فمِيلَ به عنه، وذلك كتحريف الكلام، وهو عَدْلُه عن جِهته. قال الله – تعالى –: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ﴾ [النساء: ٤٦]))[١].

والمقصود بالانحراف هنا: الميل والتغيير الذي أصاب الناس في تدينهم بدين الإسلام عما كان عليه نبيهم – صلى الله عليه وآله وسلم –، وأصحابه – رضي الله عنهم –، علماً وعملاً وفهماً وتطبيقاً.

والانحراف شرعاً: عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية[٢] في مجموع كلام له – رحمه الله – فقال: ((الميل[٣] والاعوجاج[٤] والاضطراب[٥] عن اتباع الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم كاليهود وغير الضالين كالنصارى[٦]، ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (المتوفى:٣٩٥هـ)، بيروت، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، الطبعة: الأولى، ج٢ص٤٢.

(٢) هو: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي (المتوفى:٧٢٨هـ)، شيخ الإسلام وحافظ الدنيا، المجتهد في الأحكام، ناصر السنة وقامع البدعة، صاحب التآليف الكثيرة، ومنها: الفرقان ودرء تعارض العقل والنقل، والواسطية.. (البداية والنهاية في التأريخ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (المتوفى:٧٧٤هـ)، القاهرة، مطبعة السعادة، ج١٤/١٣٥)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، (المتوفى:٨٥٢هـ)، حيدر أباد/الهند، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م، ج١ ص١٦٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠ ص١٣٨).

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٥ ص٩٤.

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٢٥ ص١٤١.

(٦) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، (المتوفى:٧٢٨هـ)، الرياض، الناشر: دار العاصمة، ١٤١٤هـ، الطبعة: الأولى، ج٢ ص١٣٧.

من اعتقادات وإرادات وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات وقد تكون أيضاً عادات[1]، وقد يكون الانحراف كفراً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون سيئةً، وقد يكون خطأً))[2].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، (المتوفى:٧٢٨هـ)، القاهرة، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ، الطبعة الثانية، ج١ ص١١.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ج١ص٦.

المطلب الثاني:
المعاصر

تعريف المعاصر لغةً: قال ابن منظور- رحمه الله - في اللسان تحت مادة (عصر): ((العَصْر والعِصْر والعُصْر والعُصُر الأَخيرة، عن اللحياني[1]: الدهر، قال الله - تعالى -: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ١- ٢].

قال الفراء: العَصْر الدهرُ أَقسم الله - تعالى - به))[2].

وقال ابن فارس- رحمه الله - في معجمه تحت مادة (عصر): ((العين والصاد والراء أصولٌ ثلاثة صحيحة: فالأوَّل دهرٌ وحين))[3].

و(المعاصر): من العصر وهو: الدهر، وهو اسم لقليل الوقت وكثيره، والمقصود الزمان الحالي الذي نعيش فيه.



(١) زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى بن عبد الواحد ابن عمر اللحياني الهنتاني (المتوفى:٧٢٧هـ) صاحب تونس. قال الصفدي: كان فقيهاً فاضلاً، قد أتقن العربية، (بغية الوعاة، السيوطي، ج١ ص٥٦٩، والأعلام، خير الدين الزركلي، ج٣ ص٤٥).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٤ ص٥٧٥.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٤ ص٣٤٠.

المطلب الثالث:

مفهوم الدين والتدين

و(مفهوم): لغةً: قال ابن منظور – رحمه الله – في اللسان تحت مادة (فهم): ((الفَهْمُ معرفتك الشيء بالقلب فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة عَلِمَه الأخيرة عن سيبويه[1]، وفَهِمْت الشيء عَقَلْتُه وعرَفْته))[2].

وقال ابن فارس – رحمه الله – في معجمه تحت مادة (فهم): ((الفاء والهاء والميم عِلْم الشيء))[3].

ويقول أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: ((والفرق بين المفهوم والمعنى والمدلول: قال الفاضل اليزدي[4]: اعلم أن ما يستفاد من اللفظ باعتبار أنه فهم منه: يسمى مفهوماً، وباعتبار أنه قصد منه يسمى: معنى، وباعتبار أن اللفظ دال عليه، يسمى مدلولاً، ولا يخفى أنها فروق اعتبارية))[5].

فالمفهوم إذاً: ما يعلم ويعرف ويفهم عن الشيء (والمقصود هنا التدين).

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (المتوفى:١٨٠هـ)، وقيل معناه بالفارسية: رائحة التفاح، أخذ النحو عن الخليل بن أحمد. قال الأزهري: كان سيبويه علامة، حسن التصنيف، جالس الخليل وأخذ عنه. له (كتاب سيبويه) (بغية الوعاة، السيوطي، ج٢ ص٢٢٩) و(شذرات الذهب في أخبار من ذهب، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العسكري (المتوفى:١٠٨٩هـ)، دمشق، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى، ج١ ص٢٤٥).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٤٥٩.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٤ ص٤٥٧.

(٤) عبد الله بن الحسين اليزدي (المتوفى ١٠١٥هـ)، عالم مشارك في بعض العلوم. من آثاره: شرح تهذيب المنطق والكلام لسعد الدين التفتازاني، شرح القواعد في الفقه، توفي بأصبهان. (معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، بيروت، الناشر مكتبة المثنى – دار إحياء التراث العربي، ج٦ ص٤٩. والأعلام، خير الدين الزركلي، ج٤ ص٨٠).

(٥) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، (المتوفى:بعد ٤٠٠هـ) قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى، ج١ ص٥٠٥.

الدين معناه: لغةً: قال ابن منظور– رحمه الله – في اللسان تحت مادة (دين): ((يقال: دانَ بكذا ديانة وتَدَيَّنَ به فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ. ودَيَّنْتُ الرجلَ تَدْييناً إِذا وكلته إِلى دِينه. والدِّين: الإِسلام وقد دِنْتُ به، وقال: والدِّين: ما يَتَدَيَّنُ به الرجل. والدين: الطاعة))(١).

وجاء في المعجم الوسيط: قوله: الدين: الديانة، وهي اسم لجميع ما يعبد به الله. والملة والإسلام: الاعتقاد بالجنان، والإقرار باللسان، وعمل الجوارح بالأركان))(٢).

وقال الراغب – رحمه الله – كلاماً مهماً نفيساً في معنى (الدين): ((والدين كالملة لكنه يقال اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة، قال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

وقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٢٥]، أي: طاعة ﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ ﴾ [النساء: ١٤٦]، وقوله –تعالى –: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [النساء: ١٧١]، وذلك حث على اتباع دين النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – الذي هو أوسط الأديان كما قال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقوله: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، قيل: يعني الطاعة فإن ذلك لا يكون في الحقيقة إلا بالإخلاص، والإخلاص لا يتأتى فيه الإكراه. وقيل: إن ذلك مختص بأهل الكتاب الباذلين للجزية. وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، يعني الإسلام لقوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران:٨٥]، وعلى هذا قوله – تعالى –: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ [الصف: ٩]، وقوله: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]))(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –، عند كلامه على معاني كلمة الدين: ((والدين الحق هو طاعة الله وعبادته .. وقال: لا بد في كل دين من شيئين العقيدة والشريعة

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٣ ص١٦٤.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج١ص٣٠٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، (المتوفى:٥٠٢هـ)، لبنان، الناشر دار المعرفة، ج١ص١٧٥.

أو المعبود والعبادة، ولا بد في كل دين وطاعة ومحبة من شيئين أحدهما الدين المحبوب المطاع وهو المقصود المراد، والثاني نفس صورة العمل التي تطاع ويعبد بها وهو السبيل والطريق والشريعة والمنهاج والوسيلة، كما قال الفضيل بن عياض[1] في قوله – تعالى –: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، قال: أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، فهكذا كان الدين يجمع هذين الأمرين المعبود والعبادة، والمعبود إله واحد والعبادة طاعته وطاعة رسوله فهذا هو دين الله الذي ارتضاه كما قال – تعالى –: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وهو دين المؤمنين من الأولين والآخرين وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد غيره لأنه دين فاسد باطل؛ كمن عبد من لا تصلح عبادته أو تعبد بما لا يصلح أن يتعبد به))[2].

وقال الإمام البخاري – رحمه الله –، مبيناً معنى الدين وما اشتمل عليه: ((باب سؤال جبريل النبي – صلى الله عليه وسلم –، عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – له ثم قال (جاء جبريل – عليه السلام – يعلمكم دينكم). فجعل ذلك كله ديناً ..))[3].

وقال الإمام الطبري – رحمه الله – عند قوله – تعالى –: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني المجاور بحرم الله، الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام. قال عنه ابن حجر: كان ثقة نبيلاً فاضلاً، عابداً ورعاً كثير الحديث. توفي: سنة ١٨٧هـ وقيل ١٨٦هـ بمكة (سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى:٧٤٨هـ)، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م الطبعة: التاسعة، ج٨ ص٣٧٢) و(تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (المتوفى:٨٥٢هـ)، بيروت، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى، ج٨ ص٢٦٥).

(٢) جامع الرسائل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (المتوفى:٧٢٨هـ)، الرياض، الناشر: دار العطاء، ١٤٢٢هـ، الطبعة: الأولى، ج٢ ص٢٢٣.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، ج١ ص٢٧.

﴿ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٨-١٩]: ((عن السدي[١]: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إلى:﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، قال: الله يشهد هو والملائكة والعلماء من الناس: أنّ الدين عند الله الإسلام))[٢]. فالدين هو: الإسلام، والذي أمر الله عباده أن يدخلوا في شرائعه كافة؛ كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال ابن كثير – رحمه الله –: ((يقول الله – تعالى – آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره، ما استطاعوا من ذلك))[٣].

وقال الشيخ السعدي – رحمه الله –: ((أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وألّا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته، ولما كان الدخول في السلم كافة، لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان قال: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ أي: في العمل بمعاصي الله ﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ والعدو المبين، لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، وما به الضرر عليكم))[٤].

وأما التدين فمعناه: قال ابن منظور – رحمه الله – في اللسان تحت مادة (دين): ((وقوله تدين تطيع والدين الطاعة، وقد دِنْته ودِنْتُ له أَطعته، يقال: دانَ بكذا ديانة وتَدَيَّنَ

(١) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الهاشمي السُّديّ أبو محمد الكوفي الأعور، صاحب التفسير قال عنه أحمد: ثقة. وقال مرة: مقارب الحديث أخرج له الجماعة إلا البخاري. (المتوفى:١٢٧هـ). (الذهبي في السير ج٥ ص٢٦٤) و(طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، (المتوفى: بدون)، المدينة المنورة، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٧م، الطبعة الأولى، ج١ ص١٥).

(٢) جامع البيان، الطبري، ج٦ ص٢٦٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١ ص٣٠٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٩٤.

به فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ))[١].

وقال ابن فارس – رحمه الله – في معجمه: ((فالدِّين: الطاعة، يقال دان له يَدِين دِيناً، إذا أصْحَبَ وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ، أي: مطِيعون منقادون))[٢].

والتدين هو: الاستجابة لتعاليم الدين الحنيف وتطبيقه، وتنزيل نصوص الوحي، في واقع الحياة فهماً وسلوكاً، طاعةً لله.

ونخلص من ذلك أن الدين: هو وحي الله إلى رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – بدين الإسلام، بينما التدين هو العمل بذلك الدين.

يقول د. عبد المجيد النجار: ((فالدين إذن هو التعاليم الإلهية التي خوطب بها الإنسان على وجه التكليف، والتدين هو الكسب[٣] الإنساني في الاستجابة لتلك التعاليم، وتكييف الحياة بحسبها في التصوّر والسّلوك. وبحسب هذا التعريف فإن حقيقة الدين تختلف عن حقيقة التدين؛ إذ الدين هو ذات التعاليم التي هي شَرْع إلهي، والتدين هو التشرع بتلك التعاليم، فهو كسب إنساني. وهذا الفارق في الحقيقة بينهما يفضي إلى فارق في الخصائص، واختلاف في الأحكام بالنسبة لكلّ منهما))[٤].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٣ ص١٦٤، بتصرف يسير.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج٢ ص٣١٩.

(٣) الكسب قالت به الأشاعرة: وأثبتوا شيئاً جديداً في مسألة القدر، والكسب نقله أبو الحسن الأشعري عن المعتزلة، وعندما رجع عن الاعتزال إِلَى الكلابية وهي المرحلة الثانية من مراحله قبل أن يرجع إِلَى مذهب السلف، قال: الله سُبْحَانَهُ وَ– تعالى – فاعل، والعبد: نافذ، فجاء بنظرية يرى أنها وسط بين الجبرية والقدرية. والصواب: أن الله سُبْحَانَهُ وَ– تعالى – أثبت لنا المشيئة، وبين لنا الصراط المستقيم فَقَالَ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]، إما أن يختار الكفر وإما إن يختار الإيمان، فكيف يقَالَ: إنه لا مشيئة له في الحقيقة والفاعل هو الله، فالعبد فاعل عَلَى الحقيقة، ولكن الخالق هو الله، ولهذا يجازي العبد ويحاسبه لا عَلَى مشاركة صورية، أو كسب أو تأثير لا قيمة له، إنما يحاسب العبد ويجازيه لأنه فعل ذلك حقيقة.

(٤) في فقه التدين فهماً وتنزيلاً، الدكتور عبد المجيد النجار، دولة قطر، الناشر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، سلسلةكتاب الأمة، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، الطبعة: الأولى، ج١ ص١٨.

المبحث الثاني:
حاجة البشرية للدين

قال الله – تبارك وتعالى – موضحاً خلق الإنسان: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [ص: ٧١ – ٧٢]، وأنه – جل في علاه –، ركب خلق الإنسان، من مادتين: قبضة من طين، ونفخة من روح الله، وأن لكل مادة منهما خصائصها وصفاقا وما يغذيها، فالقبضة من الطين هي من الأرض والتراب ومن صفاقا: الثقل، والنزول، والالتصاق بالأرض، ويمدها ويغذيها ما يخرج من الأرض.

وأما النفخة من الروح، فمن صفاقا: العلو، والسمو، والارتفاع، ويمدها ويغذيها الوحي من عند الله، والذي أنزل به كتبه، وأرسل به رسله – عليهم الصلاة والسلام –، ولذا قال ربنا الرحمن: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٦].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله –: ((يخبر – تعالى –، أنه أمر آدم وإبليس أن يهبطا إلى الأرض، وأن يتخذوا [آدم وبنوه] الشيطان عدوا لهم، فيأخذوا الحذر منه، ويعدوا له عدته ويحاربوه، وأنه سينزل عليهم كتباً، ويرسل إليهم رسلاً يبينون لهم الطريق المستقيم الموصلة إليه وإلى جنته، ويحذروهم من هذا العدو المبين، وأهم أي: وقت جاءهم ذلك الهدى، الذي هو الكتب والرسل، فإن من اتبعه اتبع ما أمر به، واجتنب ما هي عنه، فإنه لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقى فيهما، بل قد هدي إلى صراط مستقيم، في الدنيا والآخرة، وله السعادة والأمن في الآخرة))[1].

ولهذا، خلق الله – تبارك وتعالى – الخلق، وفطرهم على الإسلام، قال الله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٥١٥.

[الروم:٣٠]، قال الإمام الطبري – رحمه الله –: ((عن مجاهد ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ قال: الإسلام، وعن عكرِمة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: الإسلام، وعن قَتادة ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لدين الله))[(١)].

وذلك هو العهد والميثاق الذي أخذه الله على جميع بني آدم، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣]. قال الشيخ السعدي – رحمه الله –: ((فإن اللّه – تعالى – فطر عباده على الدين الحنيف القيم. فكل أحد فهو مفطور على ذلك))[(٢)].

وقال – صلى الله عليه وآله وسلم –: [كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء][(٣)]. قال ابن حجر – رحمه الله –: ((وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام، قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله – تعالى –: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ الإسلام))[(٤)].

وقال – صلى الله عليه وآله وسلم –: [وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم][(٥)]. قال الإمام النووي – رحمه الله –: (([وإني خلقت

(١) جامع البيان، الطبري، ج٢٠ص٩٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٣٠٨.

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، حديث رقم ١٢٩٢، ج١ص٤٥٦، ومسلم، ٤٦ كتاب القدر، ٦باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (٢٢)، ج٤ص٢٠٤٧.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (المتوفى:٨٥٢هـ)، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، ج٣ ص٢٤٨.

(٥) مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم (٢٨٦٥)، ج٤ ص٢١٩٧.

عبادي حنفاء كلهم] أي: مسلمين))[1].

ولهذا، فإن حاجة البشرية إلى الدين، حاجة عظيمة، وضرورة ملحة، هي أعظم من كل شيء آخر يحتاجونه، فإن الأنفس جائعة ظامئة، والقلوب خاوية خربة، والأرواح ميتة هامدة، ما لم يملأها الدين الحق، والوحي المنزل على خاتم أنبيائه ورسله – صلى الله عليه وآله وسلم –، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مبيناً حاجة العباد إلى الدين وما جاء به المرسلون – عليهم السلام –: ((والرسالة ضرورية للعباد، لابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله – تعالى –: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات، وسمى الله – تعالى – رسالته روحاً، والروح إذا عُدِم فقد فقدت الحياة، قال الله – تعالى –: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، فذكر هنا الأصلين، وهما: الروح، والنور. فالروح الحياة، والنور النور))[2].

وقال أيضاً – رحمه الله –: ((وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب، فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا تُرْجي الحياة معه أبداً، أو شَقِي شقاوة لا سعادة معها أبداً،

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (المتوفى:٦٧٦هـ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ، الطبعة الثانية، ج١٧ص١٩٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (المتوفى:٧٢٨هـ)، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، الإصدار الثاني، ج١٩ ص٩٣.

فلا فلاح إلا باتباع الرسول، فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره، كما قال – تعالى –: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، أي: لا مفلح إلا هم، كما قال – تعالى –: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وليست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر، والرياح والمطر، ولا كحاجة الإنسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوئها، والجسم إلى الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال ..))[١].

وقال تلميذه ابن القيم – رحمه الله – مبيناً حاجة العباد إلى الدين، الذي جاء به الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم –: ((ومن ها هنا تعلم اضطرار العباد فوقَ كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيلَ إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا مِن جهتهم، ولا يُنال رضى الله ألبتة إلا على أيديهم، فالطَّيِّب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزانُ الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال، فالضرورة إليهم أعظمُ مِن ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فُرِضَت، فضرورةُ العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديُه وما جاء به طرفةَ عين، فسَدَ قلبُك، وصار كالحوت إذا فارق الماء، ووضع في المِقلاة، فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل، كهذه الحال، بل أعظمُ))[٢].

ولعظم هذه الحاجة وضرورتها، وافتقار العباد إليها، قدم حفظ الدين على سائر

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٩ ص٩٦، ١٠١.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (المتوفى:٧٥١هـ)، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م، الطبعة: السابعة والعشرون، ج١ ص٦٩.

الضروريات الخمس، قال صاحب شرح الكوكب المنير: ((وَيُقَدَّمُ حِفْظُ الدِّينِ عَلَى بَاقِي الضَّرُورِيَّات))[١].

وقال صاحب التحبير شرح التحرير: ((وإذا تعارضت بعض الخمس الضرورية قدمت الدينية على الأربع الأخر؛ لأنها المقصود الأعظم، قال الله – تعالى –: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ولأن ثمرته نيل السعادة الأخروية؛ لأنها أكمل الثمرات))[٢].

قال الإمام الشاطبي[٣] – رحمه الله –: ((حفظ الدين حاصله في ثلاثة معانٍ، وهي: الإسلام، والإيمان، والإحسان، فأصلها في الكتاب، وبيانها في السنة، ومكمله ثلاثة أشياء، وهي: الدعاء إليه بالترغيب والترهيب، وجهاد من عانده أو رام إفساده، وتلافي النقصان الطارئ في أصله. وأصل هذه في الكتاب وبيانها في السنة على الكمال))[٤].

وقال الزركشي – رحمه الله –: ((حفظ الدين بشرعية القتل والقتال، فالقتل للردة وغيرها من موجبات القتل لأجل مصلحة الدين، والقتال في جهاد أهل الحرب))[٥].



(١) شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، (المتوفى:٩٧٢هـ)، الرياض، الناشر: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، الطبعة: الثانية، ج٤ ص٧٢٧.

(٢) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، (المتوفى:٨٨٥هـ)، الرياض، الناشر: مكتبة الرشد، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ج٨ ص٤٢٤٩.

(٣) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: محدث، فقيه أصولي، لغوي، مفسر حافظ، كان من أئمة المالكية، من كتبه الموافقات والمجالس والإفادت والإنشادات (توفي: ٧٩٠هـ) (في الأعلام، الزركلي ج١ ص٧٥، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، ج١ص١١٨).

(٤) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، (المتوفى:٧٩٠هـ)، الناشر: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، ج٤ ص ٣٤٧.

(٥) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، (المتوفى:٧٩٤هـ)، لبنان بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ج٤ ص١٨٩.

المبحث الثالث:
مفهوم التدين عند المتكلمين والباطنيين والمدرسة الفكرية المعاصرة

وسيتركز الحديث في هذا المبحث على تأثيرات جذور الفرق القديمة ومن أبرزها عند المتكلمين: المعتزلة والمرجئة. وعند الباطنية: الإسماعيلية والنصيرية. وما تطور عن ذلك من انحراف فكري اعتمد على المدرسة الفكرية المعاصرة والتي تتصدى لدراسة القرآن والسنة بتطبيق النظريات الغربية النقدية ومناهج المعرفة (ابستمولوجي[1]) عليهما ونزع القداسة منهما.

أولاً: تأثيرات جذور الفرق القديمة عند المتكلمين ومن أبرزها: المعتزلة والمرجئة

والمتكلمون: يقصد بهم أهل الكلام، الذين اعتمدوا على العقليات في تقرير العقيدة، كالكلابية[2]،

---

(١) نظرية المعرفة أو الإبستمولوجيا Epistemology: كلمة مؤلفة من جمع كلمتين يونانيتين: episteme بمعنى: (معرفة) وlogos بمعنى: علم: فهي إذاً الإبستمولوجيا (أو علم المعرفة) أو علم المعرفيات جمعاً، هو الإصطلاح الأكثر دقة وشمولية، وهو أحد فروع الفلسفة الذي يدرس طبيعة ومنظور المعرفة، فهي أيضاً بعض طرق التعريف والتحليل والإدراك، والمصطلح بحد ذاته (إبستمولوجيا) يعتقد أن من صاغه هو الفيلسوف الاسكتلندي جيمس فريدريك فيرير. يعرفها لالاند في معجمه الفلسفي بأنها: فلسفة العلوم، والإيبستمولوجيا: تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة أنواع العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أصلها المنطقي وبيان قيمتها. (انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري (المتوفى:٢٠٠٨م)، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى، وموسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند).

(٢) الكلابية: وهي تنسب إلى عبد الله بن سعيد بن كلاب، أول من قال عن كلام الله، أنه المعنى القائم بالنفس، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم، لا من أهل السنة، ولا من أهل البدعة، بل أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط، هو عبد اللّه بن سعيد بن كُلاب، وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل وقد أنكر ذلك عليه علماء السنة، وعلماء البدعة، وقال عنه ابن القيم – رحمه الله –: ((قول الإمام أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب، إمام الطائفة الكلابية، ... وهو أول من عرف عنه إنكار قيام الأفعال الاختيارية بذات الرب تعالى وأن القرآن معنى قائم =

والأشاعرة[(١)]، والماتريدية[(٢)]، ....

=

بالذات)) (انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٧ ص ١٣٤، وانظر: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (المتوفى: ٧٥١هـ)، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، مصر، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الطبعة: الأولى، ج٢ص١)) .

ابن كلاب رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري أبو محمد، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم، وأصحابه هم الكلابية، لحق بعضهم أبو الحسن الأشعري، وكان يرد على الجهمية، له كتب، منها "الصفات" و"خلق الأفعال" و"الرد على المعتزلة"(توفي:٢٤٥هـ) (الذهبي في السير ج١١ص١٧٤، والزركلي في الأعلام ج٤ ص٩٠).

(١) الأشاعرة: فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) في مرحلته الثانية، التي خرج فيها على المعتزلة بعد أن عاش في كنف أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة في عصره وتلقى علومه حتى صار نائبه وموضع ثقته، ولم يزل أبو الحسن يتزعم المعتزلة أربعين سنة، ثم ثار على مذهب الاعتزال الذي كان ينافح عنه، بعد أن اعتكف في بيته خمسة عشر يوماً، يفكر ويدرس ويستخير الله تعالى حتى اطمأنت نفسه، وأعلن البراءة من الاعتزال وخط لنفسه منهجاً جديداً يلجأ فيه إلى تأويل النصوص بما ظن أنه يتفق مع أحكام العقل وفيها اتبع طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب في إثبات الصفات السبع عن طريق العقل، قال أبو الحسن: ((الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة مريد بإرادة متكلم بكلام سميع بسمع بصير ببصر . .وقال: وهذه الصفات أزلية قائمة بذاته تعالى))(انظر: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، (المتوفى: ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٤٠٤هـ، ج١ص٣٩) .

عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي أبو هاشم، المتكلم المشهور العالم ابن العالم،كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، ولهما مقالات على مذهب الاعتزال، وكتب الكلام مشحونة بمذاهبهما واعتقادهما، له تصانيف توفي: ٣٢١هـ، (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، (المتوفى: ٨٥٢هـ)، لسان الميزان، بيروت، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، الطبعة الثالثة، ج٤ ص١٦، وابن خلكان، وفيات الأعيان ج٣ ص١٨٣).

(٢) الماتريدية: تنسب إلى أبي منصور محمد بن محمد بن محمود بن محمد الماتريدي كان معدوداً في فقهاء الحنفية، وكان صاحب جدل وكلام ولم يكن له دراية بالسنن والآثار، وقد نهج منهجاً كلامياً في تقرير العقيدة يشابه إلى حد كبير منهج متأخري الأشاعرة، وعداده في أهل الكلام من =

والجهمية[1]، والمعتزلة[2] والمرجئة[3]، وأول من وصفوا بالمتكلمين هم شيوخ المعتزلة، كما قال

الصفاتية من أمثال ابن كلاب وأبي الحسن الأشعري وأمثالهما. وقد تابع الماتريدي ابن كلاب في مسائل متعددة من مسائل الصفات وما يتعلق بها، (انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٧ص٤٣٣).

محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ما تريد محلة بسمرقند من كتبه التوحيد وأوهام المعتزلة والرد على القرامطة، (توفي: ٣٣٣هـ)، (عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، (المتوفى: ٧٧٥هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مكان النشر: كراتشي، الناشر: مير محمد كتب خانه، سنة النشر: ١٣٣٢هـ، ج٢ص١٣٠، والزركلي في الأعلام ج٧ ص١٩).

(١) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان الذي أخذ عن الجعد بن درهم مقالة التعطيل عندما التقى به بالكوفة، وقد نشر الجهم مقالة التعطيل وامتاز عن شيخه الجعد بمزية المغالاة في النفي وكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه نظراً لما كان عليه من سلاطة اللسان وكثرة الجدال والمراء، مخالفاً ما كان عليه السلف – رحمهم الله –، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((فإن السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال: إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة جهمياً، فإن جهماً أول من ظهرت عنه بدعة نفي الأسماء والصفات، وبالغ في نفي ذلك، فله في هذه البدعة مزية المبالغة في النفي والابتداء بكثرة إظهار ذلك والدعوة إليه، وإن كان الجعد بن درهم قد سبقه إلى بعض ذلك)) (انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج١٢ص١١٩) .

جهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي، الكاتب المتكلم، أس الضلالة، ورأس الجهمية، كان صاحب ذكاء وجدال، وكان ينكر الصفات، هلك في زمان صغار التابعين وما علمته روى شيئاً لكنه زرع شراً عظيماً، (توفي: ١٢٨هـ)، (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م، ج٢ص١٥٩، وابن حجر، لسان الميزان، ج٢ ص١٤٢).

الجعد بن درهم: عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى، من الموالي، مبتدع، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة الفراتية، مؤدب مروان الحمار، ولهذا يقال له مروان الجعدي، قتله خالد بن عبدالله القسري بالعراق يوم النحر نحو سنة ١١٨هـ، (الذهبي، ميزان الاعتدال، ج٢ص١٢٥ والزركلي في الأعلام ج٢ ص١٢٠).

(٢) المعتزلة: سبق التعريف بها ص ٨.

(٣) المرجئة: سبق التعريف بها ص ٨.

شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((أنا أعلم كل بدعة حدثت في الإسلام، وأول من ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها ...، فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم، قبل منازعتهم في مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء: إنه متكلم، ويصفونه بالكلام، ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام))(1).

وتدينهم مبني على أصولهم الخمسة وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فالتوحيد عندهم مقتض لنفي الصفات، والعدل يعني نفي القدر، والمنزلة بين المنزلتين فيه نفي وصف الإيمان عن عصاة أهل القبلة، وإنفاذ الوعيد فيه تخليد عصاة الموحدين في النار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه وجوب الخروج على أئمة الجور.

وبهذا جمعت المعتزلة أصولها من أخلاط المبتدعة، وشربت من روافدهم كالجهمية والقدرية(2) والخوارج(3)، بل ولم تكتف بذلك فأخذت عن الأمم الأخرى عقائدها ومقالاتها؛ كاليهود والنصارى وفلاسفة اليونان والصابئة، والمجوس وغيرهم، على حسب زعمائها وفرقها. ويقودهم في ذلك العقل الذي أكبروه وجعلوه هو الأصل في تقرير العقيدة وأصول الدين عندهم، وقدموا أوهام عقولهم وظنونها مما أسموه: (بالعقليات أو القواعد

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج3 ص183. بتصرف يسير.

(2) القدرية: (مجوس هذه الأمة) وهم القائلون: لا قدر وينكرون القدر الإلهي إذ أنهم يرون أن للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ويقولون: أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً في الدار الآخرة ... وهم فرقتان: القدرية الأولى، أتباع معبد الجهني وغيلان الدمشقي القائلون بإنكار القدر بمعنى العلم والتقدير. القدرية الثانية: وهم المثبتون للعلم والكتابة لكنهم يقولون إن العبد يخلق فعل نفسه، وهم المعتزلة. (انظر الملل والنحل، للشهرستاني، ج1ص5، والفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، ج1 ص105).

(3) أول فرقة ظهرت في تاريخ الإسلام، فقد خرجوا على أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – وقالوا بتكفير بعض الصحابة، من عقائدهم: وجوب الخروج على الأئمة المسلمين المرتكبين للظلم أو الفسق، وتكفير مرتكب الكبيرة، والقول بتخليده في النار، وإنكار الشفاعة . (انظر: الملل والنحل، للشهرستاني، ج2ص90و113، والفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، ج1 ص55).

العقلية) على نصوص الكتاب والسنة، وحكموا تخرصاهم العقلية في نصوص الشرع التي جعلوها محكوماً عليها ومتهمة، فصار العقل عندهم هو الخصم للشرع، وهو الحكم على كلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

ولهذا فلقد جمعت المعتزلة في تدينها أسوأ الصفات والمقالات والتي غلبت عليهم وأصبحت طابعاً لهم ومنها ما يلي: النفي، والإنكار، والتكذيب، والتأويل، والغلو، والتكفير، والسب، والجرأة على الله، واتباع الهوى، وغير ذلك، ولك أن تتصور عقيدة جمعت ذلك كله، كيف يكون تدين أصحابها؟!

وتتضح تلك الصفات من خلال ما يأتي:

فالمعتزلة تنفي:

- الصفات والأفعال لله - تعالى -.
- كلام الله - تعالى -، وعلوه، واستواءه على عرشه.
- تواتر النصوص وإجماع السلف من أن أهل الكبائر غير مخلدين في النار.

والمعتزلة تنكر:

- الشفاعة لأهل الكبائر وغيرها من الشفاعات، التي تواترت بها النصوص وأجمع عليها السلف.
- رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأبصارهم، ورؤية الخلائق له سبحانه في المحشر كما ثبتت به النصوص.
- القدر الشامل خيره وشره من الله - تعالى -، وتزعم أن الله لم يقدر أفعال العباد.
- المعجزات للنبي - صلى الله عليه وسلم - وسائر الأنبياء.

المعتزلة تكذب[1]:

- بالأحاديث الثابتة المتواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل ما يخالف

(١) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء، ناصر العقل، الرياض، نشر: دار الوطن، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، ج٢ ص٤٢٦.

أصولهم، كأحاديث: القدر والرؤية والشفاعة والصفات.

المعتزلة تؤَوِّل:

- كلام الله، وتحرفه ليتفق مع أصولهم الفاسدة.
- أكثر السمعيات: كالصراط والميزان والحوض.

المعتزلة تسب:

- بعض الصحابة - رضي الله عنهم -، على اختلاف بينهم من مقل ومكثر.
- السلف بعد الصحابة، فليس لهم عندهم وزن أو اعتبار.
- المخالفين.

المعتزلة تكفِّر:

- المخالفين، وعوام المسلمين.
- بعضها بعضاً.

المعتزلة تتجرأ على:

- القول على الله بغير علم.
- القول بخلق القرآن.
- سب السلف من الصحابة ومن دونهم.
- رد الأحاديث المخالفة لأصولهم[1].

وسبب انحراف المعتزلة في تدينهم مرده إلى عدم اكتفائهم بمصادر التلقي عند السلف من وحي الكتاب والسنة والإجماع، واستبدالها بأوهام عقولهم وفلسفات وعقائد الأمم الأخرى وأهوائهم ونزعاتهم الشخصية، فكانوا من أجهل الناس بالكتاب والسنة، وفي ذلك يقول الإمام اللالكائي - رحمه الله -: ((جهل المعتزلة بالكتاب والسنة، قوم لم يتدينوا بمعرفة آية من كتاب الله في تلاوة أو دراية، ولم يتفكروا في معنى آية ففسروها أو تأولوها، على معنى اتباع من سلف من صالح علماء الأمة، إلا على ما أحدثوا من آرائهم الحديثة ولا

(١) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء، ناصر العقل، ج٢ ص٣٨٤.

اغبرت أقدامهم في طلب سُنة أو عرفوا من شرائع الإسلام مسألة))[1].

والفلسفة مصدر أساسي عندهم، واستمدوا مقولاتهم في الله – تعالى – وصفاته وأفعاله من: سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، والتي كانت سبب تحيرهم وعماهم عن الحق، يقول أبو الحسن الأشعري – رحمه الله –، (وهو الخبير بأهل الكلام، ومقالاتهم ومصادرها): ((الحمد لله الذي بصرنا خطأ المخطئين، وعمى العَمِين، وحيرة المتحيرين الذين نفوا صفات رب العالمين وقالوا: إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه لا صفات له، وأنه لا علم له، ولا قدرة ولا حياة له، ولا سمع له ولا بصر له، ولا عز له ولا جلال له، ولا عظمة له ولا كبرياء له، وكذلك قالوا في سائر صفات الله عز وجل التي يوصف بها لنفسه، وهذا قول أخذوه عن إخوانهم من المتفلسفة الذين يزعمون أن للعالم صانعاً لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا حي ولا سميع ولا بصير ولا قديم وعبروا عنه بأن قالوا نقول عينٌ لم يزل، ولم يزيدوا على ذلك غير أن هؤلاء الذين وصفنا قولهم من المعتزلة في الصفات لم يستطيعوا أن يظهروا من ذلك ما كانت الفلاسفة تظهره فأظهروا معناه بنفيهم أن يكون للبارئ علم وقدرة وحياة وسمع وبصر، ولولا الخوف لأظهروا ما كانت الفلاسفة تظهره من ذلك ولأفصحوا به غير أن خوف السيف يمنعهم من إظهار ذلك))[2].

ومعتزلة زماننا، لم يعد يخوفهم السيف، فأظهروا مقالات الفلاسفة وزادوا عليها. وأول انحراف ظاهر في تدينهم كان في التوحيد الذي هو أساس أصولهم الخمسة، التي يدعونها زوراً وتلبيساً على الناس ليوهموهم أنهم على الحق، وليبعدوا التهمة عن أنفسهم والعجيب أن جميع مسميات أصولهم، قد لبسوا بها على الناس فهي في حقيقتها على عكس مرادهم.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((ومن العجب أن المعتزلة يفتخرون بأنهم أهل التوحيد، والعدل! وهم في توحيدهم نفوا الصفات نفياً يستلزم التعطيل، والإشراك، وأما العدل الذي وصف الله به نفسه، فهو ألا يظلم مثقال ذرة، وأنه: من يعمل مثقال ذرة خيراً

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله ابن الحسن بن منصور أبوالقاسم اللالكائي (المتوفى:٤١٨هـ)، الرياض، الناشر: دار طيبة، ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى، ج١ص١٢.

(٢) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ج١ص٤٨٣.

يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، وهم يجعلون جميع حسنات العبد وإيمانه حابطاً بذنب واحد من الكبائر، وهذا من الظلم الذي نزه الله نفسه عنه))[١].

وسبب وقوعهم في ذلك التخبط هو تركهم لطريقة السلف في تقرير التوحيد؛ إذ استعملوا القياس في حق الله – تعالى –، وقاسوا صفاته وأفعاله سبحانه بأحوال خلقه، وقالوا: بحدوث الأعراض وتركيب الأجسام، فخالفوا النقل الصحيح والعقل الصريح.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((وأصل ما أوقعهم في نفي الصفات والكلام والأفعال والقول بخلق القرآن وإنكار الرؤية والعلو لله على خلقه – هي طريقة حدوث الأعراض وتركيب الأجسام وعنها لومهم ما خالفوا به الكتاب والسنة والإجماع في هذا المقام مع مخالفتهم للمعقولات الصريحة التي لا تحتمل النقيض فناقضوا العقل والسمع من هذا الوجه وصاروا يعادون من قال بموجب العقل الصريح أو بموجب النقل الصحيح وهم وإن كان لهم من نصر بعض الإسلام أقوال صحيحة فهم فيما خالفوا به السنة سلطوا عليهم وعلى المسلمين أعداء الإسلام فلا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا))[٢].

ومما تدينت به المعتزلة، بل كان أصلاً من أصول بدعتها، وأول سبب من أسباب انحرافها وزيغها، قولهم: بالمنزلة بين المنزلتين، وهي منزلة الفاسق فليس هو بمؤمن ولا بكافر، عندهم وهذه المقولة التي أطلقها واصل بن عطاء عندما اعترض على الحسن البصري، واعتزل مجلسه، ثم تابعه على ذلك عمرو بن عبيد، وأصبحت أصلاً من أصول المعتزلة، إنما ظهرت أول ما ظهرت عن يحي (يوحنا) الدمشقي وأبي قرة النصرانيين[٣]، وبقيت مغمورة حتى قال بها واصل بن عطاء وذلك سنة ١١٠هـ في آخر حياة الحسن البصري – رحمه الله–.

ومن هنا نشأت بذرة التوجه العقلاني للمعتزلة، ومن هذا المنزلق فُتح عليهم الباب الذي لا يُغلق ومنفذ الهوى الذي لا يُسد (والذي لا تزال المعتزلة وأفراخها تُطل برأسها منه

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧ص٤٩٣.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٣ص٣٤٥.

(٣) المعتزلة، زهدي حسن جار الله، القاهرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٤٧م، الطبعة: الأولى، ص١٥.

في كل عصر ومصر)، فأُتوا من جهة عقولهم التي لم تستسلم للوحي وتنقاد له وتتحاكم إليه، بل كانت حاكمة عليه ومتهمة له وما بنوه وابتدعوه أيضاً من أصول وقواعد عقلانية انحرفت بهم عن جادة الحق والتدين الصحيح على طريقة أهل السنة.

وأعظم تلك الأصول والمبادئ العقلية عندهم[1]: تقديم العقل على الوحي. وحكموا عقولهم في كلام الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردوه أو أولوه وحرفوه عن ظاهر لفظه، فالعقل مقدم في أصولهم على الكتاب والسنة، يقول القاضي عبد الجبار[2] المعتزلي: ((إن الدلالة أربعة، حجة العقل، والكتاب، والسنة، والإجماع))[3].

فقدموا العقل على كلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وسلم - وهذا مستقر عندهم وهو ما أوردهم الموارد وجرأهم على الله ودينه وشرعه وحدوده، وردوا السنة، وبنوا كلامهم على مقاييس عقولهم، يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: ((وإنما عمدة الكلام عندهم، ومعظمه: هو تلك القضايا التي يسمونها العقليات، وهي أصول دينهم. وقد بنوها علي مقاييس تستلزم رد كثير مما جاءت به السنة فلحقهم الذم من جهة ضعف المقاييس التي بنوا عليها، ومن جهة ردهم لما جاءت به السنة))[4].

والمعتزلة من أكبر وأخطر الفرق من حيث أصولها، ومناهجها، وعقائدها، وأرائها، وخلفت تراثاً عقلياً ضخماً وهائلاً تغلغل في جميع جوانب العلوم الإسلامية، وامتدت عبر

(١) انظر: الاتجاهات العقلية الحديثة، ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، ص٤٢.

(٢) القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل، العلامة المتكلم، شيخ المعتزلة، أبو الحسن الهمذاني، صاحب التصانيف، من كبار فقهاء الشافعية، (توفي: ٤١٥هـ)، (السير، الذهبي، ج١٧ص٢٤٤، والإعلام، الزركلي، ج٥ص١٨٧).

(٣) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار ابن أحمد بن عبد الجبار، (المتوفى:٤١٥هـ)، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الثالثة، ج١ ص٨٨.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٢ص٧.

التاريخ إلى يومنا هذا، حتى وصلنا إلى مدرستهم العقلانية الحديثة والتي تفوقت على مدرسة الاعتزال القديمة مع محافظتها على الأصول، ولكنها لبست لبوساً جديداً، واتخذت شعارات خادعة وبراقة لتستهوي من لم يتحصن بالعقيدة الصحيحة من الشباب والمثقفين والدهماء، والذين تغريهم تلك المسميات الخادعة والجوفاء ومنها: التجديد والتطوير، والحرية الفكرية والثقافية، والتنوير، والمعاصرة والمسايرة، والتحرير، والوطنية، والقومية، والاشتراكية، والعدالة، والإخاء، والمساواة، والعالمية، والتسامح الديني. في مقابل أسمائهم القديمة من: الاعتزال، والرفض، والخروج، والقرمطة[1].

أصول تدين المتكلمين:

ويقوم تدين المتكلمين على أصول كلامية مخالفة لمنهج السلف – رحمهم الله –، وذلك في عدة مسائل ومنها:

أولاً: مفهوم التوحيد. الصفات، التصوف.

ثانياً: منهج التلقي للدين ومصادره.

ثالثاً: حجية خبر الآحاد.

رابعاً: الإيمان ومسائله.

وسأتناول كل مسألة على حدة، مع التفصيل لما له تعلق بموضوع الرسالة، كما يلي:

أولاً: مفهوم التوحيد:

وهو أول ما خالفوا فيه أهل السنة، فهم قد اخترعوا ألفاظاً ومقالات، يريدون بها التوحيد – بزعمهم – وأن المراد بالتوحيد عندهم مجرد الربوبية، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا

---

(١) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء، ناصر العقل، ج٢ص٤٢٦.

ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد، ويظن هؤلاء أنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد .. وذلك أن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب – تعالى – من الصفات، ونزهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء – لم يكن موحداً بل ولا مؤمناً حتى يشهد أن لا إله إلا الله؛ فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له))[1].

ومما خالفوا فيه في التوحيد، تصوفهم المنحرف وقولهم بقول غلاة المتصوفة، كما في مسألة مباينة الله لمخلوقاته وعلوه عليها سبحانه، وأنه فوق سماواته مستو على عرشه، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((والقول الثالث: قول حلولية الجهمية، الذين يقولون: إنه بذاته في كل مكان ... وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس هؤلاء، فإن الحلول أغلب على عباد الجهمية، وصوفيتهم وعامتهم، والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم كما قيل: متكملة الجهمية لا يعبدون شيئاً، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء ...)).

وقال أيضاً – رحمه الله –: ((والقول الرابع: قول من يقول: إن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان، وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف ... وفي الجملة، فالقول بالحلول أو ما يناسبه وقع فيه كثير من متأخري الصوفية؛ ولهذا كان أئمة القوم يحذرون منه كما في قول الجنيد[2] لما سئل عن التوحيد فقال: التوحيد إفراد الحدوث عن القدم، فبيّن أن التوحيد أن يميز بين القديم والمحدث. وقد أنكر ذلك عليه ابن عربي[3]

---

(١) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، (المتوفى:٧٢٨هـ)، الرياض، الناشر: دار الكنوز الأدبية، ١٣٩١هـ، ج١ ص١٢٩.

(٢) الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخزاز ويقال القواريري وقيل كان أبوه قواريرياً وكان هو خزازاً وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد وسمع بها الحديث ولقي العلماء ودرس الفقه، ثم اشتغل بالعبادة، توفي ٢٩٨هـ. (تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٧ ص٢٤١، والمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح (المتوفى:٨٨٤هـ)، الرياض، الناشر مكتبة الرشد، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

(٣) محيي الدين ابن عربي محمد بن علي بن محمد بن أحمد الأندلسي، المعروف بابن عربي، صاحب المصنفات في التصوف وغيره، ومن تصانيفه الفتوحات المكية عشرون مجلدة والتدبيرات الإلهية =

صاحب الفصوص[1] وادعى أن الجنيد وأمثاله ماتوا وما عرفوا التوحيد، لما أثبتوا الفرق بين الرب والعبد، بناء على دعواه أن التوحيد ليس فيه فرق بين الرب والعبد)).

وهم أيضاً مخالفون في توحيد الأسماء والصفات، فلا يثبتون لله ما أثبته لنفسه – سبحانه – من الأسماء والصفات بل خالفوا في ذلك أشد المخالفة، وعطلوا الله عن أسمائه وصفاته، زعماً منهم أنهم لا يريدون مشابهته سبحانه بخلقه، وقد تباينت أقوالهم وتعددت بدعهم وشبهاتهم بين كلابية، وأشاعرة، وماتريدية، وجهمية، ومعتزلة.

ثانياً: منهج التلقي للدين ومصادره:

وسأبدأ بالجهمية ومناهجهم في التلقي ومصادره، وتشتمل على نوعين من المصادر:

١. مصادر خارجية: استمدت الجهمية أصولها ومناهجها من الفلاسفة، واليهود،

= وفصوص الحكم، قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية: من أهل الإلحاد القائلين بالحلول والإتحاد توفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ. (تلخيص كتاب الاستغاثة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (المتوفى:٧٢٨هـ)، المدينة المنورة، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية، ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى، ج١ ص٣٢٦، والوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، (المتوفى:٧٦٤هـ)، مكان النشر: بيروت، الناشر: دار إحياء التراث، سنة النشر ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ج٤ص١٢٤).

(١) قال العلامة جمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام صاحب المغني: هذا كتاب فصوص الظلم، ونقيض الحكم، وضلال الأمم، كتاب يعجز الذم عن وصفه، قد اكتنفه الباطل من بين يديه ومن خلفه، لقد ضل مؤلفه ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً: لأنه مخالف لما أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه وفطر عليه خليقته" ا.هـ.

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – عن (كتاب فصوص الحكم) زعم مصنفه أنه وضعه وأخرجه للناس بإذن النبي – صلى الله عليه وسلم –، في منام زعم أنه رآه؟ فأجاب – رحمه الله–: ما تضمنه كتاب فصوص الحكم وما شاكله من الكلام: فإنه كفر باطناً وظاهراً، وباطنه أقبح من ظاهره. وهذا يسمى مذهب أهل الوحدة، وأهل الحلول، وأهل الاتحاد، انظر: (مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، (المتوفى:٨٨٥هـ)، مكة المكرمة، الناشر: عباس أحمد الباز، ج١ص١٦٥، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج٢ ص٣٦٤).

والنصارى، والبراهمة، والصابئة، والمجوس.

٢. مصادر داخلية: وهي اعتمادهم على العقليات والظنون والأوهام الشخصية، واتباع الهوى ووساوس الشيطان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: في حديثه عن نفي الصفات عند الجهمية وأنه كان مذهب الفلاسفة الصابئة، والبراهمة المشركين، واليهود: ((وهذا المذهب الذي يسميه السلف: قول جهم؛ لأنه أول من أظهره في الإسلام، وقد بينت إسناده فيه في غير هذا الموضع، أنه متلقى من الصابئة الفلاسفة، والمشركين البراهمة، واليهود السحرة))[1].

وقال – رحمه الله – مؤكداً صلة هؤلاء الجهمية النفاة باليهود والمشركين وضلال الصابئين: ((ثم أصل هذه المقالة – مقالة التعطيل للصفات – إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام – أعني أن الله – سبحانه وتعالى – ليس على العرش حقيقة وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك – هو الجعد بن درهم وأخذها عنه الجهم بن صفوان، وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه. وقد قيل إن الجعد أخذ مقالته عن أبّان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي – صلى الله عليه وسلم –))[2].

ومن مصادر تلقى الجهمية، تلقيهم عن الصابئة والنصارى، كما قال شيخ الإسلام – رحمه الله – عن جهمية الاتحادية الفلاسفة: ((فلما كان منتهى الفلاسفة الصابئة، وأعلى علمهم هو الوجود المطلق، وكان أصل التجهم، وتعطيل صفات الرب إنما هو مأخوذ عن الصابئة، وكان هؤلاء الاتحادية في الأصل جهمية، وأنه بما فيهم من النصرانية – المشاركة للصابئة صار بينهم وبين الصابئة نسب – صار معبودهم وإلههم هو الوجود المطلق، وزعموا أن ذلك هو الله))[3].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٦ص٥١.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٥ص٢٠.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٢٠ص٣٩.

وقال أيضا: ((ولهذا يوجد في متعبدة الجهمية من الاتحادية وغيرهم منهم شبه كثير حتى قد رأيت من هؤلاء الاتحادية من أخذ كلام النصارى النسطورية يزنه بكلامهم وحتى أن من النصارى من يأخذ فصوص الحكم لابن عربي فيعظمه تعظيماً شديداً ويكاد يغشى عليه من فرحه به، ولهذا تجد شيوخ الاتحادية موالين للنصارى ولعلهم يوالونهم أكثرمن المسلمين))[1].

وأما مصادرهم الداخلية: وهي اعتمادهم على العقليات والظنون والأوهام الشخصية، واتباع الهوى ووساوس الشيطان، وما يسمونه بالبراهين العقلية، والتي عارضوا بها النصوص الشرعية، وجادلوا بها بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((الذين يعارضون الكتاب والسنة بما يسمونه عقليات: من الكلاميات والفلسفيات ونحو ذلك إنما يبنون أمرهم في ذلك على أقوال مشتبهة مجملة تحتمل معاني متعددة ويكون ما فيها من الاشتباه لفظاً ومعنى يوجب تناولها لحق وباطل، فبما فيها من الحق يقبل ما فيها من الباطل لأجل الاشتباه والالتباس، ثم يعارضون بما فيها من الباطل نصوص الأنبياء – صلوات الله وسلامه عليهم –، وهذا منشأ ضلال من ضل من الأمم قبلنا وهو منشأ البدع))[2].

فهؤلاء ارتكبوا أربع عظائم:

إحداها: ردهم لنصوص الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام –.

والثانية: ردهم ما يوافق ذلك من معقول العقلاء.

والثالثة: جعل ما خالف ذلك من أقوالهم المجملة أو الباطلة هي أصول الدين.

والرابعة: تكفيرهم أو تفسيقهم أو تخطئتهم لمن خالف هذه الأقوال المبتدعة المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول[3].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكة المكرمة الناشر: مطبعة الحكومة، ١٣٩٢هـ، الطبعة: الأولى، ج٢ ص٩.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج١ص١٢٠.

(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج١ص١٤٩.

ونصوص الوحي منضبطة بضابط الشرع، والعقل تابع للوحي، منقاد لأحكامه، والوحي من عند الله، وعقول الخلق متباينة متعارضة مختلفة، في فهمها، لا ضابط لها، فهي تهيم في كل واد، على وفق ما استقر عند أصحابها، - إن لم تنضبط بضابط الشرع - والعقول لا تستقل بإدراك مصالحها دون الوحي، واستقلالها معناه الضلال والحيرة والتخبط، وهو ما وقعت فيه الجهمية ومن وافقهم، في معارضة النصوص بالعقول.

قال ابن القيم - رحمه الله -: ((المعقولات ليس لها ضابط يضبطها ولا هي منحصرة في نوع معين فإنه ما من أمة من الأمم إلا ولهم عقليات يختصون بها فللفرس عقليات، وللهند عقليات، ولليونان عقليات، وللمجوس عقليات، وللصابئة عقليات، بل كل طائفة من هذه الطوائف ليسوا متفقين على العقليات بل بينهم فيها من الاختلاف والتباين ما هو معروف عند المعتنين به ... وقال: ((فلما كثرت الجهمية في أواخر عصر التابعين كانوا هم أول من عارض الوحي بالرأي ... وقال: ((والمقصود أن كل بلية طرقت العالم عامة أو خاصة فأصلها من معارضة الوحي بالعقل وتقديم الهوى على الأمر، والمعصوم من عصمه الله))[1].

وذلك هو دين الجهمية، الذي وضعه لهم إمامهم الجهم، فأضل بكلامه بشراً كثيراً واتَّبَعَه على قوله رجال صار منهجهم مصادمة النصوص الشرعية، إما بتأويل الآيات التي تناقض أصولهم الفاسدة، وإما بالتكذيب للأحاديث وردها وإن كانت متواترة.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: ((وقيل عن بعض رؤوس الجهمية - إما بشر المريسي أو غيره: أنه قال: ليس شيء أنقض لقولنا من القرآن فأقروا به في الظاهر ثم اصرفوه بالتأويل. ويقال أنه قال: إذا احتجوا عليكم بالحديث فغالطوهم بالتكذيب، وإذا احتجوا بالآيات فغالطوهم بالتأويل؛ ولهذا تجد الواحد من هؤلاء لا يحب تبليغ النصوص النبوية بل قد يختار كتمان ذلك والنهي عن إشاعته وتبليغه خلافًا لما أمر الله به ورسوله من التبليغ عنه))[2].

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (المتوفى:٧٥١هـ)، الرياض، الناشر: دار العاصمة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الثالثة، ج٣ ص١٠٦٧.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٣ص٩.

والمعتزلة هم كغيرهم من أهل الأهواء، لم يكتفوا بالحق، وهي مصادر التلقي عند السلف، القرآن والسنة والإجماع، ويمكن أن تتضح مصادرهم من خلال ما يلي:

أ- أوهام عقولهم وظنونهم

التي وضعوها لأنفسهم وأسموها عقليات أو قواعد عقلية وجعلوها هي الأصل في تقرير العقيدة وأصول الدين، وقدموها على نصوص الكتاب والسنة، وجعلوا التخرصات العقلية هي المحكمة، ونصوص الشرع هي المحكوم عليها المتهمة، فصار العقل عندهم هو الخصم للشرع وهو الحكم على كلام الله وكلام رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم -.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: ((فكثير من الناس يقول: المعرفة لا تحصل إلا بالعقل وقد يسرف هؤلاء حتى لا يثبتوا أشياء من صفات الله - تعالى - لا نفياً ولا إثباتاً إلا بالعقل وصرح هؤلاء بأنه لا يستدل بنصوص الرسل على شيء من صفات الله - تعالى - لا إثباتاً ولا نفياً كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ومن اتبعهم من متأخري الأشعرية ويجعلون أصول الدين هي: العقليات المحضة التي لا تعلم بالسمع ثم قد يعينون من الطرق العقلية ما هو باطل عقلاً وشرعاً، كطريقة الأعراض، وطريقة التركيب، وطريقة الاختصاص، وإلى هذه الثلاث تعود جميع أصول النفاة))[1].

وبهذا فهم يقدمون التخرصات العقلية على النصوص الشرعية الثابتة، ويسمونه (تقديم العقل على النقل) وأكثر قواعدهم ومصطلحاتهم أخذوها عن فلاسفة الجهمية، وجعلوها مراجعهم وحاكموا النصوص على ضوئها.

ونقل شيخ الإسلام - رحمه الله - كلاماً لابن عقيل[2] في ذم من خرج عن الشريعة

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٤ص١١٣.

(٢) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء، يعرف بابن عقيل: عالم العراق وشيخ الحنابلة ببغداد في وقته، وكان فقيهاً مبرزاً، منظراً، جدلاً، كثير المحفوظ، دقيق المعاني.، له تصانيف أعظمها "كتاب الفنون" و"الفرق" و"الفصول" في فقه الحنابلة، توفي: ٥١٣هـ، (المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ، أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي المعروف بابن الدمياطي، (المتوفى سنة ٧٤٩هـ)، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة الأولى، =

من أهل الكلام، جاء فيه: ((ما على الشريعة أضر من المتكلمين، هؤلاء يفسدون العقول بتوهمات شبهات العقول ويجرئون الشباب والأحداث على البحث وكثرة السؤال والاعتراضات وتتبع الشرع بالمناقضات))[1].

قُلت: سبحان الله! وهذا هو ما يصنعه المعتزلة اليوم من إفساد عقول الشباب ودينهم بما يكتبونه من توهمات وشبهات عقولهم، والتي لا تنطل على من تمسك بدينه ونهل من معين الوحي ونور النبوة.

ب- الفلسفات وعقائد الأمم الأخرى

وحيث إن من أهم أصول المعتزلة ومشاربهم وروافدهم العقدية، الجهمية، فغالب الأصول الكلامية للمعتزلة، أخذت عن الجهمية، ومبدأ التجهم أخذ عن المشركين ومبدلة الصابئين؛ كما قال شيخ الإسلام- رحمه الله -: ((إن مبدأ التجهم في هذه الأمة كان أصله من المشركين ومبدلة الصابئين من الهند واليونان، وكان من مبدلة أهل الكتاب من اليهود))[2].

وكذلك نهلت واستقت المعتزلة من الفلاسفة، وخاصة شيوخها الذين طالعوا كتب الفلاسفة ووافقوهم بل قالوا بقولهم، وقد حكى الشهرستاني ذلك عنهم فقال: ((ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام .. وقال أيضاً: وكان أبو الهذيل العلاف[3] شيخهم الأكبر وافق الفلاسفة))[4]. وأن

= ج١ص١٤٥، وفي الأعلام، الزركلي ج٤ ص٣١٣).

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٤ص١٣٣، بتصرف.

(٢) بيان تلبيس الجهمية، ابن تيمية، ج١ ص٣٧٤.

(٣) محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول أبو الهذيل العلاف مولى عبد القيس شيخ المعتزلة ومصنف الكتب في مذاهبهم وهو من أهل البصرة وكان خبيث القول فارق إجماع المسلمين ورد نص كتاب الله عز وجل وجحد صفات الله، له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات، وكان حسن الجدل قوي الحجة، سريع الخاطر، توفي ٢٣٥هـ، (تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٣ ص٣٦٦، وفي الأعلام، الزركلي، ج٧ ص١٣١).

(٤) الملل والنحل، الشهرستاني، ج١ص٢٠.

واصلاً شيخ المعتزلة، وأصحابه إنما قالوا بنفي صفات الباري، بعد مطالعتهم كتب الفلاسفة.

قال الشهرستاني: ((وإنما شرعت أصحابه فيها بعد مطالعة كتب الفلاسفة وانتهى نظرهم فيها إلى رد جميع الصفات))[1].

ج- الأهواء والنزعات الشخصية

وهذا ظاهر، وخاصة عند شيوخهم وكبارهم، فلهم من نزعات الأهواء ما يجعلهم يستحسنون ما يسمعون ويتلقون عن الفلاسفة، بل ويزيدون عليه، جرأةً منهم في القول على الله بغير علم.

قال الأشعري في المقالات عند ذكر قول بعض المعتزلة في الصفات: ((وهذا أخذه أبو الهذيل عن أرسطاليس الذي قال في بعض كتبه: إن البارئ علم كله، قدرة كله، حياة كله، سمع كله، بصر كله، فحسن اللفظ عند نفسه وقال: علمه هو هو وقدرته هي هو. وكان يقول: إن لمقدورات الله ومعلوماته مما يكون ومما لا يكون كلاً وغاية وجميعاً، كما أن لما كان كلاً وغاية وجميعاً، وإن أهل الجنة تنقطع حركاتهم فيسكنون سكوناً دائماً لا يتحركون، وكان يقول بانقطاع الأكل والشرب والنكاح))[2]. يعني عن أهل الجنة.

ثالثاً: حجية خبر الآحاد

وهو مما خالف فيه هؤلاء المتكلمون، منهج الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين وسائر السلف في القرون الثلاثة وما بعدها، يأخذون بكل ما صح عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم -. دون تفريق بين الآحاد وغيره، ودون تفريق بين العمل والاعتقاد، ولم يخالف في ذلك إلا طوائف من أهل الكلام ومن سلك سبيلهم.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: ((ولهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن "خبر الواحد" إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقاً له، أو عملاً به أنه يوجب العلم))[3].

---

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، ج١ص٤٥.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، (المتوفى:٣٢٤هـ)، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثالثة، ج١ ص٤٨٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٣ ص٣٥١.

وممن رد أخبار الآحاد وقال إنها مظنونة الرازي[1]، حيث يقول: ((إن أخبار الآحاد مظنونة، فلم يجز التمسك بها في معرفة الله - تعالى - وصفاته))[2]. وقال: ((إن أجل طبقات الرواة قدراً وأعلاهم منصباً الصحابة - رضي الله عنهم -، ثم إنا نعلم أن روايتهم لا تفيد القطع واليقين))[3].

وهذا يبين مدى التناقض عند هؤلاء، وكيف أنه يرد رواية من وصفهم: أنهم أجل طبقات الرواة قدراً وأعلاهم منصباً وهم كما قال: - رضي الله عنهم -، ثم يصف روايتهم أنها لا تفيد عنده القطع واليقين، وما ذاك إلا لفساد عقولهم ومخالفتهم لمنهج السلف، ومثل ذلك في الفساد والمخالفة، ما قاله البغدادي[4] وهو من رؤوس أهل الكلام (الأشاعرة): ((وأما أخبار الآحاد فمتى صح إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم))[5].

---

(١) محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي: الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، مفسر، متكلم، فقيه، أصولي، حكيم، أديب، شاعر، طبيب، من تصانيفه (مفاتيح الغيب، أسرار التنزيل، المحصول في علم الأصول)، توفي: ٦٠٦هـ (في الأعلام، الزركلي ج٦ ص٣١٣، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، ج١١ص٧٩).

(٢) أساس التقديس في علم الكلام، فخر الدين الرازي، (المتوفى:٦٠٦هـ) بيروت، نشر: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، ص١٢٣.

(٣) أساس التقديس، فخر الدين الرازي، ص١٢٣.

(٤) الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن محمد البغدادي الفقيه الشافعي الأصولي الأديب، كان ماهراً في فنون عديدة خصوصاً علم الحساب، فإنه كان متقناً له وله فيه تواليف نافعة، منها كتاب " التكملة "، وكان عارفاً بالفرائض والنحو، وله أشعار، من تصانيفه الفرق بين الفرق والفرائض (توفي:٤٢٩هـ)، (طبقات الفقهاء الشافعية، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح (المتوفى:٦٤٣هـ)، مكان النشر بيروت، الناشر دار البشائر الإسلامية، سنة النشر ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، ج٢ص٥٥٣. ووفيات الأعيان، ابن خلكان، ج٣ ص٢٠٣).

(٥) الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر، ص٣١٢.

وبيَّن بطلانَ مذهب هؤلاء المكذبين بجنس الحديث وفساد قولهم شيخ الإسلام – رحمه الله – فقال: ((وبإزاء هؤلاء المكذبين بجنس الحديث ومن يقول عن أخبار الصحيحين وغيرها: هذه أخبار آحاد لا تفيد العلم، وأبلغ من هؤلاء من يقول: دلالة القرآن لفظية سمعية، والدلالة السمعية اللفظية لا تفيد اليقين. ويجعلون العمدة على ما يدعونه من العقليات، وهي باطلة فاسدة، منها ما يعلم بطلانه وكذبه، وهؤلاء أيضاً قد يكفرون من خالف ذلك، كما فعل أولئك. وكلا الطريقين باطل ولو لم يكفر مخالفه. فإذا كفر مخالفه صار من أهل البدع الذين يبتدعون بدعة ويكفرون من خالفهم فيها، كما فعلت الخوارج وغيرهم))(١).

رابعاً: الإيمان ومسائله

ومسائل الإيمان التي خالف فيها المتكلمون أهل السنة، هي التي قالت بها المرجئة من أن: الإيمان هو التصديق أو التصديق والقول، أو الإيمان: قول بلا عمل، أي أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، وعليه فإن من قال: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه يجوز الاستثناء في الإيمان من قال بهذه الأمور أو بعضها فهو مرجئ.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – بعد ما ساق أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان: ((والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأي أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة؛ فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل))(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٦ص٤٣٣.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧ص١٧١.

وهذا مستقر ثابت عند علماء السلف رحمهم الله، وكذلك أن الإيمان اسم لجميع الطاعات الباطنة والظاهرة، والنزاع في مسألة الإيمان: هل تدخل فيه الأعمال؟ وهل هو قول وعمل؟ مشهور، خالفت فيه المرجئة ومن وافقهم، ومنشأ الغلط عندهم في هذه المسألة من وجوه، كما بينه شيخ الإسلام رحمه الله حيث قال: ((ومنشأ الغلط في هذه المواضع من وجوه:

أحدها: أن العلم والتصديق مستلزم لجميع موجبات الإيمان.

الثاني: ظن الظان أن ما في القلوب لا يتفاضل الناس فيه.

الثالث: ظن الظان أن ما في القلب من الإيمان المقبول يمكن تخلف القول الظاهر والعمل الظاهر عنه.

الرابع: ظن الظان أن ليس في القلب إلا التصديق، وأن ليس الظاهر إلا عمل الجوارح.

والصواب أن القلب له عمل مع التصديق، والظاهر قول ظاهر وعمل ظاهر، وكلاهما مستلزم للباطن. والمرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان، فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضاً وجعلها هي التصديق، فهذا ضلال بين، ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم: العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه، وانتفاء الظاهر دليل انتفاء الباطن.. وقال: والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة، لما أخرجوا العمل من الإيمان، وقالوا: إن الإيمان يتماثل الناس فيه، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناسمن أفحش الخطأ))[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((والمرجئة ثلاثة أصناف: الذين يقولون: الإيمان مجرد ما في القلب، ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة ... وقال: ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه .. والقول الثاني: من يقول: هو مجرد قول اللسان، وهذا لا يعرف لأحد قبل الكَرَّامية. والثالث: تصديق القلب وقول اللسان، وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم، وهؤلاء غلطوا من وجوه))[(٢)] ذكرها – رحمه الله – فقال:

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧ ص٥٥٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧ ص١٩٥.

أحدها: ظنهم أن الإيمان الذي فرضه اللّه على العباد متماثل في حق العباد.

الثاني: ظنهم أن ما في القلب من الإيمان ليس إلا التصديق فقط، دون أعمال القلوب، كما تقدم عن جهمية المرجئة.

الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاماً بدون شيء من الأعمال؛ ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه، بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر[1].

كما أن تدينهم أيضاً لم يقم على الكتاب والسنة، وإنما اعتمدوا على عقولهم وما تأولوه من كتب اللغة، وتركوا طريقة السلف وإجماعهم، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم وإنما يعتمدون على العقل واللغة وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم وهذه طريقة الملاحدة أيضاً إنما يأخذون ما في كتب الفلسفة وكتب الأدب واللغة، وأما كتب القرآن والحديث والآثار فلا يلتفتون إليها))[2].

ولهذا كان تدينهم أيضاً مختلطاً، لأنهم يرون إمكان الجمع بين الوحي والفلسفة، منهج القرآن ومنهج اليونان، والخروج بموقف أو رأي وسط بينهما أو مركَّب منهما، وهكذا ومن حيث لم يشعروا جعلوا فلسفة اليونان وآراء الصابئة والبراهمة، وخرافات المجوس والنصارى تقف موقف الند المنافس لما أنزل الله من الوحي المحفوظ المعصوم[3].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧ ص٢٠٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧ ص١١٩.

(٣) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، هولندا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة، ج١ ص٢٩١.

كما أنهم في تدينهم قد شابهوا غلاة المتصوفة في ترك العمل والعبادة، وكذلك في تقديس الأشخاص وعلاقة المشايخ بمريدهم وطلابهم في طاعتهم وعدم معصيتهم، وفي القول بترك الجهاد في سبيل الله ضد أعداء دينه.

وبناءً على تلك الأصول فقد ضلت المرجئة في تدينها وانحرفت عن التدين الصحيح.

قال إبراهيم النخعي[1] التابعي المشهور عن المرجئة: ((تركوا هذا الدين أرق من الثوب السابري[2]) وقال فيهم: (لأنا على هذه الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة[3])[4].

وقال ابن القيم – رحمه الله – في ذمهم وما هم عليه من التدين الباطل:

وكذلك الإرجاء حين تقر ... بالمعبود تصبح كامل الإيمان
فارم المصاحف في الحشوش ... وخرب البيت العتيق وجد في العصيان
واقتل إذا ما اسطعت كل موحد ... وتمسحن بالقس والصلبان
واشتم جميع المرسلين ومن أتوا ... من عنده جهراً بلا كتمان
وإذا رأيت حجارة فاسجد لها ... بل خر للأصنام والأوثان
وأقر أن الله جل جلاله ... هو وحده الباري لذي الأكوان

---

(١) إبراهيم النخعي الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران، إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن ذهل النخعي، اليماني ثم الكوفي، أحد الأعلام، من أكابر التابعين صلاحاً وصدقاً ورواية وحفظاً للحديث (المتوفى:٩٦هـ)، (السير، الذهبي ج٤ ص٥٢٠، الأعلام الزركلي، ج١ص٨٠).

(٢) الأَصل فيه الدُّروع السابِرِيَّةُ منسوبة إِلى سابُورَ وهي ثياب رقيقة من أجود الثياب تشف ما وراءها، انظر: ابن منظور، لسان العرب ج٤ص٣٤٠.

(٣) الأزارقة: فرقة من فرق الخوارج، أصحاب نافع بن الأزرق، خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز، وقد كفروا أصحاب الجمل، كعلي وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم، انظر: الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ص٦٢.

(٤) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، (المتوفى:٢٣٠هـ)، مكان النشر: بيروت، الناشر: دار صادر، سنة النشر: ١٩٩٨م، الطبعة: الثانية، ج٦ص٢٧٤.

وأقـــر أن رســـوله حقـــاً أتـــى   مـــن عنـــده بـــالوحي والقـــرآن
فتكون حقـــاً مؤمنـــاً وجميـــع ذا   وزر عليـــك ولـــيس بـــالكفران
هذا هو الإرجـــاء عنـــد غلاقم   من كل جهمـــي أخـــي الشـــيطان[1]

ثانياً: تأثيرات الفرق القديمة عند الباطنية ومن أبرزها: الإسماعيلية والنصيرية

كانت الباطنية وما زالت من أخطر الفرق على الإسلام والمسلمين، يتدثرون بالولاء لأهل البيت وحبهم وينفثون سمومهم وحقدهم في الكيد والمكر بأهل الإسلام قديماً وحديثاً، وشاع عند علماء الإسلام أن الباطنية: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض[2].

يقول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((جنس ملاحدة الشيعة الباطنية فإن عقيدهم في الابتداء عقيدة الشيعة ثم ينقلون المستجيب لهم إلى الرفض ثم ينقلونه إلى ترك الأعمال ثم ينقلونه إلى الإنسلاخ من خصوص الإسلام ثم إلى الإنسلاخ من الملل ...))[3].

وهم فرق شتى ينسبون فيها إلى بعض أئمتهم الذين يدعون عصمتهم، وأنهم أصحاب العلم الباطن الذي يفارقون به الإسلام ولا يشبهونه بوجه من الوجوه، وفي بيان عقيدهم الباطلة المباينة لدين الإسلام الذي أنزله الله على نبيه – صلى الله عليه وسلم – يقول عنهم شيخ الاسلام – رحمه الله –: ((وتارة يسمون "الباطنية" وتارة يسمون "الإسماعيلية" وتارة يسمون "النصيرية" .. وهذه الأسماء منها ما يعمهم، ومنها ما يخص بعض أصنافهم ... وشرح مقاصدهم يطول .. وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من الأنبياء والمرسلين، لا بنوح، ولا إبراهيم، ولا موسى، ولا عيسى ولا محمد – صلوات الله وسلامه – عليهم

(١) متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، (المتوفى:٧٥١هـ)، القاهرة، الناشر: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ، الطبعة: الثانية، ج١ص١٦٧.

(١) ذكره أبو حامد الغزالي (انظر: فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى:٥٠٥هـ)، بيروت، الناشر: مكتبة العصرية، تاريخ الطبع: ١٤٢٢هـ، بدون ت ط، ص٣٧).

(٢) الصفدية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (المتوفى:٧٢٨هـ)، ١٤٠٦هـ، الطبعة الثانية، ج١ص٢٧٣.

أجمعين، ولا بشيء من كتب الله المنزلة، لا التوراة، ولا الإنجيل، ولا القرآن. ولا يقرون بأن للعالم خالقاً خلقه ولا بأن له ديناً أمر به، ولا أن له داراً يجزي الناس فيها على أعمالهم على هذه الدار))(1).

ولم يقتصر الأمر على أمور العقائد والغيبيات بل شمل أيضاً أمور العبادات والأخلاق وهي ثمرة طبيعية لتلك المعتقدات الفاسدة الضالة فأورثتهم فساداً في التعبد والسلوك أيضاً، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ((وأنهم أصحاب العلم الباطن، كقولهم: [الصلاة] معرفة أسرارنا، لا هذه الصلوات ذات الركوع والسجود والقراءة. و[الصيام] كتمان أسرارنا ليس هو الإمساك عن الأكل والشرب والنكاح. و[الحج] زيارة شيوخنا المقدسين. وأمثال ذلك. وهؤلاء المدعون للباطن لا يوجبون هذه العبادات ولا يحرمون هذه المحرمات، بل يستحلون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونكاح الأمهات والبنات، وغير ذلك من المنكرات، ومعلوم أن هؤلاء أكفر من اليهود والنصارى))(2).

ثالثاً: تأثيرات المدرسة العقلية الفكرية المعاصرة

وهذه المدرسة الفكرية المعاصرة ذات صلة بتلك المدارس القديمة من المعتزلة والباطنية فقد تأثرت بهم وشربت من مشاربهم الآسنة، فالفلسفة والمنطق اليوناني الوثني وكذلك الفلسفة الهندية والأدب الفارسي هي نقاط التقاء واتساق بينهم، فجميعهم فُتنوا بتلك الفلسفة ودُهشوا بها، ما دفعهم إلى أن أولوا القرآن وكذبوا الحديث النبوي لموافقتها، يقول مصطفى السباعي رحمه الله: ((والمعتزلة قوم فُتنوا بالفلسفة اليونانية ..، فأوَّلوا القرآن الكريم، وكذَّبوا الأحاديث التي تتعارض مع العقلية الوثنية اليونانية))(3).

وعُرفت هذه المدرسة في عصرها الحديث بالمدرسة الإصلاحية وبدأها بعض مُدعوّ

---

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج35ص152.

(1) المصدر السابق نفسه، ج35ص133.

(3) السنة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، بيروت، المكتب الإسلامي، 1402هـ، الطبعة: الثالثة، ص21.

الإصلاح – من وجهة نظرهم – ومن أبرزهم ومن قامت عليهم هذه المدرسة:

- سيد أحمد خان الهندي (١٢٣٢هـ – ١٣١٦هـ):

كان رأساً في هذه الاتجاه، ومن العوامل المؤثرة في ذلك زيارته لبريطانيا عام ١٨٦٩م (١٢٨٦هـ)، حيث كان ابنه يدرس هناك، فنزل لمدة سبعة عشر شهراً ضيفاً مبجلاً على الأوساط الإنجليزية الراقية، فاحتفل به كبار الإنجليز الرسميين وقابل الملكة وولي العهد والوزراء الكبار، ونال الوسام الملكي ولقب الشرف (سير)، وأثنت عليه الصحافة الإنجليزية، كما هيؤوا له زيارة الجامعات والمعاهد العلمية؛ ليستفيد منها عند إنشاء مدرسته الجديدة[1].

وقد دخل جحر الإنجليز وخندقهم، وأصبح غربياً صرفاً، وأنكر ما تُنكره حضارة الغرب ولو كان ديناً، وأثبت ما تُثبته ولو كان مخالفاً للدين وكلام رب العالمين وما عليه إجماع المسلمين. ووصف أبو الحسن الندوي مدرسته: ((إنها ترتكز على أساس تقليد الحضارة الغربية وأسسها المادية واقتباس العلوم العصرية بحذافيرها على علاتها، وتفسير الإسلام والقرآن تفسيراً يطابق ما وصلت إليه المدنية والمعلومات الحديثة في أواخر القرن التاسع عشر، يطابق هوى الغربيين وآراءهم وأذواقهم، والاستهانة بما لا يثبته الحس والتجربة))[2].

وله من الآراء والأقوال الشاذة والمخالفة للدين ما يلي:

- اعتبر القرآن وحده هو الأساس لفهم الإسلام.
- شكك في السنة النبوية.
- لا يرى أن الإجماع من مصادر التشريع.
- أحكام الفقه غير مُلزمة.

---

(١) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد بن حامد الناصر، الرياض، مكتبة الكوثر، ١٤٢٢هـ، الطبعة الثانية، ص٣٧٢.

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي (المتوفى:١٤٢٠هـ)، القاهرة، مطبعة التقدم، ١٩٧٧م، الطبعة: الثالثة، ص٧١.

- الجهاد مشروع للدفاع عن النفس[1].

- جمال الدين الأفغاني (١٨٣٩م – ١٨٩٧م)

- ولد في أسد آباد إحدى القرى التابعة لولاية كنر من أعمال كابل عاصمة الأفغان.
- حياته غامضة مليئة بالأسرار.
- أكثر تلاميذه والمحيطين به من اليهود والنصارى، وسكن في مصر في حي اليهود.
- كتب عنه أبو الهدى الصيادي في رسالة وجهها إلى رشيد رضا، قال فيها: ((إني أرى جريدتكم طافحة بشقاشق المتأفغن جمال الدين الملفقة، وقد تدرجت به إلى الحسينية التي كان يزعمها زوراً، وقد ثبت في دوائر الدولة رسميًّا أنه مازندراني[2] من أجلاف الشيعة))[3].
- كان يميل لوحدة الوجود التي يشتبه فيها كلامه مع كلام الصوفية الباطنية[4].
- ترأس الأفغاني المحفل الاسكتلندي البريطاني أو المحفل الفرنسي، فكلا المحفلين كانا يخدمان المخطط الانجليزي الفرنسي لتسليم مصر الى بريطانيا مقابل اعطاء المغرب لفرنسا. واستقال الأفغاني من المحفل وأنشاء محفلاً آخراً تابعاً للشرق الفرنسي الذي سرعان ما بلغ أعضاؤه أكثر من ٣٠٠ عضواً من نخبة المفكرين والناهضين المصريين ولما كان هذا المحفل مطلق الحرية، فقد دعاه محفل "كوكب الشرق".[5]
- قال عنه تلميذه النصراني؟؟ سليم العنجوري عند ترجمته له: (إنه سافر إلى الهند وهناك أخذ عن علماء البراهمة والإسلام أجل العلوم الشرقية والتاريخ، وتبحر في لغة "السانسكريت" أم لغات الشرق. وبرَّز في علم الأديان حتى أفضى به ذلك إلى

---

(١) انظر: القرآنيون، خادم حسين إلهي بخش، الطائف، مكتبة الصديق، ١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى.

(٢) نسبة إلى مدينة مازندران، وتقع بشمال إيران، واكتسب منها لقبه: مازندراني.

(٣) العصرانيون، محمد الناصر، ص٣٥.

(٤) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، جمال الدين الأفغاني (المتوفى:١٨٩٧م)، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م، الطبعة: الأولى، ص ٧٩.

(٥) خاطرات جمال الدين، محمد حسن المخزومي (المتوفى ١٩٢٩م)، لبنان، دار الفكر الحديث، ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م، الطبعة: الثانية، ص٢٠.

الإلحاد والقول بقدمية العالم ... وأن القول بوجود محرك أول حكيم وهمٌ نشأ من ترقي الإنسان في تنظيم المعبود على حسب ترقيه في المعقولات)[(١)].

- كان يرى أن: الحكم للعقل والعلم، حتى لوكانت حقائق العلم وأحكام العقل، لا ترضي العامة الذين يساندون رجال الدين وتجار الديانات، ذلك أن تعاليم العقل لا يفقهها إلا نخبة من التنويريين[(٢)].
- كان لا يرى مانعاً من التعاون مع الإنجليز ضد الخلافة الإسلامية، فقد عقد الأفغاني سلسلة اجتماعات مع الجاسوس الإنجليزي الشهير بلنت في وزارة الخارجية الإنجليزية وتمخضت تلك الاجتماعات عن خطة مرسومة بكل دقة للقضاء على الخلافة العثمانية عن طريق استثارة الشعوب العربية بإذكاء النعرة القومية لديهم ضد "الحكم التركي".

إلاَّ أن المخابرات العثمانية استطاعت الحصول على أخبار تلك الخطة، فقد ذكر السلطان عبدالحميد في مذكراته ما نصُّه: (وقعت في يدي خطة أعدها في وزارة الخارجية الإنجليزية مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني وإنجليزي يُدعى بلنت قالا فيها بإقصاء الخلافة عن الاتراك. واقترحا على الإنجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة على المسلمين)[(٣)].

- محمد عبده (١٨٤٩م – ١٩٠٥م)

- يعتبر المؤسس الحقيقي والأب الفكري والروحي لجيل الإصلاحيين بعد شيخه الأفغاني.
- يعد أحد رموز التجديد، ومن دعاة النهضة والإصلاح في العالم العربي والإسلامي، ساهم بعد التقائه بأستاذه جمال الدين الأفغاني في إنشاء حركة فكرية تجديدية

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، محمد رشيد رضا (المتوفى:١٣٥٤هـ)، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م، ص٤٣.

(٢) انظر: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، جمال الدين الأفغاني.

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني (المتوفى:١٩١٨م) – ترجمة محمد حرب عبد الحميد – القاهرة، دار الأنصار، ١٩٥٥م، ص٦٧.

إصلاحية في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

- قال عنه المعتمد البريطاني كرومر: ((إن أهميته السياسية ترجع إلى أنه يقوم بتقريب الهوة التي تفصل بين الغرب وبين المسلمين، وأنه هو تلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوربي))[1].
- وبريطانيا ترغب في بقاء محمد عبده هو المفتي لمصر طالما بقيت تحت احتلالها، وذلك لبذله النصيحة الخالصة للإنجليز وإرشادهم إلى ما يوطد احتلالهم وبقاءهم كما يقول كرومر[2].
- اشتراكه في المحافل الماسونية، ونشاطه في نشر مبادئه.

ومن آرائه وأقواله الشاذة ما يلي:

- دعوته إلى التقريب بين الأديان.
- تقديم العقل على نصوص النقل.
- منهجه في التفسير والذي سار فيه مع المعارف الغربية المعاصرة، ونبذه لأقوال المفسرين.
- آراؤه المخالفة وفتاواه في الفقه، في مثل أحكام الربا، وتعدد الزوجات.
- الدعوة إلى تحرير الفكر من التقليد ونبذ فهم السلف وطريقتهم.[3]

ثم إنه تتابع الشر، وسار على طريق أصحاب هذه المدرسة غيرهم من المهزومين نفسياً وحضارياً ومن المتأثرين بالغرب، وبعضهم ممن تربى في أحضانهم ونشأ على أعينهم وتلقى العلم في جامعاتهم، وأصبحوا نُخباً على مستوى العالم الإسلامي وأثَّروا بفكرهم (العصراني) الذي ألقى بظلاله على بعض الموسسات الفكرية وكذلك بعض الجامعات والمعاهد والمدارس، وأصبح لهم أطروحاتهم ومؤلفاتهم التي انتشرت في كثير من المجلات والدوريات

---

(١) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، رشيد رضا، ص٩٢٢.

(٢) المصدر السابق نفسه ص٥٠١.

(٣) انظر: الأعمال الكاملة لمحمد عبده، محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٦م، الطبعة: الأولى، ج٥ص٥٢٩.

والكتب ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وسأعرض لبعض الرموز الظاهرة والمؤثرة ممن ينتمي إلى هذه المدرسة، وممن غلبت عليهم الفلسفة والعقلانية، مثل:

١. محمد أركون[(١)].

٢. حسن حنفي[(٢)].

٣. محمد عابد الجابري[(٣)].

---

(١) هو محمد أركون: باحث ومؤرخ ومفكر جزائري، ولد عام ١٩٢٨م في بلدة تاوريرت بمنطقة القبائل الكبرى الأمازيغية بالجزائر، وأكمل دراسته الثانوية في وهران، ثم ابتدأ دراسته الجامعية بكلية الفلسفة في الجزائر ثم أتم دراسته في السوربون في باريس، عُين محمد أركون أستاذاً لتاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة في جامعة السوربون عام ١٩٦٨م بعد حصوله على درجة دكتوراه في الفلسفة منها، وعمل كباحث مرافق في برلين عام ١٩٨٦م و١٩٨٧م، يشغل ومنذ العام ١٩٩٣م منصب عضو في مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن، من مؤلفاته: الفكر العربي الإسلام: أصالة وممارسة، وتاريخية الفكر العربي الإسلامي أو "نقد العقل الإسلامي"، والفكر الإسلامي: قراءة علمية، أحد رموز مذهب الحداثة في العالم العربي، (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. مانع بن حماد الجهني ج٢ ص٢٧٤، والموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٢) حسن حنفي من مواليد القاهرة (١٩٣٥م) فيلسوف ومفكر مصري معاصر، عمل أستاذاً جامعياً. وأحد منظّري تيار اليسار الإسلامي، وتيار علم الاستغراب، من أصحاب المشروعات الفكرية العربية. حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون وذلك برسالتين للدكتوراه، ترجمت إلى العربية ونشرت في عام ٢٠٠٦م تحت عنوان: "تأويل الظاهريات" و"ظاهريات التأويل"، وقضى في إعدادهما في السوربون عشر سنوات. عمل مستشاراً علمياً في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو خلال الفترة من (١٩٨٥/١٩٨٧م). وهو كذلك نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية، والسكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية. من أهم مؤلفاته سلسلة "موقفنا من التراث القديم، التراث والتجديد (٤ مجلدات)، مغرم بالتجديد إلى الدرجة التي لا يمانع فيها أن يقوض كل شيء، ويلغي كل الثوابت، حتى يصل إلى التجديد الذي يريد، ولذا تجرأ فيهما على الذات الإلهية وعلى القرآن الكريم، وعلى الدين وأحكام الشرع المطهر. (انظر: حوار له مع جسد الثقافة، ٢٧/١١/٢٠٠٣م، www.aljsad.com. والموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٣) هو محمد عابد الجابري: أستاذ الفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بالرباط، ولد عام ١٩٣٦م بالمغرب، وحصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة في ١٩٧٦م ثم على دكتوراه =

٤. محمد شحرور[1].

٥. حامد نصر أبو زيد[2].

٦. برهان غليون[3].

=الدولة في الفلسفة عام ١٩٧٠م من كلية الآداب بالرباط، له العديد من الكتب المنشورة التي أحدثت ضجة في أسلوب نقد التراث العربي ونقد العقل العربي، منها: نحن والتراث: قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي١٩٨٠م، والعصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي ١٩٧١م وتكوين العقل العربي، من رموز مذهب الحداثة في العالم العربي، (انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. مانع الجهني ج٢ص٢٧٤، والموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(١) ولد محمد شحرور بن ديب في دمشق عام ١٩٣٨م وسافر بعد ذلك إلى الاتحاد السوفييتي ليتابع دراسته في الهندسة المدنية، وتخرج بدرجة دبلوم ١٩٦٤م من جامعة موسكو، درس الفلسفة الماركسية، وأثرت على طريقة تفكيره له مجموعة من الكتب منها: الكتاب والقرآن – قراءة معاصرة ١٩٩٠م، ودراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع ١٩٩٤م، ونحو أصول جديدة للفقه الإسلامي – فقه المرأة ٢٠٠٠م، ملحد زنديق، وجمع من الضلالات العقدية والشرعية الكثير (انظر: سلسلة "نظرات شرعية في فكر منحرف"، سليمان بن صالح الخراشي، الجزء الثالث، محمد شحرور. والموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٢) نصر حامد أبو زيد أكاديمي مصري، متخصص في فقه اللغة العربية، نشأ في أسرة ريفية بسيطة، ولد في إحدى قرى طنطا في ١٠ يوليو ١٩٤٣م، حصل على الليسانس من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٢م، ثم على الماجستير من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٦م، ثم على الدكتوراه من نفس القسم والكلية في الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٩م من كتبه: مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، وإشكاليات القراءة وآليات التأويل، ونقد الخطاب الديني، والتفكير في زمن التكفير. (انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٣) برهان غليون (ولد في مدينة حمص لأسرة عربية سنية ١٩٤٥م)، خريج جامعة دمشق بالفلسفة وعلم الاجتماع، دكتوراه في العلوم الاجتماعية والإنسانية من جامعة السوربون، تأثر بالماركسية وبالفلسفة الوجودية، وهو مفكر فرنسي سوري وأستاذ علم الاجتماع السياسي ومدير مركز دراسات الشرق المعاصر في جامعة السوربون بالعاصمة الفرنسية باريس ورئيس المجلس الوطني السوري السابق، كان يعمل في مجال التدريس قبل أن يهاجر في عام ١٩٦٩م إلى=

٧. د. خالص جلبي[1].

ومن غلب عليهم الدعوة للإسلام من خلال تجديد أصوله وأحكامه – كما يزعمون – مثل:

١. جمال البنا[2].

فرنسا وعاش بها. من مؤلفاته: ثقافة العولمة وعولمة الثقافة، واغتيال العقل، والمأساة العربية: الدولة ضد الأمة، جاهر بشتم الرسول – صلى الله عليه وسلم – (انظر: حقيقة برهان غليون elghada.wordpress.com والموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(١) هو الدكتور خالص مجيب جلبي كنجو من مواليد القامشلي، سورية ١٩٤٥م، تخرج من كلية الطب، جامعة دمشق ١٩٧١م، وتخرج من كلية الشريعة، جامعة دمشق ١٩٧٤م، وحصل على الزمالة الألمانية (تخصص جراحة) من ألمانيا الغربية ١٩٨٢م. له مؤلفات: منها الطب محراب الإيمان وظاهرة المحنة والنقد الذاتي وسيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي. وله انحرافات فكرية عقدية ومنها: تقديم العقل على النقل، تعظيم الفلسفة والفلاسفة، وتحريف معاني الكتاب والسنة، ودعوته لمذهب السلم ونبذ العنف (ترك الجهاد)، ودعوته إلى الحرية الفكرية، وإلى الديمقراطية (الكفرية)، وغلوه في مدح الغرب، ومن أصحاب المدرسة الفلسفية الحديثة. (انظر: انحرافات خالص جلبي، إعداد سليمان بن صالح الخراشي، ١٤٢٢هـ والموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٢) هو جمال البنا، المفكر الإسلامي الإحيائي، (كما يقدم)، وهو الشقيق الأصغر للشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمون، ولد عام ١٩٢٠م في المحمودية بمحافظة البحيرة بمصر، عمل محاضراً بالجامعة العمالية والمعاهد المتخصصة من عام ١٩٦٣م، وحتى عام ١٩٩٣م. وعمل خبيراً بمنظمة العمل العربية. وفي عام ١٩٤٥م صدر لجمال البنّا كتابه الأول: "ثلاث عقبات في الطريق إلى المجد"، وتوالت بعد ذلك إسهاماته الفكرية، حتى بلغت مؤلفاته والأعمال التي ترجمها حوالي مائة كتاب في الموضوعات الإسلامية والنقابية والسياسية، ولجمال البنا العديد من الآراء الفقهية التي تخالف آراء العديد من علماء المسلمين، فهو يرى في أن المرأة لها حق الإمامة من الرجال إذا كانت أعلم بالقرآن، ويرى أن الحجاب ليس فرضاً على المرأة، وأن القرآن الكريم خص به نساء الرسول محمد، وأن الارتداد من الإسلام إلى اليهودية أو المسيحية ليس كفراً، وأن التدخين أثناء الصيام لا يبطل الصوم خصوصا للغير قادرين عن الاقلاع عنه. (انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

٢. د. حسن الترابي[١].

٣. د. طارق السويدان[٢].

٤. د. عدنان إبراهيم[٣].

---

(١) هو الدكتور حسن عبد الله الترابي، من مواليد قرية ود الترابي بمقاطعة الجزيرة بالسودان ١٩٣٢م. تلقى من والده علوم العربية والفقه، وأصول الأحكام وفقه المذاهب وعلوم القرآن والتفسير وقد حفظ القرآن ببضع قراءات، اختير كأمين عام لجبهة الميثاق الإسلامي ١٩٦٤م - ١٩٦٩م والجبهة الإسلامية القومية ١٩٨٥- ١٩٨٩م، وهو من أبرز الإسلاميين العقلانيين الذين تبنوا الدعوة إلى التحديث في الفكر الإسلامي المعاصر لمواكبة التطور ومواءمة ظروف العصر، ولديه انحرافات عقدية وشرعية كثيرة ومنها إباحته للردة، وعدم إقامة الحد على المرتد. زعمه أن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً الكفر الإعتقادي!! إنما كفرهم من قبيل الكفر العملي. يدعو إلى توحيد الأديان على أساس الملة الإبراهيمية وتحت راية الحزب الإبراهيمي! يزعم أن أبا البشر حواء وليس أدم! لا يؤمن بنزول عيسي عليه السلام آخر الزمان! وغير ذلك. (الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، ص ١٣٥ ونظرات شرعية، سليمان بن صالح الخراشي، في فكر الدكتور حسن الترابي www.shamela.ws، الطبعة: بدون).

(٢) طارق بن محمد السويدان، من مواليد (١٥ نوفمبر ١٩٥٣م) داعية إسلامي، اشتُهر ببرامجه الإذاعية التي تتناول التاريخ الإسلامي والفكر وتنمية القدرات والأداء، دكتوراه في هندسة البترول من جامعة تلسا أوكلاهوما الولايات المتحدة مع مرتبة الشرف عام ١٩٩٠م ماجستير في هندسة البترول من جامعة تلسا أوكلاهوما/الولايات المتحدة مع مرتبة الشرف عام ١٩٨٢م. بكالوريوس في هندسة البترول من جامعة ولاية بنسلفانيا بنسلفانيا/ الولايات المتحدة عام ١٩٧٥م. رئيس مجلس إدارة مجموعة الإبداع منذ عام ٢٠٠١م وحتى الآن. مدير عام قناة الرسالة منذ عام ٢٠٠٥م - ٢٠١٣م. له العديد من الإنتاج المطبوع والمرئي والمسموع، وله بعض المخالفات والآراء الشاذة عن منهج أهل السنة، سبق أن حذر من بعض أشرطته ومقولاته سماحة الشيخ ابن باز وابن عثيمين وغيرهم رحمهم الله. (انظر: منتديات جامعة قطر www.qataru.co والموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki) بتصرف يسير.

(٣) عدنان إبراهيم، فلسطيني ولد في مدينة غزة (١٩٦٦م - ١٣٨٦هـ) طبيب بشري، مفكر إسلامي، له علم بالفلسفة والتربية والأدب، حاصل على البكالوريوس في الدراسات الشرعية في كلية الإمام الأوزاعي بلبنان والتي تخرّج منها مع مرتبة الشّرف. كما أتم دراساته العليا في النمسا وحصل على درجيّ الماجستير والدكتوراه من جامعة فيينا. تناولت رسالته للماجستير عُمْر أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها =

وسيأتي بإذن الله مفصلاً مع ذكر جوانب الانحراف لديهم مفصلة في مفهوم التدين (عقيدة وعبادة وفقهاً وسلوكاً)، عند المبحث الانحراف الخاص بمجالات الانحراف.



رضي الله عنها- عندما بنى بها الرسول -عليه الصلاة والسلام-. وكانت أطروحة رسالته في الدكتوراه: حريّة الاعتقاد ومعترضاته في القرآن الكريم. حصل في سنة ١٩٩٥م على المرتبة الأولى في تجويد القرآن الكريم على مستوى القارة الأوروبية.. يجيد اللغات العربية والإنجليزية والألمانية والصربو كرواتية، خطيب "مسجد الشورى" بالعاصمة النمساوية فيينا ورئيس جمعية لقاء الحضارات فيها، يعتبر من رجال الدين المجددين للفكر الإسلامي عامة والسني خاصة — كما يزعم -. منحرف في عقيدته لغلبة العلوم العقلية عليه. صاحب مشروع فكري تجديدي ولديه العديد من الأفكار والنظريات والأطروحات المخالفة والمثيرة للجدل، يعتمد النقد العلميّ الفلسفيّ في مسائل عدّة لعلّ من أهمّها الإلحاد سواء كان ذلك الإلحاد العامّي أو الإلحاد الفلسفي على طريقة فريدرخ نيتشه وكانط وغيرهم. له الكثير من السلاسل العلمية "كالبحث في مفاهيم الفلسفة و"مطرقة البرهان وزجاج الالحاد "، كما قدم سلسلة بمناسبة مرور ٩٠٠ سنة على وفاة الإمام أبو حامد الغزالي بعنوان: "الغزالي، الباحث عن الحقيقة". (انظر: موقع عدنان إبراهيم www.adnanibrahim.net والموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki) بتصرف يسير.

الفصل الأول

مفهوم التدين وضوابطه وأنواعه

وفيه مبحثان:

- **المبحث الأول: التدين الصحيح وضوابطه**
- **المبحث الثاني: التدين الباطل عند المعتزلة والمرجئة، والسمات المشتركة مع أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين**

المبحث الأول

التدين الصحيح وضوابطه

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: مفهوم التدين الصحيح**
- **المطلب الثاني: الهدي النبوي في التدين والعبادة، والسلوك، والدعوة**
- **المطلب الثالث: ضوابط التدين الصحيح**

المطلب الأول:

مفهوم التدين الصحيح

قال الله – تعالى –: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]. فالله بحمده قد أكمل الدين لعباده وبين ذلك الدين غاية البيان في كتابه وسنة رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – بكامل أصوله وفروعه، وفي الإسلام الكفاية البالغة الكاملة ولا عذر لأحد ولا حجة بعده.

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: ((عن ابن عباس قوله: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيه – صلى الله عليه وآله وسلم – والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطُه أبداً))(١).

قال الشيخ السعدي – رحمه الله –: ((﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ بتمام النصر، وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه، فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله))(٢).

والكتاب والسنة قولاً وعملاً وعقيدة وتديناً وسلوكاً، قد جمعها الله في شخص رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجعل الأسوة والقدوة فيه – صلى الله عليه وآله وسلم –، قال الله: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٢١]. قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: ((هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في أقواله وأفعاله وأحواله))(٣).

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٣ص٢٦.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٢١٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٦ص٣٩١.

والميزان الذي تقاس به الأعمال وتوزن هو ميزان الشرع، فإليه المرجع والاحتكام؛ ولذا فإن من معاني شهادة أن محمداً رسول الله: أن العمل لا يقبل إلا إذا كان مما شرعه الله عن طريق رسوله – صلى الله عليه وآله وسلم –.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((وجماع الدين "أصلان" ألا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع؛ لا نعبده بالبدع كما قال – تعالى –: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وذلك تحقيق "الشهادتين": شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله؛ ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه. فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره وقد بين لنا ما نعبد الله به ونهانا عن محدثات الأمور وأخبر أنها ضلالة. قال – تعالى –: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١٢]. كما أنا مأمورون ألا نخاف إلا الله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نرغب إلا إلى الله، ولا نستعين إلا بالله، وألا تكون عبادتنا إلا لله، فكذلك نحن مأمورون أن نتبع الرسول ونطيعه ونتأسى به، فالحلال ما حلله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه))[(١)].

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –: ((ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله – تعالى –: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع))[(٢)].

لذا كان من قواعد الدين المهمة أن كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو رد، كما أنه لا ينفع صاحبه البتة ولو جهد فيه وتعب وأنفق الأموال الطائلة، قال– صلى الله عليه وآله وسلم –: [من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد] وفي رواية: [من أحدث في أمرنا هذا ما

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠ص٢٣٤.

(٢) الأصول الثلاثة، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، (المتوفى:١٢٠٦هـ)، الرياض، وزارة الشئون الإسلامية، ١٤٢١هـ، الطبعة: ١١، ص١٥.

ليس منه فهو رد][1].

قال ابن حجر- رحمه الله -: ((قال ابن بطّال[2]: مراده أن من حكم بغير السنة جهلاً أو غلطاً يجب عليه الرجوع إلى حكم السنة وترك ما خالفها امتثالاً لأمر الله - تعالى - بإيجاب طاعة رسوله وهذا هو نفس الاعتصام بالسنة))[3].

والبدع والمخترعات في الدين كلها مردودة بنص الحديث، والبعض قد يحتج ويعاند بأنه لم يُحدِث هذا العمل، وأنه قد سُبق إليه وعمله أقوام قبله، فيرد عليه بما قاله الإمام النووي - رحمه الله -: ((وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات وفي الرواية الثانية زيادة وهي أنه قد يعاند بعض الفاعلين في بدعة سبق إليها فإذا احتج عليه بالرواية الأولى يقول أنا ما أحدثت شيئاً فيحتج عليه بالثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواء أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها))[4].

والشريعة هي الحاكمة على أعمال المكلفين وعلى ذلك مدار القبول والرد، فمن دخل تحت أحكام الشريعة أمراً ونهياً قُبل عمله ومن كان خارجاً عن أحكامها رُد عمله، يقول الإمام ابن رجب - رحمه الله -: ((أعمال العاملين كلها ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها فمن كان عمله جارياً تحت

---

(١) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود حديث رقم ٢٥٥٠ج٦ ص٢٦٧٥، ومسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور حديث رقم ١٧١٨ ج٣ ص١٣٤٣.

(٢) ابن بطال هو: العلامة أبو الحسن بن علي بن خلف بن بطال البكري ثم البلنسي، شارح صحيح البخاري، قال ابن بشكوال: كان من أهل العلم والمعرفة مليح الخط حسن الضبط عني بالحديث العناية التامة، شرح الصحيح في عدة أسفار توفي سنة ٤٤٩هـ (السير، الذهبي، ج١٨ص٤٧) و(الصلة، خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، (المتوفى:٥٧٨هـ)، بيروت، نشر: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م، الطبعة: الأولى، ج٢ص١٣٢).

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج١٣ص٣١٧.

(٤) المنهاج، النووي، ج١٢ص١٦.

أحكام الشريعة موافقاً لها فهو مقبول، ومن كان خارجاً عن ذلك فهو مردود فأما العبادات فما كان منها خارجاً عن حكم الله ورسوله بالكلية فهو مردود على عامله، وعامله يدخل تحت قوله – تعالى –: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، فمن تقرب إلى الله بعمل لم يجعله الله ورسوله قربة إلى الله فعمله باطل مردود عليه))[1].

وعند الاضطراب والاختلاف في الحلال والحرام والشرعي والبدعي، فلا نجاة إلا بالرجوع إلى دين الله وشرعه، فإن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((فصل: في العبادات والفرق بين شرعيها وبدعيها: فإن هذا باب كثر فيه الاضطراب، كما كثر في باب الحلال والحرام، فإن أقواماً استحلوا بعض ما حرمه الله، وأقواماً حرموا بعض ما أحل الله – تعالى – وكذلك أقواماً أحدثوا عبادات لم يشرعها الله، بل نهى عنها. وأصل الدين: أن الحلال ما أحله الله ورسوله، والحرام ما حرمه الله ورسوله، والدين ما شرعه الله ورسوله، ليس لأحد أن يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله))[2].

والنبي – صلى الله عليه وسلم – قد بين لأمته أمرها وبلغها البلاغ المبين وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، كما قال – صلى الله عليه وسلم –: [قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك][3]. والمراد طريقته

(١) جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، (المتوفى:٧٩٥هـ)، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ، الطبعة: الأولى، ج١ص٦٠.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠ص٣٨٨.

(٣) مسند أحمد، حديث العرباض بن سارية عن النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (١٧١٤٢)، قال الألباني (صحيح) انظر: السلسلة الصحيحة ج١ص٦١٠.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى:٢٤١هـ)، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، ج٢٨ ص٣٦٧.

وشريعته – صلى الله عليه وآله وسلم –؛ ولهذا قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: [يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه][(1)].

وزاد – صلى الله عليه وآله وسلم – هذا الأمر وضوحاً وتجلية عندما ذكرافتراق الأمم وأن الفرق هذه كلها في النار إلا واحدة قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: [إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة. كلها في النار إلا واحدة. وهي الجماعة][(2)]. ثم بينها – صلى الله عليه وآله وسلم – بوصف دقيق بيِّن، قال فيه: [وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي][(3)].

فالنجاة من النار تكون لمن كان على ما كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – في الاعتقاد والقول والفعل، اهتداءً وتمسكاً بما كانوا عليه، قال صاحب مرعاة المفاتيح: ((التقدير أهلها من كان على ما أنا عليه وأصحابي من الاعتقاد والقول والعمل. والمراد بهم المهتدون المتمسكون بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين

---

(1) سنن البيهقي، ٨١ كتاب آداب القاضي، ٢٠ باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي، حديث رقم (٢٠١٢٣) قال الألباني (حسن) انظر: صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ) الرياض، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الخامسة، ج١ص١٠.

سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، (المتوفى:٤٥٨هـ)، مكة المكرمة، الناشر: مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ج١٠ ص١١٤.

(2) سنن ابن ماجه، ٣٦كتاب الفتن، ١٧ باب افتراق الأمم، حديث رقم (٣٩٩٣) ج٢ص١٣٢٢. قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ج١ص٣٨١.

(3) سنن الترمذي، كتاب ٤١ الإيمان عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، باب ١٨ ما جاء في افتراق الأمة، حديث رقم (٢٦٤١) قال الألباني (حسن) انظر: صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ)، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، الطبعة: الأولى، ج٦ ص١٤١.

الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، (المتوفى:٢٧٩هـ)، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ج٥ ص٢٦.

وغيرهم من الصحابة الذين فهموا أمر دين الله بالتلقي من نبيه مشافهة على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال))[1].

وقال الملا علي القاري – رحمه الله – في وصف هذه الفرقة الناجية: ((قال ما أنا عليه وأصحابي، أي: هي ما أنا عليه وأصحابي. قيل: جعلها عين ما هو عليه مبالغة في مدحها وبياناً لباهر اتباعها حتى يُخيَّل أنها عين ذلك المتبع))[2].

وهذا الهدي من التمسك بما كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – في عقيدتهم وأقوالهم وأعمالهم هو ما قاله وثبت عليه سلف هذه الأمة ومن جاء بعدهم وسار على نهجهم.

والصحابة – رضي الله عنهم – كانوا بعد نبيهم – صلى الله عليه وآله وسلم – عاملين بدينه، ثابتين على هديه وسنته التي تركهم عليها، وهم من حمل هذا الدين إلينا، وقولهم – رضي الله عنهم – حجة ودليل، قال الشاطبي – رحمه الله –: ((جمهور العلماء قدموا الصحابة عند ترجيح الأقاويل، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجة ودليلاً، وبعضهم عد قول الخلفاء الأربعة دليلاً، وبعضهم يعد قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلاً، ولكل قول من هذه الأقوال متعلق من السنة ..

وذلك أن السلف والخلف من التابعين ومن بعدهم يهابون مخالفة الصحابة، ويتكثرون بموافقتهم، وأكثر ما تجد هذا المعنى في علوم الخلاف الدائر بين الأئمة المعتبرين، فتجدهم إذا عينوا مذاهبهم قووها بذكر من ذهب إليها من الصحابة، وما ذاك إلا لما اعتقدوا في أنفسهم

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيد الله بن العلامة محمد عبد السلام المباركفوري، ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، (المتوفى:٧٤١هـ)، بلد النشر: بنارس الهند، دار النشر: الجامعة السلفية، سنة الطبع ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، الطبعة: الثالثة، ج١ ص٢٧٤.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد أبو الحسن نورالدين الملا القاري (المتوفى:١٠١٤هـ) ملتان، باكستان، الناشر: مجلس إشاعة المعارف، ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، ج١ ص٢٤٨.

وفي مخالفيهم من تعظيمهم، وقوة مآخذهم دون غيرهم، وكبر شأنهم في الشريعة))[1].

كيف لا؟! وهم من صحبوا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وشاهدوا الوحي وعايشوا التنزيل وكانوا على الصراط المستقيم، ورضي عنهم وأرضاهم وتوفي رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وهو راض عنهم، فعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: ((من كان منكم متأسياً، فليتأس بأصحاب رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدي المستقيم))[2]. وسيأتي - بإذن الله - مزيد بيان في مبحث: الهدي النبوي في التدين، والعبادة، والسلوك، والدعوة.



(١) الموافقات، للشاطبي، ج٤ ص٤٥٦.

(٢) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، (المتوفى:٤٦٣هـ)، بيروت، الناشر: مؤسسة الريان - دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى، ج٢ص١٩٨.

المطلب الثاني:

الهدي النبوي في التدين والعبادة، والسلوك، والدعوة

الهدي النبوي أكمل الهدي، والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة لا تنال إلا باتباع هديه – صلى الله عليه وآله وسلم –، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث إلا من جهته – صلى الله عليه وآله وسلم –، ولا ينال رضا الله البتة إلا بمتابعة هديه واقتفاء أثره، والحاجة ملحة قائمة إلى معرفة هديه – صلى الله عليه وآله وسلم – والعمل به، فهو ميزان أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم، والعباد مضطرون إلى معرفة ذلك الهدي على التفصيل والبسط، وليس ذلك ترفاً أو اختياراً يخير فيه العبد، بل هو ضرورة ولازم به حياة القلوب والأبدان.

قال ابن القيم – رحمه الله –: ((ومن ها هنا تعلم اضطرار العباد فوقَ كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا، ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيلَ إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا مِن جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطَّيِّب من الأعمال والأقوال والأخلاق، ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزانُ الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ..))[1].

الفرع الأول: هديه[2] – صلى الله عليه وآله وسلم – في التدين والعبادة

وهو صلى الله عليه وآله وسلم أعبد الخلق لربه وأعلمهم به وأخشاهم له سبحانه، وأشرف مقاماته – صلى الله عليه وآله وسلم – مقام العبودية لله، ولهذا حقق الله له نعت العبوديّة في أرفع مقاماته حيث قَالَ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ [الإسراء: ١]. وَقَالَ – تعالى –: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم: ١٠]. وَقَالَ – تعالى –: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]. وقد جمع الله لرسوله – صلى الله عليه وآله وسلم – الدين

---

(١) زاد المعاد، ابن القيم، ج١ص٦٩.

(٢) انظر: ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٢ص٣٢ وما بعدها.

والعبادة معاً، بل جعل الدين كله داخلاً في العبادة.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((فالدين كله داخل في العبادة. وقد ثبت في الصحيح: أن جبريل لما جاء إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال: [أن تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدرخيره وشره. قال: فما الإحسان؟ قال أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ثم قال: في آخر الحديث: هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم][1] فجعل هذا كله من الدين. والدين يتضمن معنى الخضوع والذل. يقال: دنته فدان، أي: ذللته فذل، ويقال: يدين اللّه، ويدين للّه أي: يعبد اللّه ويطيعه ويخضع له، فدين اللّه عبادته وطاعته والخضوع له))[2].

وأعظم صور التدين في حياته – صلى الله عليه وآله وسلم – هي عبادته لله وحده سبحانه وإخلاص الدين له. قال الله: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وحقق – صلى الله عليه وآله وسلم – العبودية لله، وحذر أمته مما وقعت فيه النصارى في المسيح عليه السلام من دعوى الألوهية وحمى جانب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك ووسائله، حتى أنه رد على رجل قوله، فعن ابن عباس– رضي الله عنهما–: [أن رجلاً قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – ما شاء الله وشئت. فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: أجعلتني والله عدلاً بل ما شاء الله وحده][3]، وقال

---

(١) البخاري، كِتَاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾، حديث رقم (٤٧٧٧)، ج١١ ص٥٧٨. ومسلم، ١كتاب الإيمان، ١ باب بيان الإيمان والإســلام والإحسان، حديث (١)، ج١ص١٢.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠ص١٥٢.

(٣) مسند أحمد، مسند ابن عباس – رضي الله عنهما –، حديث رقم (١٨٣٩)، ج٣ص٣٣٩. قال الألباني (صحيح) انظر: السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ)، الرياض، الناشر: مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، الطبعة الأولى، ج١ص٢٦٦.

لبعض أصحابه – رضي الله عنهم-: [أما والله إن كنت لأعرفها لكم. قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد][1]، وقال محذراً أمته – صلى الله عليه وآله وسلم -: [لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم][2]. وقال أيضاً – صلى الله عليه وآله وسلم -: [اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد][3].

ولذا بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب باباً قال فيه: ((باب ما جاء في حماية المصطفى – صلى الله عليه وسلم – جناب التوحيد، وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وقول الله – تعالى -: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [التوبة: ١٢٨]))[4].

وحرص – صلى الله عليه وآله وسلم – على تحقيق التوحيد الذي هو أعظم سبب لدخول الناس الجنة ونجاتهم من النار، وحمى جناب التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال.

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت، حديث رقم (٢١١٨)، ج١ص٦٨٥. قال الألباني (صحيح) انظر: صحيح سنن ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ)، بيروت، توزيع: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى، ج١ ص٣٦٢.

(٢) سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، حديث رقم (٢٠٤٢)، سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي (المتوفى:٢٧٥هـ)، الناشر: دار الفكر، ج١ص٦٢٢، قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر: صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ)، الرياض، الناشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج، سنة ١٤٠٩هـ الطبعة الأولى، ج٦ص٢٨٢.

(٣) مسند أحمد، مسند أبي هريرة – رضي الله عنه-، حديث رقم (٧٣٥٨)، ج١٢ص٣١٤. قال الألباني: (صحيح) انظر: الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ)، الكويت، غراس للنشر والتوزيع، سنة النشر: ١٤٢٢هـ الطبعة: الأولى، ج١ص٣٦١.

(٤) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الإمام محمد بن عبدالوهاب، (المتوفى:١٢٠٦هـ)، القاهرة، مطبعة المنار، ١٣٤٦هـ، الطبعة: الأولى، ص٥١.

قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: [لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد. فقولوا: عبد الله ورسوله][(1)]. عن أنس – رضي الله عنه: [أن رجلاً قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – ياسيدنا وابن سيدنا ويا خيرنا وابن خيرنا، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله عز وجل][(2)].

واستمر – صلى الله عليه وآله وسلم – ولازم عبادة ربه حتى أتاه اليقين كما أمره الله بقوله: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر:99]. فقال قبل أن يموت بخمس مؤكداً ومشنعاً وناهياً: [إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك][(3)].

ذلك هو هديه – صلى الله عليه وآله وسلم – في توحيده وتدينه لربه، بل إن قوام الدين وفسطاطه يقوم على توحيد العبادة الذي أرسل الله من أجله الرسل، قال الله: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: 36].

وأما هديه – صلى الله عليه وآله وسلم – في بقية العبادات فهو أقوم الهدي وأعدله وأوسطه، كما وضحه هو بنفسه – صلى الله عليه وآله وسلم – بلسان حاله ومقاله، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: [جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – يسألون عن عبادة النبي – صلى الله عليه وسلم – فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من النبي – صلى الله عليه وسلم –؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما

---

(1) البخاري، كِتَاب أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا﴾، حديث رقم (3445)، ج8ص544.

(2) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك – رضي الله عنه –، حديث رقم (13529)، ج21ص 166 قال الألباني: (صحيح). غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:1420هـ)، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي، 1405هـ، الطبعة: الثالثة، ج1ص99.

(3) مسلم، 5 كتاب المساجد ومواضع الصلاة، 3باب النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث (23)، ج1ص377.

تأخر قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له؛ لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني][(١)].

قال الإمام الصنعاني – رحمه الله –: ((وهو دليل على أن المشروع هو الاقتصاد في العبادات دون الانهماك والإضرار بالنفس وهجر المألوفات كلها وأن هذه الملة المحمدية مبنية شريعتها على الاقتصاد والتسهيل والتيسير وعدم التعسير. كما أن الأخذ بالتشديد في العبادة يؤدي إلى الملل القاطع لأصلها))[(٢)].

ومن رغب عن ذلك فليس على طريقته – صلى الله عليه وآله وسلم –، وطريقته – صلى الله عليه وسلم – الحنيفية السمحة؛ فيفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل.

وحديث عائشة – رضي الله عنها–: [أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها قال: مَه، عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا. وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه][(٣)].

فيُعلم أن الخير كلَّ الخير في اتباع هديه – صلى الله عليه وآله وسلم – ولزوم سنته؛ ففيها الكمال والدوام وإن قل العمل، وذلك من أحب الأعمال إلى الله؛ ولذا أمر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – باتباعه والأخذ عنه في شرائع الدين فقال – صلى الله عليه وآله

(١) البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (٥٠٦٣)، ج١٢ص٥٣٤. ومسلم، ١٦ كتاب النكاح، ١باب استحباب النكاح، حديث رقم (٥)، ج٢ص١٠٢٠.

(٢) سبل السلام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (المتوفى:١١٨٢هـ)، مصر، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٧٩هـ – ١٩٦٠م، الطبعة: الرابعة، ج٣ص١١٠.

(٣) البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله أدومه، حديث رقم (٤٣)، ج١ص٤٧. ومسلم، ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٣١باب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد، حديث رقم (٢٢١)، ج١ص٥٤٢.

وسلم – في الوضوء: [من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه][1]، وقال – صلى الله عليه وآله وسلم – في الصلاة: [صلوا كما رأيتموني أصلي][2]، وقال – صلى الله عليه وآله وسلم – في الحج: [لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه][3].

وكذا هديه – صلى الله عليه وآله وسلم – في الذكر فقد كان يذكر الله على كل أحيانه وجميع أحواله، فكان له – صلى الله عليه وآله وسلم – ذكر عند نومه، وعند استيقاظه، وحين يصبح، وحين يمسي، وعند طعامه، وهذا هو الذكر المقيد بالأحوال[4]، ومنه الذكر المطلق كقوله – صلى الله عليه وآله وسلم –: [لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس][5].

الفرع الثاني: هديه – صلى الله عليه وآله وسلم – في السلوك

ويقصد بالسلوك: (السلوك) سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه يقال فلان حسن السلوك أو سيء السلوك[6]، والسلوك متعلق بشخص الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – في معتقده وعبادته وتعامله، وتلقي السلوك عنه – صلى الله عليه وآله وسلم – أسهل من تلقي الفروع.

---

(١) البخاري، كتاب الوضوء، باب المضمضة في الوضوء، حديث رقم (١٦٤)، ج١ص١٧١. ومسلم، ٢كتاب الطهارة،٣باب صفة الوضوء وكماله، حديث رقم (٣)، ج١ص٢٠٤.

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٦٠٠٨)، ج١٥ص١٩١.

(٣) مسلم، ١٥كتاب الحج، ٥١ باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً وبيان قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لتأخذوا مناسككم، حديث (٣١٠)، ج٢ص٩٤٣.

(٤) انظر: الأذكار النووية، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، (المتوفى سنة ٦٧٦هـ)، بيروت، الناشر: دار الفكر ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، طبعة جديدة. والوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية (المتوفى:٧٥١هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى.

(٥) مسلم، ٤٨كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، ١٠باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (٣٢)، ج٤ص٢٠٧٢.

(٦) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج١ص٤٤٥

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((تلقى السلوك عن الرسول أسهل من تلقى الفروع المتنازع فيها؛ فإن السلوك هو بالطريق التي أمر اللّه بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق، وهذا كله مبين في الكتاب والسنة، فإن هذا بمنزلة الغذاء الذي لابد للمؤمن منه))(1).

وسلوكه– صلى الله عليه وآله وسلم – مبني على خلقه الذي قال الله في وصفه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]؛ لذا كان – صلى الله عليه وآله وسلم – من أحسن الناس خُلُقاً، ووصفت خلقه – صلى الله عليه وآله وسلم – أمّ المؤمنين عائشة – رضي الله عنها– بقولها: [كان خلقه القرآن](2).

وعلى هذا الخلق العظيم يُبنى السلوك القويم وتكون رعايته وتوجيهه وضبط حركته، ((والمجتمع الإسلامي له أخلاقه التي تضبط وتحدد السلوك، بمعنى أن له بناءه المعياري، الذي نبع في الأساس من المصدرين الأساسيين: القرآن، والسنة المطهرة؛ فالقرآن بما أتى به من مكارم الأخلاق التي تجسدت في شخص الرسول الكريم وترجمت في أقواله وأفعاله هو المصدر الأساسي المعتمد للقيم في المجتمع الإسلامي))(3).

ومن أعظم السلوك الذي استقر في شخصه وحياته – صلى الله عليه وآله وسلم – ما وصفه به ربه – عز وجل – بقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]. قال الشيخ السعدي – رحمه الله –: ((﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ فيحب لكم الخير، ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على

---

(1) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٩ص٢٧٣.

(2) مسند أحمد، مسند عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها –، حديث رقم (٢٥٣٠٢)، ج٤٢ص١٨٣. قال الألباني (صحيح) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ج١ص٨٩٥.

(3) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم –، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، جدة، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ج١ص٥٢.

هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: شديد الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم))(1).

فأصبح سلوكه وتعامله صلى الله عليه وسلم مع الناس من خلال ما وصف به من هذه النعوت العظيمة والأوصاف الجليلة وذلك ظاهر في حياته - صلى الله عليه وسلم -، بل قد جعل الله إرسال محمد - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين، فقال جل شأنه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠]، وقال - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه: [يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة](2).

وهذه الرحمة في سلوكه - صلى الله عليه وسلم - مع كل أحد من الإنس والوحش والطير، وأعظم تلك الرحمة تظهر في رحمته - صلى الله عليه وسلم - بالناس والحرص على دلالتهم على طريق الجنة والهداية، ونجاتهم من طريق النار والغواية، فهذا غلام يهودي يزوره النبي الرحيم - صلى الله عليه وسلم -؛ ليعرض عليه الإسلام والدخول فيه، وفرحه - صلى الله عليه وسلم - بهداية الغلام ودخوله في الإسلام، فعن أنس- رضي الله عنه- قال: [كان غلام يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض فأتاه يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه - وهو عنده - فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار](3)، وهذه صورة لأعلى درجات الرحمة في شخصية نبينا الكريم - صلى الله عليه وسلم -، وكما في حديثه الذي يمثِّل فيه رحمته - صلى الله عليه وسلم - بتصوير رائع بليغ، فيقول - صلى الله عليه

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٣٥٦.

(٢) سنن الدارمي، ٣ باب كيف كان أول شأن النبي - صلى الله عليه وسلم -، حديث رقم (١٥)، قال الألباني (صحيح) انظر: السلسلة الصحيحة ج١ص٨٨٢.

سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، (المتوفى:٢٥٥هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى، ج١ص٢١.

(٣) البخاري، كتاب الجنائز، بَابٌ إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، حديث رقم (١٣٥٦)، ج٣ص٣٣٨.

وسلم -: [مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب[1] والفراش يقعن فيها، وهو يذبُّهُن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي][2].

وهذه الرحمة أورثت سلوكاً آخر في شخصه - صلى الله عليه وسلم - وهو اللين والرفق، كما قال الله عنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، يقول سيد قطب - رحمه الله -: ((فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم، فجعلته - صلى الله عليه وسلم - رحيماً بهم ليناً معهم، ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم ... بل أعطاهم كل ما ملكت يداه في سماحة نَدِيَّة، ووسعهم حلمه وبره وعطفه ووده الكريم، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلا امتلأ قلبه بحبه، نتيجة لما أفاض عليه - صلى الله عليه وسلم - من نفسه الكبيرة الرحيبة، وكان هذا كله رحمة من الله به وبأمته))[3].

وهذا هو شأنه - صلى الله عليه وسلم - مع المسلم والكافر، والبر والفاجر، والصغير والكبير، وارتبط بهذه الرحمة والرفق خلق عظيم وسلوك قويم، هو من أعظم أخلاق المؤمنين وسلوك المرسلين، بل أصبح صفة لأولي العزم من الرسل عليهم السلام، الذين قال فيهم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

فصبر - صلى الله عليه وسلم - وأصبح الصبر سلوكاً له - عليه الصلاة والسلام - لا

---

(١) الجنادب: جمع جندب وفيها ثلاث لغات جندب بضم الدال وفتحها والجيم مضمومة فيهما والثالثة حكاه القاضي بكسر الجيم وفتح الدال والجنادب هذا الصرار الذي يشبه الجراد وقال أبو حاتم الجندب على خلقة الجراد له أربعة أجنحة كالجرادة وأصغر منها يطير ويصر بالليل صراً شديداً. (المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ج١٥ص٥٠).

(٢) مسلم، ٤٣ كتاب الفضائل، ٦ باب شفقته - صلى الله عليه وسلم - على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، حديث رقم (١٩)، ج٤ص١٧٩٠.

(٣) في ظلال القرآن، سيد قطب، (المتوفى:١٣٨٧هـ)، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، الطبعة: العاشرة، ج١ص٥٠٠.

ينفك عنه تروي لنا عائشة – رضي الله عنها –: أنها قالت للنبي – صلى الله عليه وسلم –: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: [لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال[1] فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت – وأنا مهموم – على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيم شئت؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[2]. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: بل أرجو أن يُخرِج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا][3]، واجتمع في هذه الصورة الصبر والرحمة والتفاؤل منه صلى الله عليه وسلم تجاه قومه وعشيرته حتى أخرج الله منهم رجالاً حملوا هذا الدين إلى مشارق الأرض ومغاربها.

ولهذا كان من سلوكه – صلى الله عليه وسلم – محبة إيصال الخير للناس، ونفعهم، وسد جوعاتهم، وتفريج كرباتهم، وقضاء ديونهم، بل كان ذلك عنده من أعظم القربات

---

(١) ابن عبد يا ليل بتحتانية وبعد الألف لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام بن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام وآخره لام واسمه كنانة والذي في المغازي أن الذي كلمه هو عبد يا ليل نفسه وعند أهل النسب أن عبد كلال أخوه لا أبوه وأنه عبد يا ليل بن عمرو بن عمير بن عوف ويقال اسم بن عبد ياليل مسعود من أكابر أهل الطائف من ثقيف (فتح الباري، ابن حجر، ج٦ص٣١٥).

(٢) الأخشبان: تثنية الأخشب وقد تقدم اشتقاقه في الأخاشب والأخشبان جبلان يضافان تارة إلى مكة وتارة إلى منى، وهما واحد أحدهما أبو قبيس والآخر قعيقعان، ويقال بل هما أبو قبيس والجبل الأحمر المشرف هنالك ويسميان الجبجبين أيضاً، (معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، (المتوفى:٦٢٦هـ)، بيروت، الناشر: دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م، ج١ص١٢٢).

(٣) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين، حديث رقم (٣٢٣١)، ج٨ص٢٨٢، ومسلم،٣٢كتاب الجهاد والسير، ٣٩باب ما لقي النبي – صلى الله عليه وسلم – من أذى المشركين والمنافقين، حديث رقم (١١١)، ج٣ص١٤٢٠.

والطاعات، وخيراً له من لزوم المسجد للطاعة والعبادة، فقد قال - صلى الله عليه وسلم - حاثاً وحاضاً أمته على ذلك: [أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم، وأحب الأعمال إلى الله -عز وجل- سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبُّ إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله - تعالى - قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل][(١)].

ومع رحمته ورفقه وحبه - صلى الله عليه وسلم - للناس وحب نفعهم وإيصال الخير لهم فقد كان يغضب - صلى الله عليه وسلم - إذا اجتُرئ على حدود الله؛ فعن عروة بن الزبير - رضي الله عنهما -: (أن امرأة سرقت في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة الفتح ففزع قومها إلى أسامة بن زيد يستشفعونه) قال عروة: (فلما كلمه أسامة فيها تلوَّن وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)، فقال: [أتكلمني في حد من حدود الله]. قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: [أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها]، ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت. قالت عائشة فكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -)[(٢)].

---

(١) الطبراني، باب الميم من اسمه محمد، حديث رقم (٨٦١) قال الألباني: (حسن) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ج١ص١٧٦.

المعجم الصغير، سليمان بن أحمد ابن أيوب أبو القاسم الطبراني، (المتوفى:٣٦٠هـ)، بيروت، عمان، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار، سنة النشر: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ج٢ص١٠٦.

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد الفتح، حديث رقم (٤٣٠٤)، ج١٠ص٣٦٨. ومسلم، ٢٩ كتاب الحدود، ٢باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، حديث رقم (٩)، ج٣ص١٣١١.

قال الإمام ابن رجب - رحمه الله -: ((وهذه كانت حال النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنه كان لا ينتقم لنفسه ولكن إذا انتهكت حرمات الله لم يقم لغضبه شيء))[1].

وهو كذلك - صلى الله عليه وسلم - في شجاعته وقوته أمام أعدائه، فعن علي - رضي الله عنه - قال: [كُنَّا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منه][2]، وهذا ما كان منه - صلى الله عليه وسلم - يوم حنين لما انكشف القوم، وفرَّ مَن فرَّ، سأل رجل البراء - رضي الله عنه - فقال: يا أبا عمارة، أوليتم يوم حنين؟ قال البراء (وأنا أسمع): [أما رسول الله - صلى الله عليه وسلم -لم يول يومئذ - كان أبو سفيان بن الحارث آخذاً بعنان بغلته - فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول: (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب)، قال فما رُئي من الناس يومئذ أشد منه][3].

وسلوكه هذا - صلى الله عليه وسلم - بين الرحمة والرفق واللين والصبر، والغضب لله والانتصار لدينه والصدع بالحق وإنكار المنكر، والشجاعة والقوة وقتال أعداء الله، يدخل تحت قوله- تعالى -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: ((اتصافه - صلى الله عليه وسلم - بمكارم الأخلاق ... فكان له منها أكملها وأجلها، وهو في كل خصلة منها، في الذروة العليا))[4].

وقال عمه العباس - رضي الله عنه -: ((والله ما مات رسول الله - صلى الله عليه

---

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ج١ص١٤٨.

(٢) مستدرك الحاكم، كتاب قسم الفيء والأصل من كتاب الله عز وجل، حديث رقم (٢٦٣٣)، ج٢ص١٥٥ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.
المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، (المتوفى:٤٠٥هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة الأولى، ج٢ص١٥٥.

(٣) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قال خذها وأنا ابن فلان، حديث رقم (٣٠٤٢)، ج٨ص٧.

(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٨٧٨.

وسلم - حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً وأحل الحلال وحرم الحرام ونكح وطلق وحارب وسالم، وما كان راعي غنم يتبع بها رؤوس الجبال يخبط عليها العضاة[1] بمخبطته ويمدر حوضها بيده، أنصبَ ولا أدأب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان فيكم))[2].

الفرع الثالث: هديه - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة

والحديث عن هديه - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة يعتمد على الوحي الإلهي والتوجيه الرباني في قوله - تعالى -: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: ((يقول - تعالى - لنبيه - صلى الله عليه وسلم-: ﴿قُلْ﴾ للناس ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أحثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغِّبهم في ذلك وأرهِّبهم مما يبعدهم عنه. ومع هذا فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية. وكذلك ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصاً له الدين))[3].

وتضمنت هذه الآية أبرز معالم هديه - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة إلى الله وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي: أخبر الناس وأعلمهم وخاصة الدعاة إلى الله منهم، أن هذا هو طريقي وسنتي ومسلكي ومنهجي في الدعوة إلى الله سبحانه، وهي الطريق الموصلة

---

(١) العضاة: هو بالعين المهملة والضاد المعجمة وهي كل شجرة ذات شوك (المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ج١٥ص٤٤).

(٢) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ج١ص٦٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٤٠٦.

إلى الله ودار كرامته ومستقر رحمته، وأفرد السبيل بخلاف السبُل المضلة، ومعناه: ديني (كما قال مقاتل)[1] – رحمه الله –، وهو دين الإسلام، ومنها قوله – تعالى –: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ [النحل:١٢٥]، وهو ما دعا إليه صلى الله عليه وسلم طوال حياته.

ثانياً: ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وقد تضمنت معنيين اثنين:

أحدهما: أي: أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله[2]، وهو ما دعا إليه – صلى الله عليه وسلم – والأنبياء قبله – عليهم السلام –، فالدعوة إلى هذه الكلمة هي أساس ومفتاح دعوة الرسل، قال الله: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

ودعوته الله – صلى الله عليه وآله وسلم – للناس في أسواقهم ومنتدياتهم إلى أن يقولوا: لا إله إلا الله، فعن طارق بن عبد الله المحاربي[3] قال: رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مر بسوق ذي المجاز[4] – وأنا في بياعة لي – فمر وعليه حلة حمراء فسمعته

---

(١) معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى:٥١٦هـ)، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى، ج٣ ص٣٣٢.

(٢) انظر: القول السديد شرح كتاب التوحيد، الإمام محمد بن عبد الوهاب (المتوفى:١٢٠٦هـ)، المملكة العربية السعودية، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، تاريخ النشر: ١٤٢١هـ، الطبعة: الثانية، ج١ص٣١.

(٣) طارق بن عبد الله المحاربي رأى النبي – صلى الله عليه وسلم – في سوق ذي المجاز وأبو لهب يتبعه يرميه بالحجارة نزل الكوفة وروى عنه أبو الشعثاء وربعي بن خراش وأبو ضمرة قال ابن البرقي له حديثان وقال ابن السكن ثلاثة حديثه في الكوفيين (الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البُستي، (المتوفى:٣٥٤هـ)، بيروت، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، الطبعة الأولى، ج٣ص٢٠٢ والإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى:٨٥٢هـ)، بيروت، الناشر دار الجيل، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ج٣ص٥١١).

(٤) ذو المجاز: موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ من عرفة كانت تقوم في الجاهلية ثمانية أيام وهو ماء من أصل كبكب لهذيل وكان ذو المجاز ومجنة وعكاظ أسواقاً في الجاهلية (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٥ص٥٥).

يقول: [يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوا هذا فإنه كذاب فقلت .. وذكر الحديث](1).

وحديث معاذ – رضي الله عنه – لما بعثه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى اليمن، وقال له: [إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم ... الحديث](2).

وهذه الدعوة إلى هذه الكلمة التي بها تكون النجاة من النار وعصمة الدماء والأموال هي أول هديه – صلى الله عليه وسلم – في دعوته.

وقد قال الله عنه: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [النحل: ٣٦]. وعلى هذا ينبغي أن يكون الدعاة؛ فتكون الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله هي منطلقَ حديثهم وأُسَّ دعوتهم.

ثانيهما: أي: مخلصاً له سبحانه في هذه الدعوة، والمقصود بها وجه الله – تعالى – ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ فيجب على الداعية أن يكون مخلصاً في نيته، بأن يكون قصده الدعوة إلى الله، ليس قصده الدعوة إلى نفسه أو الدعوة إلى شخص مُعَين أو منهج معَين أو طائفة معينة، وإنما يقصد الدَّعوة إلى الله، وإخراج الناس من الظُّلُمات إلى النُّور.

ثالثاً: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ فدعوته – صلى الله عليه وسلم – على علم وهدى وبينة من ربه جل في عُلاه، وهو – صلى الله عليه وسلم – يعمل بما أوحي إليه، وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – عن البصيرة: ((تشمل: العلم بالشرع، والعلم بحال المدعو، والعلم بالسبيل الموصل إلى المقصود، وهو الحكمة، فيكون بصيراً بحكم الشرع، وبصيراً بحال المدعو، وبصيراً بالطريق الموصلة لتحقيق الدعوة))(3).

---

(١) مستدرك الحاكم، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر أخبار سيد المرسلين وخاتم النبيين، رقم الحديث (٤٢١٩)، ج٢ص٦٦٨ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل – رضي الله عنهما – إلى اليمن، حديث رقم (٤٣٤٧)، ج١٠ص٤١٤.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ابن عثيمين، ج٩ ص١١٩.

ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه -: [إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك، فأخبرهم .. الحديث][1]، فعلمه النبي - صلى الله عليه وسلم - حال المدعوين وأنهم من أهل الكتاب فيكون مستعداً لهم، وعلمه ما يدعوهم إليه وهو التوحيد، وكيف يدعوهم ويسلك معهم التدرج والبداءة بالأهم فالأهم، ومراعاة أحوال المدعوين وذلك من البصيرة الحكمة في الدعوة.

رابعاً: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ أي: أدعو أنا إلى الله ومن اتبعني يدعو أيضاً، أي: قل هذه سبيلي أدعو إلى الله ويدعو من اتبعني، وكلانا على بصيرة، فهذا شأنه - صلى الله عليه وسلم - في دعوته، وشأن من اتبعه كذلك في دعوتهم وأن من لوازم الاتباع سلوك طريقته - صلى الله عليه وسلم - في الدعوة.

خامساً: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ثم يؤكد توحيده لله في نفسه ودعوته، وينفي أن يكون من المشركين. وهي من الصفات العظيمة التي كانت في شخصه - صلى الله عليه وسلم - وتمثّلها حيةً في دعوته وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة إلى الله متأسين بنبيهم وإمام دعوتهم - صلى الله عليه وسلم -.



(١) سبق تخريجه ص ١٠٠.

المطلب الثالث:

ضوابط التدين الصحيح

الضوابط: جمع ضابط، (هو ما يقصد به نظم صور متشابهة، أو هو ما عمَّ صوراً، أو: ما كان القصد منه ضبط صور بنوع من أنواع الضبط من غير نظر في مأخذها، وإلا فهو القاعدة)، والضابط يجمع فروعاً من باب واحد(1).

من خلال ما تقدم فإن الدين هو الإسلام الذي عاشه وطبقه واقعاً في حياته رسول الأنام - صلى الله عليه وآله وسلم -، وهذه الضوابط تؤخذ من هذا الدين من كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وآله وسلم -.

وقبل أن أشرع في تحديد هذه الضوابط للتدين الصحيح، لا بد أن نعلم ونعتقد أن التشريع حق خالص من حقوق الله - عز وجل -، وهو من أهم خصائص الربوبية والألوهية، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله - تعالى -، والدين ما شرعه سبحانه. قال - تعالى -: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. والدين الذي شرعه الله هو دين الإسلام قال الله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وأكمله ورضيه لعباده سبحانه فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وهذا الإسلام قد جُسد في شخص محمد - صلى الله عليه وسلم - وجعل الله الأسوة والقدوة فيه - صلى الله عليه وسلم - قال الله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. قال الإمام ابن كثير - رحمه الله -: ((هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله وأحواله))(2).

(1) (انظر: معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبدالرحمن عبدالمنعم الناشر: دار الفضيلة - القاهرة، سنة الطبع: ١٩٩٩م، الطبعة: بدون).

(2) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٦ص٣٩١.

وقال الله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨- ١٢٩]. قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: ((قوله – تعالى –: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي: تولوا عما جئتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة))[١].

وقال الله: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]، قال الشيخ السعدي – رحمه الله –: ((﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ إلى الصراط المستقيم، قولاً وعملاً فلا سبيل لكم إلى الهداية إلا بطاعته، وبدون ذلك، لا يمكن، بل هو محال))[٢].

فبطاعته والاهتداء بهديه والتأسي به – صلى الله عليه وآله وسلم – تكون الهداية إلى الصراط المستقيم، ومخالفة أصحاب الجحيم الذين جعل – صلى الله عليه وآله وسلم – أبرز وأوضح صفاتهم أنهم على ما كان عليه – صلى الله عليه وآله وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – حيث قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: [وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة. قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي][٣].

وذلك في العقيدة والقول والعمل، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((فالسنة كالشريعة هي: ما سَنَّه الرسول وما شرعه، فقد يراد به ما سنه وشرعه من العقائد، وقد يراد به ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد به كلاهما. فلفظ السنة يقع على معانٍ كلفظ الشرعة ... واسم "السُّنَّة" و"الشِّرْعة" قد يكون في العقائد والأقوال، وقد يكون في المقاصد والأفعال))[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٤ص٢٤٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٥٧٢.

(٣) سبق تخريجه ص ٨٣.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٩ص٣٠٧.

وعلى ذلك تبنى ضوابط التدين الصحيح، وهي كما يلي:

١. مصادرهم في التلقي للتدين، الكتاب والسنة وإجماع السلف، وفهم السلف هو الحجة، ومنهجهم هو الأسلم والأحكم.

٢. الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – وأصحابه هم الأسوة والقدوة في التدين، ومن سار على نهجهم – من أئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة – ملتزمون بما جاء في الكتاب والسنة، ومقتفون لأثر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – والسلف الصالح إلى يومنا.

٣. العقيدة في تدينهم مبناها على التسليم والاتباع فهي وحي توقيفي، وغيب لا تدركه العقول استقلالاً، ولا تحيط به الأوهام.

٤. قولهم الذي يدينون به في صفات الله – تعالى – وأسمائه وأفعاله واحد، هو قول أئمتهم على عقيدة السلف.

٥. العبادة يدينون فيها بالمتابعة لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – والتي تكون موافقة لما جاء به الرسول– صلى الله عليه وآله وسلم –في أمور ستة: في سببها، وجنسها، وقدرها، وصفتها، وزمانها، ومكانها[1].

٦. أخلاقهم التي يعاملون بها الناس ديانةً، هي أخلاق نبيهم – صلى الله عليه وآله وسلم – والذي [كان خلقه القرآن][2].



(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الرياض، الناشر: دار الوطن – دار الثريا، ١٤١٣هـ، الطبعة: الأخيرة ج٧ ص٣٣٥.

(٢) سبق تخريجه ص ٩٢.

المبحث الثاني

التدين الباطل عند المعتزلة والمرجئة والباطنية والمدرسة الفكرية المعاصرة، والسمات المشتركة مع أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول: تعريف التدين الباطل**
- **المطلب الثاني: مفهوم التدين عند المعتزلة والمرجئة والباطنية وأصحاب المدرسة الفكرية المعاصرة**
- **المطلب الثالث: السمات المشتركة للتدين عند المعتزلة والمرجئة والباطنية والمدرسة العقلانية وأصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين**

المطلب الأول:

تعريف التدين الباطل

سبق معنا في التعريف بمفردات العنوان، ومعنى التدين: قول ابن منظور – رحمه الله – في اللسان تحت مادة (دين): ((وقوله تدين تطيع والدين الطاعة، وقد دِنْته ودِنْتُ له أَطعته، يقال: دانَ بكذا ديانة وتَدَيَّنَ به فهو دَيِّنٌ ومُتَدَيِّنٌ))[1].

وهذا التدين والديانة تكون بدين الإسلام الذي رضيه الله لعباده؛ لذا قال ابن منظور أيضاً في معنى الدين: ((والدِّين: الإِسلام وقد دِنْتُ به، وقال: والدِّين: ما يَتَدَيَّنُ به الرجل))[2].

وجاء في المعجم الوسيط: قوله: الدين) الديانة، وهي اسم لجميع ما يعبد به الله والملة والإسلام والاعتقاد بالجنان والإقرار باللسان وعمل الجوارح بالأركان))[3].

ومعنى الباطل: قال ابن منظور – رحمه الله – في اللسان تحت مادة (بطل): ((بَطَل الشيءُ يَبْطُل بُطْلاً وبُطُولاً وبُطْلاناً ذهب ضيَاعاً وخُسْراً فهو باطل.. والاسم البَطل والباطل نقيض الحق))[4].

والمعنى التدين بما يناقض دين الإسلام كله أو بعضه؛ لأنه من معاني الإسلام: التسليم وهو الانقياد لأمر الله – تبارك وتعالى –، وفي قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]. ومن تدين بما لم يشرعه الله فتدينه فاسد، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((والناس أقسام: أصحاب دنيا محضة: وهم المعرضون عن الآخرة، وأصحاب دين فاسد: وهم الكفار، والمبتدعة الذين يتدينون بما لم يشرعه اللّه من أنواع العبادات، والزهادات والقسم الثالث وهم: أهل الدين الصحيح. أهل الإسلام المستمسكون بالكتاب، والسنة والجماعة))[5].

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٣ ص١٦٤، بتصرف يسير.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج١٢ ص٤٥٩.

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج١ص٣٠٧.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، ج١ ص٣٠٢.

(٥) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٠ص٦٢٣.

قال الشيخ السعدي – رحمه الله –: ((هذا أمر من الله – تعالى – للمؤمنين أن يدخلوا ﴿فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئاً، وألَّا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه، بل الواجب أن يكون الهوى تبعاً للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه فيدركه بنيته))(١).

وسبق أن مر معنا أن التدين: هو عمل الإنسان في الاستجابة لأمر ربه الذي خاطبه به على وجه التكليف، وتكييف الحياة بحسبه في التصوّر والسّلوك. والبطلان يتعلق هنا بفعل الإنسان ومدى التزامه بكيفية أداء ما خوطب به، وهو الحق من الله – تبارك وتعالى –. وهذا يتعلق بما وجه به رسول الله – صلى الله عليه وسلم –أمته بقوله: [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد]، وفي رواية [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد](٢).

قال الإمام النووي – رحمه الله – في شرحه على مسلم: ((باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، قوله – صلى الله عليه وسلم – [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد] وفي الرواية الثانية [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد] قال أهل العربية: الرد هنا بمعنى المردود ومعناه فهو باطل غير معتد به، وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلمه – صلى الله عليه وسلم – فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات، وقال أيضاً: وهذا الحديث مما ينبغي حفظه واستعماله في إبطال المنكرات وإشاعة الاستدلال به))(٣).

فجميع أعمال المكلفين ينبغي أن تندرج تحت الشريعة ولا تخرج عنها بحال، وأن ما خرج عنها فهو باطل مردود على صاحبه، قال الإمام ابن رجب – رحمه الله –: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد فالمعنى إذا أن من كان عمله خارجاً عن الشرع

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٩٤.

(٢) سبق تخريجه في ص ١٣.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم، النووي، ج١٢ص١٦.

ليس متقيداً بالشرع فهو مردود، وقوله: (ليس عليه أمرنا) إشارة إلى أن أعمال العاملين كلها ينبغي أن تكون تحت أحكام الشريعة، فتكون أحكام الشريعة حاكمة عليها بأمرها ونهيها؛ فمن كان عمله جارياً تحت أحكام الشريعة موافقاً لها فهو مقبول ومن كان خارجاً عن ذلك فهو مردود))[1].

قال ابن كثير – رحمه الله –: ((في قوله – تعالى –: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: عن أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سبيله هو ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله، فما وافق ذلك قُبِل، وما خالفه فهو مَرْدُود على قائله وفاعله، كائنا ما كان))[2].

والمبتدعة المخالفون لهذا الأصل من أصول الإسلام يعبدون الله بما لا ينفعهم ولو تعبوا وجهدوا وبكوا وخشعوا في ظاهر أمرهم، فتدينهم باطل مردود عليهم، يقول الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله –: ((فالمبتدع وإن ذكر الله وإن سبح وإن حمد وإن صلى على وجهٍ ليس بمشروع فعمله مردود عليه قد يزين الشيطان للإنسان عبادة فيلين قلبه ويخشع ويبكي ولكن ذلك لا ينفعه إذا كان بدعة بل هو مردود عليه؛ ألم تر إلى النصارى يأتون الكنيسة ويبكون ويخشعون أشد من خشوع بعض المسلمين ومع ذلك لا ينفعهم هذا لأنهم على ضلالة كذلك أهل البدع نجد مثلاً من أهل البدع ولاسيما الصوفية نجد عندهم أذكار كثيرة يذكرون الله ويبكون ويخشعون وتلين قلوبهم لكن هذا كله لا ينفعهم؛ لأنه على غير شرع الله قال النبي – صلى الله عليه وسلم – [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد]، مردود عليه، وقال: [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد][3].

والمتابعة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخاصة في أمر العبادة لا تتحقق إلا بموافقته – صلى الله عليه وسلم – في ستة أمور، وهي: السبب، والجنس والقدر، والصفة،

(١) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، ج١ص٢٦٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٦ص٨٩.

(٣) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى:١٤٢١هـ)، الرياض، نشر: دار الوطن، ١٤٢٦هـ، ج١ص١٦٩١.

والزمان، والمكان.

يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في حديثه عن متابعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأن المتابعة شرط في قبول العبادة، وأن المتابعة تتحقق بأمور ستة: ((المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقاً للشريعة في أمور ستة:

الأول: السبب، فإذا تعبد الإنسان لله عبادة مقرونة بسبب ليس شرعياً فهي بدعة مردودة على صاحبها.

الثاني: الجنس، فلا بد أن تكون العبادة موافقة للشرع في جنسها، فلو تعبد إنسان لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة.

الثالث: القدر، فلو أراد إنسان أن يزيد صلاة على أنها فريضة فنقول: هذه بدعة غير مقبولة؛ لأنها مخالفة للشرع في القدر.

الرابع: الكيفية، فلو أن رجلاً توضأ فبدأ بغسل رجليه، ثم مسح رأسه ثم غسل يديه، ثم وجهه فنقول: وضوؤه باطل؛ لأنه مخالف للشرع في الكيفية.

الخامس: الزمان، فلو أن رجلاً ضحى في أول أيام ذي الحجة فلا تقبل الأضحية؛ لمخالفة الشرع في الزمان.

السادس: المكان، فلو أن رجلاً اعتكف في غير مسجد فإن اعتكافه لا يصح، وذلك لأن الاعتكاف لا يكون إلا في المساجد. ثم قال - رحمه الله -: وإنني أقول لهؤلاء الذين ابتلوا بالبدع - الذين قد تكون مقاصدهم حسنة ويريدون الخير -: إذا أردتم الخير فلا والله نعلم طريقاً خيراً من طريق السلف - رضي الله عنهم -.

أيها الإخوة، عضوا على سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالنواجذ، واسلكوا طريق السلف الصالح، وكونوا على ما كانوا عليه))[1].

وعلى هذا فكل من تدين لله بعمل لم يكن عليه أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو باطل مردود على صاحبه.

(١) مجموع فتاوى ورسائل، محمد ابن عثيمين، ج٥ ص٢٥٤.

المطلب الثاني:
مفهوم التدين عند المعتزلة والمرجئة والباطنية
وأصحاب المدرسة الفكرية المعاصرة

والمقصود هنا ذكر عوامل الانحراف والميل التي وقعت فيها تلك الفرق، وجعلتها تنحرف في تدينها لله رب العالمين في عقيدتها وعبادتها ومعاملاتها وأخلاقها.

أولاً: مفهوم التدين عند المعتزلة

وأهدف هنا إلى ما استقرت عليه المعتزلة، وأصل مبدأهم في تقديم عقولهم المخلوقة على الوحي المنزل، مما جعلهم يتخبطون وفي أودية الضلالة يضيعون وفي الغواية ينغمسون، فخرجوا بآراء شاذة وعقائد منحرفة، خالفت طريق السلف وأصبحت ديناً يدينون به، كان سبباً في انحراف وضلال كل من تلقفه من بعدهم وسار على بدعتهم.

ومن تلك الانحرافات والضلالات التي ترتبت عندهم على ذلك الأصل ما يلي:

١. استقلال عقولهم بالعلم بالله ومعرفة أسمائه وصفاته: وعطلوا السمع، وهم يوجبون على المكلف النظر العقلي، ويرون أنه لا يمكن معرفة الله وأسمائه وصفاته - تعالى - وكونه قادراً حياً موجوداً سميعاً بصيراً، إلا بالنظر في الحوادث والمخلوقات، وقالوا: ((معرفة الله - تعالى - لا تُنال إلا بحجة العقل))[1]؛ ولذا شاع عنهم وأصبح من مذهبهم إنكار صفات الله سبحانه وتجرؤوا على الله وقالوا مقالات شنيعة في حقه سبحانه.

٢. أوجبوا على الله ما لا يليق بجلاله، بمحض عقولهم القاصرة، وما ذلك إلا نتيجة لتقديم عقولهم ولم يجعلوها تابعة ومنقادة للوحي، فأوصلتهم تلك العقول المجردة إلى الجرأة على الله وأن يوجبوا عليه ما لا يليق بذاته وصفاته، فقالوا: ((إنه - تعالى - إذا علم صلاحنا في بعثة الرسل وأن نتعبد بالشريعة، وجب أن يبعث ونتعبد، ومن العدل ألا يُخِل بما هو واجب عليه))[2].

(١) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ج١ ص٨٨.

(٢) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ج١ ص١٢٣.

وأوصلهم هذا التحكم والجرأة على الله إلى أكثر من ذلك، وقادهم عقولهم المرتكسة الضالة لأن يقولوا أعظم من ذلك، فهذا النظَّام[1] وهو من أكثر المعتزلة تطاولاً وجرأة على الله يقول: عن الله – عز وجل – ((لا يقدر أن يفعل بعباده خلاف ما فيه صلاحهم، ولا يقدر أن يُنقص من نعيم أهل الجنة ذرة؛ لأن نعيمهم صلاح لهم والنقصان فيما فيه صلاح ظلم لهم، ولا يقدر أن يزيد في عذاب أهل النار ذرة، ولا على أن يُنقص من عذابهم شيئاً))[2].

وأيضاً بلغ من جرأتهم ووقاحتهم فوق ذلك، ففي تاريخ بغداد أورد الخطيب البغدادي: ((سمعت عمرو بن عبيد يقول وذكر حديث الصادق المصدوق فقال لو سمعت الأعمش[3] يقول هذا لكذبته، ولو سمعت زيد بن وهب[4] يقول هذا ما أجبته، ولو سمعت عبد الله بن

(١) النظام: شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، أبو إسحاق إبراهيم بن سيار مولى آل الحارث بن عباد الضبعي البصري المتكلم. تكلم في القدر، وانفرد بمسائل، وهو شيخ الجاحظ. وقال بعضهم: كان النظام على دين البراهمة المنكرين للنبوة والبعث، ويخفي ذلك. كان شاعراً أديباً بليغاً وله كتب كثيرة في الاعتزال والفلسفة وتصانيفه جمة، منها: كتاب "الطفرة" وكتاب "الجواهر والأعراض"، وكتاب "حركات أهل الجنة"، وكتاب "الوعيد"، وكتاب "النبوة"، (توفي:٢٣١هـ)، (السير، الذهبي، ج١٠ص٥٤١، ولسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، بيروت، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، الطبعة الثالثة، ج١ص٢٩٥).

(٢) الفرق بين الفرق، عبد القاهر الإسفرائني، ص١١٥.

(٣) سليمان بن مهران الأعمش الأسدي يكنى أبا محمد، وكيع قال كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى واختلفت إليه قريباً من سبعين فما رأيته يقضى ركعة، أدرك الأعمش جماعة من الصحابة وعاصرهم، (توفي:١٤٨هـ) (صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي، (المتوفى:٥٩٧هـ)، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، الطبعة: الثانية، ج٣ص١١٧. وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، (المتوفى: ٤٣٠هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الرابعة، ج٥ص٤٦).

(٤) زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي: إمام مخضرم قدم المدينة بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وسلم – بأيام، سمع عمر وعثمان وعلياً وابن مسعود وأبا ذر وحذيفة رضي الله عنهم وكان ثقة جليل كثير العلم (توفي: ٨٤هـ وقيل٩٦هـ) (تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (المتوفى:٧٤٨هـ)، بيروت–لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، ج١ص ٥٣، وتقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، =

مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله – تعالى – يقول هذا لقلت له ليس على هذا أخذت ميثاقنا))(1).

ولذا فلا يستغرب أحد من سوء أدب وجرأة معتزلة زماننا، بما يسودون به الصحف اليومية، فهم على طريق سادهم سائرون ولنهجهم مقتفون ولبدعتهم متبعون.

٣. زعمهم وجود خالق مع الله، وذلك بنفيهم أن يكون الله هو خالق أفعال عباده، وقولهم: إن الإنسان يخلق أفعال نفسه، وهم بذلك لا يريدون نسبة الشر إلى قدر الله، فوقعوا في شر مما فروا منه، بقولهم: ((إن الله – تعالى – لا يجوز أن يكون خالقاً لأفعال العباد))(2).

وبعد نفيها عن الله، أثبتوها في حق عباده فقالوا: ((أن قالت المعتزلة: وجدنا أفعالنا واقعة على حسب قصدنا، فوجب أن تكون خلقاً لنا وفعلاً لنا، قالوا: وبيان ذلك أن الواحد منا إذا أراد أن يقوم قام، وإذا أراد أن يقعد قعد، وإذا أراد أن يتحرك تحرك، وإذا أراد أن يسكن سكن، وغير ذلك، فإذا حصلت أفعاله على حسب قصده ومقتضى إرادته، دل على أن أفعاله خلق له وفعل له، وقالوا: إن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وإنهم المحدثون لها))(3).

٤. تحريفهم للقرآن وإنكارهم للسنة وطعنهم في بعض الصحابة رواة الحديث – رضي الله عنهم – فيما يخالف عقولهم، كما في نفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الجنة وقد جاءت في كتاب الله وصحت بها السنة المتواترة، ونفيهم لشفاعته – صلى الله عليه وسلم – لأهل الكبائر من أمته رغم تواترها.

٥. اختراعهم أصولاً ومبادئ عقدية، لم ترد عن الله، ولم تثبت عن رسول الله – صلى

=

(المتوفى:٨٥٢هـ)، مكان النشر: سوريا، الناشر: دار الرشيد، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، ص٢٢٥).

(١) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج١٢ص١٧٠.

(٢) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص٣٤٥.

(٣) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ص٣٢٣.

الله عليه وسلم -، ومن أعظم ذلك ما ابتدعوه من أصول الإيمان والعقيدة الخمسة عندهم، وغير ذلك من البدع التي بنوا عليها تدينهم الباطل، وقد سبقت الإشارة إليها قريباً[1].

ونخلصُ من هذا إلى تأثير المعتزلة في التدين من خلال ما يلي:

- التوحيد عندهم اعتقادهم أن الله وحده خلق العالم (توحيد الربوبية)، وذلك هو توحيدهم الذي شهدوا به وفنوا فيه، ولم يقروا بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزموا بعبادته وحده لا شريك له، وخالفوا بذلك عقيدة الموحدين.
- اعتقادهم أن الله سبحانه بذاته في كل مكان، فقالوا بالحلول والاتحاد ووقعوا في بدعة التصوف.
- مخالفون في توحيد الأسماء والصفات، فلا يثبتون لله ما أثبته لنفسه - سبحانه - من الأسماء والصفات بل خالفوا منهج السلف في ذلك أشد المخالفة.
- الابتداع والاختراع في الدين بما يوافق أصولهم الخمسة.
- أوهام عقولهم وظنونهم، التي وضعوها لأنفسهم وأسموها عقليات أو قواعد عقلية، جعلوها هي الأصل في تقرير العقيدة وأصول الدين، وقدموها على نصوص الكتاب والسنة، فضلوا وأضلوا.
- الجرأة على الله ودينه، والاعتراض على شرعه، واستحسان الهوى وكلام الفلاسفة.
- دلالة القرآن عندهم لفظية سمعية، والدلالة السمعية اللفظية لا تفيد اليقين، وردوا خبر الواحد فأخبار الآحاد لا تفيد العلم عندهم.

ثانياً: مفهوم التدين عند المرجئة

ولهذا التدين عند المرجئة عوامل انحراف أفرزته وأسباب ميل صنعته، حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه، وذلك من خلال ما يلي:

١. انحرافهم في مفهوم لا إله إلا الله على يد المرجئة:

---

(١) انظر: ص ٤٦- ٤٨.

وذلك مبني على ما ادعوه من أن الإيمان هو مجرد المعرفة فقط دون أي قول أو عمل، وهذا ما حكاه الأشعري عند ذكره لاختلاف المرجئة في الإيمان: ((اختلفت المرجئة في الإيمان ما هو؟ وهم اثنتا عشرة فرقة فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهما والعمل بالجوارح فليس بإيمان))[1].

ومنهم من يرى الإيمان مجرد القول أو التصديق، وبذلك يكون من قال: لا إله إلا الله فهو مؤمن، ولو لم يعمل عملاً واحداً من أعمال الإسلام[2]. فوجد من المسلمين بناءً على هذا الفهم من يقول لا إله إلا الله بلسانه فقط، ولا يكون لها أثرٌ في حياته، وهذا انحراف خطير، والخطورة في انحسار مفهوم لا إله إلا الله، بينما هي كلمة في حقيقتها منهج متكامل للحياة، فلا إله إلا الله تشمل الاعتقاد بوحدانية الله في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، كما تشمل إفراده وحده سبحانه بالعبادة فلا يعبد معه غيره، ويكون التحاكم إلى شريعته دون غيرها من الشرائع والتخلق بأخلاق وآداب لا إله إلا الله وتكون لا إله إلا الله منهجاً عملياً وواقعاً سلوكياً في حياة المسلم يعيش عليه ويموت عليه.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله –: ((فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفرة بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني))[3].

وتلك هي الجناية الكبرى التي جناها الفكر الإرجائي على الأمة الإسلامية، والتي ظلت

---

(١) مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، ج١ص ١٣٢.

(٢) انظر: واقعنا المعاصر، محمد قطب، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى، ج١ ص١٣٢.

(٣) كشف الشبهات، الإمام محمد بن عبد الوهاب (المتوفى:١٢٠٦هـ)، المملكة العربية السعودية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ، الطبعة: الأولى، ج١ص٦.

– مع عوامل أخرى – تفرّغ لا إله إلا الله من محتواها الحقيقي تدريجياً حتى أحالتها في النهاية إلى كلمة خاوية من الروح[1]. ليس هذا فحسب بل زادوا على ذلك ما قاله شيخ الإسلام: محمد بن عبد الوهاب، (أسكنه الله الفردوس الأعلى): ذكر بعض الفوائد التي في قصة الحديبية، منها – وهي أعظمها –: تسميةُ اللهِ، لا إله إلا الله كلمةَ التقوى، وجعلَها أعداءُ اللهِ كلمةَ الفجور[2].

بل وصل الحال ببعضهم أن قول لا إله إلا الله باللسان ليس شرطاً في الإيمان عندهم وإنما يكفي حصول الإيمان في القلب لنجاة صاحبه ولو صنع ما صنع، ((ولقد وصل الشذوذ بالمرجئة الغالية – كالأشاعرة ومن حذا حذوهم – إلى حد القول بأن لا إله إلا الله باللسان ليس شرطاً في الإيمان عندهم، بل قالوا: يكفي حصول الإيمان في القلب لنجاة صاحبه عند الله، وأما أحكام الدنيا فإنما جُعِلت الشهادتان أمارةً على ما في القلب لنحكم على قائلها بالإيمان، وهذا هو الغاية من الشهادتين عندهم، وليس لهم على هذا من شبهة إلا شبهة أن الإيمان محله كله القلب، وأن ما يظهر على الجوارح مجرد أمارات وثمرات))[3].

ورد على هذه الشبهة شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –، فقال في جوابه لمن قال: ((أنا لو فعلت كل ما لا يليق، وقلت لا إله إلا الله: دخلت الجنة و لم أدخل النار؟ فأجاب – رحمه الله –: الحمد لله رب العالمين، من اعتقد أنه بمجرد تلفظ الإنسان بهذه الكلمة يدخل الجنة ولا يدخل النار بحال فهو ضال، مخالف للكتاب والسنة وإجماع المؤمنين، فإنه قد تلفظ بها المنافقون الذين هم في الدرك الأسفل من النار، وهم كثيرون، بل المنافقون قد يصومون ويصلون ويتصدقون، ولكن لا يتقبل منهم))[4].

واعتقاد المرجئة هذا ترتب عليه إهمالهم لأعمال القلوب الذي له من الآثار المدمرة في

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، القاهرة، دار الشروق، ١٩٠٥م، الطبعة: الأولى، ص٢٦.

(٢) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، الطبعة: السادسة، ج١٩ ص٣٨٧، المكتبة الشاملة. www.shamela.ws.

(٣) ظاهرة الإرجاء، سفر الحوالي، ج٢ ص٣٥٩.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٣ص٥١٦.

حياة الأمة الشيء الكثير. ومن أعظم ذلك انحسار مفهوم العبادة وتضييقه، وانتقاص توحيد الألوهية، ووقوع الأمة في الشرك الأكبر حتى أصبح المرجئة في عصرنا الحاضر يجاهرون بإنكار دخول الأعمال في العبادة والتأله. فقالوا: إن الرجاء والمحبة والرضا والانقياد والطاعة ونحوها من تعبدات القلب، بل الدعاء والاستغاثة بالمخلوقين لا علاقة لها بالشرك، ولا يسمى فاعلها – لغير الله – مشركاً ما دام يقول: لا إله إلا الله، ويعتقد بقلبه صدق الرسول فيما جاء به! وينحصر الشرك بزعمهم في اعتقاد القلب أن هذا المخلوق إله أو رب معبود .. أما إذا عمل أعمال الكفر، كالتشريع من دون الله مع اعتقاده أن ذلك لا يخرجه من الملة فليس بكافر.

وقد وصل بهم التمادي إلى إخراج شعائر التقرب والتنسك؛ كالنذر، والتوسل، والذبح، والتعظيم من مسمى العبادة، بل صرحوا بأن السجود للصنم ليس بكفر لذاته[1]. وقد صرح هؤلاء بنفي أن يكون النطق بشهادة أن لا إله إلا الله داخلاً في الإيمان. يقول أبو منصور البغدادي – أحد أئمة الأشعرية –: ((وأما الإقرار: وهو قول كلمة الشهادة والعمل: الذي هو فعل المأمورات وترك المنهيات فليسا من الإيمان ولا يكون تاركها كافراً فإن كان تاركاً للإقرار كان مؤمناً عند الله فحسب، وإن كان تاركاً للعمل كان مؤمناً عند الله وفي أحكام الدنيا أيضا!))[2].

ويقول التفتازاني[3]: عن مسألة "النطق بالشهادة وحكمها": ((إن ها هنا مطلبين:

الأول: أن الإقرار ليس جزءاً من الإيمان.

والثاني: أنه (أي الإيمان) التصديق لا غير))[4].

(١) ظاهرة الإرجاء، سفر الحوالي، ج٢ ص٩٥.

(٢) ظاهرة الإرجاء، سفر الحوالي، ج٢ ص٥٩.

(٣) مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتازاني ولد بتفتازان الإمام العلامة، عالم بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين والمنطق وغيرها، شافعي، من كتبه (تهذيب المنطق والمطول في البلاغة، والمختصر) (توفي:٧٩٣هـ) (الأعلام، الزركلي، ج٧ ص٢١٩، وبغية الوعاة، السيوطي، ج٢ ص٢٨٥).

(٤) شرح العقائد النسفية، مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتازاني، (توفي:٧٩٣هـ)، نشر: بيروت، مكتبة دار البيروتي، ٢٠٠٧م، الطبعة: الأولى، ص ٤٨.

٢. انحرافهم في باب العلم وجهلهم بما دل عليه الكتاب والسنة:

وذلك هو أساس الداء وأصل البلاء الذي أوقعهم في سلوك سبيل المبتدعة، ولو اعتصموا بالكتاب والسنة لعصموا وسلموا، قال الإمام الشاطبي – رحمه الله –: ((وذلك أن الإحداث في الشريعة إما يقع من جهة الجهل، وإما من جهة تحسين الظن بالعقل، وإما من جهة اتباع الهوى في طلب الحق وهذا الحصر بحسب الاستقراء من الكتاب والسنة))[١].

وأعظم الجهل هنا يكون بما دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه المسلمون، وهذا أكثر ما وقع فيه المتكلمون قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((لَكِنْ كثيرٌ من المتكلمين أوأكثرهم لا خبرة لهم بما دل عليه الكتاب والسنة وآثار الصحابة والتابعين لهم بإحسان، بل ينصر مقالات يظنها دين المسلمين، بل إجماع المسلمين، ولا يكون قد قالها أحد من السلف، بل الثابت عن السلف مخالف لها))[٢].

وسبب ذلك الجهل إعراضهم عن طلب الهدى والعلم في كلام الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –، وطلبوه من كلام غيره فضلوا طريق العلم، بل عارضوه وناقضوه قال شيخ الإسلام: ((فتبين أن قول الذين يعرضون عن طلب الهدى والعلم في كلام الله ورسوله ويطلبونه في كلام غيره من أصناف أهل الكلام والفلسفة والتصوف وغيرهم هم من أجهل الناس وأضلهم بطريق العلم فكيف بمن يعارض كلامه بكلام الذين عارضوه وناقضوه ويقول إن الحق الصريح والعلم والهدى إنما هو في كلام هؤلاء المناقضين المعارضين لكلام رسول رب العالمين))[٣].

وقد يكون بعض هؤلاء من الأذكياء المميزين في بعض أنواع العلوم الطبيعية وخاضوا فيما لا يُحسنون، فأتوا بالعجائب، وفيهم يقول شيخ الإسلام: ((ولكن دخلت الشبهة في ذلك بأن قوما كان لهم ذكاء تميزوا به في أنواع العلوم: إما طبيعية كالحساب والطب، وإما

(١) كتاب الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى:٧٩٠هـ)، الرياض، نشر: دار ابن عفان، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، ج٢ص٨٠٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٧ص٣٣٤.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٣ ص٩٢.

شرعية كالفقه مثلاً وأما الأمور الإلهية فلم يكن لهم بها خبرة كخبرتهم بذلك وهي أعظم المطالب وأجل المقاصد فخاضوا فيها بحسب أحوالهم وقالوا فيها مقالات بعبارات طويلة مشتبهة))[1].

وقد يكون بعضهم لا يقصد إلا الخير ولكنه يقع في الآراء الفاسدة، والأحكام الشاذة، والمواقف المخالفة للسنة، لجهله بأعظم المطالب وأجل المقاصد وهي مقاصد الشريعة. قال الإمام الشاطبي – رحمه الله –: ((هذه الأسباب الثلاثة راجعة في التحصيل إلى وجه واحد: وهو الجهل بمقاصد الشريعة والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت، أو الأخذ فيها بالنظر الأول، ولا يكون ذلك من راسخ في العلم))[2].

ومن انحرافهم في باب العلم، إعراضهم عن فهم كتاب الله كما فهم الصحابة والتابعون وأئمة الهدى، فالإعراض عن فهم كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –كما فهمها السلف مشاقة للرسول – صلى الله عليه وسلم –، واتباع غير سبيل المؤمنين قال الله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف الإعراض عن فهم كتاب الله – تعالى – كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دل عليه بما يناقضه وهذا هو من أعظم المحادة لله ولرسوله، لكن على وجه النفاق والخداع))[3].

ومن أعظم الأسباب في انحرافهم في باب العلم وجهلهم الاستغناء في أخذ العلم عن القدوة (العلماء) وقلة مجالستهم أو هجرهم، والتتلمذ على الأصاغر الذين لم يكتمل فقههم، فقد أغنى الله – تعالى – عن التلقي عن هؤلاء حيث حفظ لنا كتابه وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وآثار سلفنا الصالح وبقاء طائفة على الحق ظاهرة إلى قيام الساعة وعلى

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٣ ص٦٣.

(٢) الاعتصام، الشاطبي، ج٢ ص٦٩٠.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج٣ص٩٥.

رأسهم العلماء الأئمة العدول الثقات، وأن يحمل هذا الدين من كل خلف عُدُولُه. قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: (لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا)[1].

ومن الانحراف والخلل كذلك عدم عنايتهم بالرواية والأسانيد، فيروون الحديث الضعيف والموضوع وربما ساقوا القصص الغريبة والمنكرة من غير تمحيص وتدقيق، وهذا كله إعراض عن منهج السلف، وتقريراتهم للدين، وهو إعراض عن الهدى، واتباع للهوى، ومفارقة للحق وأهله، وهو سمة عامة لسائر أهل الافتراق والبدع والأهواء.

٣. انحرافهم في مفهوم العبادة:

وانحرافهم في هذا الباب، قائمٌ على أصل الانحراف في مفهوم لا إله إلا الله، الذي هو أساس الداء وسبب الضلال عند المرجئة، فأصبحوا يعتقدون أن التصديق القلبي المجرد من قول اللسان وعمل الأركان هو حقيقة الإيمان الذي أنزل الله به الكتب وبعث به الرسل وجعله سبب النجاة من عذابه في الآخرة. ((وأصبح معنى كون الصلاة والزكاة والحج أركاناً للإسلام هو اعتقاد وجوبها والإقرار به وإن لم يعمل من ذلك شيئاً))[2].

ولقد تحول هذا الفكر إلى إخراج العمل من مسمى الإيمان كما عرفنا، وأصبح الإنسان مؤمناً كامل الإيمان ولو لم يركع لله ركعة، ولو لم يعمل في الإسلام خيراً.

وفي مثل هذا يقول شيخ الإسلام في معرض حديثه عن وجوب الصلاة وأنها عمل وجزء من الإيمان: ((فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط فمن لم يفعل لله شيئاً فما دان لله ديناً، ومن لا دين له فهو كافر))[3].

وإيمان الباطن لا ينفك عن إسلام الظاهر بحال، وأن ما وقر في القلب من حب الله

---

(١) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري ابن عبد البر، ج١ص٣١٣.

(٢) ظاهرة الإرجاء، سفر الحوالي، ج١ ص١١.

(٣) شرح العمدة في الفقه، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (المتوفى:٧٢٨هـ)، الرياض، الناشر: مكتبة العبيكان، ١٤١٣هـ، الطبعة: الأولى، ج٤ص٨٦.

وتعظيمه وخوفه لابد من أن يظهر على الجوارح عملاً يصدق ما في الباطن، وإلا كان مجرد ادعاء لا حقيقة له في قلب صاحبه، يقول ابن القيم- رحمه الله -: ((والله – تعالى – أمر عباده أن يقوموا بشرائع الإسلام على ظواهرهم وحقائق الإيمان على بواطنهم ولا يقبل واحداً منهما إلا بصاحبه وقرينه، وفي المسند مرفوعاً: [الإسلام علانية والإيمان في القلب][1]، فكل إسلام ظاهر لا ينفذ صاحبه منه إلى حقيقة الإيمان الباطنة فليس بنافع حتى يكون معه شيء من الإيمان الباطن، وكل حقيقة باطنة لا يقوم صاحبها بشرائع الإسلام الظاهرة لا تنفع ولو كانت ما كانت فلو تمزق القلب بالمحبة والخوف ولم يتعبد بالأمر وظاهر الشرع لم ينجه ذلك من النار كما أنه لو قام بظواهر الإسلام وليس في باطنه حقيقة الإيمان لم ينجه من النار))[2].

وقال شيخ الإسلام – رحمه الله – مؤكداً المعنى نفسه: ((والمرجئة أخرجوا العمل الظاهر عن الإيمان، فمن قصد منهم إخراج أعمال القلوب أيضاً وجعلها هي التصديق، فهذا ضلال بين، ومن قصد إخراج العمل الظاهر قيل لهم: العمل الظاهر لازم للعمل الباطن لا ينفك عنه، وانتفاء الظاهر دليل انتفاء الباطن))[3].

وهنا لابد أن نذكر فرقاً بين ما كان عليه المرجئة السابقون وما آل إليه حال المعاصرين، فقد كان في السابقين من العباد والفقهاء العالمين بمقتضى هذا الدين في واقع حياتهم، فلا هم تقاعسوا عن العمل ولا دعوا إلى التقاعس عنه، وحافظوا على عبادتهم وأعمالهم وخاصة الصلاة وتحاكمهم إلى شريعة الله، بل إنهم حين كانوا يكتبون في الفقه بوعي كامل أن هذا الدين اعتقاد وعمل لا ينفصلان. ولكنها لوثة الفلسفة والمنطق والفكر التي يحدث فيها ما يحدث من الخلل والانحراف والاضطراب.

---

(١) مسند أحمد، مسند أنس – رضي الله عنه –، وقال الألباني – رحمه الله – (ضعيف) انظر: الإيمان، أحمد بن تيمية الحراني، (المتوفى:٧٢٨هـ)، تحقيق: خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، الطبعة: الرابعة، ج١ص٩.

(٢) الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (المتوفى:٧٥١هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، الطبعة: الثانية، ج١ص١٤٢.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧ص٥٥٤.

وفي ذلك يقول محمد قطب: ((لقد كان المرجئة القدامى على كلٍّ ما حرفوا في مفهوم لا إله إلا الله، قد وقفوا عند نقطتين اثنتين، لا يتجاوزونهما في كل ما يخرجونه من "العمل" من مقتضى الإيمان: الصلاة والتحاكم إلى شريعة الله، وإن كانوا – نظرياً – يقولون: إن العمل كله خارج من مقتضى الإيمان، إلا أنهم حين يتكلمون في الفقه – وكثير منهم كانوا فقهاء – يعرفون جيداً أن هناك أعمالاً لا بد من أن يحافظ عليها الإنسان لكي تظل له صفة الإسلام في المجتمع المسلم، أهمها الصلاة والتحاكم إلى شريعة الله))[1].

وفي مفهوم العبادة، شابه المرجئة الصوفية من وجه التساهل في الدين وترك العمل، والمرجئة أخرجوا العمل من الإيمان والصوفية زووه وحصروه في صوامعهم بعيداً عن الواقع والحياة، ومن تأثير الفكر الإرجائي في حياة الناس وُجِدَ من يقول لا يضرّ مع الإيمان شيء ومن يزعم أنّ من قال لا إله إلاّ الله بلسانه فقد تجاوز القنطرة ولن يضره بعد ذلك إنْ نقضها بأقواله وأفعاله ألف مرة ومرة ... – ولا حول ولا قوة إلاّ بالله – وشابهه في ذلك الفكر الصوفي الذي انتقل إلى العامة وصارت لا إله إلاّ الله والدين كلّه لا مجال له إلاّ النفس ولا علاقة له بالواقع ألبتّة، بل أكثر من ذلك فحتى النفس ذاتها لا يعمل الدين فيها إلاّ في مجال الشعائر التعبدية لا غير (الصلاة والذكر والدعاء والحجّ والطواف ...) أما معاملات الأفراد وتصرفاتهم فلا علاقة للدين بها وإذا أضيف إلى ذلك كلّه بدعهم وشركياتهم واعتقادهم في مشايخهم لن يبقى من الإسلام إلاّ اسمه – ولا حول ولا قوة إلاّ بالله –.

بل وصل الحال ببعض الصوفية إلى القول بسقوط التكاليف وسقوط التعبدات وأنَّ الإنسان يترقَّى، كما يقولون: إنَّ الله – تعالى – يقول: ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، فإذا جاء اليقين أو إذا وصلت إلى الحقيقة: سقطتْ عنك الشريعة؛ لأنَّ الصوفي عندهم يبدأ مُريداً، ثمَّ سالكاً، ثم واصلاً، والواصل: أي: الذي وصل إلى الحقيقة وسقطت عنه التكاليف، وسقطت عنه التعبدات.

٤. انحراف في مفهوم العمل، بالتساهل في الدين وأحكامه وحدوده:

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، ص٧٣.

وذلك ثمرة مرة من ثمار القول بالإرجاء، وبسببه برزت مظاهر الإعراض عن دين الله وشرعه كلياً أو جزئياً وبخاصة بعد القرون الثلاثة الفاضلة، بل إن هذه الأمة أخذت بالتراخي عن العمل بالتدريج، والانحدار من قمة الامتثال رويداً رويداً، وكانت تجد في الإرجاء تفسيراً مريحاً يبرر لها تراخيها وتفريطها، فكل ما انحسر عنه العمل واقعياً ستره ثوب الإرجاء الواسع نظرياً ...

لقد صارت هذه الأمة تعتقد أن التصديق القلبي المجرد من قول اللسان وعمل الأركان هو حقيقة الإيمان الذي أنزل الله به الكتب وبعث به الرسل، بل وصل الحال ببعض أفراد الأمة أن كان الإرجاء من أسباب شيوع المعاصي والفجور بدعوى أن المعول على ما في القلب[1].

وبعضهم يتخذ من بعض النصوص ذريعة وطريقاً لطرح التكاليف وطي بساط الشريعة وتخدير الناس وترك الطاعة والانغماس في المعصية، قال ابن حجر- رحمه الله - عند شرحه لحديث [مَن مات لا يشرك بالله شيئاً، دخَل الجنة][2]: ((قال الطيبي[3]: قال بعض المحققين قد يتخذُ - من أمثال هذه الأحاديث - المبطلةُ ذريعةً إلى طرح التكاليف وإبطال العمل ظناً أن ترك الشرك كاف وهذا يستلزم طي بساط الشريعة وإبطال الحدود وأن الترغيب في الطاعة والتحذير عن المعصية لا تأثير له بل يقتضي الانخلاع عن الدين والانحلال عن قيد الشريعة والخروج عن الضبط والولوج في الخبط وترك الناس سدى مهملين وذلك يفضي إلى

---

(١) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء، ناصر العقل، ج٢ ص٢٣٨. وظاهرة الإرجاء، سفر الحوالي، ج٢ ص٣٣١.

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله، حديث رقم (١٢٣٨)، ومسلم، ١كتاب الإيمان، ٤٠باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ومن مات مشركاً دخل النار، حديث رقم (١٥١).

(٣) الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي الإمام المشهور صاحب شرح المشكاة وكان كريماً متواضعاً حسن المعتقد شديد الرد على الفلاسفة والمبتدعة، مقبلاً على نشر العلم آية في استخراج الدقائق من القرآن والسنن (توفي سنة: ٧٤٣هـ) (الدرر الكامنة، ابن حجر، ج١ص٢٠٨، وبغية الوعاة، السيوطي، ج١ص٥٢٢).

خراب الدنيا))[1].

ومما زاد في ذلك أن الإرجاء في بعض مراحله نشأ نشأة سياسية، ولهذا كان المرجئة دوماً أداةً طيعةً بيد الملوك والحكام والساسة؛ لأن محصلة عقيدتهم الضالة أنهم يقولون: دعوا من تولى عليكم، يقول ويفعل ما شاء، لأنه مؤمن بمجرد انتسابه إلى الإسلام، يكفيه ذلك، والله يحكم فيه يوم القيامة، ليس ذلك إليكم، (يقول النضر بن شميل[2]: قال لي المأمون: يا أبا الحسن، الإرجاء دين الملوك)[3].

٥. انحرافهم في مصدر التلقي وأخذهم عن اليونان فلسفتهم، وعن الصابئين والبراهمة آرائهم، وعن المجوس والنصارى خرافاتهم:

فعن سعيد بن جبير – رحمه الله – قال: ((مثل المرجئة مثل الصابئين، وذكر المرجئة فضرب لهم مثلاً فقال: مثلهم مثل الصابئين، إنهم أتوا اليهود فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: اليهودية، قالوا: من نبيكم؟ قالوا: موسى، قالوا: فماذا لمن تبعكم؟ قالوا: الجنة، ثم أتوا النصارى فقالوا: ما دينكم؟ قالوا: النصرانية، قالوا: فما كتابكم؟ قالوا: الإنجيل، قالوا: فمن نبيكم؟ قالوا: عيسى، قالوا: فماذا لمن تبعكم؟ قالوا: الجنة، قالوا: فنحن بين دينين))[4]. قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: ((ما ليل بليل، ولا نهار بنهار من المرجئة باليهود))[5].

---

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج١١ص٢٧٠.

(٢) النضر بن شميل الإمام أبو الحسن المازني البصري النحوي نزيل مرو، وكان رأساً في الحديث رأساً في اللغة والنحو ثقة صاحب سنة (توفي: ٢٠٣هـ) في آخر يوم من سنة ثلاث ودفن في أول سنة أربع من الغد وعاش ثمانين سنة، وله من الكتب: كتاب الصفات وكتاب السلاح والمعاني وغريب الحديث والأنواء (العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (المتوفى:٧٤٨هـ)، مكان النشر: الكويت، الناشر: مطبعة حكومة الكويت، سنة النشر ١٩٨٤م، ج١ ص٣٤٢، والوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، ج٢٧ ص٧٨).

(٣) الكُنى والأسماء، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، (المتوفى:٣١٠هـ)، بيروت لبنان، الناشر: دار ابن حزم، سنة النشر: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، ج٣ ص٢٦٠.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ج٤ ص٤٢٦.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، اللالكائي، ج٤ ص٤٢٨.

قلت: سبحان الله، كيف وصف السلف المرجئة بهذا الوصف، وأنهم شابهوا اليهود كشبه النهار النهار، والليل الليل، في فساد دينهم، وغشيناهم المحارم وارتكابهم الحُرمات مُغترين بمغفرة الله مع إصرارهم على المعاصي، كما وصفهم الله في كتابه، فقال: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

قال الإمام القرطبي[(١)] – رحمه الله –: (قال المفسرون: هم اليهود ورثوا كتاب الله فقرؤوه وعلموه وخالفوا حكمه وأتوا محارمه مع دراستهم له فكان هذا توبيخاً لهم وتقريعاً ... ثم ذمهم باغترارهم في قولهم سيغفر لنا وأنهم بحال إذا أمكنتهم ثانية ارتكبوها فقطعوا باغترارهم بالمغفرة وهم مصرون وإنما يقول سيغفر لنا من أقلع وندم[(٢)]، ... عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب أعمالهم طمع لا يخالطه خوف إن قصروا قالوا سنبلغ وإن أساؤوا قالوا سيغفر لنا إنا لا نشرك بالله شيئاً)[(٣)].

والمتأمل لرؤوس الضلالة وأرباب البدع يجد طائفة منهم تنتمي للأديان والفلسفات التي

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، مصنف التفسير المشهور الذي سارت به الركبان وفي أسامي الكتب وكان تفسيره المذكور مسمى بجامع أحكام القرآن، وكتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، (توفي: ٦٧١هـ) (انظر: طبقات المفسرين، للأدنروي، ج ص٢٤٦، والأعلام، للزركلي، ج٥ص٣٢٢) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، القاهرة، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، ج٧ص٢٧٣.

(٣) سنن الدارمي، أبو محمد الدارمي، قال حسين سليم أسد: إسناده صحيح إلى معاذ وهو موقوف عليه. ج٢ص٥٣١.

سحقها الإسلام وحرر منها العباد مثل: بشر المريسي (يهودي)(1) عبدالله بن المقفع (مجوسي)، إبراهيم النظَّام (برهمي)(2)، عبدك الصوفي (من الزنادقة)(3)، جابر بن حيان (من كبار الشيعة وأحد أبوابهم وعُرف بالصوفي من الفلاسفة، واشتغل بالكيمياء)(4).

ويرى المرجئة من الأشاعرة والماتريدية إمكان الجمع بين الوحي والفلسفة، بين منهج القرآن ومنهج اليونان والخروج بموقف أو رأي وسيط بينهما أو مركب منهما!! وتفسيرهم لحقيقة الإيمان تفسيراً فلسفياً، ومتمشياً مع المقولات الفلسفية، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – يسوق كلاماً لأحد أئمة الفلسفة الملاحدة الاتحادية وهو ابن عربي، الذي يزعم إيمان فرعون؛ لنطقه بـــ(لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل)، فقال: ((والمقصود هنا أن هؤلاء الاتحادية من أتباع صاحب "فصوص الحكم" وصاحب "الفتوحات المكية" ونحوهم، هم الذين يعظمون فرعون، ويدعون أنه مات مؤمناً، وأن تغريقه كان بمنزلة غسل الكافر إذا أسلم، ويقولون: ليس في القرآن ما يدل على كفره، ويحتجون على إيمانه بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]))(5).

ولا شك أن هذه المقالات الضالة تلقفها هؤلاء المبتدعة عن فلاسفة الصابئين وسندها

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله – عز وجل– من التوحيد، عثمان بن سعيد الدارمي، (المتوفى:٢٨٠هـ)، الرياض، الناشر: مكتبة الرشيد، ١٩٩٨م الطبعة: الأولى، ج١ ص٣١٢.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، حيث ذكر مجوسية وزندقة ابن المقفع ج٦ص٢٠٨ وبرهمية النظام ج١٠ ص٥٤٢.

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي، (المتوفى:٣٧٧هـ)، القاهرة، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٧٧م، الطبعة: الثانية، ج١ ص٩١.

(٤) الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، (المتوفى:٤٣٨هـ)، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، ج١ ص٤٩٩.

(٥) جامع الرسائل، ابن تيمية، ج١ ص٢٠٧.

متصل بهم ودخلت عن طريق الكتب المعرَّبة من كتب اليونان والرومان وزاد عليها الضلال مما ألقاه الشيطان في قلوبهم، فكانت هذه المقالات، كمقالة جهم وغيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((فهذه أسانيد جهم ترجع إلى اليهود والصابئين والمشركين، والفلاسفة الضالون هم إما من الصابئين وإما من المشركين. ثم لما عربت الكتب الرومية واليونانية في حدود المائة الثانية: زاد البلاء، مع ما ألقى الشيطان في قلوب الضلال ابتداءً من جنس ما ألقاه في قلوب أشباههم. ولما كان في حدود المائة الثالثة: انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها مقالة الجهمية))[1].

ولقد كان لترجمة الكتب من الفلسفات الأخرى شيوعاً ظاهراً في بعض عصور الإسلام، كما حصل في عهد المأمون وغيره، ما هز بعض النفوس وهزمها وغير مُسلماتها وجعلها تُخضع الدين وحقائقه إلى نظريات الفلسفة وفرضياتها، وذلك تحت شعار التوفيق بين الدين والفلسفة، بعد أن كانت الشريعة أعز وأظهر والبدع مقموعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أيضاً: ((كانت البدع في القرون الثلاثة الفاضلة مقموعة وكانت الشريعة أعز وأظهر وكان القيام بجهاد أعداء الدين من الكافرين والمنافقين أعظم. وفي دولة أبي العباس المأمون ظهر الخرمية[2] ونحوهم من المنافقين وعرب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة. فلما ظهر ما ظهرمن الكفر والنفاق في المسلمين وقوي ما قوي من حال المشركين وأهل الكتاب، كان من أثر ذلك: ما ظهر من استيلاء الجهمية، والرافضة وغيرهم من أهل الضلال وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة))[3].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٥ ص٢٢.

(٢) الخُرمية: أتباع بابك الخُرمي الذي ظهر بناحية أذربيجان وكثرت أتباعه وكان يستحل المحرمات كلها وهزم كثيراً من عساكر بني العباس في مدة عشرين سنة إلى أن أسر مع أخيه إسحاق وصلب بسر من رأى في أيام المعتصم. انظر: (التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني (المتوفى:٤٧١هـ)، بيروت، الناشر: عالم الكتب ١٩٨٣م، الطبعة: الأولى، ج١ص١٣٥.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٤ص٢١.

وقال ابن النديم وهو يذكر أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي: ((قال أحمد بن عبد الله بن سلام ترجمت صدر هذا الكتاب والصحف والتوراة والإنجيل وكتب الأنبياء والتلامذة من لغة العبرانية واليونانية والصابية وهي لغة أهل كل كتاب إلى لغة العربية حرفاً حرفا))[١].

وهذا انحراف خطير له آثاره الوخيمة في طمس معالم الشريعة وخفاء طريق الحق والتباس الهدى بالضلال وظهور البدع وغياب السنن واندراس منهج السلف والتبعية والموالاة للمشركين وضعف وذلة المسلمين، وظهور وغلبة أعداء الدين.

٦. انحرافهم بالاعتراض على حكم الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – وعدم قبوله والانقياد له وعطلوا له وبه شرعه وعدله وحدوده:

وذلك من خلال تخبطهم في مفهوم الإيمان، وأنه يكفي فيه المعرفة أو قول اللسان أو تصديق القلب، كما سبق[٢]، وأعمال القلب لا مكان لها عندهم بل حتى لو جاء بما يناقضها فإنه يبقى على إيمانه، لأن الإيمان عندهم شيء واحد، وهذا من غلطهم وظنهم الباطل قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((فَهَؤلاء غلطوا في أصلين: أحدهما: ظنهم أن الإيمان مجرد تصديق وعلم فقط، ليس معه عمل، وحال وحركة وإرادة، ومحبة، وخشية في القلب، وهذا من أعظم غلط المرجئة مطلقاً .. وقال أيضاً والمرجئة الذين قالوا: الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، والأعمال ليست منه، كان منهم طائفة من فقهاء الكوفة وعبادها، ولم يكن قولهم مثل قول جهم، فعرفوا أن الإنسان لا يكون مؤمناً إن لم يتكلم بالإيمان مع قدرته عليه. وعرفوا أن إبليس وفرعون وغيرهما كفار مع تصديق قلوبهم، لكنهم إذا لم يدخلوا أعمال القلوب في الإيمان لزمهم قول جهم، وإن أدخلوها في الإيمان لزمهم دخول أعمال الجوارح أيضا فإنها لازمة لها))[٣].

ولا إله إلا الله تدل على إيمان قائلها باستجماع شروطها وانتفاء موانعها قال الشيخ حافظ حكمي – رحمه الله –: ((أن لا إله إلا الله سبب لدخول الجنة والنجاة من النار لذلك

(١) الفهرست، ابن النديم، ج١ص٣٣.

(٢) انظر: ص ٦٢ وما بعدها.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٧ ص١٩٠ وما بعدها.

ولكن المقتضي عمله لا يعمل إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع))[1].

وقال رحمه الله مُحصياً وعاداً لتلك الشروط وشارحاً لها: ((شروط شهادة أن لا إله إلا الله ...

وبشـــروط ســـبعة قـــد قيـــدت ... وفي نصوص الوحي حقـــاً وردت

فإنـــــه لم ينتفـــــع قائلـــــها ... بـــالنطق إلا حيـــث يســـتكملها

وبشروط سبعة متعلق بقيدت قد قيدت أي: قيد بها انتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار، وفي نصوص الوحي من الكتاب والسنة حقاً وردت صريحة صحيحة فإنه إي الشأن وذلك علة تقييدها بهذه الشروط السبعة لم ينتفع قائلها أي قائل لا إله إلا الله بالنطق أي بنطقه بها مجرداً إلا حيث يستكملها أي هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له أعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها والتوفيق بيد الله والله المستعان ...

والعلـــم والـــيقين والقبـــول ... والانقيـــاد فـــادر مـــا أقـــول

والصـــدق والإخـــلاص والمحبـــة ... وفقـــك الله لمـــا أحبـــه))[2]

وجاء انحرافهم هذا من عدم إعمالهم لأعمال القلوب، بل وإهمالهم لها، فكان منهم الرد والاعتراض بدلاً من القبول والانقياد والتسليم لأمر الله وحكمه وشرعه.

وأصل هذه الاعتراضات التلقي عن غير الله ورسوله والاستمداد من غير الوحي وتحكيم غيره، فمنهم من حكم العقل - بزعمه - فنقل فلسفات الوثنيين وحثالة فكر

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، (المتوفى:١٣٧٧هـ)، الدمام، الناشر: دار ابن القيم، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠، الطبعة: الأولى، ج٢ ص٤٢٩.

(٢) معارج القبول، حافظ الحكمي، ج٢ ص٤١٨.

التائهين، وهؤلاء هم أصحاب الكلام، كما سبق[1].

ومن الاعتراضات ما يكون بتقديم السياسات الجائرة على حكم الله ورسوله والعقل على النقل، والهوى على الشرع، والقياس على الأثر، والذوق والوجد على ظاهر الشرع، وفي ذلك يقول ابن القيم – رحمه الله –: ((والاعتراض ثلاثة أنواع سارية في الناس والمعصوم من عصمه الله منها ... النوع الثالث: الاعتراض على ذلك بالسياسات الجائرة التي لأرباب الولايات التي قدموها على حكم الله ورسوله وحكموا بها بين عباده وعطلوا لها وبها شرعه وعدله وحدوده.

فقال الأولون: إذا تعارض العقل والنقل: قدمنا العقل.

وقال الآخرون: إذا تعارض الأثر والقياس: قدمنا القياس.

وقال أصحاب الذوق والكشف والوجد: إذا تعارض الذوق والوجد والكشف وظاهر الشرع: قدمنا الذوق والوجد والكشف.

وقال أصحاب السياسة: إذا تعارضت السياسة والشرع قدمنا السياسة.

فجعلت كل طائفة قبالة دين الله وشرعه طاغوتاً يتحاكمون إليه؛

فهؤلاء يقولون: لكم النقل ولنا العقل.

والآخرون يقولون: أنتم أصحاب آثار وأخبار ونحن أصحاب أقيسة وآراء وأفكار.

وأولئك يقولون: أنتم أرباب الظاهر ونحن أهل الحقائق.

والآخرون يقولون: لكم الشرع ولنا السياسة.

فيا لها من بلية عمت فأعمت! ورزية رمت فأصمت! وفتنة دعت القلوب فأجابها كل قلب مفتون! وأهوية عصفت فصمت منها الآذان وعميت منها العيون! عُطلت لها والله معالم الأحكام كما نُفيت لها صفات ذي الجلال والإكرام واستند كل قوم إلى ظلم وظلمات آرائهم وحكموا على الله وبين عباده بمقالاتهم الفاسدة وأهوائهم وصار لأجلها

---

(١) انظر: ص ٤٦ وما بعدها.

الوحي عُرضة لكل تحريف وتأويل والدين وقفاً على كل إفساد وتبديل))[1].

ونخلص أيضاً من هذا إلى تأثير المرجئة في التدين من خلال ما يلي:

- إهمال أركان الإسلام والإيمان، واقتصار العبادة على مافي القلب من التصديق فقط.
- برر المرجئة لأنفسهم التفلت من أوامر الشرع ونواهيه، ومالوا إلى الدعة وترك العمل، ميلاً مع رغبة النفوس وشهواتها.
- الخلل في مفهوم لا إله إلا الله، وانتشار الشرك ومظاهره من عبادة قبور الأولياء والصالحين، بناءً على معنى التوحيد عندهم.
- الاعتراض على دين الله، بدلاً من القبول والانقياد والتسليم لأمر الله وحكمه وشرعه.
- الانحراف في باب العلم، والإعراض عن فهم كتاب الله كما فهم الصحابة والتابعون وأئمة الهدى.
- تعطل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستمراء الذنوب والمعاصي، وهجر الاحتساب على الناس والولاة.
- ترك فريضة الجهاد ودفع المعتدي على أمة الإسلام وغياب مفهوم الموالاة والمعاداة.
- التطاول والجرأة من أصحاب المذاهب المنحرفة في إظهار باطلهم وكثرتهم ومن ينتمي إليهم، ظناً منهم أن ذلك لا يؤثر على أصل الدين، وشاعت بعض صور السخرية والاستهزاء بالدين من بعض الكتاب والشعراء.

وفي هذا يقول الدكتور سفر الحوالي: ((ولئن كان علماء عصور الإسلام الوسطى، من المرجئة أو المتأثرين بالإرجاء يحجمون عن تكفير ملاحدة وحدة الوجود، وأمثالهم من الزنادقة أو الساخرين بالدين من الكتاب والشعراء، وينتحلون لهم التأويات والتبريرات، فقد استغنى علماء الإرجاء في عصرنا الحاضر عن هذه التأويلات، لأن الإسلام في عرفهم وراثة

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (المتوفى:٧٥١هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، الطبعة: الثانية، ج٢ ص٧٠.

لازمة كما تورث الأسماء وأحرف تكتب في الهوية لا ينسخها عمل ولا قول يرتكبه حاملها، ولهذا تجرأ الملاحدة زعماء وكتابًا على دين الله سخرية واستهزاء، وأصبح هذا ميداناً للزعماء والمفكرين، وملهاة للشعراء والصحفيين، وجرت ألفاظ الاستهزاء على ألسنة العوام فأصبحت في بعض الأحيان والبلدان كالسلام!! وعم البلاء حتى تعدى مجال الاستهزاء إلى مجال الكفر الجاد الجلي الذي كان أمراً محظوراً – ولو عرفاً وعادة – فنسى الناس تكفير الباطنية والقرامطة والدروز والنصيرية وأشباههم، بل نسى بعضهم أو شك في كفر اليهود والنصارى وأمثالهم، وغاب عنهم تماماً كفر طواغيت الدجل والخرافة والسحر، بل سموهم أولياء وصالحين!! أما طواغيت الحكم والتشريع فقد نسخوا شريعة الله جهاراً ونهاراً، وحكموا شرائع الطاغوت في الدماء والأعراض والأموال، وألزموا الناس في مناهجهم ووسائل تربيتهم بموالاة الكفار وتقديس عظماء الكفر من فلاسفة وقادة وحكام ونشروا من استحلال المكفرات والموبقات ضروباً وألواناً وسخروا من الحدود والحجاب وتعدد الزوجات وأحكام الميراث والعبادات والأخلاق))[1].

ثالثاً: مفهوم التدين عند الباطنية:

وباطنية اليوم هم باطنية الأمس، وسبق الحديث عن تدينهم وفرقهم القديمة الإسماعيلية والنصيرية، وسأورد هنا شيئاً من عوامل الانحراف وأسبابه لدى بعض فرقهم الحديثة والتي أدت إلى انحرافهم في التدين بدين الإسلام، ومن تلك الفرق البهائية والقاديانية والأحباش:

فالبهائية لديهم من صور الانحراف والتدين الباطل، ما يدعوا الإنسان للدهشة والتعجب، وكيف وصلت هذه الفرقة إلى هذه التصورات الباطلة والعقائد المنحرفة والضلال المبين، يقول إحسان إلهي ظهير – رحمه الله – في ذكر شيء من عقائدهم، والتي ينص على سخافتها: ((شريعة البهائية وسخافتها: شريعة البهائية التي يزعمون أنها ناسخة لكل الشرائع السماوية هي شريعة تدعو إلى عبادة الإنسان، والدين الذي يُأمر به دين يداهن الجبابرة والبغاة والمفسدين، والتوحيد في الديانة البهائية: مليئ بالوثنية والقول بالتناسخ والحلول

(١) ظاهرة الإرجاء، سفر الحوالي، ج١ ص٨٣.

والإشراك بالله والتعبد لغير لله والاستعانة بما سوى الله...، بل إن البهاء يدعو إلى عبادة نفسه، فيقول: (من توجه إليّ قد توجه إلى المعبود، كذلك فصل في الكتاب وقضى الأمر من الله رب العالمين)، وقبلتهم تُجسد شركهم الأكبر عياذاً بالله: أما القبلة عند البهائيين: فهي مقبرة البهاء ولا يجوز التوجه إلى غيرها. وهذه المقبرة يزورونها ويطوفون حولها ويقبلونها ويسجدون فوقها.

وأما عبادتهم وصلاتهم: فهي عندهم لعبة من اللعب وهي ليست واجبة، وصلاة المسافر سجدة واحدة، وتسقط عن المتكاسل فلا صلاة عليه. كما يسقط الصوم عنه، فيقول بابُهم: (من كان في نفسه ضعف من المرض والهرم عفا الله عنه الصلاة والصوم فضلاً من عنده إنه هو الغفور الرحيم)، ومن دينهم الذي يدينون به أيضاً: أنهم يحرمون الجهاد ضد العدو المغتصب لأرض المسلمين، ويحبون الطاعة العمياء للحكام ولو كانوا محتلين منتهكين للأرض والعرض، وأما أخلاقهم فهي مبنية على دينهم الباطل: فيحرم عندهم تعدد الزوجات ويباح الزنا، ولا يحرمون أي امرأة على الرجل إلا زوجة الأب وباقي النساء حلال حتى العمات والخالات والأمهات والبنات، بل حتى في باب المعاملات قد ضلوا وأتوا بالعجائب))[1].

وأما القاديانية، فسأبدأ بأعظم أسباب انحرافهم وخروجهم عن الإسلام، وهو ولاؤهم للغرب الكافر وللإنجليز المتعصبين، فيرى غلام أحمد القادياني أن الإنجليز هم أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم وولائهم ويأمر بذلك مُريديه وأشياعه، ليس هذا فحسب، بل وأن يُطيعوهم من صميم قلوبهم، فيقول: ((لعنة الله على من يريد أن يكون تحت أمر الأمير مع أن الله قال: أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر، فالمراد من أولي الأمر ها هنا "الملك المعظم، ولذا أنا أنصح مريدي وأشياعي بأن يدخلوا الإنجليز في أولي الأمر ويطيعوه من صميم قلوبهم))[2].

ولذا كان هو أول من نفذ هذه الولاية والطاعة على نفسه ومحض النصح لأعداء الله

(١) البهائية نقد وتحليل، إحسان إلهي ظهير (المتوفى:١٤٠٧هـ)، دار الإمام المجدد، طبعة شرعية، بدون ت ط، ص١٣٩ وما بعدها.

(٢) القاديانية دراسات وتحليل، إحسان إلهي ظهير (المتوفى:١٤٠٧هـ)، القاهرة، دار الإمام المجدد، ١٤٢٦هـ، الطبعة الأولى، ص٢٩.

على قومه وبني جنسه وغر مئات الألوف منهم كما يزعم فيقول: ((لقد ظللت منذ حداثة سني – وقد ناهزت اليوم الستين – أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها وألغي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم، والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة، وأرى أن كتاباتي قد أثرت في قلوب المسلمين، وأحدثت تحولاً في مئات الآلاف منهم))[(١)].

وأما عقيدتهم وعبادتهم ففيها من البطلان والشرك والتناقض ما تنكره القلوب المؤمنة والفطر السليمة، مما ينسبونه إلى غلام القادياني نبيهم المزعوم: فيقولون:

١. أن الله يصلي ويصوم ويأكل ويشرب وينام ويباشر ويجامع ويزعمون له الصاحبة والولد – تعالى الله –.
٢. ويقول الغلام القادياني، مُدعياً نبوته: (والله الذي في قبضته روحي هو الذي أرسلني، وسماني نبياً، وأظهر لصدق دعواي آيات بينات بلغ عددها ثلاثمائة ألف بينة).
٣. ويرى أنه يوحى أنه وينزل عليه جبريل، وأنه لا قرآن إلا ما نزل عليه وأنه هو الكتاب المبين فيقول: (منزل علي كلام الله بهذه الكثرة، لو يُجمع لما يقل عن عشرين جزءاً).
٤. يؤولون القرآن والحديث بتأويلات فاسدة باطلة على مقتضى أهوائهم، وذلك كثير عندهم، مثل قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤٠]، وحرفوا معناها وتلاعبوا بتفسيرها، وزعموا:

- إن الخاتم ليس معناه آخر بل معناه أفضل، فيصير معنى الآية: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[الأحزاب: ٤٠] أي أفضل النبيين لا بمعنى أنه انقطعت به النبوات.
- معنى الخاتم المهر، يعني أنه يمهر الناس وبمهره يصير الواحد نبياً.
- إن المراد من (النبيين) أنبياء ذو الشريعة أي أن محمداً خاتم النبيين الذين جاءوا

(١) القادياني والقاديانية، أبو الحسن علي الحسني الندوي (المتوفى:١٤٢٠هـ)، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الطبعة: الخامسة، ص٩٩.

بشريعة مستقلة كهارون لموسى عليهما الصلاة والسلام.

وحرف حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال: إن قوله – صلى الله عليه وسلم –: [لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس – أو قال – من أبناء فارس حتى يتناوله][1]. ويقول القادياني مشيراً إلى هذا الحديث: ((خذوا التوحيد يا أبناء الفارس إنا أنزلنا قريباً من القاديان ..)) ويقول: ((لو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله)).

- والقاديانيون يرون أنهم أصحاب دين مستقل، وأن دينهم غالب على كل الأديان.
- والصلاة عندهم يرون أنه: (لا يجوز لأحد أن يُصلى خلف غير القادياني، والناس يكررون هذا السؤال: هل تجوز الصلاة خلفهم أم لا؟ فأقول، وأقول مهما تسألونى فإنه لا يجوز للقادياني أن يُصلى خلف غير القادياني، لا يجوز، لا يجوز، لا يجوز).
- والحج عندهم يؤولونه: بالمجيء إلى القاديان، وحضور مؤتمرهم السنوي، وزيارة قبر القاديان وهو عندهم أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام.
- ومن دينهم تحريم الجهاد، وأنه عقيدة نجسة لابد من استئصالها من قلوب المسلمين، يقول القاديان: (إن هذه الفرقة، الفرقة القاديانية لاتزال تجتهد ليلاً ونهاراً لقمع هذه العقيدة النجسة، عقيدة الجهاد من قلوب المسلمين).
- والغلام وأتباعه كانوا يُبيحون الخمر، بل ويشربونها ويتعاطون الأفيون، ويرون أنه نصف الطب، ويقولون أن ذلك عندهم غير مخالف للشريعة، بل هو عين الشريعة.
- وكان القاديان كذاباً، بل إن دينه كله قام على الكذب على الله، وعلى رسوله – صلى الله عليه وسلم – كما كان سباباً لعاناً فاحشاً بذيئاً[2].

وهذه الانحرافات وغيرها كثير، جعلتهم يعبدون الله على حرف وتغيير وتبديل.

وأما الأحباش، فهم كغيرهم من المبتدعة الذين انحرفوا عن الدين الحق، واشتغلوا

---

(١) مسلم، ٤٤ – كتاب فضائل الصحابة – رضي الله تعالى عنهم –، ٥٩ – باب فضل فارس، حديث رقم (٢٥٤٦)، ج٤ ص١٩٧٢.

(٢) انظر: القاديانية دراسات وتحليل، إحسان إلهي ظهير. والقادياني والقاديانية، للندوي.

بالدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية بهدف إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، ومن انحرافاتهم وعقائدهم الضالة ما يلي:

- يؤولون صفات الله، ويتبعون الجهمية والمعتزلة.
- في مسألة الإيمان يعتقدون اعتقاد المرجئة الجهمية، الذين يؤخرون العمل عن الإيمان ويبقى الرجل عندهم مؤمناً وإن ترك الصلاة وسائر الأركان.
- تبعاً لذلك يقللون من شأن التحاكم للقوانين الوضعية المناقضة لحكم الله تعالى فيقول الحبشي: (ومن لم يحكم شرع الله في نفسه فلا يؤدي شيئاً من فرائض الله ولا يجتنب من المحرمات، ولكنه قال ولو مرة في العمر: لا إله إلا الله فهذا مسلم مؤمن. ويقال له أيضاً مؤمن مذنب).
- الأحباش يحثون الناس على التوجه إلى قبور الأموات والاستغاثة بهم وطلب قضاء الحوائج منهم، لأنهم في زعمهم يخرجون من قبورهم لقضاء حوائج المستغيثين بهم ثم يعودون إليها، ويدعون إلى الطريقة النقشبندية والرفاعية والصوفية. كما يجيزون الاستعاذة بغير الله ويدعون للتبرك بالأحجار.
- القرآن عندهم ليس بكلام الله تعالى، ويزعم الحبشي أن جبريل هو الذي أنشأ ألفاظ القرآن الكريم وليس الله تعالى.
- الصلاة يصلونها في مساجد وجماعات خاصة بهم، ويتوجهون إلى عكس قبلة المسلمين حيث يعتقدون أن الأرض نصف كروية.
- الأحاديث الضعيفة والموضوعة يرجحها الأحباش ويعملون بها فيما يؤيد مذهبهم بينما يحكمون بضعف الكثير من الأحاديث الصحيحة التي لا تؤيد مذهبهم ويتجلى ذلك في كتاب المولد النبوي.
- سب الصحابة وخاصة معاوية بن أبي سفيان وأم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنهم –، يُكثر منه الحبشي وأتباعه إرضاءً للروافض.
- شيوع الفتاوى الشاذة عندهم والقائلة بجواز التحايل في الدين وأن النظر والاختلاط والمصافحة للمرأة الأجنبية حلال لا شيء فيه، بل للمرأة أن تخرج متعطرة متبرجة

ولو بغير رضا زوجها.

- تكفير الحبشي لأئمة الإسلام كشيخ الإسلام ابن تيمية والإمام الذهبي والشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمهم الله –، وغيرهم من علماء الإسلام المعاصرين من أهل السنة.
- كيدهم للإسلام وتمزيق كلمة المسلمين والتآمر عليهم وإثارة الشغب بينهم، والتعاون مع أعداء الله في ذلك[1].

ونخلص أيضاً من هذا إلى تأثير الفرق الباطنية القديمة والحديثة في التدين من خلال ما يلي:

- العقائد الضالة مثل إنكار النبوات والكتب المنزلة، وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر.
- سب الصحابة والنيل منهم – رضي الله عنهم.
- سلخ المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، وإحلال وإشاعة عقائد الكفر والزندقة في عقولهم وقلوبهم، بنفي الألوهية عن الله، وعبادة غيره، ونسبة الناس إلى مسميات فرق ضالة يزعمون أنها من الإسلام وهي مناقضة له.
- إشاعة الحقد والبغضاء والكراهية بين المسلمين، وإثارة والشحناء والعداوات بينهم وتفريق صفوفهم، وإشعال الفوضى والاضطراب والحروب الطاحنة في دولهم.
- موالاة أعداء الله من اليهود والنصارى، ودلالهم على عورات المسلمين ومساعدتهم في الاستيلاء على بلاد المسلمين، (فقد جهد الاستعمار الأوروبي ليجد أسلحة يهدم بها الإسلام ويسيطر على المسلمين ويبدو أن الإسماعيلية كانوا أحد هذه الأسلحة فإذا بإمام إسماعيلي يظهر من جديد يساعد الإنجليز ويساعده الإنجليز يتيح له الإنجليز أن ينشر مذهبه بين مسلمي مستعمراتهم ويضمن لهم هو أن يخضع أتباعه لهم)[2].

والنصيرية في السنين الماضية فاقت الإسماعيلية في تحالفها الوثيق مع أعداء الإسلام

(١) انظر: فرقة الأحباش، نشأتها عقائدها آثارها، سعد بن علي الشهراني، مكة المكرمة، نشر: دار عالم الفوائد، ١٤٢٣هـ، الطبعة: الأولى.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٩م، ج٢ ص١٨٩.

والمسلمين فأصبحت أداة خبيثة بيد اليهودية والصليبية مزروعة في جسم العالم الإسلامي تتحرك وتنفذ مخططات الأعداء بكل حقد.

وهكذا نرى أن الباطنية كانت ولا تزال مصدر الفتن والقلاقل في المجتمع الإسلامي وعوناً لكل عدو لهذه الأمة تساعده بكل ما أوتيت من قوة لعلها بذلك تحقق هدفها وهو هدم الإسلام وقتل المسلمين(١).

- عبادات الصلاة والصيام والحج، لا يوجبونها ولها عندهم معانٍ باطنة، فهم لا يصلون الصلوات الخمس ولا يستقبلون قبلة المسلمين، ولا يصومون رمضان، ولا يحجون البيت الحرام.
- لا يُحلون حلالاً ولا يُحرمون حراماً، ويعتقدون اعتقاد المرجئة الجهمية، فيؤخرون العمل عن الإيمان، ويستحلون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، بالفتاوى الشاذة.

رابعاً: مفهوم التدين عند أصحاب المدرسة الفكرية المعاصرة

وهذه المدرسة قد ارتبطت بمفهوم العصرنة والتجديد لمفهوم الدين وفق ما تُمليه عليه عقولهم، لينسجم مع متطلبات المدنية المعاصرة، كما يزعم أصحابها، ودخل عليهم الانحراف من باب التطوير والمسايرة للغرب ولمتغيرات الحياة المادية، فغيروا وجددوا في الدين وأصوله وثوابته من أجل ذلك، ورأوا أهمية قراءة نصوص القرآن والسنة قراءة جديدة، وسأعرض لبعض رموز هذه المدرسة العقلانية المعاصرة على سبيل المثال:

محمد أركون الذي وظف دراساته النقدية منذ مطلع السبعينيات من القرن العشرين لإعادة قراءة القرآن الكريم وتفسيره وفق مناهج النقد الأدبي الحديث، فنشر عدة دراسات نقدية وفق المنهج اللساني والسيميائي(٢) والتحليلي للقرآن الكريم، ثم نشر جميع دراساته في

---

(١) انظر: الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، عمان، الأردن، مكتبة الأقصى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الطبعة: الثانية، ج١ص٤٨٨.

(٢) السيميائي: إن كلمة "سيميولوجيا" (Sémiologie) مشتقة من الأصل اليوناني (Semeîon) كما يشير إلى ذلك سيوسير في محاضراته. ومن الناحية التركيبية، فهي منحوتة من مفردتين؛ أولاهما (Semeîon) التي تعني (علامة)، وثانيتهما(Logos) التي تفيد معنى (العلم) أو (المعرفة). =

كتابه الموسوم "قراءات في القرآن" نشر سنة ١٩٨٢م في باريس، فيقول: ((وإذا ما تم الإجماع على هذا التوجه المعرفي فلا بد أن نعيد النظر في جميع العقائد والسنن الدينية؛ عن طريق إعادة القراءة لما قدمه الخطاب الديني عامة، والخطاب النبوي الخاص بأهل الكتاب))[١].

ومحمد عابد الجابري: يرى في كتابه الدين والدولة وتطبيق الشريعة: عدم مناسبة نموذج السلف لهذا العصر، يعني نسف كل ما كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – فيقول: ((النموذج الذي يجب استلهامه من أجل إعادة بناء الذات؛ ذاتنا نحن وتحصينها وتلقيحها ضد الذوبان والاندثار والاستلاب ينبغي ألا يكون من نوع (النموذج – السلف) الذي يُقدِّم نفسه كعالم يكفي ذاته بذاته، بل يجب أن يشمل جماع التجربة التاريخية لأمتنا مع الاستفادة من التجربة التاريخية للأمم التي تناضل مثلنا من أجل الوجود والحفاظ على الوجود وأيضاً من التجربة التاريخية للأمم التي أصبحت اليوم تفرض حضارتها كحضارة للعالم أجمع.

لقد كانت السلفية كافية وفعالة وإجرائية يوم كنا وحدنا في بيت هو بيتنا وبيت لنا في نفس الوقت، أما وقد أصبحنا جزءاً في كل فإن الطريق الوحيد لإثبات وجودنا والحفاظ على خصوصيتنا داخل هذا الكل هو طريق التعامل معه بالمنطق الذي يؤثر فيه؛ منطقه هو ولكن من مواقعنا لا من مواقع غيرنا، ومنطق الكل الذي ننتمي إليه اليوم – أعني منطق الحضارة المعاصرة – يتلخص في مبدأين: العقلانية، والنظرة النقدية))[٢].

= وعرفها جورج مونان "العلم العام الذي يدرس كل أنساق العلامات (أو الرموز) التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس. (انظر: شبكة الأدب واللغة، اللسانيات، المنهج السيميائي، فريد أمعضشو).

(١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، (المتوفى:٢٠١٠م)، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٥م، الطبعة: الثانية، ص٦.

(٢) الدين والدولة وتطبيق الشريعة، محمد عابد الجابري، (المتوفى:٢٠١٠م)، بيروت، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، سنة الطبع: ٢٠٠٤م، الطبعة: الثانية، ص١٤١.

ود. حسن الترابي ضمن هذه المدرسة العقلانية المعاصرة، والتي تتخذ التجديد والتطوير مركباً لها، ليُصبح هذا الدين وأهله مواكبين للحضارة الغربية المعاصرة - كما يزعمون - بل وصل بهم الأمر إلى تجديد أصول الفقه والأحكام كذلك، يقول د. حسن الترابي: ((ويمكن بذلك أن تتغير أصول الفقه والأحكام، ويصبح إجماع الأمة المسلمة أو الشعب المسلم، وتصبح أوامر الحكام كذلك أصلين من أصول الأحكام في الإسلام) ولا يرى أن ذلك يختص بأهل العلم، بل هو متاح لكل أحد من عامة المسلمين، فيقول: (ومهما تكن المؤهلات الرسمية فجمهور المسلمين هو الحكم وهم أصحاب الشأن في تمييز الذي هو أعلم وأقوم، وليس في الدين كنيسة أو سلطة رسمية تحتكر الفتوى))[1].

ونخلص من هذا إلى تأثير المدرسة الفكرية المعاصرة في التدين من خلال ما يلي:

- تقليد الغرب، وعصرنة الدين من خلال تأويل النصوص الشرعية، حتى في مسائل الاعتقاد، وضيقوا قضايا السمعيات والغيب، واعتمدوا جانب الحس والتجربة بما يتفق مع الحضارة الغربية.
- الدعوة إلى الحرية، والتعددية الدينية والفكرية، والدعوة إلى التسامح، والقول بنسبية الحقيقة، وفق قيمهم وموازينهم المنحرفة.
- إعادة قراءة النصوص، وتفسير القرآن تفسيراً علمياً حديثاً، مخالفين منهج السلف ودلالات لغة العرب التي نزل بها القرآن.
- الدعوة إلى تجديد أصول الفقه، ومخالفة الإجماع المنعقد في بعض المسائل ورفضه كلياً، والاستعاضة عنه بالتصويت الشعبي الديموقراطي.
- رد السنة وأحاديثها، بل والتحكم في ذلك، من خلال رد أحاديث الآحاد في أبواب الاعتقاد، واشتراطهم تواتر الحديث، وما كان منها في السُنة العملية دون القولية، والتشريعية دون غير التشريعية، وأن تكون جميعها موافقة للعقل وروح القرآن.

(١) تجديد أصول الفقه الإسلامي، للدكتور حسن عبد الله الترابي، الخرطوم، مكتبة دار الفكر، ١٩٨٠م، الطبعة الأولى، ص٧٧.

- الاستجابة لضغط الغرب والواقع في بعض أحكام الشرع في قضايا مهمة مثل الربا، والمرأة، والحريات العامة، والوحدة الوطنية، والمساواة، وتداول السلطة.
- الفهم المقاصدي للإسلام بدلاً من فهم النصوص هو المعتمد عندهم، وفهم النصوص وقبول الأحاديث والحكم عليها صحةً وضعفاً جعلوه في ضوء تحقق المصالح ومقاصد (التوحيد والعدل والحرية والإنسانية).
- الخلل العظيم في مفهوم الولاء والبراء، والرابطة الإسلامية لم يقيموا لها وزناً في العلاقات الاجتماعية بين الناس والشعوب، بل بنوها على أساس قيم المواطنة والإنسانية لا على أساس الإيمان والكفر، وأهمية تميز المسلم عن الكافر، وبقاء دار الحرب ودار الإسلام ماثلة واضحة عقول وقلوب المسلمين[1].

قلت: وهذه الآثار الناجمة عن مفهوم التدين عند المتكلمين من الفرق القديمة والحديثة والباطنية وماتلاها وترتب عليها من المدرسة الفكرية الحديثة، أورثت تديناً جديداً منحرفاً، في حياة فئام من الناس الذين تأثروا بها، ومسخاً في فهم الإسلام واعتقاده وتطبيقه في حياتهم.



(١) انظر: التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان محمد أمامة، الدمام، الناشر: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ، الطبعة الأولى، ص٣٦٥.

المطلب الثالث:

السمات المشتركة للتدين عند المعتزلة والمرجئة والباطنية والمدرسة العقلانية وأصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

والسمات يقصد بها العلامات والخصائص التي شابه فيها أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، المعتزلة والمرجئة في الجوانب العقدية والتعبدية والأخلاقية والسلوكية أو نحوها والتي تظهر من خلال الاستقراء والتتبع لمحاضراتهم ومقولاتهم ومقالاتهم وبرامجهم وما كتبته أيديهم وما كُتب عنهم.

أولاً: السمات المشتركة للتدين عند المعتزلة وأصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين:

ومن أهم تلك السمات العقدية والتي تُعد أصلاً من الأصول التي اشترك فيها أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين مع المعتزلة أن الحديث عن الانحراف المعاصر في التدين وعلاقته وارتباطه بالمعتزلة، في جانب من جوانبه البارزة والمؤثرة في الساحة اليوم، ليُعيد ويجدد في الأذهان، تلك المدرسة الاعتزالية والتي كانت بأصولها ومناهجها وآرائها تتمثل في فرق قديمة، يظن البعض أنها قد اندثرت و لم يعد لها وجود في واقع الأمة اليوم، والحقيقة على العكس من ذلك، فلا تزال المعتزلة اليوم بفكرها وأصولها ومواقفها حاضرة، بل ونشطت في السنوات الأخيرة نشاطاً ملحوظاً وظاهراً من خلال ثلاثة محاور متساندة، كما يقول د. ناصر العقل:

المحور الأول: الفرق القديمة في أصلها كالزيدية[1]، أو دخلها الاعتزال كالرافضة

(١) الزيدية: إحدى فرق الشيعة، نسبتها ترجع إلى مؤسسها أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب – رضي الله عنهم –، الذي صاغ نظرية شيعية في السياسة والحكم، وقد جاهد من أجلها وقتل في سبيلها، وكان يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهم – جميعاً، و لم يقل أحد منهم بتكفير أحد من الصحابة ومن مذهبهم جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل. خرجت عن الزيدية ثلاث فرق طعن بعضها في الشيخين، كما مال بعضها عن القول بإمامة المفضول، وهذه الفرق هي: الجارودية: أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد والصالحية: أصحاب الحسن بن صالح بن حي والبترية: أصحاب كثير النوى الأبتر. (الملل والنحل، الشهرستاني، ج١ ص١٥٣ والموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، ص٢٥٧).

والخوارج الإباضية[١].

المحور الثاني: أحزاب وجماعات جديدة اعتنقت مذهب المعتزلة واختارته من جديد وأبرزها (حزب التحرير)[٢] الذي انشق من جماعة الإخوان المسلمين، وكذلك جماعة الترابي في السودان، وهي كذلك تمخضت عن جماعة الإخوان المسلمين.

المحور الثالث: الاتجاهات العقلانية والعصرانية والحداثية وغيرها، وتوجد هذه الاتجاهات لدى كثير من المفكرين والأدباء والمثقفين والدعاة الحزبيين وغير الحزبيين[٣].

وتلك الفرق والجماعات والأحزاب والاتجاهات الاعتزالية، عُرفت اليوم بالمدرسة العقلانية الحديثة، وأصحاب التجديد، والليبراليين، كما شاع مؤخراً في حديثهم عن أنفسهم وحديث الآخرين عنهم، وأهم ما توصف به هذه المدرسة مغالاتها في تحكيم العقل البشري وتقديمه على الدين، واعتبار أحكام عقولهم فوق نصوص الوحي في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) الإباضية إحدى فرق الخوارج، وتنسب إلى مؤسسها عبد الله بن إباض التميمي، يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات والقول بخلق القرآن وتجويز الخروج على أئمة الجور. انشق عن الإباضية عدد من الفرق التي اندثرت وهي: الحفصية: أصحاب حفص بن أبي المقدام.

والحارثية: أصحاب الحارث الإباضي. واليزيدية: أصحاب يزيد بن أنيسة. (الملل والنحل الشهرستاني، ج١ ص١٣٣ والموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، ص١٥).

(٢) حزب التحرير: حزب سياسي إسلامي يدعو إلى تبني مفاهيم الإسلام وأنظمته وتثقيف الناس به والدعوة إليه والسعي جديّاً لإقامة دولة الخلافة الإسلامية معتمداً الفكر أداة رئيسية في التغيير. وقد صدرت عنه انحرافات كانت محل انتقاد جمهرة علماء المسلمين. أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني (فلسطيني)، عام ١٩٥٢م، يركز الحزب على إعادة الثقة بالإسلام عن طريق العمل الثقافي من ناحية والعمل السياسي من ناحية أخرى. ويؤخذ على هذا الحزب مخالفة عقيدة ومنهج أهل السنة والجماعة في تقديم العقل على النصوص الشرعية موافقة لأهل الكلام من المعتزلة وغيرهم مما دفعه لإنكار عذاب القبر وظهور المسيح الدجال، بالإضافة إلى إهماله الجوانب التربوية وتخليه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن تقوم الدولة الإسلامية، وإصداره فتاوى غريبة عن الفقه الإسلامي. (الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، ص١٣٥).

(٣) رسائل ودراسات في الأهواء، ناصر العقل، ج٢ ص٤٠٩.

ولذا فهذه المدرسة العقلانية لها من اسمها النصيب الأوفى، فأصبح التفسير العقلاني المادي هو الطاغي في جميع نظرياتهم وتفسيراتهم وفهمهم: فالإسلام في عقيدته وأصوله يفسرونه تفسيراً عقلياً مادياً فكرياً، دون اعتبار لمنهج السلف في التلقي والاستدلال فلا اعتبار عندهم لدلالات اللغة، وأصول الدين، وعمل المسلمين وإجماعهم. والوحي والدين والغيب من أمر النبوات والقدر والمعجزات، أيضاً يفسرونها على مقتضى عقولهم البشرية والكشوفات العلمية والنظريات الغربية المادية.

وآل بهم ذلك التوجه إلى الدعوة إلى تطوير وتجديد الإسلام في جميع مناحيه العقدية والفكرية والتشريعية والتاريخية، ويُخضعونه لمقتضيات العصر لِيُساير الفكر الغربي والحياة المادية الغربية، ولينحرفوا به كما انحرفت الكنيسة بدينها المحرف، أوحسب نزعات وأهواء البشر ولو تحرروا من النزعة الغربية. فانحرفوا بالدين عن حقيقته، وأحلوا بدلاً عنه تلك الأفكار الضالة، والآراء المنحرفة والمذاهب الهدامة، والانتماءات العقلانية المجانبة للوحي، وذلك تحت شعارات التجديد والتحديث والتطوير والليبرلة والعصرنة والتنوير، والحركة الفكرية التنويرية هي في حقيقتها مخرج من مخرجات العولمة العصرية، ومنهجها قائم على المزاوجة بين الأصول الاعتزالية العقلية والحضارة الغربية الفلسفية بفكرها ومؤثراتها.

ويزعمون تقريب الشرائع فيفهمون النصوص الشرعية على سبيل الاستقلال بما تُمليه عليه عقولهم .. فتحمله على أي تفسير تريد، وهذا يعني قبولهم بالمفاهيم الغربية على حساب المفاهيم الشرعية، فعطلوا الشريعة بداعي تقريب الشريعة، وردوا النصوص بداعي قراءة النصوص، وتزامن معها ذلك الخليط العجيب الذي احتوت عليه هذه المدرسة العقلية من الاتجاهات المذهبية والحزبية، والجماعات والفرق المخالفة من: الإسلاميين، والصوفيين، والقوميين، والحزبيين، والاشتراكيين، والرأسماليين، والنفعيين، وغيرهم، بل ودخل معهم وسار في ركابهم بعضاً من علماء الشريعة وطلاب العلم وأساتذة الجامعات والمفكرين والمثقفين.

وواكب هذا التوجه لهذه المدرسة العقلانية غلبةٌ ودولةٌ واحتلال لأعداء الله من العالم الغربي على العالم الإسلامي، وما صحبه من غزو فكري، وتنصير، وعلمنة، وتغريب.

وأهم السمات المشتركة للتدين عند المعتزلة[1] ومدرستهم العقلانية، وأصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين تبرز من خلال ما يلي:

١. إكبار العقل، وتقديمه على الوحي فيما لا مجال للرأي فيه، وجعله حاكماً عليه

فردوا النصوص وأولوها وحرفوها، تحت شعار الحرية الفكرية، وعلى حساب نقض مناهج الدين وإجماع سلف أمة سيد المرسلين. يقول نصر حامد أبو زيد: ((والأصل والبدء هو سلطة العقل، السلطة التي يتأسس عليها الوحي ذاته، العقل لا بما هو آلية ذهنية صورية جدلية، بل بما هو فعالية اجتماعية تاريخية متحركة. هذه السلطة قابلة للخطأ لكنها بنفس الدرجة قادرة على تصويب أخطائها. وهكذا ينتهي الخطاب السلفي إلى التعارض مع الإسلام حين يتعارض مع أهم أساسيته "العقل"، ويتصور أنه بذلك يؤسس "النقل" والواقع أنه ينفيه بنفي أساسه المعرفي. إن العودة إلى الإسلام لا تتم إلا بإعادة تأسيس العقل في الفكر والثقافة، وذلك على خلاف ما يدعو إليه الخطاب الديني المعاصر من تحكيم للنصوص، مردداً أصداء نداء أسلافه الأمويين الذي أدى إلى نتائجه المنطقية في الواقع الإسلامي))[2].

وحسن حنفي يرى أن العقل بمفرده دون الحاجة إلى عون أحد يمكن له أن يقود المجتمعات، ويضع لها القوانين ويسن لها الشرائع، فيقول: ((ألا يمكن للعقل قيادة المجتمعات مثل قيادة الإمام لها، هناك أيضاً العقل الاجتماعي والعقل السياسي والعقل التاريخي لوضع القوانين وسن الشرائع ... إن العقل ليس بحاجة إلى عون، وليس هناك ما يند عن العقل. هل استطاعت النبوة أن تخفف من نقائص الإنسان وهي أول من يعترف بها؟))[3].

يقول خالص جلبي: ((المواطن العربي اليوم محاصر في مثلث من المحرمات بين الدين والسياسة والجنس، كل ضلع فيه يمثل حاجزاً شاهقاً لايستطيع أفضل حصان عربي رشيق أن

---

(١) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء، ناصر العقل، ج٢ ص٤١٤.

(٢) نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبوزيد (المتوفى:٢٠١٠م)، القاهرة، الناشر: سينا للنشر، ١٩٩٣م، الطبعة: الثانية، ص١٣١.

(٣) من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، بيروت، المركز الثقافي العربي، دار التنوير للطباعة والنشر تاريخ النشر: ١٩٨٨م، الطبعة: الأولى، ص.

يقفز فوقه إلا بالقفز إلى الإعدام، فأمام حائط الدين يطل مفهوم الردة، وأمام جدار السياسة يبرز مصطلح الخيانة، وعند حافة الجنس تشع كل ألوان الحرام والعيب ولو كان البحث في معهد من طراز (كينسي) للبحث العلمي في أمريكا، فالعقل مصادر ومؤمم وملغي حتى إشعار آخر. فطائفة أعلنت الوصاية على العقل ورفعت شعار التخصص فيما يشبه الكهنوت ووضعت شروطاً للاجتهاد لن تجتمع إلا في كائن أسطوري فوق بشري، والسياسيون صادروا الضمير ونشروا الرعب فلا يستطيع المواطن التصريح بأفكاره ولو بمنشور سري، وعقلية التقليد الآبائية وضعت الخطوط الحمر أمام جدار كهربي صاعق عليه إشارة(جمجمة وعظمتين) كما في غرف التوتر الكهربي العالي))[1].

ويرى أن أكبر عقبه تواجه العقل وتتحداه هو أن يتخلص ويتحرر من فكر الآباء فيقول: ((أعظم عقبة تواجه العقل وأحفلها بالتحدي التخلص من فكر الآباء. الذي نهانا الله عن اتباعه و(التحرر) منه هو التحرر مما نسجه الآباء بكل حرص وحب.. ولكن (من هم آباؤنا؟) والجواب على هذا صعب وحساس ومزعج ولكن لا مفر من الإجابة عليه؟ ويمكن القول باختصار: إنه ذلك المخزون الثقافي من تراثنا الفكري الذي لم يعد يؤدي دوراً ويؤذي مثل الجثث التي تؤذي رائحتها ويجب أن تدفن وبسرعة على السنة))[2].

ويقول عدنان إبراهيم: ((العقل ليس كما يظن بعض علماء الدين، بما فيهم مسلمون، يظنونه ذا رتبة متأخرة أو أنه ضعيف ولا يوثق به، ليس كذلك بل هو قوي جداً، وهو أساس، هو الأساس الذي عرفنا به صدق النبي، وصدق دعواه، وصدق رسالته، أساس متين لا يمكن تجاوزه، والذي أقام عمود العقل في الدنيا هو الذي سيبعث بصيراً يقظاناً .. يوم القيامة.. لا تعطلوا عقولكم لا باسم المشايخ ولا باسم الطوائف ولا باسم المذاهب ولا باسم العلماء ولا باسم الوعاظ ..))[3].

---

(١) فلسفة التفكير، والتعبير د. خالص جلبي، في ٢٠٠٣/٠٣/٠٥م، موقع بيتنا www.bettna.com.

(٢) السلفية بين الفكر الإصلاحي والفكر التقليدي، د. خالص جلبي، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد: ٦٤٢ - ٢٠٠٣/١١/٤ م. www.ahewar.org.

(٣) ﴿ وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾[طه: ١٢٤]، عدنان إبراهيم، خطبة جمعة، يوتيوب. بتصرف يسير.

وأي إكبار وتقديم للعقل على الوحي أعظم من هذا التجاسر والتقحم على حساب نقض مناهج الدين وإجماع السلف.

٢. تكذيب القرآن والسنة الصحيحة في بعض الأمور الغيبية، وإنكارها أو تكذيبها، والتهكم بها أو التشكيك فيها، واستباحة الخوض في أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وليس للعقل قدرة على تصورها وإخضاعها للاستقراء العقلي والتجارب الحسية، عظم عند هؤلاء إنكار عوالم الغيب وما وراء المحسوس

وكان أصحاب المدرسة العصرانية المادية من أكبر أصحاب هذا الاتجاه وهذه النزعة من التفكير الحسي، تحت شعار أسلمة العلوم، مع الإلحاح في تبني النظريات الغربية والتي قادتهم إلى الإنكار والتشكيك في القرآن والسنة.

فحسن حنفي لا يؤمن أصلاً بأن الله قد تكفل بحفظ كتابه من الزيادة أو النقصان، ويرى أن هذا القول من الغلو والتشدد وهروب من النقد، حيث يقول: ((يُغالي البعض وأكثرهم من اللاهوتيين المحافظين ويدعون أن الله قد حفظ كتابه من التغيير والتبديل وأن العناية الإلهية هي الحافظة للنصوص، ومن ثم فلا داعي هناك لتطبيق قواعد المنهج التاريخي على النصوص الدينية، وإقامة نقد تاريخي للكتب المقدسة ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩]. وهي نظرية لاهوتية صرفة، تهرب من النقد، وتلجأ للسلطة الإلهية))[١].

وخالص جلبي يقول أن الكارثة الثقافية المروعة في العالم الإسلام، سببها الاستغناء بالكتاب، والسير على ما جاء فيه، فيقول: ((الواقع الخارجي والسير في الأرض هو الأساس، وليس السير في الكتاب والسنة ... وإنَّ الاستغناء بالكتاب عن الواقع، هو الذي قاد العالم الإسلامي إلى كارثة ثقافية مروعة))[٢].

---

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، بيروت، الناشر: جداول للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ٢٠١١م، تقديم: حسن حنفي، ترجمة، تحقيق: حسن حنفي/ فؤاد زكريا، الطبعة: الأولى، ص٢١.

(٢) جريدة الرياض، د. خالص جلبي، العدد: ١٠١٨٨ في ١٩٩٦/٥/١٦م. www.alriyadh.com.

وهاهو محمد أركون يمهد لإنكار القرآن سنداً ليدخل بعد ذلك إلى نصوص القرآن فيشكك في القصص والأخبار ويرى أن التاريخ الواقعي المحسوس هو الذي يحاكَم إليه القرآن، فالأخبار والآثار التاريخية هي الموثوقة عنده! ولنقرأ له هذا النص الذي يكرر مثله في كتبه كثيراً فيقول: ((ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس))[١].

بل ويرى أن القرآن لا يمكن أن يحكم حياة الناس، وأن الملايين قد دخلهم وهمٌ كبير في اعتقادهم أن القرآن يمكن أن تقوم عليه حياتهم بكل ظروفها، فيقول: ((إن القرآن – كما الأناجيل – ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً، أما الوهم الكبير فهو اعتقاد الناس – اعتقاد الملايين – بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون شغال وفعال ومبادئ محدودة تطبق على كل الحالات وفي كل الظروف))[٢].

ومحمد شحرور يُكذب بأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ويصفها بعد عرضها على عقله النقدي أنها: وهم وكذب، فيقول: ((والعقل النقدي من السهل عليه أن يناقش حديث البخاري بأن الله خلق آدم بطول ٦٠ ذراعاً[٣]. ونحن نعرف أن الديناصور انقرض منذ ٦٥ مليون سنة ووجدنا هيكله العظمي. وإلى الآن لم يجد علماء الآثار أي هيكل عظمي واحد لهذا القول. إذاً هناك كذب وأسطورة. كذلك الحديث التي يقول أن

(١) الفكر الإسلامي: قراءة علمية، محمد أركون (المتوفى:٢٠١٠م)، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، ص٢٠٣.

(٢) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون (المتوفى:٢٠١٠م)، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م، ص٢٩٩.

(٣) البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم – صلوات الله عليه – وذريته، حديث رقم (٣٣٢٦) ج٨ ص٣٨٢. ومسلم، ٥١ – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٦ – باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم، حديث رقم (٢٨٣٤)، ج٤ ص٢١٧٨.

أجساد الشهداء لا تأكلها الأرض[1]، فإن العقل النقدي يقول: لماذا لانكشف على قبور شهداء أُحُد ومنهم حمزة بن عبد المطلب، وسنكتشف أننا لن نجد شيئاً أكثر من هيكل عظمي ــ هذا إن وجدناه. هذا كذب ووهم! ومن السيرة نجد أن حادثة شق الصدر[2] للنبي – صلى الله عليه وسلم – وهو طفل مجرد وهم لا أكثر))[3].

وآخر يرى أننا في عصر العولمة، ونُحرَجُ أمام العالم ببعض أحاديث الصحيحين، بحجة أنها في الصحيحين وهي تخالف الكتاب – بزعمه الضال وفكره المنحرف –، فهذا عدنان إبراهيم على المنبر يقول: ((نحن الآن في عصر العولمة، العالم أصبح مفتوحاً ومكشوفاً، لا شيء يُدس ولا شيء يُخبأ، أُحرجنا، أحرجنا، بدأ الآن بعض رجال دين آخرين يُحرجونا من كُتبنا، يقول لك: في عندك في مسلم، تفضل، هذا في البخاري، هذا في أحمد! ماذا تفعل؟ ندافع بالاستماتة!! عن كل ما في البخاري ومسلم، صحيحان؟ أنت تذبح دينك! أنت حر! لكن نحن لن نسلك هذه الخطة الغبية، هذه خطة غبية، نحن نحاكم إلى كتاب الله، هذه خطة إلهية، كتاب الله حاكم على الجميع: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]))[4].

٣. التطاول على مقام النبوة والأنبياء – عليهم السلام –، والاستهزاء والسخرية بهم، والقول بعدم عصمتهم، والنيل من الصحابة – رضي الله عنهم – وشتمهم.

فيرى حسن حنفي أن الوحي يتكيف حسب خيال الأنبياء وقدراتهم، ثم قسم الأنبياء

(١) وهذه خاصة بالأنبياء، هم الذين نجزم بأن الأرض لا تأكل منهم شيئاً، أي: أنهم يبقون كما ماتوا تماماً، فقد صح ذلك عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أما الشهداء والصديقون والصالحون فهؤلاء قد لا تأكل الأرض بعضهم كرامة لهم، وإلا فالأصل أنها تأكله ولا يبقى إلا عجب الذنب. (الشيخ ابن عثيمين، الباب المفتوح).

(٢) مسلم، ١ – كتاب الإيمان، ٧٤ – باب الإسراء برسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى السماوات وفرض الصلوات، حديث رقم (١٦٢)، ج١ص١٤٥.

(٣) تجفيف منابع الإرهاب، محمد شحرور، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى، ص٣٠٠.

(٤) عدنان إبراهيم، خطبة جمعة، يوتيوب. بتصرف يسير.

ونزول الوحي عليهم - كما يزعم - على حسب أمزجتهم ونفسياتهم وخيالاتهم بل ومعتقداتهم وشخصياتهم، فيقول: ((يختلف الأنبياء فيما بينهم حسب خيالهم وطبعهم ومعتقداتهم وآرائهم، فالنبي الفرح تُوحى إليه الحقائق بحوادث سعيدة، والنبي الحزين تؤيده آيات حزينة. والنبي ذو الخيال المرهف تُوحى إليه الأشياء بصور ناعمة رقيقة، والنبي الريفي يُوحى إليه بصور ريفية، والنبي الجندي يُوحى إليه بصور عسكرية، والنبي رجل البلاط يُوحى إليه بصور ملكية. ويختلف الأنبياء فيما بينهم حسب معتقداتهم في السحر والتنجيم، فتوحى إليهم الموضوعات السحرية كما أوحيت للمجوس ولادة المسيح، ومن يؤمنون بالكهانة والعرافة يُوحى إليهم في أمعاء الضحايا، ومن يؤمنون بحرية الاختيار يُوحى إليهم بأن الله لا يتدخل في أفعال البشر))(١).

وهذا محمد شحرور يتطاول على مقام النبوة قائلاً: ((إنّ المشكلة تأتي مرة أخرى من زعم الفقهاء أنّ حلال محمّد - صلى الله عليه وسلم - حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرام محمّد - صلى الله عليه وسلم - حرام إلى يوم القيامة، وتأتي من اعتبارهم أنّ القرارات النّبويّة التنظيمية لها قوة التنزيل الحكيم الشامل المطلق الباقي، ناسين أنّ التحليل والتحريم محصور بالله وحده، وأنّ التقييد الأبدي للحلال المطلق يدخل حتماً في باب تحريم الحلال، وهذه صلاحية لم يمنحها تعالى لأحد بما فيهم الرُّسُل))(٢).

فهذا محمد عابد الجابري: يرى عدم عصمة الأنبياء - عليهم صلوات الله وسلامه - فيقول: ((ما نريد تأكيده هنا هو ضرورة التفكير في آي الذكر الحكيم بعيداً عن الأفكار المسبقة، مثل فكرة العصمة التي اكتسبت طابعاً مذهبياً سياسياً في الفكر الإسلامي))(٣).

وكذلك تطاول د. خالص جلبي على مقام النبوة والأنبياء ظاهر في كثير من كتاباته

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، تقديم: حسن حنفي، ص ٤٨.

(٢) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي-فقه المرأة، محمد شحرور، دمشق، الناشر: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، ص١٥٣.

(٣) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عابد الجابري، (المتوفى:٢٠١٠م)، بيروت، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م، الطبعة: الثانية.

وأطروحاته: سُئل عن العلم فقال: ((كنتُ قد طرحت أنَّ العلم حقَّق للجنس البشري ما لم يستطع تحقيقه الأنبياء على مدى العصور))[1]، ويقول أيضاً متطاولاً ومؤكداً لمذهبه (السِّلم ونبذ العنف): ((إنَّ الجنس البشري بلغ من النضج ما جعله يُحقِّق الحلم النبوي القديم في إلغاء مؤسسة العنف جملة وتفصيلاً))[2].

وقد تطاول على نبي الله نوح – عليه السلام – فقال: ((لقد فشلَ نوح عليه السلام في عملية التغيير الاجتماعية، أمامنا إذن إمكانية الفشل في تغيير المجتمع وتولِّي قيادته كما حدَث لنوح ... فقصة نوح تُمثِّل مرحلة بدائية من التاريخ البشري))[3].

بل بلغ به من الجرأة أن تطاول على نبيِّنا – صلى الله عليه وسلم – ونسب إليه الفشل، قائلاً: ((فحين فشلَ في اختراق مجتمع مكة والطائف نجحَ في نشر دعوته في أهل يثرب .. لكنه لم يذهب إليهم على ظهر المدافع والدبابات))[4].

ولم يترك الصحابة – رضي الله عنهم – فقال: ((فالصحابة فشلوا وبوقت مُبكِّر في المحافظة على المجتمع الإسلامي الذي بناه لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بعد كلِّ تعب وعناء))[5].

ونال من الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – واتهمه بالتآمر مع بني أمية في قلب الخلافة الراشدة، فقال: ((عندما يقلب معاوية الوضع الراشدي لبناء دولة بيزنطية، ومسخ الخلافة الراشدة بالتآمر الأُموي))[6].

---

(١) د. خالص جلبي، جريدة المدينة، ملحق الرسالة، في ١٠/٩/١٤٢٢هـ. www.al-madina.com.

(٢) سيكولوجية العنف وإستراتيجية الحل السلمي، د. خالص جلبي، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، ص١٥١.

(٣) في النقد الذاتي، د. خالص جلبي، عمان الأردن، نشر: دار البشير للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، ص٧٧.

(٤) سيكولوجية العنف، د. خالص جلبي، ص١٢٥.

(٥) سيكولوجية العنف، د. خالص جلبي، ص٣٤.

(٦) سيكولوجية العنف، د. خالص جلبي، ص١٥٧.

بل إن عدالتهم يُشكك فيها وخيريتهم يُطعن بها، يقول عدنان إبراهيم: ((السني المسكين الآخر – على باب الله – السني المسكين الذي نشأ وأول انطباع عنده: كل الصحابة ما شاء الله عليهم! أحسن ناس! أعظم أمة بعد رسوله! ولا واحد يمكن أن يكون مثلهم!!))[1].

وهذا عدنان إبراهيم يتجاوز تلك الطعون إلى أبعد منها، ويجاهر قائلاً في حق معاوية – رضي الله عنه –: ((حتى وإن كان صحابياً، هو صحابي ولكنه ليس صحابياً مستقيماً، ليس صحابياً يدعو إلى الإعجاب، ليس صحابياً يمكن أن يُتخذ قدوةً، وأنا أتحدى كل من يدافع عن معاوية، يقول: معاوية قدوة، وأنا سأربي ابني على أخلاق معاوية ...))[2].

٤. تفسير القرآن والسنة، وتأويلها تأويلاً عقلانياً جديداً، حسب كل عصر، دون اعتبار تأويل السلف والمناهج التي قام عليها الدين ومنهج السلف، ودون النظر في دلالات اللغة للقرآن والسنة، والنزوع إلى الرموز والمجازات والتفسيرات الفلسفية، والصوفية، والمادية.

وهذا ما درج عليه فعلاً الصوفية والباطنية والشيعة والمعتزلة، ثم أصحاب الاتجاهات العقلانية الحديثة في هذا العصر. فيرى محمد أركون أن تفسير السلف تقليدياً موروثاً مغلقاً، لا يرتبط بالسياق التاريخي: ((إن مفهوم الوحي في السياق القرآني قبل انتشار (المصحف الرسمي المغلق) كان أكثر اتساعاً من حيث الآفاق والرؤية الدينية، مما آل إليه بعد انغلاق الفكر الإسلامي داخل التفسير التقليدي الموروث عن الطبري، وما نقل عنه حتى يومنا هذا ... لأن المفسرين والمتكلمين والفقهاء انفصلوا عن القراءة التاريخية للوحي واكتفوا بالقراءة اللاهوتية الارثوذكسية للوحي، بالمعنى السنّي والشيعي والخارجي))[3].

ويدعى محمد شحرور، صاحب كتاب (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة) أن القرآن

(١) عدنان إبراهيم، خطبة جمعة ولقاء مع قناة الجزيرة، يوتيوب.

(٢) عدنان إبراهيم، لقاء مع قناة الجزيرة، يوتيوب.

(٣) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، ص٩.

نص ثابت، وإعجازه يكمن في قابليته للتأويل، وفي تحرك المعنى وتغيره وفق مفاهيم العصور المتلاحقة، التي تتطور مع تطور الإدراك الإنساني في مختلف العصور، ليصل إلى أن التشريعات في كتاب الله «القرآن» قابلة للتطور بالتأويلات الإنسانية كما يرونها، وفي هذا نسف للدين من جذوره، فهو يؤكد أن القرآن كتاب مادي وجودي تاريخي وينفي تضمنه الأخلاق والتقوى، كما ينفي كل ماجاء عن السلف في تفسيره وتأويله، وأنه يجب إن نتقيد بقواعد البحث العلمي، والتفكير الموضوعي، والأرضية العلمية في عصرنا، عند دراسته فيقول: ((أريد هنا أن أؤكد على نقطة في غاية الأهمية، وهى أن القرآن كتاب الوجود المادي والتاريخي، لذا فإنه لا يحتوى على الأخلاق، ولا التقوى ولا اللياقة ولا اللباقة، ولا تنطبق عليه عبارة!! «هكذا أجمع الفقهاء» .. إننا في القرآن والسبع المثنى غير مقيدين بأي شيء قاله السلف، إننا مقيدون فقط بقواعد البحث العلمي، والتفكير الموضوعي، وبالأرضية العلمية في عصرنا، لأن القرآن حقيقة موضوعية خارج الوعي فهمناها أم لم نفهمها))(1).

ود. حسن الترابي يرى أن كل تفسير يُعبر عن عقلية عصره، وأننا بحاجة إلى تفسير جديد، لأنه لا يوجد في هذا الزمان تفسيراً عصرياً شافياً، فيقول: ((وفي رأيي أنَّ النظرة السليمة لأصول الفقه الإسلامي تبدأ بالقرآن الذي يبدوا أننا محتاجون فيه إلى تفسير جديد، وإذا قرأتم التفاسير المتداولة بيننا تجدونها مرتبطة بالواقع الذي صيغت فيه، كل تفسير يُعبِّر عن عقلية عصره إلاَّ هذا الزمان لا نكاد نجد فيه تفسيراً عصرياً شافياً))(2).

ثم يأتي جمال البنا ويرى الاحتكام فقط إلى القرآن، وأنه المرجعية الإسلامية الملزمة حقاً دون التقيد بتفسير المفسرين، وعدم الأخذ بالسنة كذلك، لأن السند ليس معياراً ثابتاً، ويرى ترك الأحكام الفقهية للأئمة الأربعة، فيقول: ((إن النهوض بالإسلام يكون بالعودة إلى القرآن الكريم مباشرة، دون تقيّد بتفسيرات المفسِّرين، وضبط السُنة بمعايير من القرآن إذ ثبت أن

(1) الكتاب والقرآن–قراءة معاصرة، محمد شحرور، لبنان، الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، تاريخ النشر: ٢٠١١م، الطبعة: العاشرة، ص٩١.

(2) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع، د. حسن الترابي، جدة، الدار السعودية، ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى، ص٢٧.

السند لا يمكن أن يكون معياراً لأنه جزء من عملية الوضع التى فشت فى الحديث فلم يبق إلا الاحتكام إلى القرآن. ولما كانت السُنة مبينة للقرآن، فمن البديهى أنها تلتزم بالقرآن. وأخيراً عدم الالتزام بالأحكام الفقهية التى وضعها أئمة المذاهب الأربعة أو غيرهم))[1].

بل ويؤكد ذلك قائلاً: ((نحن نرى أن هذه التفسيرات وكذلك المذاهب الفقهية تميل لأن تكون نوعاً من الأفتيات والإسقاط البشري على القرآن))[2].

وأما د. خالص جلبي وتحريفاته لآيات القرآن فهي متعددة وظاهرة في كتاباته، فهو يؤولها على هواه وبما يوافق منهجه الفاسد، الذي يرى أن القرآن ظاهرة كونية يتم الاتصال المباشر بها، بدون حجب ووسائط، فيقول: ((إذاً فأفضل طريقة للاتصال بالقرآن هي الاتصال المباشر به بدون حجب ووسائط ولو كانت كتب تفسير فهي ولدت في عصر مشبعة بروح العصر حتى الثمالة، مثل تفسير ابن كثير الذي انتهت صلاحيته مثل أي دواء ولنتصور أننا نتناول الأدوية التي فسدت وانتهى وقتها أو الدم الذي انتهت صلاحيته، ومنه سبب الشلل في العقل الإسلامي))[3].

بل ويُبعد النجعة أكثر، ويرى أنه قد أصاب كبد الحقيقة في فهمه السقيم المجرد عن فهم السلف فيقول: ((ومقتل الفكر السلفي أنه يحدد فهم القرآن في عصر ورجال وتفاسير بعينها والتفسير الفعلي ليس العصر والرجال بل آيات الآفاق والأنفس. وهو مرجع القرآن ... ومن أعظم مقاتل الفكر السلفي انفكاك النص عن الواقع. ولا يمكن لأي كلام أن يرسخ وينمو بدون جدلية تفاعل النص مع الواقع ... ولفهم النص القرآني لا بُدَّ من استخدام العلوم الإنسانية المساعدة. فلا يمكن فهم القرآن بتفسير ابن كثير كما لا يمكن فتح جمجمة اليوم بأدوات فرعونية ... والفكر السلفي يرى أن فهم القرآن يزداد وضوحاً كلما غصنا أكثر في مغارة الماضي. وهكذا فتفسير الطبري أفضل من القاسمي والقرطبي أفضل من

(١) تجديد الخطاب الديني، جمال البنا، ص١٦.

(٢) صحيفة القاهرة، جمال البنا، ١٥/٨/٢٠٠٠م.

(٣) كيف السبيل لفهم النص القرآني، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

رشيد رضا. والفكر السلفي يرى أن فهم السلف هو مفتاح الدخول لأسرار القرآن مثل من يريد إجراء عملية فتق بأدوات الزهراوي. مع أن السلف هم الذين أضاعوا الخلافة الراشدة بحرب أهلية طاحنة))[1].

٥. إنكارهم لحجية خبر الآحاد، بل والأحاديث الصحيحة المتواترة إذا لم تناسب أذواقهم كما فعلوا تجاه أحاديث القدر والشفاعة وغيرها.

فهذا نصر حامد أبو زيد: يكرر ويعيد في مسألة رد الأحاديث الصحيحة بدعوى أنها أحاديث آحاد، فيقول: ((وبالنسبة لقتل «المرتد» .. لا يوجد شيء كهذا في القرآن، يوجد في السنة «من غير دينه فاقتلوه» وهذا حديث عليه خلافات، لا يعرفها كثير من عامة المسلمين، يقال إنه حديث آحاد، وطبعاً فإن حديث الآحاد، غير الحديث المتواتر، أو الحديث المشهور، لا يؤخذ في أصول الدين بأحاديث الآحاد، هذه قاعدة فقهية، إن أحاديث الآحاد لا تمثل مرجعاً في أصول الدين ومع ذلك فالفقهاء يرفضون الأخذ به في أصول الدين، والبعض يرفضون حتي الأخذ به في فروعه، ومن أهم أصول الدين قضية قتل الإنسان، إذن لا يمكن الأخذ بأحاديث الآحاد في مسألة قتل الإنسان))[2].

وفي هذا الإنكار والرد نصيب أيضاً للدكتور خالص جلبي، الذي يرى أن عقله يكفيه، فهو يقول بأن الأحاديث مُربكة: ((المهم علينا أن نلجأ إلى القرآن في تحليقه ودقته، ومشكلة حديث الآحاد أنه يدخل الإرباك إلى كثير من الأمور، مالم يوضع ضمن الصورة البانوراما للمفهوم الإسلامي، وهو ما قام علماؤنا بتأسيس أصول الفقه من أجله فوضعوا قواعد في غاية الجمال، مثل الضرورات تقدر بقدرها، ويرتكب الضرر الأقل تجنباً لضرر أكبر، وأن الضرورات تبيح المحظورات، وما شابه، ولأن عقول المسلمين أصبحت في الثلاجة، فلم يعودوا يفهمون شيئاً، وأصبح بينهم وبين الفقه مسافة ثلاث سنوات ضوئية ..

---

(١) السلفية بين الفكر الإصلاحي والفكر التقليدي، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

(٢) لا يوجد نص في القرآن يدعو إلى قتل المرتد، نصر حامد أبو زيد، منتديات نجوم مصرية.

ومن أمثلة ما يحتاج لتوضيح الحديث الذي يقول: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله](1)، والآية تقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولنتصور مشكلة المحرم والطيران حالياً، أو مفهوم الردة الخطير فنقتل كل من يغير آراءه ومعتقداته؟ .. ويقول أيضاً: والحديث يعمل لك إرباكاً والعلم يعطيك الوضوح! والحديث هو مصدر إرباك ليس في هذه المسألة فحسب بل في أمور شتى مثل المحرَم(2)، وكشف الوجه، وطول آدم، ونشأة الإنسان، ومفهوم الردة وانحطاط المرأة، وأن المرأة تقف بين الحمار والشيطان في قطع الصلاة(3)، وأن بَوْل البنت على الثوب يغسل والصبي يرش، والعقيقة(4) المضاعفة للفحل والمفردة للمسكينة، وهي نماذج من عشرات ... فوجب إعادة النظر في المفاهيم العقلية وإعادة غربلة التراث وعلينا ألا نقلق لهذا فالحديث في معظمه خبر آحاد يفيد غلبة الظن كما اتفق على ذلك أهل العلم))(5).

---

(١) البخاري، كتَاب الإِيمَانِ، بَاب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾، حديث رقم (٢٥)، ومسلم، ١ كتاب الإيمان، ٨باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم (٣٦).

(٢) والحديث عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: [لا يخلون رجل بامرأة ولا تسافرن امرأة إلا ومعها محرم فقام رجل فقال يا رسول الله اكتتبت في غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتي حاجة قال اذهب فحج مع امرأتك]، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من اكتتب في جيش فخرجت امرأته حاجة أو كان له عذر هل يؤذن له، حديث رقم (٣٠٠٦)، ومسلم، ١٥كتاب الحج، ٧٤ باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره، حديث رقم (٤١٤).

(٣) مسروق عن عائشة – رضي الله عنها – وذكر عندها ما يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة فقالت عائشة – رضي الله عنها –: [قد شبهتمونا بالحمير والكلاب والله لقد رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يصلي وإني على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة فتبدو لي الحاجة فأكره أن أجلس فأوذي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأنسل من عند رجليه]، البخاري، كتَاب الصلاة، باب من قال لا يقطع الصلاة شيء، حديث رقم (٥١٤) ومسلم، ٤كتاب الصلاة، ٥١ باب الاعتراض بين يدي المصلي، حديث رقم (٢٧٠).

(٤) عن أم كرز – رضي الله عنها – أنها سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: [عن الغلام شاتان مكافأتان وعن الجارية شاة]، مسند أحمد، وقال الألباني (صحيح).

(٥) مم يتخلق الإنسان؟ د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

٦. التلقي عن المذاهب والفلسفات الأجنبية عن الإسلام والميل إليها والإشادة بها.

فكما أخذ المعتزلة عن اليهود والنصارى والصابئة واليونان والمجوس والوثنيين، فكذلك أفراخهم المحدثون تتلمذوا على المستشرقين والغربيين ورثة الفكر اليهودي والنصراني والوثني واليوناني، واستمدوا منهم مناهجهم وأساليبهم ومصطلحاتهم في الجملة.

فيرى محمد أركون أهمية الفلسفة في فك الجمود والضيق والتعصب عن الفقهاء وأن يقارنوا أنفسهم بعلماء المسيحية وأهمية قراءة كتب الفلسفة وتاريخها، بل ويحث طلاب المدارس والجامعات أن يتعرفوا على الفلاسفة وأطروحاتهم، فيقول: ((إن القرآن الكريم سمح بتعددية المعنى والاتجاهات الفكرية المختلفة نظراً للغة المجازية العالية التي يستخدمها في أحيان كثيرة. وهي لغة تنفتح على احتمالات وآفاق معنوية واسعة. وبالتالي فالحق ليس عليه في ضمور النزعة الإنسانية أو ذبولها وزوالها وإنما على الفقهاء وتركيباتهم اللاهوتية الصارمة التي تحدد تخوم الإسلام الأرثوذكسي التي لا ينبغي تعديها بأي شكل. هناك فرق أساسي بين لغة القرآن ولغة الفقهاء.

لقد حصر هؤلاء القرآن في تفسير ضيق جامد متعصب كاره للفلسفة والعقل والعلم. واستمر الأمر على هذا النحو حتى يومنا هذا. انظر حالة مشائخنا المعاصرين الذين لم يقرأوا كتاباً واحداً في الفلسفة هذا في حين أن علماء المسيحية في أوروبا من أمثال هانز كونغ والبابا الحالي وسواهما يعرفون تماماً تاريخ الفلسفة القديمة والمعاصرة وعلاقتها بعلم الدين أو اللاهوت. ثم يقول: ولكن من المهم جداً أن يتعرف طلبة المدارس والجامعات العرب على نظريات فلاسفتنا القدامى وأطروحاتهم الفلسفية والدينية والأخلاقية. من المهم أن يتعرفوا على وجود تيار آخر في التراث غير التيار السلفي المتزمت الذي يهيمن علينا اليوم. لا يكفي أن يتعرفوا على الغزالي أو ابن تيمية أو سواهم من زعماء التيار السلفي المعادي للفلسفة. وإنما ينبغي أن يطلعوا أيضاً على الفارابي[١]

---

(١) الفارابي: محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان الفارابي، ويلقب بالمعلم الثاني (أبو نصر) حكيم، رياضي، طبيب، موسيقي عارف باللغات التركية والفارسية واليونانية والسريانية. وهو أكبر فلاسفة المسلمين، تناول جميع كتب أرسطاطاليس وتمهر في استخراج معانيها والوقوف على =

وابن سينا[1] ..))[2].

وهؤلاء قوم قد فتنوا بالفلاسفة وعظموهم ومجدوهم ورأوا أنهم أصحاب أفكار وعقول مدهشة: يقول د. خالص جلبي: وهو يُمجد ويمدح أرباب الفكر اليوناني: ((سقراط الذي دفع حياته ثمناً لأفكاره تبعه شاب أخذ اسمه في التاريخ بجانب سقراط مؤرخاً وشارحاً لأفكاره هو أفلاطون، فسقراط لم يكتب عشرة أسطر، ولكنه ترك خلفه عشر مدارس فكرية، ليس آخرها (أكاديمية) أفلاطون و(مدرسة) أرسطو .. كان سقراط فلتة عقلية مدهشة، ونبتت أفكاره بعد موته في تيار عقلاني إنساني لميت وقف عن التأثير حتى وأنا أكتب عنه بعد مرور ٢٤٠٠ عام على موته))[3].

وها هو يُمجد أيضاً باسكال وكتاباته ويرى أنها تُضيء الوجود فيقول: ((فإذا قرأ الإنسان في برامج الكمبيوتر اليوم كلمة باسكال عليه أن يتذكر ذلك العبقري الذي عاش في منتصف القرن السابع عشر للميلاد، وأنجز ما أنجزه وعمره (٣٩) سنة، وكانت أفكار كتابه الخواطر مثل لمعان البرق الحارق الخارق، تُضيء الوجود في لحظة واحدة))[4].

بل أن بعضهم يستمتع وينتشي نشوة عظيمة لسماع كلام الفلاسفة وإن كانوا ملاحدة أو غير مؤمنين، يقول عدنان إبراهيم: ((لا أحرم نفسي، ولا أحرم المستمعين من أن أتمتع

=

أغراضه فيها من تصانيفه الكثيرة: آراء أهل المدينة الفاضلة، (توفي:٣٣٩هـ)، (وفيات الأعيان، لابن خلكان ج٥ص١٥٤، ومعجم المؤلفين، عمر كحالة، ج١١ص١٩٤).

(١) ابن سينا الرئيس: أبو علي الحسين بن عبد الله ابن الحسن بن علي بن سينا صاحب التصانيف الكثيرة في الفلسفة والطب ومن له الذكاء الخارق والذهن الثاقب أصله بلخى ومولده ببخارى، قرأ جميع الفلسفة، من مصنفاته (المجموع، والحاصل والمحصول، والقانون)، (توفي: ٤٢٨هـ) (وفيات الأعيان، لابن خلكان ج٢ص١٥٧و السير، للذهبي، ج١٧ص٥٣١).

(٢) نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، محمد أركون (المتوفى:٢٠١٠م)، بيروت، دار الساقي، ٢٠١١م، الطبعة: الأولى، ص٣٢، ٣٣.

(٣) كهف أفلاطون، د. خالص جلبي. صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

(٤) د. خالص جلبي، جريدة الرياض، العدد (١٠٣٥٦)، بتاريخ ١٩٩٦/١٠/٣١م. www.alriyadh.com.

حقيقة وأنتشي نشوة من أعظم ما يُنتشى به – أيها الإخوة – بروائع حكمة العقول العظيمة في الشرق والغرب حتى وإن كانوا في نظرنا ملاحدة أو غير مؤمنين، الحكمة ضالة المؤمن، هؤلاء يحرمون أنفسهم من أن يستمتعوا بروائع حكمة إخوانهم وإن خالفوهم ... أنا أنتفع بنيتشه وماركس وفوكو ومارتن لوثر، وكل هؤلاء، ما عندي مشكلة!))[1].

وهذا يُفسر لنا بصورة جلية سبب الانحراف في تلك العقول التي تدعي العلم وتنادي به وهي أبعد ما تكون عنه لأنها صدرت عن غير الحق والتبست بالباطل، فشربت كدراً وقاءت قذراً وكتبت هذراً ويرون في منهجهم هذا النور والحضارة للأمة المتخلفة بزعمهم.

٧. الاستهزاء والاستهانة بأحكام الله وشرعه أو بعضها، وبالحلال والحرام، والأخلاق والتشريعات والعبادات، والتشكيك في دينه، ومعارضة الأحكام بالرأي والخوض في المسائل الشرعية بغير فقه وعدم التسليم لله فيها.

وذلك بالمعارضة والتبديل والتحريف، والزيادة والنقص، في أحكام الله، وإن كانوا يظهرون الاعتزاز بالإسلام والانتصار له، والدفاع عنه والعودة إليه، لكن من منظورهم هم، لا على فهم أهل السنة. فهذا حسن حنفي يسخر من القرآن ويُشبهه بما لا يليق، كما يسخر من بعض أسماء الله – تعالى – وحديث رسوله – صلى الله عليه وسلم – فيقول: ((أن القرآن الكريم أشبه بالسوبر ماركت، وأنه يمكن للمجتهد أن ينتقي منه ما يشاء من دون الالتزام بحرفية النصوص القرآنية أو يأخذها كلية، لأن هناك كثيراً من الآيات القرآنية بينها تناقض وخاصة ما يتعلق بالتسامح والدعوة إلى القتال .." وقال: "أسماء المهيمن والمتكبر والجبار" تدل على الديكتاتورية للذات الإلهية، وأنه يجب حذف تلك الأسماء. وانتقد حنفي حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – [خير القرون هو قرني ثم الذي يليه][2] متسائلا: ما ذنبي أنا حسن حنفي أن أعيش في قرن من أسوأ القرون ولماذا لم أعش في خير القرون))[3].

---

(١) عدنان إبراهيم، خطبة جمعة، يوتيوب.

(٢) مسلم، ٤٣-كتاب الفضائل، ٥٢- باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم (٢٥٣٣)، ج٤ص١٩٦٢.

(٣) محاضرة ألقاها حسن حنفي، في مكتبة الاسكندرية يوم ٢٠٠٦/٨/٢٧م.

وهذا كثير عند د. خالص جلبي؛ لأن عقله يرى خلاف الحق وزين له الشيطان قوله فرآه حسناً، ومن صور الاستهزاء والسخرية على سبيل المثال: استهتاره بآيات القرآن الدالة على عظمة الله تعالى فيقول: ((إذا كان الحاكم ينفخ في الصور فيقول للعباد: ما علمتُ لكم من إله غيري فإنَّ الزوج في البيت يُعلن أنه الأعلى لا مُعقِّبَ لحكمه وهو سريع الحساب .. واحتكار فهم النصوص بيد طبقة الكهنوت وخنق التعبير تحت دعوى الخيانة أو الرِّدة .. خاشعة أبصارهم من الذل .. وخشعت الأصوات للحاكم فلا تسمعُ إلاَّ همساً))(١).

ومن أجرأهم وأكثرهم رجماً بالباطل، وتحريفاً وتبديلاً للحق، وخوضاً في أحكام الدين، جمال البنا الذي يدّعي إحياء الفكر الاسلامي ولم يترك فرصة إلا وهدم فضيلة وأقام رذيلة، أو نقض عروةً للإسلام قائمة أو هاجم ثوابت الدين حتى عُرف بالزندقة والشذوذ وبات سجلّه متورّماً من ثقل ما أفتى به بغير علم .. ومن ذلك: رد مجموعة من الأحاديث الصحيحة، جواز الولاية للمرأة عند الزواج، إباحة زواج المتعة للأقليات المسلمة المقيمة في الخارج، فصل الدين عن الدولة، عدم فرضية الحجاب، عدم وقوع طلاق الرجل منفرداً، نبذ الاجماع وعلوم القرآن، الطعن بعدالة الصحابة رضوان الله عليهم - إباحة نقد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - حرية الاختلاط بين الجنسين، جواز صلاة المرأة وهي كاشفة الشعر، جواز إمامة المرأة للرجال، جواز التحوّل من الإسلام إلى المسيحية أو اليهودية، إباحة التدخين للصائم وآخر هذيانه كان إباحة التقبيل بين الشباب والفتيات في الأماكن العامة!!))(٢).

وأما الجابري فيرى أن الشريعة لم تُطبق في يوم من الأيام، ويرى أن حد الرجم يتناسب مع مجتمع البادية أما المجتمع الجديد فلا، فيقول: ((أنا لا أجد حرجاً لا في ديني ولا في وجداني ولا في عقلي إذا قلتُ إن الشريعة الإسلامية لم تطبق قط كاملة في يوم من

---

(١) د. خالص جلبي، جريدة الشرق الأوسط العدد: ٨١٧٧، الأربعاء ٢٥ محرم ١٤٢٢هـ - ١٨ إبريل ٢٠٠١م، www.aawsat.com.

(٢) انظر: نحو فقه جديد، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م)، القاهرة، دار الفكر الإسلامي، ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى.

الأيام!!))[1].

ويقول: إن ((حد الزنا كان من الممكن تطبيقه في مجتمع البادية أما المجتمع الجديد فلا يمكن تطبيقه كما اشترط الفقهاء))[2].

ويرى: أن إسقاط الحد في جرائم السرقة والزنا وشرب الخمر والقذف، والاكتفاء فيها بالسجن، لأن الحدود ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لردع وزجر النوازع الذاتية الفردية الهدامة، أي التي تمس مصلحة الجماعة أو الأمة[3].

ود. حسن الترابي يرى أن الإمكانات قد تبدلت وأسباب الحياة قد تطورت وأن بعض صور الأحكام لم تعد تمثل الحق، ولا توافي المقاصد، وأن إمضاء الأحكام بصورتها السالفة قد انقلبت انقلاباً تاماً، فيقول: ((لم تعد بعض صور الأحكام التي كانت تمثل الحق في معيار الدين منذ ألف سنة تحقق مقتضى الدين اليوم، ولا توافي المقاصد التي يتوخاها، لأن الإمكانيات قد تبدلت، وأسباب الحياة قد تطورت، والنتائج التي تترتب عن إمضاء حكم بصورته السالفة، قد انقلبت انقلاباً تاماً))[4].

٨. لمز السلف أهل السنة والتهوين من شأنهم، ورميهم بالتعصب وضيق التفكير والجهل، وأن الاتجاهات السلفية عقيمة.

ويصفون أهل السنة بأنهم أهل القرآن والحديث، بل ويعيبونهم بهذا، – ونعم الوصف وصفهم بالنصِّيِّين وأهل النقل –، بل وصل ببعضهم الأمر إلى إطلاق السلفيين على أهل السنة باعتباره مسبة .. ووصفاً معيباً.

وهاهو محمد أركون يجيب على سؤال لمحاوره هاشم صالح عن الأصوليين الذين يتبعون

---

(١) وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري (المتوفى ٢٠١٠م)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١، الطبعة: الرابعة، ص٧٣.

(٢) الحوار القومي – الديني، محمد عابد الجابري (المتوفى:٢٠١٠م)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م، الطبعة: الأولى، ص٤٠.

(٣) انظر: وجهة نظر، محمد الجابري، ص٦٨.

(٤) تجديد أصول الفقه الإسلامي، د. الترابي، ص٩.

تياراً واحداً ويُهملون التيار العقلاني والإنساني: ((بعضهم يقول بأن الأصوليين يتبعون تياراً واحداً من تيارات الاسلام ويهملون التيار الآخر العقلاني والانساني: أي تيار المعتزلة والفلاسفة. ما رأيك في هذا الكلام؟

فيُجيب أركون: بالطبع. ولكن هذا التيار الأصولي (أو السلفي) ابتدأ يترسخ وينتصر منذ القرن الثالث عشر، وليس من اختراع اليوم. الأصوليون الحاليون لهم جذور في الماضي، بل وفي الماضي البعيد كما ترى. إنهم يشتغلون، أو قل يترعرعون، داخل أرضية مؤاتية ومناسبة، أرضية تم التمهيد لها منذ زمن طويل، من هنا سر قوتهم وانتشارهم السريع. فالمدارس الفقهية انتشرت في مختلف البلدان الإسلامية ... وهذا التخصص الضيق يعتبر تراجعاً عن التعددية العقائدية والفكرية .. كانت التعددية ممكنة قبل الدخول في عصر التكرار والتقليد والاجترار (أي عصر الانحطاط وإقفال باب الاجتهاد).

ولذا فلا يكفي القول بأن الأصولية شذوذ عن الإسلام أو لا علاقة لها بالإسلام .. فهذا لا يحل المشكل. المشكل أعمق من ذلك وشمل الأصوليين وغير الأصوليين ... وهذا الانغلاق التاريخي لم يدرس حتى الآن بشكل علمي من قبل المسلمين. ولو أنه درس لفهموا أن الوضع الراهن الذي نعاني منه يعود إلى تلك القرون المظلمة التي دخلنا فيها ولم نخرج منها حتى الآن))[(١)].

بل ويرون أن ذلك الاتباع وذلك الحرص على النصوص وربط دلالتها بعصر النبوة من الأخطاء الجوهرية لأهل السنة وسبب تخلفهم وعدم تقدمهم، يقول نصر حامد أبو زيد: ((إن الخطأ الجوهري في موقف (أهل السنة) قديماً وحديثاً هو النظر إلى حركة التاريخ وتطور الزمن بوصفها حركة نحو (الأسوأ) على جميع المستويات، ولذلك يحاولون ربط (معنى) النص ودلالته بالعصر الذهبي، عصر النبوة والرسالة وظهور الوحي، متناسين أنهم فى ذلك إنما يؤكدون زمانية الوحى لا من حيث تَكَوُّن النص وتشكُّله فقط، بل من حيث دلالته ومغزاه كذلك. وليس هذا مجرد خطأ (مفهومي)، ولكنه موقف أيديولوجي من

(١) قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم)، محمد أركون (المتوفى:٢٠١٠م)، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٠م، الطبعة: الثانية، ص٣٢٦.

الواقع، موقف يساند التخلف ويقف ضد التقدم والحركة))[1].

وها هو د. خالص جلبي أيضاً يلمزُ أهل السنة ويتهمهم بقتل العقل، بل والعرب قاطبة، ويصفهم بأنهم لا عقل لهم، وما ذاك إلا لأنه شرق بتمسكهم بنصوص الكتاب والسنة، فكال لهم تلك التهم والأوصاف، قائلاً: ((المرض يعيث في مفاصل الثقافة العربية مثل الروماتزم الخبيث منذ الانقلاب الأموي وقتل العقل على يد تيارٍ ما سُمِّي أهل السنة والجماعة - ولم يكن بسنة ولا جماعة -، وأن العرب يؤمنون بالعضل، لأنه لا عقل لهم))[2].

ثم ينتقل إلى فكر وفهم السلف - رحمهم الله - مشنعاً ومستدركاً عليهم، وأنهم سبب في ضياع الخلافة الراشدة بالحروب الطاحنة، فيقول د. جلبي: ((وباختصار الفكر السلفي يرى أن الرجوع إلى الخلف يعني المشي إلى الأمام. والفكر السلفي يرى أن فهم القرآن يزداد وضوحاً كلما غصنا أكثر في مغارة الماضي. وهكذا فتفسير الطبري أفضل من القاسمي والقرطبي أفضل من رشيد رضا. والفكر السلفي يرى أن فهم السلف هو مفتاح الدخول لأسرار القرآن مثل من يريد إجراء عملية فتق بأدوات الزهراوي. مع أن السلف هم الذين أضاعوا الخلافة الراشدة بحرب أهلية طاحنة))[3].

ود. حسن الترابي يلمز السلف كسابقيه وينال منهم ومن صلاحهم، بل ويرى أن تاريخ المسلمين أسود، فيقول: ((أصبحنا نقدس السلف الصالح، والسلف عندنا دائماً صالح، رغم أن تاريخنا أسود))[4].

---

(١) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد (المتوفى:٢٠١٠م)، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ٢٠٠٠م، الطبعة: الخامسة، ص٢٢٣.

(٢) مفاتيح التغيير السياسي مكانها في النفوس، د. خالص جلبي، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٨٨٥٦، الأربعاء ٢٥ ذو الحجة ١٤٢٣هـ - ٢٦ فبراير ٢٠٠٣م. www.aawsat.com.

(٣) السلفية بين الفكر الإصلاحي والفكر التقليدي، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

(٤) الفقه الإسلامي بين التقليد والتجديد، د. حسن الترابي، محاضرة بجامعة الخرطوم، الثلاثاء ٢٨/٤/٢٠٠٩م.

٩. الدعوة إلى حرية الفكر والرأي والاعتقاد والجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة في العقيدة وأصول الإسلام، وإحياء النحل والمذاهب المنحرفة بين المسلمين وتمجيدها والدعاية لها باسم التسامح الديني.

ورفعوا راية التقريب وإلغاء الفوارق بين أهل الحق (أهل السنة) وأهل الباطل (أهل البدع والأهواء والافتراق)، بل كثير من العقلانيين الآن انساق مع موجة التقارب بين الأديان، وما يسمى بحوار الحضارات أو الجمع بين الديانات الكتابية، وأدى ذلك إلى تمييع عقيدة الولاء والبراء بل ومسخها.

يقول د. نصر حامد أبو زيد: ((استناداً إلى النصوص الأساسية ليس هناك مانع قانوني، إنك كمسلم يمكن أن تتحول وتخرج من الإسلام، لأن في تقديري كباحث أن عملية منع التحول تتعارض مع الحكمة الإلهية ذاتها، إذ إن الله يقول في القرآن ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ويعطي الحرية المطلقة ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] إلى آخر النصوص المعروفة، يبقي إذن، ليس من المنطقي أن تكون حراً حينما تدخل هذا الدين، وإذا ما دخلت هذا الدين فأنت فاقد لحريتك، فلسفياً وثيولوجياً ولاهوتياً، هذا يشكل تناقضاً لا يجب أن يقبله العقل المتدين، إن الحرية التي أعطاها الله البشر لا يمكن أن يسلبها منهم إذا ما اختار البشر طريقاً معيناً))(١).

ومحمد أركون: ((ما أشبه الليلة بالبارحة، لم يتغير شيء ولم يتبدل! المحافظون العرب والمسلمون في الماضي كما في الحاضر يرفضون الانفتاح على الثقافات الأخرى والتفاعل معها. في الماضي كانوا يرفضون التنوير اليوناني الأرسطوطاليسي أو الأفلاطوني، واليوم يرفضون التنوير الأوروبي الديكارتي أو الكانطي أو الهيغلي إلخ. ولكن لحسن الحظ اتخذ كبار المبدعين العرب والمسلمين موقفاً آخر. وعلى هذا النحو وضعت في لغتنا العربية كبريات المؤلفات ... لو لم ينفتح هؤلاء على العلوم "الدخيلة" من يونانية وفارسية وهندية وسواها، لما استطاعوا إبداع جميع هذه المؤلفات العظيمة التي خلفوها لنا ذخراً وتراثاً نفتخر به بين

(١) لا يوجد نص في القرآن يدعو إلى قتل المرتد، نصر حامد أبو زيد، منتديات نجوم مصرية.

الأمم ..))[1].

ومن تلك الدعوات الباطلة جمع ديانات أهل الكتاب، ويقصدون بهم كل الأمم التي نزل عليهم كتاب من عند الله ومنهم أهل الإسلام.

يقول د. حسن الترابي: ((إنَّ البعد عن عصبية الدين، والتحرر من التعصب المذهبي، هو الباب المفضي إلى حوار حقيقي بين الأديان، فإذا ترك أهل الأديان التعصب كلٌ لمذهبه وملته، وأقبل على دراسة الأديان بعقل متفتح، كان أحرى أن ينكشف له الأصل الواحد لهذه الأديان، واشتراكها في القيم الأساسية التي تدعو لها، وهذه هي دعوتنا اليوم: أن تقوم جبهة أهل الكتاب، والكتاب عندما يُطلق في القرآن، يُقصد به كلُّ كتاب جاء من عند الله))[2].

بل ويرى أن الوحدة الوطنية هي الهم الأكبر وأن يجتمع مع المسيحيين في وشيجة إخاء واحدة بلا عصبية ولا عداء، فيقول: ((إنَّ الوحدة الوطنية تشكل واحدة من أكبر همومنا، وإننا في الجبهة الإسلامية نتوصل إليها بالإسلام على أصول الملة الإبراهيمية، التي تجمعنا مع المسيحيين، بتراث التاريخ الديني المشترك، وبرصيد تأريخي من المعتقدات والأخلاق، وإننا لا نريد الدين عصبية عداء ولكن وشيجة إخاء في الله الواحد))[3].

يقول د. خالص جلبي في حديثه عن أهمية الحرية الفكرية وإطلاق العنان للعقل ليتخلص من آثار التقليد إلى ما لا نهاية فيقول: ((هناك من يظن بأن حرية الفكر تقود إلى الكفر، وأن حرية المرأة تقود إلى الفسق، وأن العقل محدود فلا يمكن إطلاقه إلا كما نفعل مع طير القفص بتعريضه للهلاك. وهناك من يرى أن كل الخطر في تلقي العلوم الإنسانية من غير المسلمين في الفلسفة والتاريخ وعلم النفس والاجتماع.. إن تفكيراً من هذا النوع، يشكل خسوفاً كلياً لشمس العقل، وضرباً من الإعاقة العقلية كما عند المشلولين، وانقطاعاً عن مسيرة الفكر الإنساني يحشرنا في شرانق محنطة من تراث لم ينجح في نقلنا إلى المعاصرة

(١) نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، أركون، ص١٣.

(٢) محاضرة بعنوان: الحوار بين الأديان التحديات والآفاق، د. حسن الترابي، مؤتمر الحوار بين الأديان، الخرطوم، بتاريخ ٤-٦/٥/١٤١٥هـ.

(٣) مجلة المجتمع، د. حسن الترابي، عدد ٧٣٦ بتاريخ ٢٤/١/١٤٠٦هـ.

حتى الآن. والأهم عدم القدرة على التخلص من العقل النقلي والرسوخ في آسار من التقليد لا نهاية لها))[1].

وهذه الحرية في التفكير التي يُنادي بها ويدعو إليها أوصلته إلى القول بحرية الاعتقاد دخولاً وخروجاً واعتناقاً وتغييراً وتبديلاً كيفما يشاء، فيقول: ((حرية الاعتقاد مضمونة دخولاً وخروجاً واعتناقاً وتبديلاً وتغييراً ... وبعد أعظم آية في سورة البقرة الكرسي تأتي آية ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وهي تفيد بسحب أي فتنة وضغط وإكراه وممارسة أي لون من القوة للتحكم في خيارات الإنسان العقائدية اعتناقاً وتركاً أو تبديلاً وتغييراً. فمن أين إذن جاء حكم (قتل المرتد؟) هل هو حكم فقهي فعلاً؟ أم لعبة سياسية لتصفية أي لون من المعارضة الفكرية؟ هل هو من القرآن ..))[2].

ود. طارق السويدان يكرر نفس المعنى من الحرية الدينية والطائفية، وأن الإنسان حرٌ في اختياره في الدين الذي يراه، والرب الذي يعبده، والطائفة التي ينتسب إليها، فيقول: ((الحرية الدينية، الله سبحانه و- تعالى - كفلها للبشر فقال: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف:٢٩]، ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢]، ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وغيرها وغيرها فلا يجوز إكراه إنسان على شيء، وبالتالي من حق الإنسان أن يختار الدين الذي يراه ومن حقه أن يختار الطائفة، يريد أن يكون شيعي، سني، درزي، هو حر، ومن حق كل إنسان أن يعبد الرب الذي يختاره بالطريقة التي يختارها، فلا تُمنع كنائس، ولا تُمنع معابد، ومن حق الناس أن يكون لهم ذلك))[3].

ويرى أيضاً د. طارق السويدان كذلك أهمية حرية التعبير والاعتراض على الإسلام أو

---

(١) حرية الفكر والإيمان، د. خالص جلبي، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٨٤٧٨، الأربعاء ٠١ ذو الحجة ١٤٢٢هـ ١٣ فبراير ٢٠٠٢م. www.aawsat.com.

(٢) مسألة حرية الاعتقاد اعتناقاً وتغييراً وتبديلاً، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

(٣) من حق الإنسان أن يختار الدين الذي يريد والرب الذي يعبد، د. طارق السويدان، www.youtube.com/watch.

على الله أو على رسوله – صلى الله عليه وسلم –، فيقول: ((جزء آخر من قضية الحرية بالنسبة لي هي الحرية المتعلقة بالتعبير، حرية التعبير، من حق الناس أن تقول ما شاء في غير الفساد الأخلاقي، الدعوة إلى الأفكار، الاعتراض على الدولة، الاعتراض على الحاكم، الاعتراض حتى على الإسلام، ما عندي مشكلة فيه حتى الاعتراض على الله – تعالى – وعلى رسول الله — العفو – أليس هذا في القرآن؟ ألم يتكلم المنافقون بكلام سيئ عن النبي – صلى الله عليه وسلم –؟ ووضع هذا في القرآن الكريم، هذا موجود))(١).

١٠. يرون أن انتصارَ أهل السنة وظهورهم، وهزيمة الفرق المنحرفة في القديم والجديد، نكسة تاريخية وضررٌ بالإسلام والمسلمين، وعاملٌ من عوامل التخلف والجمود.

فتجد هؤلاء العقلانيين ومن سلك سبيلهم ينفرون من الرد على أهل البدع والافتراق، ولا يطيقون تبديعهم والتحذير منهم، ويعدون ذلك من التفرقة والتعصب. وأركون يرى أن الأصولية هي سبب الجمود والانغلاق، وأن انتصار المذهب السني أيضاً سبب من أسباب العودة إلى تلك القرون المظلمة التي دخلنا فيها و لم نخرج منها حتى الآن، فيقول: ((كانت التعددية ممكنة قبل الدخول في عصر التكرار والتقليد والاجترار (أي عصر الانحطاط واقفال باب الاجتهاد). ولذا فلا يكفي القول بأن الأصولية شذوذ عن الاسلام أو لا علاقة لها بالاسلام .. فهذا لا يحل المشكل. المشكل أعمق من ذلك وشمل الأصوليين وغير الاصوليين. والأصوليون أشخاص يعرفون ليس كل نصوص الفكر الإسلامي بالطبع، وإنما الاتجاه الذي انتصر عبر التاريخ: أي المذاهب السنية من جهة والمذاهب الشيعية من جهة أخرى. ولكن المذهبين السني والشيعي تعرضا لجمود خطير أو لتقلص فكري خطير بدءاً من القرن الثالث عشر. واستمر ذلك حتى القرن العشرين: أي حتى يومنا هذا. وهذا الانغلاق التاريخي لم يدرس حتى الآن بشكل علمي من قبل المسلمين. ولو أنه درس لفهموا أن الوضع الراهن الذي نعاني منه يعود إلى تلك القرون المظلمة التي دخلنا فيها و لم نخرج منها حتى الآن))(٢).

---

(١) حدود حرية التعبير، د. طارق السويدان، www.youtube.com/watch?v=sbSLa_i_4OY.

(٢) قضايا في نقد العقل الديني أركون، ص٣٢٦.

ويتأسف د. جلبي كغيره من المتغنين بأطلال المعتزلة، وأن تسلط أهل السنة على حركة المعتزلة والتيار العقلي كان كارثة من كوارث التاريخ العارمة، فيقول: ((وحسب المفكر (أحمد أمين)[١] في كتابه (ضحى الإسلام) فإن أحد الكوارث العارمة في التاريخ الإسلامي كانت في تسلط تيار (أهل السنة والجماعة) وقتل حركة (المعتزلة والتيار العقلي) وهو يقول: إن التيارين يشبهان من وجهٍ حزبي (الأحرار والمحافظين) وأنه كان بالإمكان أن يتعايشا ويعدل أحدهما الآخر. ولو حصل هذا لتدفق التاريخ الإسلامي في مجرى مختلف، ولربما ولدت الثورة الصناعية عندنا قبل بألف سنة))[٢].

ود. خالص يرى أن من عوائق تطور المجتمع الإسلامي القول بمفهوم البدعة والنظرة الأحادية بل وشبه أصحابها بالحمار واعتبر المعنى الأحادي المتصلب – ولا شك أنه المرتبط بالدليل – من أسباب رجعية التدين، فيقول: ((لعل مفهوم البدعة أحد عوائق تطور المجتمع الإسلامي، كأنه الأغلال التي تشد الأعناق إلى الأذقان فهم مقمحون ... مع العلم أن الغل هو الطوق في عنق الحمار، فلا ينظر إلا في اتجاه واحد، وهو تعبير قرآني مدهش. وبذلك المعنى الأحادي المتصلب يصبح التدين"رجعية"))[٣].

ويؤكد ذلك المعنى مرة أخرى، ويُرجع تخلف المسلمين وتقدم وتفوق الغرب عليهم، إلى النقل الذي حاصر العقل وحجر عليه ومنعه من الاجتهاد، فيقول: ((وأما (العقل) فهو محاصر بأسوار من النقل، وأما الاجتهاد فكان حِجْراً محجوراً؛ وهو يفسر لماذا كانت رياح

---

(١) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. اشتهر باسمه (أحمد أمين) وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية. ثم عين مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية. وانتخب عميداً لها، وهو من أكثر كتاب مصر تصنيفاً وإفاضة. ومن أعماله إشرافه على (لجنة التأليف والترجمة والنشر) مدة ثلاثين سنة، ومن تآليفه المطبوعات: (فجر الإسلام) و(ضحى الإسلام) و(ظهر الإسلام) و(يوم الإسلام) وغيرها، (توفي:١٣٧٣هـ) (انظر: الأعلام، الزركلي ج١ ص١٠١، ومعجم المؤلفين، وعمر كحالة، ج١ ص١٦٨).

(٢) ما هو العلم؟ نحو تأسيس جديد للفكر الإسلامي، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

(٣) مسافة التسامح، د. خالص جلبي،. صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

الإنتاج المعرفية شمالية غربية، وليس من الشرق إلا رياح السموم تدمر كل شيء بأمر ربها))[1].

ويعتبر أعظم عقبة لا بُد أن تُواجَه ويُتخلَّص منها هو فكر الآباء المتضمن لذلك المخزون الثقافي، الذي يرى أنه لم يعد يؤدي دوراً، بل أصبح مؤذياً؛ لأنه بمثابة الجثث الواجب دفنها سريعاً، فيقول: ((أعظم عقبة تواجه العقل وأحفلها بالتحدي التخلص من فكر الآباء. الذي نهانا الله عن اتباعه، و(التحرر) منه هو التحرر مما نسجه الآباء بكل حرص وحب ... ولكن (من هم آباؤنا؟) والجواب على هذا صعب وحساس ومزعج ولكن لا مفر من الإجابة عليه؟ ويمكن القول باختصار إنه ذلك المخزون الثقافي من تراثنا الفكري الذي لم يعد يؤدي دوراً ويؤذي مثل الجثث التي تؤذي رائحتها ويجب أن تدفن وبسرعة على السنة))[2].

١١. تمجيد رواد الاتجاهات العقلانية الحديثة للفرق المنحرفة القديمة وأسفهم عليها، والعمل على إحيائها، وارتباطهم الوثيق بتراثها، وأن العلاقة بين المدرستين الحديثة والقديمة، علاقة تلمذة وانتماء حتى تلك الفرق الشاذة.

أما الفرقة التي خُصَّت بالتأييد الفائق من أكثر رواد المدرسة العقلية الحديثة، فهي المعتزلة، ولا غرو، فهي الفرقة التي رفعت لواء القداسة العقلية ثم لأنها خلفت تراثاً عقلياً ضخماً متكاملاً تغلغل في صميم التراث الإسلامي.

فهذا محمد الجابري يمتدح المعتزلة الأوائل ورؤيتهم المؤسسة على النظر والاستدلال والمدعمة بالحجج العقلية، فيقول: ((لعل كتاب الإمام الرسي[3] هذا يعبر عن فكرة التوحيد

(١) الأصول العشرة في التخلف! د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

(٢) السلفية بين الفكر الإصلاحي والفكر التقليدي، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

(٣) القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني العلوي، أبو محمد، المعروف بالرسي: فقيه، شاعر، من أئمة الزيدية، من تصانيفه: الرد على ابن المقفع، سياسة النفس، العدل والتوحيد، الناسخ والمنسوخ، ورسالة في الامامة. (انظر: الأعلام، الزركلي ج٥ ص١٧١، ومعجم المؤلفين، وعمر كحالة، ج٨ ص٩١).

كما قررها المعتزلة الأوائل حينما كانوا يُشيدون الرؤية البيانية (العالمة) أعني المؤسسة على النظر والاستدلال والمدعمة بالحجج العقلية))[1].

وها هو د. جلبي يُمجد الفرق المنحرفة، كالمعتزلة ويُثني على شيوخها، ويندب تراثهم العقلي، فيقول: ((وعندما استقر الأمر للعقل الكسيح، وطحن التيار العقلاني من المعتزلة وسواهم أصبح التشكيك في عقيدة أي إنسان حتى اليوم يكفيها أن تنسب لهذا الخط الفكري. ورَسَا مصير المعتزلة والاتجاه العقلاني في خانات الهرطقة، وأمسى العقل في جيب الحاكم، وحطم وأفنى كل تراثهم العقلي من نوعية العقل الجبار (النظام) وبقيت الساحة عقلاً من دون مراجعة، أو نقلاً من دون عقل))[2].

وها هو أركون يحزن ويتألم لأحد رواد المدرسة العقلية الحديثة، ويندب حظ أمثاله من المغامرين الذين يخاطرون بأنفسهم في أرض الموت، يقول: ((لقد لعب القرآن الدور الحاسم الذي نعرفه في توسع وانتشار ما لا نزال نمارسه الآن تحت اسم العلوم الدينية بصفتها مضادة للعلوم العقلية. ومن الغريب العجيب أنه لم تفتح حتى الآن أي ورشة فكرية أو علمية حول القرآن في أيّ بلد من بلدان المؤتمر الإسلامي ... بل إن المسكين نصر حامد أبو زيد الذي نشر دراسة متواضعة عن القراءة الألسنية للقرآن راحوا يلاحقونه في محاكم القاهرة! وهذا لا يشجع إطلاقاً على الانخراط في هذه البحوث المرغوبة من قبل المفكرين الأحرار، وويل لأولئك المغامرين الذين يُخاطرون بأنفسهم في هذه الأرض المليئة بالألغام))[3].

١٢. تعطيل الجهاد في سبيل الله، وتضييق دائرته، وقصره على ما يسمى بـــ(الدفاع) فقط بدعوى الرد على فرية المستشرقين الزاعمين أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف.

---

(١) بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري (المتوفى: ٢٠١٠م)، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩م، الطبعة: التاسعة، ص١٧٧.

(٢) طبيعة البشر الطغيان، د. خالص جلبي، جريدة الشرق الأوسط، العدد:٧٩٢٥ الأربعاء ٠٩ جمـــادى الأولى ١٤٢١هـ ٩ أغسطس ٢٠٠٠م. www.aawsat.com.

(٣) قضايا في نقد العقل الديني أركون، ص٥٨.

فيرى جمال البنا أنَّ الجهاد في سبيل الله أُلغِيَ؛ فيقول: ((أمَّا جهاد اليوم بلفظه فهو جهاد بلا قتال، وإنَّ جهاد القتال أُلغي))(١).

ويذهب إلى ذلك أيضاً ويؤيده د. حسن الترابي ويرى أن الجهاد مرحله تجاوزها الفكر الإسلامي وأن عهد الامبروطوريات قد ولى، فيقول: ((القتالُ حكم ماض، هذا قولٌ تجاوزه الفكر الإسلامي الحديث، في الواقع الحديث، ولا أقولُ إنَّ الحكم قد تغير، ولكن أقول: إنَّ الواقع قد تغير، هذا الحكم عندما ساد كان في واقع معين، وكان العالم كلُّه قائماً على علاقة العدوان، لا يَعرف المسالمة، ولا الموادعة، كانت امبراطوريات، إما أن تعدو عليها أو تعدو عليك، ولذلك كان الأمر كلُّه قتالاً في قتال))(٢).

وهذا التعطيل والإلغاء لشعيرة الجهاد في سبيل الله، خصها د. خالص جلبي بمزيد عناية واهتمام وأولاها جهداً مستقلاً، فألَّف فيها كتابين مستقلين هما: سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي، وجدلية القوة والفكر والتاريخ؛ لتقرير مذهبه في السلم ونبذ العنف، وفي حديثه عن هذا المذهب، وكيف يمكن مقابلة العنف بالسلام؟ وكيف تحاور الكلمة الرصاصة، ونبذ العنف وعبثية الحرب، يقول بقناعة متناهية وإصرار على هذا التوجه: ((حيث إن هذه المشكلة أقضت مضجعي وشغلتني منذ ما يزيد عن عشرين عاماً، حتى انتهيت إلى وضوح في هذه الفكرة وتماسك في بنائها ويقين في محتواها، ولا أزعم أن هذا هو اليقين المطلق بل هو حصيلة البحث الذي وفرت له طاقتي الفكرية منذ ربع قرن من الزمان، ولذا فإنني أكتب في هذا المجال بشعور المختمر والسعيد والشغوف في إعلان هذا التوجه))(٣).

ولذا فهو يدعو لإقامة حلف عالمي مع اليهود والنصارى وبقية أمم الأرض، ويرى أن ذلك هو الجهاد، فيقول: ((والجهاد بمعنى القتال المسلح هو دعوة لإقامة حلف عالمي لرفع الظلم عن الإنسان أينما كان ومهما دان))(٤).

---

(١) الجهاد، جمال البنا، (المتوفى:٢٠١١م)، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٩م، الطبعة: الأولى، ص ١٢١.

(٢) د. حسن الترابي، جريدة الأيام السودانية، ١٤٠٨/١١/٦هـ.

(٣) سيكولوجية العنف وإستراتيجية العمل السلمي، د. خالص جلبي.

(٤) أربعة أنظمة فكرية، د. خالص جلبي،. موقع صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

ويقول أيضاً: ((إن إعلان الجهاد، في لبّه، هو دعوة لإقامة حلف عالمي يُسلط ضد الظالمين في الأرض؛ لنجدة كل المظلومين أينما كانوا في أرجاء المعمورة الأربعة))(١).

بل ويرى أن الجهاد إنما شُرع لحماية المخالف فحسب وتأمين الوسط الفكري الحر فيقول: ((فالإسلام جاء لإدخال الأمن الاجتماعي وإعلان (حق الوجود للمخالف) فهذا هو الجهاد، فهي تلك الأداة من (العنف) والمحتكرة من الدولة والتي تُسلط لحماية المخالف، ضد من يمارس الاضطهاد على الناس، فالجهاد شُرع ليس لنشر الإسلام، بل لحماية المخالف وتأمين الوسط الفكري الحر ... وإذا كان الجهاد المسلح هو لحماية المخالف وضد الظالم، فهي أداة مسخرة حتى ضد المسلم (عندما يكون ظالماً)، وهي ليست ضد الكافر طالما كان عادلاً، وهو تحرير مهم لفكرة الجهاد كونه دعوة لإقامة حلف عالمي لرفع الظلم عن الإنسان أيا كان، فهي قد تكون ضد الظالم المسلم، لتحرير الكافر المظلوم كي لا يمارس عليه أي إكراه))(٢).

ووصل به الحال إلى أن اعتبر قتال الكفار للمسلمين جهاداً، وانقلب المفهوم لديه رأساً على عقب، فيقول: ((وبذلك فإذا رأينا أن الوثنيين يضطهدون ويعذبون ويطردون من ديارهم بالقوة المسلحة في أقصى جزر الأرض على يد المسلمين، فيجب نصر الوثنيين المظلومين ضد المسلمين الظالمين؛ لأن علة الجهاد هي رد الظلم من أي مصدر جاء))(٣).

وتمادى في قلب المفاهيم وإعطاء حق الجهاد للكفار ضد المسلمين، بل أفتى لزعماء الكفر بقتال المسلمين واعتبر ذلك جهاداً، حيث اعتبر: ((أن حرب أمريكا لزعيم صربيا سلوبودان ميلو سوفيتش، هي نوع من الجهاد، طالما تريد رفع الظلم عن شعبه، كذلك لو هاجمت العراق لتخفيف معاناة شعبها، فذلك نوع من الجهاد))(٤).

---

(١) يوم العدالة، د. خالص جلبي، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٨٢٦١، الأربعاء ٢٠ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ - ١١ يوليو ٢٠٠١م، www.aawsat.com.

(٢) أربعة أنظمة فكرية، د. خالص جلبي،. موقع صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

(٣) سيكولوجية العنف واستراتيجية العمل السلمي، د. خالص جلبي.

(٤) د. خالص جلبي، مكاشفات ملحق الرسالة في ١٤٢٣/٨/٢٨هـ. جريدة المدينة www.al-madina.com.

وهكذا العقول عندما لا تنقاد للوحي وهو العاصم والحافظ لها، فتصبح بلا خطام أو زمام يقودها ويوجهها، فتأتي بالعجائب والطوام وتنقلب لديها المفاهيم والتصورات.

ثانياً: السمات المشتركة للتدين عند المرجئة وأصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

ومن أهم تلك السمات العقدية والتي تُعد أصلاً من الأصول التي اشترك فيها أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين مع المرجئة، والتي تدخل تحت باب الإيمان الذي ظلت فيه المرجئة، ويندرج تحتها ويتفرع عنها غيرها من السمات الأخرى.

١. الإيمان شيءٌ واحد عندهم، وأنه يكفي فيه تصديق القلب أو قول اللسان.

٢. الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية.

وفي ذلك يقول د. يحيى هاشم فرغل: ((مصدر الخطر ضد ظاهرة التدين الحالية – خالصة أو مغشوشة – يتمثل في ميراث المرجئة؛ فرقة المرجئة التي تمطت متثائبة داخل المجتمع المصري في غفلة الانشغال بما يسمى مقاومة الشيعة والوهابية والإرهاب والتطرف، وفي خضم العمل على ترسيخ العلمانية، وبخاصة في أوساط الفنانين وبعض العلمانيين وبعض المثقفين الحداثيين، حيث تنمو كل منها على عفن الآخر تحت قاعدتين أساسيتين من قواعد فرقة المرجئة: إرجاء الحكم بالإيمان والكفر، وقاعدة: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وسوف نحاول الكشف عن هذا الامتداد القابع وراء ستار ما يتحدثون فيه عن التدين المغشوش وهي في تقديرنا أمراض صاحبت ظاهرة التدين))[(١)].

ويضيف صاحب كتاب التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب في مجتمعاتنا أنور قاسم الخضري: ((وليس عند هذا الجيل[(٢)] إشكالية في التعايش مع المفهوم العلماني للدين! نظراً لمفهوم "الإرجاء" الشائع في أوساطه، ولاختلاط المفاهيم والأحكام الشرعية لديه.

---

(١) دعوة إلى الحقيقة البنائية للإسلام، د. يحي هاشم فرغل، موقع العرب نيوز www.alarabnews.com.

(٢) والجيل: ليس المقصود به هنا كل الناس، وإنما يقتصر على المدعوين المرتبطين بهذه الظاهرة الذين الذين نشأوا فيها وتلقوا عن دعاتها وتأثروا بهم. وهي تحمل ذات المعنى عند تكررها في ثنايا الرسالة.

وهؤلاء في الغالب هم نتاج فقهاء الرُّخص والتيسير والتسامح، ونتاج ما عرف بـــ "الدعاة الجدد"، لذلك فلا غرابة أن تجد في سلوكياتهم الكثير من المخالفات الشرعية الظاهرة! وفيما ينظرون إلى أنفسهم بأنهم عاملون ودعاة للإسلام (الذي يحملونه)، تظهر على أشخاصهم وسلوكياتهم مخالفات شرعية، هي في نظرهم أمورٌ مباحة أو سهلة!!))[1].

ومما ساهم في ذلك تغليب جانب الرجاء في مغفرة الله وعظيم رحمته في مقابل خوف سطوته وأليم عقابه، فضخم الدعاة عند مدعويهم جانب الرجاء على الخوف، فأثمر عندهم تلك الصورة من التدين المتساهل المبيح للمحرمات، يقول أحمد زين: ((وتشكل عند الجمهور المتساهل منهجاً مبيحاً للمحرمات، التي هي دون الكبائر المعدودة على أصابع اليدين!! ويقابل هذه الفتاوى المتساهلة: "إلحاح الدعاة الجدد على الرجاء ورحمة الله وغفران الذنوب مهما كانت، وهي مساحة لا شك فيها ولا إنكار لها ... إن الإلحاح عليها كأنها المسار الوحيد والخيار الفذ أوجد خللاً لدى المتعرضين لهذا الخطاب، ووجههم إلى مزيد من الجرأة على الحرام مع التأكد من مغفرة الله لهم، وكذلك من تركيز بعض الدعاة الجدد على مسألة أعمال القلوب وأهميتها والتقليل من شأن أعمال الجوارح والسلوكيات والأخلاق))[2].

٣. مفهوم العبادة، والتي أصبحت صورة وشكلاً بلا أثر في الحياة، وجُردت العبادات من مقاصدها، وجُمع بين المتناقضات.

قال د. يحيى هاشم: ((ويتلخص مذهب المرجئة الحقيقية في ادعاء أنه كما لا ينفع مع الكفر طاعة فإنه لا يضر مع الإيمان معصية! وفي إرجاء الحكم بالكفر والإيمان: وكلاهما أصبح شائعاً في الجو الثقافي المصري المعاصر بعامة، وبخاصة في أوساط الفنانين، ونخبة المثقفين، وقطاع كبير من العلمانيين، وشاع بينهم دون أن يعرفوا مصدره غالباً، واستحكم فيهم استجابة لعوامل التبرير النفسي لما هم فيه من تخليط وتشويه وتناقض، وبتدبير من إعلام طاغ اتفق موضوعياً مع هذا المذهب كما اتفق موضوعياً مع رغباتهم في الجمع بين

---

(١) التدين الجديد، أنور قاسم الخضري، ص١٨.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

المتناقضات: بين الصلاة والرشوة، والصوم والمسلسلات والزكاة والزنا، والحج والرقص الشرقي، والعمرة والتزوير، والكذب وقراءة الأوراد!!))[1].

٤. الجهل بأحكام الدين ومقاصد الشريعة.

وإذا تدين الناس على غير علم، فإنهم سيقعون حتماً في البدع ويضيفون إلى الدين ما ليس منه أصلاً، وخاصةً إذا تلقوا دينهم عن الأصاغر أو ممن لم يكتمل علمهم، أو من المصادر المختلطة وغير الموثوقة، كالقنوات والشبكات وتُتَلقى الثقافة بل والعلم (من غير أهله) من خلالها، وإهمال النصوص بشكل واضح والانتقائية في الفتاوى والاجتهادات لتبرير المخالفات الشرعية، بل وإكسابها الصفة الشرعية والتسويق لها في أوساط الملايين من المتابعين على القنوات والشبكات المعلوماتية، ولذا فإنه من المظاهر المصاحبة للتدين الجديد: ((ومن المظاهر المصاحبة – وربما تكون أيضاً من الأسباب – في هذه الظاهرة: "القص واللصق من الفتاوى والاجتهادات والتي تجري على أشدها لإكساب المشروعية لكثير من الأفعال التي درج الشباب عليها، فبدلاً من أن يتنازل عن عادات ما قبل التدين إذا به يحاول أن يجد لها مبرراً شرعياً محترماً))[2].

وحتى لا نتجاوز في القول، ونعمم في الأحكام، فإن مظاهر "التدين الجديد" الذي نحن بصدده تختلف من بلد لآخر.. بحسب طبيعة الدعاة فيه، ومدى محافظة المجتمع أو انفتاحه، لكن هناك مظاهر مشتركة إلى حد ما، وهي في حد نظري: تصنيف الفقهاء والعلماء إلى متشددين ومتسامحين، وأخذ الفتاوى عن الطرف الثاني بمبرر تسامحهم ليس إلا!! أي عدم الاعتماد على العلمية والموضوعية في انتقاء الأقوال، وإهمال النصوص والبحث عن الرخص بشكل واضح![3].

بل زاحم أصحاب هذه الظاهرة من الدعاة الجدد العلماء الربانيين وقلدهم الناس حتى

---

(١) دعوة إلى الحقيقة البنائية للإسلام، د. يحيى هاشم فرغل، موقع العرب نيوز www.alarabnews.com.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٣) التدين الجديد، أنور الخضري، ص٢٨.

في بعض المخالفات، وأصبح العلماء أمام هؤلاء الدعاة الجدد، يوصفون بالتشدد وعدم مواكبة العصر، ((لقد أصبحت طائفة "الدعاة الجدد" - إن صح التعبير - تزاحم دور علماء الدين وفقهاء الشريعة، أدركت ذلك أم لم تدرك، وشاركت فيه أو لم تشارك، وأصبحت المخالفات الظاهرة التي ترتكبها هذه الطائفة، أو الانحرافات التي تحملها أحياناً، محط اقتداء من الآخرين. وقد وصل الأمر بالبعض إلى إلغاء الحقائق المعلومة من الدين والواقع تجاه مخالفة ظاهرة، كمخالفات فرقة كـــ"الصوفية" مثلاً.. تحت تأثير بعض هؤلاء "الدعاة الجدد" من التيار الصوفي!! وأحيانا يعطي "الدعاة الجدد" صورة مشوهة عن العلماء والدعاة والفقهاء، وانطباعاً عن توجه ناقد لهم .. باعتبار أنهم متشددون أو ... أو غير مواكبين للحياة العصرية اليوم!!))[1].

وبهذا المبدأ ومن خلاله يتولد عند شريحة من الناس ميل مبني على تتبع الأقوال والاجتهادات الموافقة للهوى، فيخرجوا من الدين من خلال الباب الذي دخلوا منه، بتمييع العقائد وتحويل الثوابت والأصول والقواعد إلى قضايا ثانوية فرعية أو استبدالها بأصول وثوابت محدثة، والتي أصبحت سمة لهذا التيار.

ومما يؤكد ذلك أيضاً الخلل الكبير في الإعداد العلمي للدعاة الجدد، من حيث تخصصهم؟ وطريقة تلقيهم للعلم؟ وممن تلقوه؟ وما حجم العلم الذي حصلوه؟ فمكنهم من تعليم الناس وتربيتهم وقيادتهم وأن يصبحوا قدوات لهم، يتأسون بهم.

٥. رقة الدين، بالتساهل في الدين وأحكامه وحدوده.

وذلك ثمرة مرة من ثمار القول بالإرجاء، وبسببه برزت مظاهر الإعراض عن دين الله وشرعه كلياً أو جزئياً، وصار بعض أفراد هذه الأمة يعتقدون أن التصديق القلبي المجرد من قول اللسان وعمل الأركان هو حقيقة الإيمان الذي أنزل الله به الكتب وبعث به الرسل، بل وصل الحال ببعضهم أن كان الإرجاء من أسباب شيوع المعاصي والفجور بدعوى أن المعول على ما في القلب، وبعضهم يتخذ من بعض النصوص ذريعة وطريقاً لطرح التكاليف وطي

(١) التدين الجديد، أنور الخضري، ص ٣٥، بتصرف يسير.

بساط الشريعة وتخدير الناس وترك الطاعة والانغماس في المعصية.

يقول أحمد زين: ((فهذه الشريحة التي ترى نفسها ملتزمة بالإسلام، وبعضهم يمارس بعض الواجبات الدعوية، وكثيراً ما يحدثك عن قصة التزامه، وعن روعة التدين الذي وجد نفسه من خلاله، ومع كل هذه المظاهر، فإن ثمة ترخصاً تلاحظه على سلوكياتهم، وسأحاول وضع هذه المظاهر بين قوسين دون ترتيب (فتيات يضعن الماكياج الخفيف – يتساهلن في التعطر والنمص – ملابس ضيقة أحياناً – مزاح وضحكات عالية بين الجنسين – حديث بين فتى وفتاة بعيداً عن المجموع، لا مانع أن يكون استشارة أو شكوى – متابعة أحدث الأفلام في السينما العربية والغربية – سماع الموسيقى الغربية ومتابعة أخبار الفنانين – عدم ظهور الاهتمام بغض البصر ... إلخ))(١).

وأصبح ليس مستغرباً أن يتعامل أصحاب هذا التدين مع الفنون بقوة: ((فالقطاعات الشبابية داخل الدعوة الإسلامية أصبحت تتعامل مع الفنون بقوة، بل أصبحت بعض التزكيات توصي بمشاهدة بعض الأفلام السينمائية والأعمال المسرحية، وكثيرة هي النقاشات حول الأعمال الفنية حتى الهوليودية منها داخل مواقع الإنترنت، وساحات الحوار المتعلقة بالحركات الإسلامية))(٢).

بل وصل الحال ببعضهم مع تدينه – كما يقول – إلى أبعد من ذلك في ممارسة الحرام والوقوع في الإثم ولا يرى في ذلك بأساً، يورد أحمد زين بعض الاستشارات للشباب والفتيات في الموقع، فيقول: ((فهذه فتاة مصرية في العشرين من عمرها تقول: تعرفت على شاب في الجامعة على مستوى عالٍ من (التربية) و(الأدب)، وقامت بيننا علاقة حب لكن في إطار "الاحترام" و"المحافظة" على (تقاليد ديننا). ولكن بعد (ارتباطنا) بعام ونصف تطورت العلاقة بيننا بدأت بلمسة ثم قُبَل. وهذا حصل ٣ مرات، والآن أنا وهو ندمنا على ما حصل وقررنا أن نتوب إلى الله، والحمد لله أننا الآن (محترمان)، لكن المشكلة أنني أخاف عقاب

---

(١) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٢) أثر المتدينين الجدد على الحركة الإسلامية، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net. بتصرف يسير.

الله، وأريد أن أرضي ربي بأية طريقة، وقلت (لحبيبي): إنني أريد الانفصال عنه لكي نرضي ربنا، ملحوظة: أخلاقي أنا وحبيبي محترمة جداً، وكان من المستحيل أن نفكر في أن نفعل هذا الخطأ، ولكن كان غصباً عنا. والله العظيم ده مش من طبعنا أبداً. فالكلمات التي بين التنصيص – والتنصيص من عندي – يمكن أن تعطي مؤشراً واضحاً على الارتباك في إدراك مدلولات هذه الكلمات، فالتربية والأدب والمحافظة وتقاليد الدين لا تتنافى تماماً مع القُبَل واللمسات!! كما أن الاحترام لا يمنعها من إطلاق كلمة حبيبي عليه!! والمسوغ طبعاً واضح؛ فهي ترى في علاقتهما المحرمة تلك "ارتباطاً"، وهي كذلك تخلي مسئوليتهما عما حدث، فالأمر كان غصباً عنهما![1].

ولعل من أهم أسباب رقة الدين ووقوعهم في تلك المخالفات وممارستهم لها وعدم تحرجهم منها مع الواقع المتدين الذي يرون أنهم يعيشون في وسطه، هو دور بعض أهل العلم والفتيا في تتبع الرخص والتوسع في التسهيل، يقول أحمد زين: إن البراح في المساحات الفقهية للعلماء الذين ينتهجون التيسير والتسهيل على المسلمين؛ فوجد هؤلاء المتدينون رأياً متساهلاً في كل قضية فقهية، ولا جناح عليهم في انتهاجه، فهو رأي فقهي معتبر من عالم معتبر.

ويضيف: ((وأنا أرى أن ظاهرة القص واللصق من الفتاوى والاجتهادات تجري على أشدها لإكساب المشروعية لكثير من الأفعال التي درج الشباب عليها، فبدلاً من أن يتنازل عن عادات ما قبل التدين إذا به يحاول أن يجد لها مبرراً شرعياً محترماً))[2].

٦. عدم حاكمية الشريعة، على الحياة والأفراد

فالشريعة هي الحاكمة على أعمال الناس وتصرفاتهم وعنها يصدرون في جميع تلك الأعمال والتصرفات، وذلك هو الأصل في تدين الناس، ثم تبدل هذا المفهوم عند أصحاب التدين الجديد. يقول الدكتور محمد بن رزق بن طرهوني: ((بدأ بعض هؤلاء في التفريط في التمسك بأمور من الشريعة بسبب قناعات تولدت لديهم من سماعهم لعمرو خالد، فالتي

---

(١) التدين الجديد، أنور الخضري، ص٦٢.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

كانت محجبة حجاباً شرعياً سليماً تهاونت واكتفت بحجاب عمرو خالد، والتي كانت تتجنب الاختلاط ترخصت فيه، والتي كانت لا تشاهد المسرحيات بدأت تشاهدها، والذي كان مطلقاً للحيته حلقها أو قصرها، والذي كان يتحرج من النظر للنساء والتحدث إليهن ترخص في ذلك وهلم جرا))[(١)].

وعلى مستوى الحياة كذلك، حيث يقول باتريك هايني وهو باحث اجتماع سويسري يعيش في مصر وهو مختص في الظاهرة الإسلامية،: ((أهم نقاط الاختلاف التي ترصدها الدراسة – بين الدعاة الجدد ومن قبلهم – كانت الابتعاد عن السياسة والتزام خطاب أخلاقي يختلف مع خطاب هذه الجماعات والتنظيمات السياسية))[(٢)]. بل إن التدين الجديد يهدف إلى التدين الشخصي والأخلاق في التعامل، بعيداً عن حاكمية الإسلام على الحياة، يقول عاصف بيات: ((هناك تحول من التركيز على فكرة "الحاكمية للإسلام" إلى التدين الشخصي والأخلاق في المعاملات اليومية، وهو تحول من فلسفة تستهدف الطبقات الاجتماعية المتوسطة والفقيرة إلى استهداف الطبقات العليا في السلم الاجتماعي، وهذا التحول يجعل الإسلام ليس مشروعاً سياسياً بقدر ما هو نشاط دعوي يهدف إلى الخلاص الذاتي))[(٣)].

بل يرى البعض أن من أسباب النجاح لظاهرة التدين الجديد ومما يميزها عن غيرها وحول سؤال لصحيفة «الشرق الأوسط» لـــ"باتريك هايني" عن مدى احتمال تحول خطاب عمرو خالد و"الدعاة الجدد" إلى وجهة سياسية؟ فأجاب: ((الابتعاد عن السياسة كان سر نجاح هذه الظاهرة، وما يميزها عن خطاب جماعات الإسلام السياسي الآخذ في الأفول، كما أن التدين الجديد ذا الطابع (المتعولم) والذي يتصاعد خطابه عالمياً دائماً ما يتكون وينمو خارج السياسة، إضافة إلى أن خطاب عمرو هو بالأساس خطاب للطبقات العليا والصاعدة

---

(١) ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص١٠.

(٢) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع العرب نيوز www.alarabnews.com.

(٣) الشباب المتدين بين عمرو خالد وعمرو دياب، عاصف بيات، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

التي لا مصلحة لها في أي تغيير سياسي ولا تملك تصوراً ولا رغبة فيه))[1].

٧. مخاطبة أوساط اجتماعية ثرية ورفيعة ومثقفة بل ومنفتحة.

ولعل من السمات التي أسهمت في نشأة وتكون وامتداد هذه الظاهرة (التدين الجديد) أو ما يسميه البعض (التدين اللذيذ)، هي مخاطبة طبقة اجتماعية معينة أقبلت على هذا النوع من التدين والذي قُدم لها بمواصفات خاصة، ولا يُكلف أصحابه شيئاً، ولا شوكة فيه، ولهذا تأثرت به هذه الطبقة وأصبحت من رواد دعاته في النوادي والفنادق وحتى القنوات والشبكات ولا شك أن للجوانب الشخصية والفكرية وكذلك العوامل المحيطة من الأسرة والمجتمع المحلي وما أسهمت به وسائل الإعلام والاتصال من تشارك واطلاع وانفتاح على المجتمعات بعاداتها وتقاليدها وثقافتها وتدينها، والاختلاط بها في ظل غياب المعرفة الصحيحة والرؤية النقدية الفاحصة والقادرة على التمييز والاختيار من الكم الهائل من المعرفة والذي تمطرنا به القنوات والشبكات، خصوصاً لدى شريحة الشباب والفتيات ومتابعي قنوات الاتصال، والمحافظة على الهوية المستقلة مع الانفتاح المهول والمهول والضاغط على تذويب وسحق الشخصية، وتجدد الصراع والتلاطم في الأفكار والعقائد والتقاليد والثقافات، وكيد ودس أعداء الله.

ولذا كانت الأوساط الاجتماعية الثرية هي الشريحة الأقرب والأسرع تأثراً بظاهرة التدين الجديد، ومن أول مظاهر "التدين الجديد" أنه تدين في أوساط اجتماعية ثرية ورفيعة ومثقفة بل ومنفتحة، يقول أحمد زين: ((إذا ركزنا على المجتمع المصري كمثال، فسنجد تغيراً يُلحَظ في المجتمع المصري – ربما منذ ١٩٩٨م – في خريطة التدين به، فثمة انتقال لثقل التدين نحو طبقات أعلى اجتماعياً واقتصادياً وأقوى وأكثر تأثيراً. ويضيف: "لكن في العقد الذي نعيشه برزت مظاهر التدين وسط طبقات أكثر ثراءً، أو بشكل أدق: الطبقات "الأكثر ثراءً".. مجتمعات (مارينا) التي غزاها الحجاب، ومساجد النوادي الراقية (الشمس والصيد

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، الجمعة ٠٩ شوال ١٤٢٣هـ – ١٣ ديسمبر ٢٠٠٢ العدد ٨٧٨١. www.aawsat.com.

وسبورتنج) التي امتلأت بجمهور كان قد تعود على ارتياد أماكن اللهو، وقد نشر هذا الجمهور في أنديته صلاة القيام والدروس الدينية، وشهدت الجامعة الأمريكية - وهي مكان نخبة النخبة مادياً في مصر))[1].

ولطبيعة وتركيب وثقافة هذه الطبقات الثرية، ومعنى التدين لديها، فإنها رأت أنها بحاجة إلى بعض الجوانب المجتزأة من الإسلام، والتي لا تكلفها شيئاً، ولهذا ترى دراسة باتريك هايني: ((أن نموذج عمرو خالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب والطبقات العليا في مصر، ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر، بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين وفي ألا تحمل شعوراً بالذنب أو إحساساً بالتقصير يدفعها إلى إعادة النظر في وضعها الاجتماعي وما يكفله لها من امتيازات لا تتاح للطبقات الأقل، وهو تدين ذو مواصفات خاصة لن تجده هذه الشرائح في خطاب الشيوخ التقليديين[2]))[3]. كما أن دروس الدعاة الجدد تتم غالباً في النوادي والفنادق الفخمة والتي لا يرتادها النخبة، ((فدروس عمرو وزملائه تتم في نوادي النخبة والفنادق الفخمة وبعضها في مدينة دريم لاند التي تمثل صورة مصغرة لمجتمع النخبة الرأسمالية والتي يستدعي ذكرها اسم (ديزني لاند) أحد أشهر رموز الرأسمالية الغربية))[4].

بل إن البعض يرى أن من أسباب نجاح هذه الظاهرة مع هذه الشريحة أن دعاتها قدموا لهم ديناً لذيذاً، يقول الدكتور صلاح عبد المتعال، وهو من المتابعين والمراقبين لهذه الظاهرة، في حوار له مع موقع "إسلام أون لاين: ((ويفسر نجاح تيار "الدعاة الجدد" في: "أنه يقدم

---

(١) المتدينون الجدد من الـ(تيك أوي) إلى (ون كليك)، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٢) التقليديين: يقصد بهم الكاتب العلماء، وعبَّر بهذا التعبير في مقابل الدعاة الجدد، وقد أخطأ في هذا الوصف، وكان عليه أن يسميهم بالعلماء.

(٣) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

(٤) المصدر السابق نفسه.

للشباب وجبة شهية من (الدين اللذيذ)، دون (التكليف المر)، فلم يحمِّلهم هم هذا الدين، حيث عرض عليهم دينا" لا شوكة فيه))[١].

٨. التصوف.

فإنه وكنتيجة طبيعية لما عليه أصحاب التدين الجديد من منهج مختلط ينقصه العلم والتحقيق سواء من دعاته أو من الناس المتلقين لذلك التدين، فإنه قد شابه بعض الانحراف العقدي والسلوكي ومن ذلك التصوف، وأصبح المتدينون الجدد يتلقون قدراً لا بأس به من العقيدة الصوفية من بعض الدعاة الجدد، ((أحد أهم سمات هذا النمط من أنماط التدين. فهو نمط تصالحي، التدين فيه حالة تستهدف التجميع لا التفريق، والتسديد والمقاربة لا المواجهة والمفاصلة. وأبرز مصالح هذا التصالح أن تجد ضمن قائمة الدعاة الجدد من هو صوفي ومن هو فقيه ومن هو مهتم بإدارة الحياة.. إلخ))[٢].

ومن تلك النماذج للدعاة الجدد وممن عُرف واشتُهر بالتصوف والدعوة إليه، الحبيب علي الجفري: تتلمذ الجفري على يد عدد من دعاة الصوفية في أرض الحجاز، وهو يدرس بدار المصطفى بتريم[٣] أشعري المعتقد، شافعي المذهب، صوفي الطريقة! له العديد من البرامج التي يقدمها على القنوات الفضائية، وموقع خاص على الإنترنت.

يقول عنه الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: ((الرجل تحكم عليه أشرطته وكتبه، الرجل مبتدع خرافي يدعو إلى عبادة القبور والأضرحة .. رجل خرافي أشرطته موجودة وبصوته وكلامه، يستهزئ بأهل السنة وأهل التوحيد ويسخر منهم ...))[٤].

---

(١) الدكتور صلاح عبد المتعال الخبير الاجتماعي المصري، المستشار بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر، وهو من المتابعين والمراقبين لهذه الظاهرة، الدين اللذيذ .. لغة الدعاة الجدد، في حوار أعده: صباح هاشم، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٢) التدين الجديد، وسام فؤاد، ص٢٩.

(٣) تريم: اسم إحدى مدينتي حضرموت لأن حضرموت اسم للناحية بجملتها ومدينتاها شبام وتريم، وهما قبيلتان سميت المدينتان باسميهما. (معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج٢ص٢٨).

(٤) التبيان الجلي لحقيقة الجفري علي، فتاوى العلماء في الجفري، موقع شبكة المجهر .www.almijher.com

وكذلك الشيخ عبد العزيز الراجحي يقول عنه: ((الذي نرى أن الجفري صوفي، هو صوفي أشعري بل يتجاوز ويمدح أهل وحدة الوجود وغيرهم وكذلك أيضاً يرى جواز الشرك ودعاء الصالحين، دعاء الأموات، فهو مُخرِّفٌ، قبوري، صوفي، أشعري))[1].

وارتباط عمرو خالد بالجفري علي، ظاهر، والعلاقة بينهما وثيقة، وشاركا معاً في مؤتمر هذا نبينا في كوبن هاجنب الدنمارك. ويصف حسام تمام أيضاً ارتباط هذه الظاهرة بالتصوف، وتأثيرها في أوساط الشباب، قائلاً: ((وكان رأيي أن ظاهرة التدين الجديد التي انتشرت في كثير من البلاد العربية ربما لن تشهد امتداداً لها في السودان، غير أنني حين زرتها وبحثت عن ظاهرة الدعاة الجدد وجدتها ولكن متدثرة بالعباءة الصوفية في أبهى صورها))[2].

٩. التأثر بالثقافة الغربية وتقليد الغرب واختلال مفهوم الولاء والبراء.

وهذه من السمات الأظهر والأخطر في هذه الظاهرة من حيث تأثر وإعجاب دعاتها أولاً ومن ورائهم من المدعوين بالثقافة الغربية خاصة مع وسائل الإعلام والاتصال التي سهلت ويسرت سبل التواصل مع المجتمعات الغربية وثقافتها على أوسع نطاق، مع ما تعيشه هذه الشريحة والطبقة المترفة خصوصاً من محاكاة وتقليد للثقافة الغربية لكثرة تواصلها واحتكاكها بها من خلال السفر والدراسة والسياحة، وأصبح نمط المعيشة لكثير من المنتمين إلى هذه الظاهرة نمطاً غربياً بدءاً من ملابسهم ومروراً بعاداتهم وتقاليدهم، يقول أحمد زين: ((لكن التعاطي ونمط المعيشة والتصورات تتم وفقا لنمط الحياة الغربية بصورة طاغية ولافتة))[3].

ومع أن الظاهرة في مجتمع عربي فإن ارتباطها بالخطاب الغربي والقيم الغربية يبدوا واضحاً، يقول وسام فؤاد ((الظاهرة تكاد تكون محلية مصرية ذات ارتباطات بالخطاب الإسلامي الغربي، وبخاصة مع استهلاكها للقيم الفنية التي ينتجها مسلمو الغرب، وتحبيذها

(١) التبيان الجلي لحقيقة الجفري علي، فتاوى العلماء في الجفري، موقع شبكة المجهر. www.almijher.com

(٢) الصوفيون في السودان يدخلون البروتستانتية الإسلامية، حسام تمام، موقع صحيفة القاهرة، العدد: ٣١٠ - ٢٠٠٦/٣/٢١م. www.alkaheranews.com.

(٣) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

نمط الخطاب الاندماجي التصالحي الذي يحمله المفكرون الغربيون المسلمون))[1].

ولا شك أن الشباب أكثر تأثراً وتقليداً للثقافة الغربية وأكثر تناغماً معها في ظل الانفتاح الإعلامي الكبير الذي يعيشونه ووسائل الاتصال التي يتبعونها ويتلقون منها أغلب ثقافتهم ويشير الباحث الأستاذ في علم الاجتماع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة إلى ((أن هذا التيار الجديد من الدعوة ظهر ليوفِّي بمتطلبات الشباب الذين ينفتحون أكثر فأكثر على الثقافة الغربية، فهذا الشباب الممتلئ بالأفكار المختلفة غير المتناغمة أنتج هذه الثقافة الجديدة من التدين))[2].

وهؤلاء المتدينون الجدد يعملون على تطبيع الثقافة والمظاهر الغربية في مجتمعاتهم وأوساطهم المتأثرة بتلك الثقافة، ثم تتسع تلك الدائرة لتشمل كل من يستمع إليهم عبر وسائل الاتصال المتاحة والمتنامية كماً وكيفاً لتنقل تلك الثقافة في أسرع وقت ولأكبر شريحة وبتقنية عالية: ((وفي نظري أن هذا الأثر الذي يحدثه "المتدينون الجدد" في الأوساط الاجتماعية بتطبيع السلوكيات والمظاهر الغربية في مجتمعاتنا! يتم عبر عدة أمور منها! الكلام عن الحريات الخاصة وحقوق الإنسان (والمرأة)، بلهجة إسلامية ومضامين أجنبية تشربها هؤلاء من أوساطهم الاجتماعية، ومن خلال ثقافاتهم المتلقاة من الفضائيات والإنترنت والدراسة في معاهد اللغات وكليات الإدارة))[3].

١٠. الاختلاط بالمرأة والدعوة لمشاركتها والتخلي عن الحجاب الشرعي.

وهذه السمة ظاهرة جلية، وأصبحت المرأة عنصراً بارزاً وفعالاً فيها بالحضور في البرامج والمشاركة في الأعمال التطوعية والخيرية، ((فلا مشكلة أن تتحدث الفتاة في التليفون مع ابن عمها، ولا مانع أن ترافقه إلى عمل أو زيارة، ولا مشكلة أن يتصلا ببعضهما لترتيب زيارة إلى ملجأ أو رحلة جماعية مع بعض المسنين، أو ينزلا في سيارة أحدهما لشراء

---

(١) التدين الجديد، وسام فؤاد، ص٢٩.

(٢) الشباب المتدين بين عمرو خالد وعمرو دياب، عاصف بيات، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٣) التدين الجديد، أنور الخضري، ص٦٤.

احتياجات هذه الرحلة))[١].

ومما أسهم في ذلك فتاوى الرخص والآراء المتساهلة بدعوى التيسير على الناس يقول أحمد زين جاء من استقراء: فـ"من خلال فتاوى المرأة على موقع "إسلام أون لاين نت" نستطيع أن نرسم صورة لحركة المرأة في المجتمع؛ فهي تصافح ابن عمها أو ابن عمتها عند الضرورة (فتوى: مصافحة الرجل للمرأة .. الحكم والضوابط، د. القرضاوي) وهي تقابل مطلقها لأغراض شريفة (هل يجوز للمرأة المطلقة أن تتقابل مع من طلقها بعد الطلاق لأغراض شريفة؟ د. القرضاوي)، وتستطيع أن تتابع رياضيين يرتدون الشورت (فتوى: ضوابط النظر بين الرجل والمرأة، د. القرضاوي)، كما أنه لا بأس أن ترقق المرأة حاجبيها (فتوى: ترقيق المرأة حواجبها، الشيخ عطية صقر)، وتستطيع أن تخطب لنفسها من أرادت (فتوى: ما حكم أن تخطب المرأة الرجل؟ د. علي جمعة)، ويجوز أن تضع العطر الخفيف (فتوى: حكم وضع المرأة للعطر، الشيخ عطية صقر)، وهي تخدم الضيوف (فتوى: خدمة الزوجة للضيوف، عطية صقر)، كما يجوز لها ركوب الدراجة (فتوى بدون اسم مفت)، كما يجوز لها العدو في الشارع (فيصل مولوي)، كما يجوز لها قراءة القرآن أمام الرجال (فتوى: د. نصر فريد واصل) ... إلخ"!!))[٢].

بل وصل الحال إلى اختلاط الشباب والفتيات في برامج حوارية (أخوية) مشتركة يتناولوا خلالها بعض المسائل الدينية، وكذلك الحال في الجامعات والمعاهد والخروج معاً في رحلات دعوية لتجديد الإيمان، ((البرامج التلفزيونية التي يقوم عليها شباب من الجنسين ليتناولوا مسائل دينية ونفسية وتربوية من منظور "إسلامي"، مع تبادل الحوار والطرفة والجلسة "الأخوية"! من مثل برنامج "يللا شباب" على الــ M.B.C.

- الاختلاط في أوساط الشباب والفتيات السالك في هذا السبيل من "التدين الجديد"، في الجامعات والمعاهد، إلى درجة خروج رحلات مشتركة.. في بعض الدول! وتعد هذه

---

(١) المتدينون الجدد من الــ(تيك أوي) إلى (ون كليك)، أحمد زيــن، موقــع إســلام أون لايــن www.islamonline.net.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

الرحلات برامج دعوية "يجدد فيها الإيمان"!))[1].

ويمتد هذا الاختلاط ليصبح واقعاً مطبعاً في حياة الشباب والفتيات، وأحياناً بحجة الدعوة إلى الله وهداية الطرف الآخر وكسب وده وإيصال الخير إليه ((ونموذج آخر هو شاب يرى أنه داعية ويعمل مع عدد من "الإخوة"، لكن هذه الدعوة لا يجد فيها أدنى مشكلة أن يمارسها مع بنتي عمته اللتين في مثل عمره تقريباً - المرحلة الجامعية - ويقول: طوال خمس سنوات مضت، وأنا أزور عمتي تلك، وأجلس مع ابنتها وأخواتها وإخوتها الرجال كصلة رحم، وبعد فترة أحسست أن الفتاتين تكبران، ودخلتا الجامعة فخفت عليهما من الفتن، وعزمت أن آخذ بيدهما إلى طريق الله - عز وجل - فبدأت أولى تلك المراحل، وهي كما تعلمنا: الحب في الله، فكنت أجتمع بهما وأحدثهما عن صلة الرحم، وأسأل عن علاقاتهما في الكلية وأنصحهما، ولكن كنت أركز على إحداهما أكثر، لما أجده فيها من استجابة وحسن فهم .. فالداعية الصغير يحب ابنة عمته في الله وينصحها .. وهو لا ينكر أنهما تعلقتا به، وهو نفسه يعترف أن هناك بعض التجاوزات!! يقول الشاب: كانتا دائما تنتظران مجيئي لنتحدث، ولكن كان هناك تجاوز أحيانا في مسألة الضحك معهما، وأنهما كانتا تجلسان بلا غطاء رأس، وكنا أحيانا نختلي أنا وهي ولكن في نفس البيت، والكل يمر علينا طلوعاً ونزولاً! لكن الداعية الهمام يتحمل كل هذه التجاوزات في سبيل الله!! فيقول: لكن كنت أجاهد (!!) حتى لا أنفرهما مني، وكنت أعمل على كسب ودهما وحبهما حتى يصل كل ما أقوله بسهولة))[2].

وهذه المظاهر وغيرها تتكرر في أوساط هؤلاء المتدينين حتى في ألبستهم وحجاب نسائهم وعلاقاتهم الاجتماعية ببعضهم ((ولكي نتتبع تاريخ هذا النوع من التدين وظهوره في مصر يجب رصد أهم مظاهره: في الملبس الذي يغلب عليه الطابع الأوربي وتتبع آخر خطوط الموضة للرجال الحليقي اللحية بينما حجاب النساء لا تتوافر في معظمه الحد الأدنى من شروط الحجاب وفي العلاقات الاجتماعية تسود ثقافة الاختلاط بين الرجال والنساء))[3].

(١) التدين الجديد، أنور الخضري، ص٦٤.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٣) قراءة في ظاهرة المتدينين الجدد، حسن الرشيدي، موقع مفكرة الإسلام، www.islammemo.cc.

وأصبح لبعض النساء في هذا الوسط حجاب خاص أخذ شكلاً مظهرياً، أطلق عليه حجاب المتدينات الجدد، يقول أحمد زين: ((إن كثيراً من السيدات والفتيات المنتسبات للحركة قد استبدلن بـــ(الخمار التقليدي) الذي تعود عليه المجتمع المصري والذي كانت توصف كل من تلبسه بـــ(الأخت) .. استبدلن به غطاء الرأس والصدر القصير المتعدد الأنماط والألوان. هذا التغير وإن أخذ شكلاً مظهرياً إلا أنه ينبئ عن حراك ما، هذا الحراك ربما يكون تم تحت ضغط الأناقة التي يبدو عليها حجاب المتدينات الجدد، وانخراط الكثيرات منهن في مناشط الدعوة وربما تحت ضغط الانفتاح على أشكال الحجاب المختلفة (الإيراني والخليجي والأوربي ...) التي وسعت الخيارات أمام هذا الجمهور الذي تعود على نمط واحد من الاختيارات. ولكنه في رأيي يبقى تأثراً بالتدين الجديد، وثورة على النمط التقليدي))(١).

وترى بعض المتدينات أن هذه المظاهر من الدين، وأن الجمال الحقيقي هو جمال الأخلاق وأنها ترغب في عرض الصورة الصحيحة للإسلام لكل الناس حسب مفهومها وتصورها للدين: ((يحضرني مثال تعجبت له، وهو أن إحدى رموز المتدينات الجديدات وهي مذيعة شهيرة لبرنامج ديني هو المصدر الأكثر شهرة وأهمية بالنسبة لمصادر التلقي للتدين الجديد - سأغفل دور هذه المذيعة في توجيه الظاهرة، لكنني سأعتبرها إحدى أفراد الظاهرة في التعريف بها - سردت بموقع برامجها على الإنترنت قائمة طويلة من المغنين والممثلين العرب والهوليوديين والأفلام والأغاني الأمريكية، ورغم أنها تقول في نهاية حوارها: (إن الحشمة تعطي للمرأة الجمال الحقيقي وهو جمال الأخلاق)، فإنها في بداية الحوار وصفت بـــ(الجمال المبتسم) - لاحظ الدلالة، وأخيراً فإنها تحلم للإسلام، يقول الحوار: (أما أكثر حلم تتشوق لتحقيقه فهو تغيير شكل البرامج التي تقدم الإسلام...)، وتقول: (أريد أن أعرض الإسلام بصورة تجعل كل فرد في العالم يفهم المعنى الصحيح لهذا الدين القويم))(٢).

---

(١) أثر المتدينين الجدد على الحركة الإسلامية، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net. بتصرف يسير.

(٢) المصدر السابق نفسه.

١١. الابتداع، والإعراض عن منهج السلف.

وهذا موجود مبثوث لمن تتبعه في محاضرات وأطروحات الدعاة الجدد وفي حياة المتدينين الجدد بصورة أظهر، وليس هذا محل إيراده وتفصيله وسيأتي لاحقاً بإذن الله عند الحديث عن مجالات الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وأساليبه ومصادره، ولكن أعرض هنا لبعض ما أورده وساقه بعض المتابعين لهذه الظاهرة والمتواصلين مع دعاتها يقول الأستاذ وجدي غنيم في رسالة له موجهة لعمرو خالد: ((علمت ساعتها أنك لا تريد أن تقابل أحداً لأمر في نفسك وهو أنك تدعو إلى (إسلام جديد) بفهمك أنت وليس بفهم السلف الصالح الذي تربينا عليه. وقد حذرتك من قبل أن الناس ستسألنا عما تقوله لهم وساعتها سنقول لهم الحق فتكون قد خسرتهم وخسرتنا ومن قبل تكون قد خسرت نفسك، ولكنك لم تستجب، فها أنا أعذر نفسي أمام الله ثم أمام الناس))(١).

وهذا د. محمد بن رزق بن طرهوني في رسالة له طويلة وجهها لعمرو خالد جاء في ثناياها: ((لم يعد تأثير عمرو خالد على الفاسقين والفاسقات بل انتشر بين أهل الخير والصلاح والتمسك بدين الله - تعالى - من إخوة وأخوات فضليات فماذا كانت النتيجة؟ اختلطت مفاهيم هؤلاء الصحيحة حول الدين من جميع الجوانب وأهمها باب الاعتقادات الذي عبث به عمرو خالد. بدأ بعض هؤلاء في التفريط في التمسك بأمور من الشريعة بسبب قناعات تولدت لديهم من سماعهم لعمرو خالد فالتي كانت محجبة حجاباً شرعياً سليماً تهاونت واكتفت بحجاب عمرو خالد والتي كانت تتجنب الاختلاط ترخصت فيه والتي كانت لا تشاهد المسرحيات بدأت تشاهدها والذي كان مطلقاً للحيته حلقها أو قصرها والذي كان يتحرج من النظر للنساء والتحدث إليهن ترخص في ذلك وهلم جرا))(٢).



(١) مقال: تب إلى الله واستغفره عما بدر منك، وجدي غنيم، جريدة الغد المصرية، العدد ٥٤ بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠٠٦م. www.elghad.com.

(٢) مقال: ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، رمضان ١٤٢٦هـ.

الفصل الثاني

تعريف الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، ونشأته، وأسبابه

وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: تعريف الانحراف المعاصر في مفهوم التدين**
- **المبحث الثاني: نشأة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين**
- **المبحث الثالث: أسباب نشوء الانحراف المعاصر في مفهوم التدين**

المبحث الأول:

تعريف الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

سبق التعريف بمفردات عنوان الرسالة والذي اشتمل على ثلاثة مطالب: (الانحراف، المعاصر، الدين والتدين)[1]. والمقصود هنا تحديداً: صنفان اثنان:

أولاً: انحراف دعاة المعتزلة الجدد من أصحاب المدرسة العقلية الفلسفية المعاصرة

ومنهجها قائم على المزاوجة بين الأصول الاعتزالية العقلية والحضارة الغربية الفلسفية بفكرها ومؤثراتها، ويزعمون فهم النصوص الشرعية على سبيل الاستقلال، بما تُمليه عليه عقولهم.. فتحمله على أي تفسير تريد، ويقبلون بالمفاهيم الغربية على حساب المفاهيم الشرعية، فعطلوا الشريعة وأخلوها من معانيها بداعي تقريبها، وردوا النصوص وأولوها بداعي إعادة قراءتها، وتجرأوا على الفتيا والقول على الله بغير علم، وردوا الأحاديث الصحيحة، ومن أبرز رموز هذه المدرسة المعاصرين على سبيل المثال لا الحصر[2]، والذين يُمثلون الفلاسفة العقلانيين:

١. محمد أركون.

٢. حسن حنفي.

٣. محمد عابد الجابري.

٤. محمد شحرور.

٥. حامد نصر أبو زيد.

٦. برهان غليون.

٧. د. خالص جلبي.

ومنهم من غلب عليهم الدعوة للإسلام من خلال تجديد أصوله وأحكامه - كما يزعمون - مثل:

---

(١) انظر: ص ٢٩ وما بعدها.

(٢) سبق التعريف بهم، انظر: ص: ٧٢ وما بعدها.

١. جمال البنا.

٢. د. حسن الترابي.

٣. د. طارق السويدان.

٤. د. عدنان إبراهيم.

وتم اختيارهم والتركيز عليهم لما لهم من إنتاج ثقافي من المحاضرات واللقاءات والندوات، وكذلك الكتب المطبوعة. والتي يتبين من خلالها ما يلي:

١. يمثلون امتداداً للمدرسة العقلانية الفلسفية المعاصرة، ويُعدون من المنظرين لهذا الفكر من خلال كتاباتهم وأُطروحاتهم في عصرنا الحالي.

٢. أغلبهم تلقى تعليمه الأكاديمي في جامعات غربية مثل السوربون وغيرها، وحصل بعضهم على منح دراسية جامعية فيها.

٣. بعضهم من الدعاة، وبعضهم من الكتاب والمؤلفين المكثرين جداً، ولهم عدد من الكتب المطبوعة والمنشورة، كما أن لهم حضورهم في المؤتمرات العربية والعالمية، والقنوات الفضائية.

٤. بعضهم مستمر في نشر فكره العقلاني الفلسفي دون توان، ويكاد أن يكون له مقال صحفي يومي في هذا الصدد.

٥. يزعمون أنهم يسعون لتأسيس جديد للفكر الإسلامي من خلال العلم.

٦. لهم مواقعهم ومدوناتهم الخاصة على الشبكة العالمية، والتي جُمعت فيها جميع مقالاتهم وكتاباتهم وآرائهم الخاصة وهي مُعلنة ومتاحة للجميع.

٧. وُضعت بعض آرائهم وأقوالهم في ميزان الشريعة، وعُرضت على بعض العلماء وتناولها المفكرون وطلبة العلم، فكانت محلاً للفتوى والتأليف والكتابة والنقد، كما دُرست ظاهرتهم من قبل بعض المختصين حتى الغربيين.

٨. تبني بعض المؤسسات الغربية لهم ولتوجهاتهم، وتأييدهم ودعمهم لهم.

٩. وجود قُراء متابعون ومُعجبون بكتاباتهم، ولهم تعليقاتهم المدونة على تلك المقالات.

ثانياً: انحراف من وُصِفوا بالدعاة الجدد المتأثرين بالإرجاء والتصوف

وهم أفراد معينون، ومن تأثر بهم ممن وُصِفوا بالمتدينين الجدد وهي شريحة كبيرة، وأخص من الدعاة الجدد على وجه التحديد الدكتور عمرو خالد(1)، وسأعرض لشخصيات أخرى من الدعاة الجدد حسب ما يقتضيه السياق، وتم اختياره والتركيز عليه لما لهم من إنتاج ثقافي من المحاضرات واللقاءات والندوات، وكذلك الكتب المطبوعة. والتي يتبين من خلالها ما يلي:

١. عمرو خالد هو الأبرز شخصية وأسلوباً، والأكثر ارتباطاً بظاهرة التدين الجديد.

٢. من أهل السنة والجماعة في الجملة، ولا يُحسب أو يُصنف ضمن المذاهب المخالفة، وأُخذت عليه بعض الانحرافات المؤثرة في سيرته ودعوته.

٣. يُعد الأكثر في تقديم الدروس والمحاضرات والبرامج، والأوسع انتشاراً وتأثيراً في أوساط المتابعين من الرجال والنساء والشباب والفتيات، والطبقات الغنية والفقيرة.

٤. تميز بالحضور الإعلامي على مستوى القنوات، وخُدمت محاضراته وبرامجه وسُوقت

---

(1) عمرو محمد حلمي خالد داعية إسلامي مصري شاب. تاريخ ومحل الميلاد: ١٩٦٧/٩/٥م الإسكندرية. الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه طفل واحد. محل الإقامة: المملكة المتحدة – برمنجهام والقاهرة. حصل على الدكتوراه من جامعة ويلز بالمملكة المتحدة في٢٠١٠م. ورسالته بعنوان: (الإسلام والتعايش مع الآخر). متفرغ للعمل الدعوي والإصلاحي في مختلف وسائل الإعلام (فضائيات – صحف – مجلات – إذاعات)، قدم العديد من المحاضرات والدروس واللقاءات والبرامج والدورات وله عدد من الكتب المطبوعة، صاحب موقع (عمرو خالد دوت نت) www.AmrKhaled.net الموقع الأشهر بين المواقع العربية والموقع الشخصي الأول على مستوى العالم، يزوره أكثر من مليوني زائر شهرياً.

تم اختيار عمرو خالد الشخصية الثانية المحلية الأكثر شعبية بعد رئيس جمهورية مصر العربية في استفتاء نظمته مجلة "الشباب" إحدى المجلات الشهيرة في مصر سنة ٢٠٠٣ م.

اختيار عمرو خالد في استفتاء مجلة النيوزويك واحداً من أكثر الكتاب والمفكرين تأثيراً في الشرق الأوسط عام ٢٠٠٤ م.. (انظر: سيرته الذاتية مفصلة: الموقع الرسمي للدكتور عمرو خالد www.amrkhaled.net، منتدى الموقع)).

وأصبح له حضوره الكبير الممتد في العالم الإسلامي والعربي على وجه الخصوص.

٥. له موقعه الخاص على الشبكة العالمية، والذي جمع فيه جميع دروسه ومحاضراته وبرامجه وآرائه الخاصة وكل مايتعلق به.

٦. وُضعت بعض آرائه وأقواله في ميزان الشريعة، وعُرضت على بعض العلماء وتناولها المفكرون وطلبة العلم، فكانت محلاً للتأليف والكتابة والنقد، كما دُرست ظاهرته من قبل بعض المختصين حتى من الغربيين.

٧. تبني بعض المؤسسات الغربية له ولظاهرة التدين الجديد المرتبطة بدعوته، وتأييدهم ودعمهم لها.

٨. دعوته لها الأثر الواضح والملموس على المتدينين الجدد، والمظاهر المصاحبة لها تبدو جلية على نطاق واسع وشريحة ظاهرة.

٩. تلبيته لرغبة متابعيه، وعرضه للدين بلا تكاليف وتبعات، وإشباعه لجوانب التدين لدى الشرائح المتلهفة مع محافظتها على مكتسباتها المادية والدنيوية.

١٠. فترة ظهوره ودعوته في وقت تعطش الناس للتدين وأقبلوا عليه مع تزامن الحرب على الإسلام وأهله بدعوى الحرب على الإرهاب، وتلقي معظم الناس ثقافتهم عبر وسائل الاتصال التي للدعاة الجدد فيها حضوراً أكثر من العلماء الربانيين.



المبحث الثاني:
نشأة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

أولاً: نشأة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه المعتزلي العقلاني، والذي تطور عن مذهب المعتزلة مروراً بالمدرسة العقلية، لجمال الدين الأفغاني (١٨٣٩م/١٨٩٧م) وتلميذه محمد عبده ومن تبعهم على نفس الخُطا، والذين تأثروا أيضاً بالفلسفة الغربية المعاصرة مثل محمد أركون ١٩٦٨م ومحمد الجابري ١٩٧٠م، وصولاً إلى ما يعرف بالعصرانية والليبرالية المعاصرة اليوم والتي تعتبر امتداداً لتلك المدرسة في أهم جانب من جوانبها العقلي والفلسفي، وما مرت بها من مراحل ومصطلحات متعددة في تاريخ الأمة الإسلامية، ولأني خصصت الحديث عن الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، فإن نشأة الفكر في طوره الجديد ومرحلته الحالية، يمكن أن يؤرخ في أحدث صوره من منعطف أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حيث يقول وليد الرميزان: ((وعلى الرغم من النجاحات والاختراقات التي تحققت لليبرالية عبر العالم الإسلامي، إلا أنها واجهت ممانعة ومقاومة في بعض المناطق ومن بينها العالم العربي والإسلامي، مما دفع الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة من المنظومة الأوربية لممارسة ضغوط قوية ومتنوعة على دول العالم الإسلامي عامة وعلى العالم العربي خاصة لتبني حزمة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والإعلامية على النمط الليبرالي الغربي، خاصة بعد أحداث (١١سبتمبر) وما تبعها من غزو واحتلال لأفغانستان والعراق، والتي ساهمت في تبلور ملامح هذا الخطاب في المنطقة الخليجية العربية، وأخذه طابعاً أكثر جرأة ووضوحاً من ذي قبل))(١).

وستكون بعض شواهد وأمثلة هذا الانحراف في مفهوم التدين من خلال ما كتبه أصحاب هذا الفكر في الفترة المعاصرة، من بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وحتى اليوم ((وهنا وبالتحديد بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ظهر الليبراليون العرب الجدد، يدعون لليبرالية

---

(١) الليبرالية في السعودية والخليج دراسة وصفية نقدية، وليد بن صالح الرميزان، بيروت، روافد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الطبعة: الأولى، ص١٢.

قادرة على شق طريقها في بوادي الشرق ومستنقعاته وظلماته، تساندها ليبرالية جديدة في أوروبا وأمريكا وسائر العالم الحر))[1].

وازداد نشاط الليبراليين العرب في العقد الأخير بصورة ملفتة واتحدت كلمتهم في مواجهة فهم السلف عن الإسلام: ((في الآونة الأخيرة وفي العقد الأخير تحديداً ازداد نشاط التيار الليبرالي بصورة لافتة للنظر، وظهر توجه متطرف يتقنع بالإسلام زوراً وبهتاناً يدعو إلى نبذ الأصول المتينة والقواعد المحكمة التي انطلق منها سلف الأمة من الصحابة والتابعين في فهمهم للدين بأبوابه المتعددة وتصورهم للكون والحياة))[2].

ويؤكد هذا الظهور لهذه الفئة والتوجه المتنامي باسم التجديد البعيد عن منهج الإسلام وأصوله وأحكامه، والرغبة في مسايرة العصر ولو بمخالفة الحق، فيقول د. محمود الطحان: ((ظهرت فئة في هذا العصر، اتجهت في معنى التجديد وجهة غير التي عرفها المسلمون على مر العصور، وحملت التجديد الوارد في السنة ما لا يتحمله، وقامت بعرض أفكار للتجديد بعيدة عن المنهج الإسلامي السوي، وقامت بنشر مقالات فيها كثير من المغالطات ..، ودعت في مقالاتها إلى تجديد الفكر الإسلامي، وتجديد أصول الفقه، وتجديد أصول الحديث، وتجديد العلوم الإسلامية، وتغيير أصول العلوم الإسلامية .. رغبة في مسايرة العصر الذي نعيش فيه، وعابوا في مقالاتهم اعتماد المسلمين على أحكام قال بها الأئمة الفقهاء الأقدمون، وزعموا أنها أحكام بَلِيَت وذهبت مع عصرهم كما بلي أصحابها، وقالوا يجب على المسلمين المعاصرين أن يأتوا بأفكار جديدة وأصول جديدة للعلوم الإسلامية تناسب المسلم المعاصر))[3].

ثانياً: ونشأ هذا الانحراف المعاصر مفهوم التدين في جانبه متزامناً مع ظاهرة التدين

(١) الليبرالية الجديدة تمتد شمالاً، كمال غبريال، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد: ١٩١٩ – ٢٠٠٧/٥/١٨م. www.ahewar.org.

(٢) التطرف المسكوت عنه أصول الفكر العصراني المعاصر، د. ناصر بن يحي الحنيني، الرياض، دار التوحيد للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، الطبعة: الثانية، ص ٥.

(٣) مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، محمود بن أحمد الطحان، الكويت، مكتبة دار التراث، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، الطبعة الثانية، ص٤.

الجديد، والمرتبطة بصورة ألصق بشخصية الدكتور عمرو خالد الذي بدأ نشاطه الدعوي وأعد وحاضر في مصر محاضرات ولقاءات عامة لمدة سنتين منذ ٢٠٠٠م وحتى ٢٠٠٢م، وبدأ بإلقاء الدروس في نادي الصيد في حي الدقي في القاهرة، ثم انتقل إلى مسجد الحصري بالعجوزة ثم إلى مسجد المغفرة في حي العجوزة حتى ازدحم المسجد و لم يتحمل، فانتقل منه إلى مسجد الحصري في مدينة ٦ أكتوبر، حيث ذاعت شهرته على أوسع نطاق، وبدأ الشباب يحضرون دروسه قادمين من أماكن بعيدة، وانطلقت شهرته ونجوميته في الوطن العربي عبر الشاشات الفضائية من خلال قناة اقرأ الفضائية ثم غيرها من القنوات، وأصبح له موقع شخصي على شبكة المعلومات العالمية، وكذلك الزيارات وحضور المؤتمرات الدولية وتقديم المحاضرات الدينية والإشراف على بعض المشروعات والبرامج الاجتماعية.

وتزامن ذلك أيضاً مع الضغوط الأمريكية والأوروبية على العالم الإسلامي بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م، وأكدت ذلك دراسة "باتريك هايني" وهو باحث اجتماع سويسري يعيش في مصر وهو مختص في الظاهرة الإسلامية، وحصل على الدكتوراة من معهد الدراسات السياسية في باريس عن الحركة الإسلامية في منطقة إمبابة "إحدى الضواحي الشعبية في مدينة القاهرة"، ونالت جائزة أحسن رسالة دكتوراة باللغة الفرنسية عن العالم الإسلامي لعام ٢٠٠١م، وكانت دراسته عن "الإسلام كظاهرة اجتماعية:الشيوخ الجدد- نموذج عمرو خالد وترى أن نموذج عمروخالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب والطبقات العليا في مصر ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين[1].

ومن تلك النماذج للدعاة الجدد وممن عُرف واشتُهر بالتصوف والدعوة إليه، الحبيب علي الجفري، وهو كذلك من الأسماء التي تزامنت مع هذه الظاهرة وارتبطت بها[2].



(١) انظر: حسام تمام، عمرو خالد.. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

(٢) سبقت الإشارة إليه، انظر ص ١٨١ .

المبحث الثالث:

أسباب نشوء الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

أولاً: عن أسباب نشأة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه المعتزلي العقلاني ويمكن أن ترجع تلك الأسباب إلى ما يلي:

١. أسباب تتعلق بالفكر وجذوره.

إن فكر المعتزلة ومدرستهم الفلسفية العقلية لها تاريخها الطويل، والتي تطل أحياناً وتؤثر سلباً في واقع الأمة الإسلامية، بحسب الظروف والبيئة المناسبة التي تتهيأ لها، كما أتيح لها في عهد المأمون من تمكن وظهور واستعلاء، وخفت في مقابل ذلك صوت الحق لأهل السنة (مؤقتاً)، وكما هي سنة الله الجارية فدولة الباطل ساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة وقول الله أبلغ: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [الرعد: ١٧].

ثم إنه كان لهذه المدرسة العقلية أزمنة من التجدد والظهور والعلو في أجزاء من الوطن الإسلامي، رافقها ظهور بعض الكُتاب المهزومين أمام حضارة الغرب والمتأثرين بفلسفته الحديثة من أمثال محمد أركون وحسن حنفي ومحمد الجابري ومحمد شحرور ونصر حامد أبو زيد ود. حسن الترابي وجمال البنا، الذين بعثوا ونشروا وأحيوا هذا الفكر من جديد على مستوى العالم العربي.

فهذا محمد أركون يؤسس ويكرر المقالة في نقده للخطاب الإسلامي ويرى بدائيته ويصفه بالأيدلوجي المغلق، فيقول: ((الذي يزعم أنه يحرك التاريخ المعاصر ويجد له من جديد ديكتاتورية الغاية المثلى على طريقة الإسلام البدائي، هذا الخطاب هو خطاب أيديولوجي، مغلق على البعد الأسطوري والرمزي ذي الأهمية الحاسمة جداً في القرآن))[1].

ويقرر أركون أهمية البحث والتحري في وضع الإسلام ليشمل حتى القرآن نفسه، مع

(١) الفكر الإسلامي: قراءة علمية، محمد أركون ص ١٠٩.

اعتقاده بخطورة ذلك وأن المهمة مرعبة، لكن لابد منها من أجل المعالجة بشكل دقيق، فيقول: ((لكي تحلل وتدرس وضع الإسلام الراهن في مواجهة الحداثة بشكل صحيح، فإنه من الضروري أن نوسع من مجال التحري والبحث لكي يشمل، ليس فقط الفكر الإسلامي الكلاسيكي، وإنّما القرآن نفسه أيضاً إن المهمة تبدو مرعبة لأسباب معروفة جيداً، سوف نرى، مع ذلك، لماذا هي شيء لابد منه، إذا ما أردنا أن نعالج بشكل دقيق المكان الذي أتيح للتاريخية أن تحتله في الإسلام))[1].

ليصل منها بعد ذلك إلى الإيمان والاعتقاد وبعدها إلى الوحي الذي جاء بها لينسفها جميعاً ويرى أنها من المعجم التقليدي القديم - كما يزعم - وأننا بحاجة إلى أن نُلقيها عن عواتقنا، ونتنفس هواء الحداثة الطلق، فيقول: ((كل هذه التعابير المصطلحية الأساسية التي ورثناها عن الماضي "كمفردات الإيمان والعقيدة بشكل خاص" لم نُعد التفكير فيها الآن، ونحن نستخدمها وكأنها مسلمات وبدهيات ونشربها كما نشرب الماء العذب، هذا ما تعودنا عليه منذ الصغر ومنذ الأزل، ولكن إذا صممنا على أن ندخل فعلياً في مناخ الحداثة العقلية، فماذا نرى؟ .. ماذا تقول لنا بخصوص هذه المصطلحات الإيمانية المشحونة بالمعاني وظلال المعاني ... عندما يستخدم المرء بشكل عفوي هذا المعجم الإيماني اللاهوتي القديم لا يعي مدى ثقله وكثافته وشحنته التاريخية وإبعاده المخفية، وكل الأخطار المرافقة لاستخدامه، فمثلاً عندما يقول المؤمن التقليدي أن هناك أشياء لا تتغير ولا تتبدل، وعندما يقول هناك المقدس "أو الحرام باللغة الإسلامية الكلاسيكية".

وينبغي عدم التساؤل حوله أو مسه، وعندما يقول: هناك الوحي، وكل هذه الأديان انطلقت من النقطة نفسها: الوحي ... الخ عندما يقول كل ذلك فإنه يستخدم لغة كثيفة أكثر مما يجب، هكذا تلاحظون أني استخدم صفة كثيفة أو ثقيلة "بمعنى الوزن" الحيادية لكيلا أطلق أي حكم قيمة، ماذا تعني هذه الكلمة؟ إنها تعني أن كواهلنا تنؤ تحت ثقل أكياس هذا المعجم القديم، فهو أثقل من أن نحتمله أو نستطيع حمله بعد الآن، ... ففي هذه الأكياس

(١) المصدر السابق نفسه، ص ١١٣.

"أكياس المعجم التقليدي" أشياء كثيرة لا شيء واحد، وينبغي أن نفتحها لكي نعرف ما فيها، لم نعد نقبل الآن بحملها على أكتافنا وظهورنا دون أي تساؤل عن مضمونها كما حصل طوال القرون الماضية، ماذا تقول لنا الحداثة بخصوص كل واحدة من هذه الكلمات والمصطلحات التيولوجية القديمة؟ ماذا تقول لنا إذا ما قبلنا أن ندخل فعلاً في مناخ الحداثة ونتنفس هواها الطلق))[1].

ويتبعه في ذلك نصر حامد أبو زيد الذي يرى أن القرآن نص لغوي مغلق مستعص على الفهم والتحليل، مع محاولات المعتزلة في تقريبه وشرحه وتحليله، فيقول: ((ولقد حاول المعتزلة جاهدين ربط النص بالفهم الانسانى وتقريب الوحى من قدرة الانسان على الشرح والتحليل. ويبدو أن فكرة "الاعجاز" بما تتضمنه من معنى المعجزة الذى أشرنا اليه فيما سبق كان يمكن لو سلموا بوجودها فى بناء النص اللغوي أن تؤدي إلى مفارقة الوحي – من حيث هو نص لغوى – لقدرة الانسان، وتؤدى من ثم إلى تحويل الوحى الى نص "مغلق" مستعص على الفهم والتحليل. لقد كان التسليم بقدرتة الانسان على الفعل وعلى فهم الوحى معا هو الدافع وراء محاولة تفسير "الاعجاز" من خلال مفهوم "التوحيد" ومن خلال صفتى "القدرة" و"العلم" بصفة خاصة. إن "عجز" البشر عن الاتيان بمثل الوحى نابع من تدخل الهى سلبهم القدرة، ونابع من "علم" بالماضى والمستقبل لا يتاح للإنسان))[2].

ثم هو نفسه بعد ذلك يرى أن تفسير أهل السنة للقرآن مرتبط بسلطة القدماء، والتي تعمل على ربط دلالة النص بالأفق العقلي والإطار الثقافي لعصر الجيل الأول، فيقول: ((إن التفسير الصحيح – عند من يطلقون على أنفسهم اسم "أهل السنة" – قديماً وحديثاً – هو التفسير الذي يعتمد علي سلطة القدماء .."والتمسك بهذا التفسير بوصفه التفسير الوحيد الصحيح استناداً إلى سلطة القدماء يؤدي إلى ربط دلالة النص بالأفق العقلي والإطار الثقافي لعصر الجيل الأول من المسلمين. وهذا الربط يتعارض تعارضاً جذرياً مع المفهوم المستقر في

(١) الإسلام والحداثة، أدونيس وأركون وآخرون، بيروت، الناشر: دار الساقي للطباعة والنشر، تاريخ النشر: ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، ص٣٢٧.

(٢) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، ص١٤٧.

الثقافة من أن دلالة النص تتجاوز حدود الزمان والمكان))[1].

وبينما كان ولا يزال منهج الحق قائماً ومنتصراً في أرض الجزيرة بفضل الله، ثم الأثر المبارك للدعوة السلفية ومنهج الكتاب والسنة الذي عملت به ودعت إليه، وسارت على ذلك عقوداً من الصفاء وعدم الاختلاط في المشرب في الجملة، مع بروز لبعض التوجهات المخالفة والمنحرفة الفردية أحياناً، والتي لا تلبث أن تختفي، ولا يكون لها أثر ظاهر في اضطراد منهج السلف واستمراره وبقائه وتدين الخاصة والعامة من خلاله.

ومن تلك التوجهات المخالفة والمنحرفة، ما كان ولا يزال من دعاة الفكر الاعتزالي العقلاني والمدرسة الفلسفية الغربية، وما درج عليه بعض كُتاب هذا الفكر في طرح باطلهم والترويج لمذهبهم وخصوصاً د. خالص جلبي، والذي يُعد الأغزر نتاجاً، والأعمق فكراً، والأكثر جلداً وهو من بقي يروي جذور هذا الفكر خلال ثلاثة عقود متعاقبة ماضية، بكتبه ومقالاته، التي بلغت الآلاف، والتي كان لها الأثر الواضح في تجدد إطلالة هذا الفكر من جديد في مجتمعنا المحلي والإقليمي بثوب العصرانية والليبرالية، وبأقلام كتاب سعوديين[2] تشربوا فكره وأخذوا يبثونه عبر أعمدة الصحف اليومية ثم الديوانيات واللقاءات والإثنينيات والأندية الأدبية، وبعض الفعاليات المصاحبة لمعارض الكتب ومهرجانات التراث والثقافة.

ومن أمثلة ذلك الري المستمر لذلك الفكر وتلك الثقافة، يقول د. خالص جلبي مؤكداً المفاصلة بين الفكر التقليدي والفكر الإصلاحي: ((أعظم عقبة تواجه العقل وأحفلها بالتحدي التخلص من فكر الآباء .... لكل ثقافة آباء. وهذا يعني أن لنا آباء يجب التخلص منهم بحرص واحترام. وكما كان لكل قرية مقبرة كذلك الحال مع الأفكار الميتة فيجب أن تدفن كما تدفن الجثث بكل أجلال. وموقفنا من الآباء يتحدد بآية أننا نتقبل عنهم أحسن ما عملوا

---

(١) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد ص٢٢١.

(٢) وهم – هداهم الله – يُعتبرون من تلامذة هذا الفكر، والذين تلقوه وتشربوه من أساتذتهم في هذه المدرسة الاعتزالية العصرانية والفلسفة الغربية ويتبعون فيها من سبقهم في هذا الطريق، من فلاسفة الغرب أمثال رينيه ديكارت" و"سبينوزا"، و"كانت"، ومن تبعهم في طريق الفلسفة والغواية والضلال من أمثال: محمد أركون ومحمد عابد الجابري وحامد نصر أبو زيد وغيرهم.

ونتجاوز عن سيآتهم. فهذا هو الانفكاك السليم من مشيمتهم بدون نزف قاتل. ويجب أن نعذر الآباء فهم أبناء عصرهم ونتاج بيئتهم ويمكن رؤيتهم على صورة بشرية وليس إلهية. ولكن (من هم آباؤنا؟) والجواب على هذا صعب وحساس ومزعج ولكن لا مفر من الإجابة عليه؟ ويمكن القول باختصار إنه ذلك المخزون الثقافي من تراثنا الفكري الذي لم يعد يؤدي دوراً ويؤذي مثل الجثث التي تؤذي رائحتها ويجب أن تدفن وبسرعة على السنة))[1].

فهو يريد التخلص من التراث والمخزون الثقافي تحديداً للأمة، وأن ما تركه الآباء يناسب عصرهم فقط، والواجب اليوم التخلص من جميع ما خلفوه ودفنه في مقبرة التاريخ، ثم ها هو د. جلبي يسقي غرسه على مستوى المؤسسات الفكرية الصحفية ويتابعه ويهتم به ويُحفزه ويفرح به ويأمل له اللحاق بالعالمية قريباً تزامناً مع صدور مُلحق الرسالة بجريدة المدينة، فيقول: ((ويجب أن اعترف بأمرين وأنا أطالع ملحق الرسالة من جريدة المدينة: الأول التطور النوعي الذي حققته الجريدة، والأمر الثاني كمية الأدمغة النابهة والمستنيرة التي تكتب وهامش الأبحاث من الأفكار ذات الفولتاج العالي، والتي يمثل رئيس التحرير فيها مانعة الصواعق. وهذا تطور ممتاز لا يستهان به. صحيح أن الفكر الإسلامي مازال مربوطاً بسلاسل ثقيلة من الفكر التقليدي والنقلي، ولم يتحرك بحرية في الفضاء العقلي العالمي، ولكنه يتطور وبشكل مشجع مثل حبو الطفل بين السقوط والتعثر والتأتاة، ولكنه يتطور ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]. والإيجابي أنه لم يعد كما كان قبل نصف قرن وبدأ في استيعاب المعاصرة كما أنه بدأ يتحرر من مرض العنف وهو مؤشر باتجاه النضج العقلي، ولكن السلبي فيه أنه لم ينعطف بشكل جذري بحيث يحقق قطيعة معرفية ويلتحق بالمركبة الفضائية الفكرية العالمية. ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦ – ٧]))[2].

حتى عنايته بالأفراد ودعمهم وحثهم وتشجيعهم على محبة الفلسفة والتزود منها ومزجها مع العبادة لزيادة الإيمان كما يزعم، ويرى أن ذلك من الاجتباء والهداية إلى

(١) السلفية بين الفكر الإصلاحي والفكر التقليدي، د. خالص جلبي، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد: ٦٤٢، ٢٠٠٣/١١/٤م. www.ahewar.org.

(٢) قانون الصيرورة، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية، www.algomhoriah.net.

الصراط المستقيم، فيقول: ((اتصلت بي فتاة تحب أن تعرف المزيد عن الفلسفة، وتريد أن تبني نفسها معرفياً ... وهذا أدخل في نفسي أملاً جديداً أن الأمة مقبلة على خير ... والمهم فأنا أقول للأخت الفاضلة: حياك الله وبارك فيك وأبدأ في الإمساك بكتب جميلة في الفلسفة مثل «قصة الفلسفة» لويل ديورانت[1]، و«المنقذ من الضلال» للغزالي[2] و«المقال على المنهج» لديكارت[3] و«قصة الفلسفة والعلم والإيمان» لنديم الجسر[4] و«الخواطر»

(١) لويل ديورانت: فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي ولد "وِل ديورَانْت" في "نورث آدمز" من أعمال "ماساشوست" سنة ١٨٨٥م؛ وتلقى تعليماً كاثوليكياً ولكنه تعرض لحالة تحول جذري فاتجه إلى الفلسفة ونال فيها الدكتوراه عام ١٩١٧م، فأصبح أستاذاً في جامعة كولومبيا، يقول ويل ديورانت عن النبي محمد:إذا حكمنا عن العظمة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى فمحمد هو أعظم العظماء. نشر كُتبه (قصة الفلسفة والتحول ومباهج الفلسفة ومغامرون في بحار العبقرية وقصة الحضارة وأبطال من التاريخ) (توفي:١٩٨١م)، وهو في السادسة والتسعين من العمر. (انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الاسلام، ولد سنة ٤٥٠هـ فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف. رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وندب للتدريس بنظامية بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياحة، ومن تصانيفه: علوم الدين وتهافت الفلاسفة والاقتصاد في الاعتقاد ومحك النظر والمنقذ من الضلال، (توفي: ٥٠٥هـ). (انظر: والأعلام، للزركلي، ج٧ص٢٢ ومعجم المؤلفين، وعمر كحالة،ج١١ص٢٦٦).

(٣) ديكارت: رينيه ديكارت: ولد في٣١ مارس ١٥٩٦ م في مدينة لاهاي إن تورين، فيلسوف، ورياضي، وفيزيائي فرنسي، يلقب بـــ"أبي الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، خصوصاً كتاب (تأملات في الفلسفة الأولى) الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة. كما أن لديكارت تأثير واضح في علم الرياضيات، فكان بذلك من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية. وديكارت هو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن١٧م، له ثلاثة أفكار رئيسة: نظرية المعرفة والمنهج الديكارتي والثنائية الديكارتية، ولديكارت ثلاثة مؤلفات رئيسية، وهي: رسالة في منهج التصرف العقلي السليم للمرء والبحث عن الحقيقة في العلوم أو رسالة في المنهج وتأملات في الفلسفة الأولى ومبادئ الفلسفة، (توفى:سنة ١٦٥٠م) .(انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٤) نديم بن حسين بن محمد بن مصطفى الجسر. ولد بطرابلس عام ١٨٩٧م لأسرة مصرية الأصل تلقى علومه الأولى على يد والده حسين الجسر، انهى دراسته في حمص ثم أكملها في بيروت، عينه =

لبسكال[1]، فلسوف تكتشفين عالماً رائعاً منعشاً للروح، وليس هناك أبدع للروح من مزج الفلسفة مع العبادة والخلق بالفهم والوعي بالإخلاص ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٧]))[2]. وهذه الرسالة يُرسل بها د. جلبي لهذه الفتاة وغيرها من القراء والمتابعين لما يدون وينشر حتى ينضووا تحت فكره ومنهجه.

ويواصل عنايته بالملهمين من أصحاب العقول الجبارة الذين يذكرونه بالنظام ذي العقل الجبار، فهم ثروته في هذه الدنيا المتلاشية، وهم أمانة في عنقه قبل أن يخطفه الموت لأنهم الأمل في ظلمات الإحباط، ونور الوعي في دياجير التعصب والعبث والفساد فيقول في مقال عنون له بـــ: الفيلسوف إبراهيم البليهي: ((في هذه الدنيا الفانية التي هي ليست دار أمان بحال، أرسل الله لي أناساً من ضمير الغيب، هم من ثرواتي المعنوية في هذه الدنيا المتلاشية، وأمانة في عنقي قبل أن يخطفني الموت، علي أن أسجل ملاحظاتي عن أناس يبعثون الأمل في نهضة الأمة، ويقظة العقل من سبات. من هؤلاء الفيلسوف إبراهيم البليهي، الذي يذكرني بذي العقل الجبار إبراهيم النظام. البليهي عقله آلة جبارة في نظام الفكر، فبهداهم اقتده .. إنه الأمل في

المفوض السامي كاتباً في المحكمة، ثم رقي إلى رئيس قلم، إلى أن عين قاضياً ثم مدعياً عاماً ثم قائمقاماً لقضاء عكار عام ١٩٣١م .انصرف إلى التدريس في جامع طينال والتحرير في جريدة طرابلس والعمل الخيري ثم ترشح للانتخابات في مجلس النواب اللبناني عام ١٩٥٧م. وعلى إثر وفاة مفتي طرابلس الشيخ كاظم ميقاتي، انتخب الشيخ نديم مفتياً للمدينة.من مؤلفاته: الموجز في الفلسفة العربية وقصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن وفلسفة الحرية في الإسلام، (توفي: ١٩٨٠م) ودفن في طرابلس.

(١) باسكال بليز: وُلد باسكال في مدينة كلير مونت فيراند بفرنساعام ١٦٢٣م فيزيائي ورياضي وفيلسوف فرنسي، وقد أظهر نبوغاً في الرياضيات منذ أن كان طفلاً. واشتغل في حركة دينية تسمى الجانسينية، وفي أواخر عام ١٦٥٤م دخل ديراً من أديرة هذه الجماعة في مدينة بورت ـــ رويال. وقد اتهمت المنظمة اليسوعية الجانسينيين بالبدعة، وأدانت قائدهم أنطوني آرنولد. ورداً على هذا الاتهام قام باسكال فوراً بنشر ١٨ كتيباً ساخراً سميت الرسائل الريفية، وقد لاقت شعبية عظيمة وهي المعروفة بخواطر بسكال .له عدد من الإنجازات الرياضية في الحساب والاحتمالات والآلة الحاسبة (توفي: ١٦٦٢م). (انظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٢) مُحبة للفلسفة، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

ظلمات الإحباط، ونور الوعي في دياجير التعصب والعبث والفساد. عقل مستنير ...

زرته في منزله فصرخت أكتب الفلسفة في القصيم؟ كانت مكتبة زاخرة بالألوان والأحجام من الكتب فعرفت أين يقيم عقل البليهي، واكتشفت المكان الذي ينبض فيه قلبه بصدق المكتبة هي عقل الإنسان الممتد، فإن دخلت منزلاً عرفت أين يعيش صاحبه؟ ويبقى السؤال المهم في النهاية؟ كيف أمكن له أن ينعتق من بيئة مغلقة إلى عالم الفكر الرحيب؟ وجوابي هو من علم الفضاء؟ فحتى تنطلق المركبة الفضائية يجب أن يكون اختراقها للحاجز السماوي بطاقة غير عادية، وبسرعة غير عادية، فإذا تحررت من جاذبية الأرض رأت الملكوت، وسبحت بيسر في الطبقة العلوية، وكذلك البليهي فقد كان عليه أن ينخلع وينعتق من البيئة الجاذبة بأشد من قانون نيوتن للحجارة الثقيلة، وبطاقة غير عادية والبيلهي بتوديعه البيئة، تحول كائناً آخر، ومن ترابه شادت الثقافة كوناً آخراً))[1].

وهي رسالة ودعوة مبطنة لكل من يقرأ كلامه ليبادروا من الانعتاق من بيئتهم إلى عالم الفكر الرحيب والفلسفة والعقول الجبارة، كما يزعم د. جلبي. الذي كان ولا يزال رافداً داعماً ومغذياً لجذور هذا الفكر، حتى أثمر تلك الثمرة المرة الخبيثة العاقة والمنقلبة والمتنكرة لأمتها من أصحاب ذلك الفكر المنحرف وتلك الأقلام المسمومة، والتي كتبت في مجالات شتى تصب جميعها في الفكر الفلسفي القائم على العقلانية، وإعادة قراءة النصوص قراءة جديدة. ومجدوا الغرب وتبعوه، ورأوا أن النجاة والمخرج للأمة من خلال حضارة وثقافة الغرب، وأن الإسلام الذي لا بد أن تدين به الأمة على مستوى أفرادها هو الإسلام الجديد الذي يتماشى مع الفلسفة الغربية وينهل من أصولها، وينعتق من موروث الآباء الثقافي، لتعيش حياة التنوير وتخرج من الظلام الذي دامت فيه قروناً وجعلها متخلفة عن ركب الحضارة - كما يزعمون -.

٢. دعاة وكتاب هذا الفكر

وهم يعملون على التغذية المستمرة لهذا الفكر ومواصلة جهود أسيادهم الذين مضوا، وأشير هنا إلى بعض دعاة وكتاب هذا الفكر المعاصرين وذلك من خلال تلك الأفكار

---

(١) الفيلسوف إبراهيم البليهي، د. خالص جلبي.

والرؤى المقتبسة من مقالاتهم الكثيرة والمبثوثة في الكتب والصحف اليومية، والمتأثرة بهذا الفكر العقلاني الفلسفي والتوجه العصراني الليبرالي، وسأركز على موضوعين اثنين، هما: (التغيير المنشود، والإسلام الذي يريدون)، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، ولما لهما من تعلق مباشر بالدراسة: وأبدأ أولاً بأساطين هذا الفكر والكتاب المنظرين له، وما ينشدونه من تغيير للفكر والثقافة في المجتمعات الإسلامية.

فهذا محمد أركون يوَلّي مكانة مهمة لتغيير العامل الثَّقافي والفِكْري يقول: ((إنَّ التُّراث الثَّقافيّ المسَيْطِر في بلد ما لا يمكن تغييره، أو مَحْوه بين عَشِيَّة وضحاها. لا يمكن إدخال العقلانيَّة التاريخيَّة إلى البُلدان الإسلاميَّة بين يوم وليلة. بدون شك، يمكن بسهولة استيراد الغَسَّالات والبرادات وحتى السَّيَّارات وإدخالها إلى أرياف العربيَّة السعوديَّة، والعراق، ومصر، وسوريا، إلخ ... دون أن تتغير عقليَّات الناس بشكل جذري. إن تغيير الحساسيَّة صعب جدّاً. أَقْصُد بالحساسيَّة هنا طِرَاز إدراك العالم، والواقع ونَوعِيَّة النَّظْرَة إليهما. ينبغي أن ينال التَّغيير المنشود طريقة التَّغيير عن هذا الواقع في اللُّغة، ومن خلال اللغة. ينبغي تغيير اللُّغة أيضاً: أي عَلْمنتها، وعقلنتها كل هذا يحتاج إلى زمن طويل. هذا هو الشيء الذي يضغط بشكل هائل على مصير المُجْتَمَعات العربيَّة والإسلاميَّة. لهذا السبب بالذَّات فإنِّي أُوَلِّي مكانة مهمة لتغيير العامل الثَّقافي والفِكْري))[1].

وهذا نصر حامد أبو زيد يرى أن الإسلام ليس في تحكيم النصوص بل بإعادة تأسيس العقل في الفكر والثقافة، فيقول: ((إن العودة إلى الإسلام لا تتم إلا بإعادة تأسيس العقل في الفكر والثقافة، وذلك على خلاف ما يدعو إليه الخطاب الديني المعاصر من تحكيم للنصوص، مردداً أصداء نداء أسلافه الأمويين الذي أدى إلى نتائجه المنطقية في الواقع الإسلامي))[2].

ومحمد الجابري يرى أن التغيير يتم من خلال ممارسة العقلانية النقدية ويضع شرطين اثنين ضروريين لنهضة الأمة، فيقول: ((إنه بممارسة العقلانية النقدية في تراثنا وبالمعطيات المنهجية لعصرنا، وبهـــذه الممارسة وحدها ، يمكن أن نزرع في ثقافتنا الراهنة روحـــاً نقدية

(١) مجلة الوحدة الجزائرية، عدد: ٣، ص ١٢٨ و١٢٩.

(٢) نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبوزيد، ص١٠٣.

جديدة وعقلانية مطابقة، وهما: الشرطان الضروريان لكل نهضة))[1].

ثم أثني بالكتاب المتأثرين بذلك الفكر الفلسفي العقلي، في الواقع المحيط والدائرة القريبة، وأبدأ بالمفكر والفيلسوف إبراهيم البليهي[2] الذي كتب كثيراً عن التغيير، وأهمية الانفتاح على ثقافة الغرب، واللحاق بالركب الحضاري المتسارع، فيقول: ((تشتد حاجة العرب إلى إعادة تكوين وبناء ثقافتهم لاستبعاد عناصر الإعاقة الحضارية التي تكبل الفكر والفعل فهذه الثقافة بما تراكم فيها خلال القرون من قيود وأقفال وبطبيعة تكوينها منذ البدايات الأولى للعصر الجاهلي تحتاج إلى مراجعة عميقة وشاملة ودقيقة فلقد كانت وما زالت ثقافة مغلقة وممحلة وتتمنع عن استقبال التغذية من خارجها فإذا اضطرت لاستقبال التغذية لم تستطع هضمها فتبقى طلاءً خارجياً لبنيتها المغلقة ولهذا قعدت بأهلها عن الركب الحضاري المتسارع))[3].

ثم يقول: ((إن انقضاء القرن العشرين بكامله وكل المجتمعات الإسلامية باستثناء ماليزيا ما زالت عاجزة عن الإفلات من قبضة التخلف هو شاهد صارخ على أننا لم نستوعب التغيرات النوعية التي طرأت على الحياة البشرية ولم نتأثر بهذه التغيرات على أي مستوى باستثناء المظاهر الشكلية فنحن ما زلنا رغم كل النتائج العجفاء نتوهم أن التعليم قادر على تحقيق أسباب التقدم لأي مجتمع ولم نعترف بعد بأن التعليم محكوم بالثقافة السابقة له فلا يؤثر بها إلا بمقدار ما تسمح هي به.

---

(١) الخطاب العربي المعاصر، محمد عابد الجابري (المتوفى:٢٠١٠م): الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، دار الطليعة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢م، ص٣٧.

(٢) هو: إبراهيم بن عبد الرحمن بن سليمان البليهي، من مواليد ١٩٤٤م، كاتب ومفكر سعودي محب للفلسفة ومن أصحاب التوجه العقلاني، عضو في مجلس الشورى السعودي، وكاتب مكثر في صحيفة الرياض، له آراء جريئة في نقد الفكر العربي والإسلامي، ومواقف إيجابية تجاه الحضارة الغربية، من كتبه: بنية التخلف، وأد مقومات الإبداع، مكمن التقدم، النبع الذي لا ينضب، سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري. (انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٣) إعادة تكوين الثقافة العربية، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، العدد: ١٤١٦٧، الأحد ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٨هـ – ٨ أبريل ٢٠٠٧م، www.alriyadh.com.

إن ديننا العظيم يوجب علينا أن نكون على مستوى المسؤولية الكبرى ويحرم علينا أن نصد الناس عن الحق فننفر العالم من الإسلام فعلينا أن نرتقي بتفكيرنا وسلوكنا وأن نغيّر ما بأنفسنا وننهض بمسؤولياتنا وأن نكون إنسانيين في رؤيتنا وتعاملنا ولكن ذلك لن يتحقق إلا بتغييرات ثقافية جذرية أما تعميم التعليم والإكثار من الجامعات بهذا الشكل التلقيني المصوغ برؤية أحادية مغلقة فلن يغيرا شيئاً من الأحوال السيئة للمسلمين ولن يساهما في إضاءة العقول المغلقة ولن يرخيا قبضة التخلف فالعلم ليس معلومات تحفظ وإنما هو بالأساس طريقة تفكير متفاعلة وحركة فكرية جياشة وبصيرة نافذة بالدين والدنيا))[1]. فهو يريد إسلاماً ماليزياً حديثاً قد تغيرت جذور ثقافته يملك رؤى متعددة وقد انفك من قبضة التخلف.

وأما عبد الله بن بجاد[2] فهو دخل إلى هذا الخندق بعد أن تقلبت به الحياة، وأصبح يتبنى هذا الفكر الفلسفي ويرى أهمية التغيير من أجل الإصلاح الديني، فيقول: ((وأما الجانب الديني فقد قيل الكثير عن أهمية إصلاحه وتطويره ليتخلص من الأولويات والأصول التي تسربت إليه من حقب تاريخية مأزومة بطبيعتها وبعيدة عن روح ونص القرآن والسنة، والانطلاق من أصول النصوص ومقاصدها العامة وكلياتها الكبرى لبناء خطاب جديد منسجم مع النص وواع بالواقع ومشكلاته وتطلعاته))[3].

ولذا فهو يرى أهمية نقل صورة جديدة عد ديننا بعيداً عما علق به من مقدسات زائفة مهما كانت ضخامتها فيقول: ((ويزداد الأمر قسوةً وإلحاحاً علينا حين نكتشف أن لدينا

---

(١) العامل الثقافي الحاسم الذي انفرد به الغرب، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، ٢٠٠٤/١٠/٣م.

(٢) عبدُ اللهِ بنُ بجادٍ العُتيبيُّ، ولدَ ابنُ بجادٍ عامَ ١٣٩٤هـ، حدثَ أولُ تغيّرٍ في حياةِ ابنِ بجادٍ، حيثُ بدأ مشوارَ الالتحاقِ بالإسلاميين - كما يسميهم - وبالتحديد بالإخوانِ - إخوان من طاع الله وكان يبحثُ عن الفتاوى التي فيها شدّةٌ على نفسهِ وعلى المخالفِ ضاعَ وتاهَ في دروبِ التطرّفِ والغلوِّ، وترقّى في مدارجهِ حتّى صارَ من منظّريهِ ودعاتهِ، ثمَّ انتكسَ وأصبحَ من دعاةِ الحرّيّاتِ المزعومةِ، وتمرّدَ على الدعوةِ التي قامتْ عليها هذهِ البلادُ، ونبذَ أمرَ الدعوةِ والتديّنِ، وأصبحَ يدعو إلى أطروحاتٍ دخيلةٍ علينا وعلى مُجتمعِنا، فهربَ من الغلوِّ ووقعَ في الغلوِّ المُضادِّ. (انظر: شبكة صيد الفوائد www.saaid.net/mktarat/almani/45.htm).

(٣) الانتخابات الأمريكية والإصلاحات العربيــة، عبد الله بن بجاد، جريدة الرياض، ٢٠٠٤/١٠/٤م. www.alriyadh.com.

بالفعل مجموعة من الأخطاء والانحرافات في خطابنا الديني وأنها عبارة عن حمولات تاريخية بشرية ألصقت بالخطاب الديني حتى أصبحت هي المتحكم الرئيس به والمعبر الأعلى صوتاً عنه بعيداً عن مركزية النصوص الشرعية وإطلاقيتها، وأن مسؤوليتنا اليوم مضاعفة في سبيل إيجاد طريق جديد لنقل صورة ديننا وثقافتنا لأنفسنا وللعالم كله، وأن مسؤوليتنا مضاعفة في خلق خطاب ديني قادر على تنقية المقدس الحقيقي مما علق به من مقدسات زائفة على طول التاريخ الإسلامي، مهما كانت مكانة تلك المقدسات الزائفة وضخامتها))[1].

ومن تلك النماذج الصارخة والخارجة على مجتمعها والمتنكبة طريق سلفها الصالح والتي سلكت هذا الطريق المنحرف وترى أن هدايتها بل وهداية الناس أجمعين فيما أملته عليها عقولها بعيداً عن الوحي هكذا بلا خطام ولا زمام، وأن عقولها تكفيها للأخذ من المقدس الحقيقي كما يزعمون، فهذا محمد علي المحمود[2]، وهو أشدهم توتراً وغلظة وأبعدهم عن المنهجية، ولنتأمل ما وصل إليه تفكيره ونظرته للتغيير، فهو يرى أنه صراع أبدي أزلي بين القديم والجديد، إنها حكاية أزلية بلا بداية ولا نهاية حكاية الإنسان منذ كان، لذا فهو يرى من أولويات التغيير الانفتاح الثقافي دون تحفظ ومع أي أحد، وفي ذلك يكمن الحل لديه، فيقول: ((الحل الثقافي لا يمكن أن يكون إلا بالانفتاح الثقافي - دون تحفظ مع أي نوع، وتحت أي سبب - وإشاعة ثقافة الآخر المختلف المغاير، مع تفهم لروح المغايرة، وتسامح معها، وجعل هذا التسامح مع المغاير قيمة، مهما بلغت درجة مغايرته، ومن ثم السعي لتعميم كل ذلك إعلامياً، لأنه لا يكفي أن تكون حاضرة على مستوى الندوات الخاصة، والمكتبات التجارية، بل لابد أن تدخل في صميم التعليم العام، والإعلام الجماهيري، وتصبح من

(١) التجديد الديني ضـــرورة أم ترف؟ عبد الله بن بجاد، جريدة الرياض، العدد: ١٣٣٥٦، الاثنين ٦ ذي الحجة ١٤٢٥هـ - ١٧ يناير ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com

(٢) محمد بن علي المحمود وهو من مواليد ١٩٧١ميلادية في مدينة البكيرية، كاتب وأكاديمي سعودي، يعمل أستاذاً بقسم اللغة العربية بجامعة القصيم تم عزله مؤخراً عن تدريس الطلاب للخطر الذي يُشكله على عقائد الطلاب، كاتب بانتظام في جريدة الرياض وغيرها من المطبوعات، كان المحمود قد انتقل من التيار الصحوي، إلى الأفكار الليبرالية لا سيما المتعلقة بالمرأة، ويدعو لما يسمى عقلنة الخطاب الإسلامي ومولع بالحضارة الغربية. (صحيفة برق الالكترونية، الجمعة ٢٧ جمادى الثاني ١٤٣٣هـ - ١٨ مايو٢٠١٢) www.albarg.org.

ضروريات خطابهما))[1].

وأن ذلك لن يتحقق إلا بالخروج عن وصاية الانغلاق، فيقول: ((يتصور كهنة ثقافة الانغلاق، وسدنة هياكل التقليد، و(زُعران) الحراك المتطرف، أنهم أوصياء على الناس، وأن عقول الناس وأرواحهم وعواطفهم، ومن ثمّ أجسادهم وما يتعلق بها من حِراك، عُهدة بأيديهم، وأمانة أوكلت إليهم منذ فجر التقليد وإلى اليوم، وأنهم الورثة الشرعيون الذين من حقهم - وحدهم - ممارسة (الوصاية) بأنواعها، كل أنواع الوصاية، ما خشُن منها وما لان؛ لأنهم المشتغلون بالمقدس وعلى المقدس، وفي الوقت نفسه، هم الخبراء العارفون بكل أسرار وخبايا المدنس (= كل ما سوى المقدس في عُرفهم)، ومن ثم القيّمون على هذا (= المقدس) وذاك (= المدنس)، لأنهم - وحدهم - القادرون على رسم حدود العلاقة، وطبيعة التفاعل، كما يزعمون ويتوهمون))[2].

لذا فهو يرى صورة جديدة للإسلام لا تخنقه مخلفات القرون وليس محملاً بتقاليد أربعة عشر قرناً فيقول: ((لقد استطاعت ماليزيا الانفتاح على العالم، ووضع قدمها على عتبة النهوض، لأنها لا يحتويها التراث الذي يحتوينا، ولا تخنقها مخلفات القرون التي تخنقنا، فكادت أن تصيبنا بالعته، إن ماليزيا، وهي إحدى الدول الإسلامية، لم تجد - مع التزامها بالإسلام - نفسها محكومة بتراث كتراثنا تسعى للخروج من سيطرته، لأن إسلامها ليس محملاً بتقاليد أربعة عشر قرناً، جرت شرعنتها، حتى قدمت للمستهلك المعاصر وكأنها الإسلام ذاته))[3].

بل يرى أن دين الإسلام لا بد أن يولي وجهه شطر ذلك التراث التنويري الأوربي ويتفاعل معه حضارياً ليحقق الطمأنينة، فيقول محمد المحمود: ((الإسلام - كدين وليس كتاريخ وقائعي - لا بد أن يعانق التنوير الأوروبي وينفعل بفلسفة التنوير، ويمتاح من رؤاها وفاعليتها الإنسانية والحضارية ما يعزز به فاعليته الحضارية وأفقه التنويري اللامحدود، لا بد أن

(١) في القضاء على الإرهاب، محمد المحمود، جريدة الرياض، ٢٠٠٤/٣/١١م، www.alriyadh.com.

(٢) وصاية ثقافة الانغلاق، محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٥٩٦٣، الخميس ١٥ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ - ٨ مارس ٢٠١٢م www.alriyadh.com.

(٣) اليابان ليست نموذجاً، محمد المحمود، جريدة الرياض، ١٣ أيار (مايو) ٢٠٠٤م. www.alriyadh.com.

يولي وجهه شطر ذلك التراث التنويري، بزخمه الفلسفي الثري المتنوع، كفاعل ومنفعل، وليس كمفعول به. وإذا كان هناك من يرى أن روح التنوير الأوروبي إلحادية لا دينية، وإذا كان الكثير يؤيد هذا الرأي بصورة أو بأخرى، فإن ذلك – على اختلافنا في تحديد معالم الصورة – لا ينفي العائد الإيجابي للتفاعل (الإيجابي) مع ذلك التراث، على صورته التي هو عليها، بل ربما كان الروح الإلحادي مبعث طمأنينة للإسلامي فيما لو أحسن التعامل معه))[(١)].

ويواصل أصحاب هذا الفكر المنحرف حملتهم الشعواء على دينهم لتغييره واستبداله بدين جديد منحرف يتبعون فيه عدوهم ويُخالفون عقيدتهم ويُشاقُّون فيه رسولهم – صلى الله عليه وسلم – ويُضيعون مجدهم، فهذا مشاري الذايدي[(٢)] أيضاً وبنفس الفكر العقلاني والتوجه الليبرالي يؤكد على دور الحتمية التاريخية في تغير المجتمعات ويصر على هذه الحتمية ودورها الحاسم في التغيير، فيقول: ((فالموضوع لا يحتمل، وروح التاريخ تنادي، ومن لا يركب عربة الحضارة سيبقى أبداً خشبة منخورة تنتظر في محطات العابرين! إنها حتمية تاريخية لا مناص منها، وأما المجتمع ومدى تقبله أو عدم تقبله لهذا الخطاب الجديد، فإن أفراد هذا المجتمع هم الذين سيبحثون عن التغيير بكل وسيلة إذا تسبب الخطاب الإسلاموي، وهو قد تسبب بالفعل، بأضرار فادحة في رزقهم ومعاشهم ورخائهم وبحبوحتهم الحياتية))[(٣)].

---

(١) الإسلام والتنوير، محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٣٥٩، الخميس ٩ ذي الحجة ١٤٢٥هـ – ٢٠ يناير ٢٠٠٥م www.alriyadh.com.

(٢) مشاري سالم عبدالرحمن الذايدي، من مواليد بريدة ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م، انتقل إلى الرياض برفقة عائلته سنة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، كان منخرطاً في النشاطات الإسلامية، ممثلة في المراكز الصيفية والمكتبات الخيرية إلى أواخر ١٤١٠هـ ١٩٩٠م، ثم انسحب منها وانظم إلى تيار أهل الحديث الذين كانوا يرون أن منهج المراكز مخالف لمنهج السلف، اعتقل عدة مرات كان أولها في رمضان ١٤٠٩هـ، وبعد سلسلة من المراجعات الفكرية بدأت من السجن توجه مشاري الذايدي إلى الفكر العقلاني والتوجه الليبرالي، عبر قراءات لمصادر فكرية متعددة، فالعمل الصحفي في جريدة الوطن ثم المدينة ثم محرراً في الشرق الأوسط. (موقع شبكة الإقلاع، بتصرف يسير). www.vb.eqla3.com.

(٣) مشاري الذايدي ... ورحلة التحولات الفكرية، مشاري الذايدي، حوار مع جسد الثقافة، ٥/٩/٢٠٠٣م www.aljsad.com.

ويقول أيضاً: ((الغرض، أن القول بأن الحاجة تدعو إلى إسلام أوروبي، ليس أمراً يعني هدم الإسلام نفسه، لأن خطوط الإسلام العامة وأصوله الأساسية ستظل محفوظة، ولا تنازل عنها، فمثلاً لن يلغى القرآن أو تطرح سيرة نبي الإسلام، بل يعني أن يأخذ الفقيه وزعماء الجالية بنظر الاعتبار كونهم يعيشون في أوروبا وهم محكومون بقانون غير قانون بلدانهم، وألا يصبحوا هم النشاز الوحيد في المجتمع))[1].

ويرون أن الإسلام الحديث عليه أن يدخل دون امتناع في الحداثة التي صنعها الغرب على عينه، يقول مشاري الذايدي: ((وعليه فإن المسلمين عجزوا، أو امتنعوا، إن شئنا الدقة، عن الدخول في الحداثة التي صنعها الغرب على عينه، لأن هذا الدخول يعني التبعية للغرب، وقد نجم عن ذلك شعور حارق بالخيبة واندلعت مشاعر عدائية عالية ضد الغرب، ومن هذا المنظور فإن الأصولية الإسلامية الحالية ما هي إلا تعبير عن هذا الغضب والامتناع على الحداثة والديمقراطية الغربية. الناجي الوحيد من مصيدة هذا الشعور هو مؤسس تركيا الحديثة (كمال أتاتورك) الذي خلّص تركيا من هذا الشعور من خلال تخليصها كلية من الإسلام!))[2].

وهذا أيضاً منصور النقيدان[3] من أصحاب هذا الفكر والتوجه المنحرف وممن يرى

(١) الإسلام الأوروبي والإسلام الهندي! مشاري الذايدي، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ١٠١٢٩ الثلاثاء ٢٨ رجب ١٤٢٧هـ – ٢٢ أغسطس ٢٠٠٦م، www.aawsat.com.

(٢) سؤال لا يزال يبحث عن إجابة: لماذا جرى ما جرى؟! مشاري الذايدي، جريدة الشرق الأوسط العدد: ٩٠٥٣، الخميس ١٥ رجب ١٤٢٤هـ – ١١ سبتمبر ٢٠٠٣م، www.aawsat.com.

(٣) منصور إبراهيم موسى النقيدان. ولد في: بريدة. ليلة عيد الفطر ١٣٩٠هـ، المستوى التعليمي: المتوسط، حفظ القرآن الكريم عام ١٤١٢هـ، إمام جامع الرشودي في المربع بالرياض سابقاً لمدة عام بدأ تحوله إلى الفكر العقلاني والتوجه الليبرالي في منتصف التسعينات عندما بدأ بإعادة قراءة التراث الإسلامي المكتوب بأقلام بعض المفكرين المسلمين من المغرب والأردن. عمل لمدة سنتين محرراً متفرغاً في القسم الثقافي في صحيفة الوطن السعودية مشرفاً على الصفحة الدينية، يكتب مقالاً كل يوم خميس في حروف وأفكار بصحيفة الرياض السعودية. يعمل حالياً كاتباً متفرغاً، ومحرراً ثقافياً في صحيفة الرياض. (شبكة العزوف. www al3zof.com).

أهمية التغيير وأنه حتمي والتحول عن الأفكار وسلخ القناعات والتنقل بين العقائد من سنن التغير والتطور في الحياة فيقول: ((تاريخ الأفكار متخم بالعلماء والفلاسفة والمفكرين والكتاب والفقهاء والأدباء والمصلحين ورجال الدين الذين تنقلوا في عقائدهم، وتحولوا في أفكارهم وسلخوا قناعاتهم السابقة وآمنوا بأخرى. إن القانون الذي يحكم تلك الظواهر هو أن التغير والتطور سُنة الحياة، وأن الإنسان مهما أغلق المنافذ المعنوية والمادية لكي يبقى في حالة الثبات، فإن سعيه خائب وجهده كالهباء والخط على الماء))(١).

ولذا فإنه قد حقق ذلك الانتقال والتحول في الفكر وسلخ قناعاته السابقة ورأى أننا بحاجة إلى إسلام متصالح إلى إسلام كإسلام الجيل الثالث اليوم من أبناء المسلمين في فرنسا بل إسلام جديد ويرى أن ذلك ضرورة ذاتية مرتبطة بوجود الأمة وكيانها، فيقول: ((فنحن بحاجة إلى إسلام متصالح مع الآخر، إسلام لايعرف الكراهية للآخرين من أجل معتقداتهم أوتوجهاتهم. نحن نحتاج إلى لوثرية جديدة وإعادة تفسير "جريئة" للنص الديني لكي نتصالح مع العالم. فبعد سبتمبر بدت عوراتنا الحقيقية، وتهاوى الجينز، ليبدو من تحته العباءة العربية القذرة، العالم أدرك أننا نكن له كرهاً متجذراً في نصوص ديننا، وعرف أننا لانعرف لأحد كرامة إلا أبناء ديننا، وأن الآخرين لاحرمة لدمائهم وأموالهم، إلا من دخل تحت العهد بالذمة، حيث يلبسون لبوس الصغار. نحن نحتاج إلى إسلام كإسلام الجيل الثالث اليوم من أبناء المسلمين في فرنسا، ويقول أيضاً: الخلاصة أننا بحاجة إلى إسلام جديد من قبل سبتمبر والحرب الصليبية، ومن بعد سبتمبر هي ضرورة ذاتية مرتبطة بوجود الأمة وكيانها))(٢).

وأختم باسم كثيراً ما يحضر مع الأسماء السابقة الذكر في حملهم راية التغيير في المجتمع والمطالبة بإسلام جديد يواكب حضارة الغرب ويتنصل عن دين الإسلام الحق، من خلال ما ادعوه لأنفسهم من عقلانية فلسفية نقلتهم عن الماضي وتخلفه إلى الحاضر وتجدده وتطوره،

(١) التغيير سنة الحياة، منصور النقيدان، صحيفة الاتحاد الإماراتية، السبت ٢٨ جمادي الآخرة ١٤٣٣هـ - ١٩ مايو ٢٠١٢م. www.alittihad.ae.

(٢) حوار أجراه منتدى الوسطية، منصور النقيدان، بتاريخ ٢٠٠٢/١٢/٢٨م، الموقع الرسمي لمنصور النقيدان، www.alnogaidan.com.

وما هي لعمرو الله إلا الضلال والتخبط في الظلمات بعيداً عن نور الوحي وشمس الرسالة، فهذا يوسف أبا الخيل[1] والذي أيضاً يرى أهمية التغيير مع صعوبته ومقاومة الإنسان الضارية للأفكار الجديدة، بل ويُسلي نفسه والسائرين معه بأهمية الصبر في طريق التغيير، فيقول: ((ليس هناك ماهو أَمَرُّ على الإنسان من ترك ما اعتاد عليه وتبرمج على وتائره وعاش على وقع معطياته، وهذا الشعور الذي يتحول تلقائياً إلى مقاومة ضارية لكل ما يمكن أن يمتد لذلك السائد من العادات والتقاليد والخرافات بالنقد والمساءلة ليس خاصاً بمجتمع إنساني دون آخر، رغم الإقرار بوجود تفاوت في أساليب ونوعية المقاومة المتوقعة من الجمهرة الكاثرة تجاه الفكر الجديد ...

ولذا فليُهوِّن المخلصون والمصلحون والمجددون على أنفسهم إن هم سئموا من وحشة الطريق وقلة الأعوان فلهم سلف في ذلك كما سيكون لهم خلف بالتأكيد فالمنطق واحد ومشترك بين كافة المخذلين ورافضي الإصلاح وهو الإتيان بما يخالف العادات والتقاليد وما اعتاد عليه المجتمع وتربى عليه بصرف النظر إن كان ثمة حق أو منطق في ذلك السائد الذي يجاهدون لاستمراره ويقاومون أية دعوات لإصلاحه أوحتى نقده من الداخل))[2].

وعليه فإنه يرى أن قيم الحداثة والتنوير ستنتصر وتبسط نفوذها في المجتمعات الإسلامية أمام ظلامية المشاريع الأصولية القائمة، لتلحق بركب الحضارة العالمية والفلسفة الغربية، فيقول: ((الهدف الكبير الذي ينشده التاريخ وهو تحقيق الانتصار التام لقيم الحداثة ومبادئ الإنسانية ومفردات التنوير وتحقيق العدل والحرية والمساواة وبسطها في المجتمعات الإسلامية والاستفادة

---

(١) يوسف بن عبد العزيز أبا الخيل الكاتب الأسبوعي المعروف في جريدة الرياض مواليد مدينة بريدة عام ١٣٨٢هـ وحاصل على درجة الماجستير في العلوم المالية وقد قطعت شوطاً كبيراً في رسالة الدكتوراه بهذا التخصص الأكاديمي. أما ثقافتي الشرعية فهي ثقافة مكتسبة من ثني الركبتين على المشايخ لما يزيد عن عقدين من الزمان. مهتم بالشأن الفكري، له الكثير من المقالات الاجتماعية والشرعية، ذات الطابع الفكري العقلاني. (انظر: موقع أنا المسلم www.muslm.net).

(٢) محاربة الفكر الجديد سمة اجتماعية بارزة، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد: ١٣٤٦٣، الأربعاء ٢٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ ٤ مايو٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

من التراثات الإنسانية القائمة على مبادئ التنوير بدون عقد مسبقة أواحتشاء أو تمحور نحو تراث معين أنتجه قوم غابرون في مجاهل التاريخ لظروف عصرهم التي لم يكن بالإمكان التعامل معها بغير تلك الآليات التي يضمها ذلك التراث، ولكن والظروف المعاصرة تضغط باتجاهات كونية سريعة وعولمة ضاغطة فلا بدّ لتلك المجتمعات من السير باتجاه اكتشاف آليات معاصرة لواقع معاصر يتطلب روحاً جديدة قائمة على الاستفادة من أي تراث إنساني ينشد قيمة الإنسان ويحققها. هل تتحقق نبوءة فلسفة التاريخ لهيجل في واقع المجتمعات الإسلامية وهي تكابد مواجهة ظلامية المشاريع الأصولية القائمة على تصنيف البشر وفق أديانهم أو أعراقهم أو مذاهبهم وما شابهها من مفردات تصنيفية ظلت عائقاً أمام تلك المجتمعات نحو الالتحاق بركب الحضارة العالمية؟ التاريخ وحده مرة أخرى كفيل بالإجابة))[1].

وهكذا وصل الحال في طرح مثل هذه الأفكار والمفاهيم في مجتمعات المسلمين حتى مجتمع التوحيد وصفاء المعتقد في بلاد الحرمين، وتبنى بعض أبنائه تلك الأفكار واعتقدوها وأصبحوا وسائل نشر لها بل وذب عنها، وبعد أن كانت تلك الأفكار في الجذور أصبحت طافية على السطح وبعد أن كانت خافية في سراديب المبتدعة أصبحت تنشر في الفضاء علانية.

٣. أسباب تتعلق بوسائل الاتصال المعاصرة

ووسائل الاتصال والإعلام المعاصرة هي من أعظم الأسباب في بث الأفكار المسمومة والمعتقدات الفاسدة والتصورات الخاطئة، وهذه الوسائل قد تعددت وتفننت في نقل الشر وتزيينه لمشاهديه ومُستمعيه وقُرائه، واتسعت دائرة تأثيرها، ومع وسائل البث والاستقبال التي تجاوزت الحدود والسدود ووصلت إلى الأذهان والعقول مباشرة مخاطبة الصغير والكبير والرجل والمرأة والجاهل والمتعلم دون تفرقة، ولم تُحفظ تلك العقول والقلوب بل زُين لها الشر ولُبس لها الباطل.

والإعلام الجديد بتنوع وسائله من فضائيات وقنوات ومواقع وشبكات تواصل

(١) فلسفة التاريخ عند هيجل، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد: ١٣٤٢٤ السبت ١٦ صفر ١٤٢٦هـ - ٢٦ مارس ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

اجتماعية ودوراً للنشر، باتت تحقق حضوراً مكثفاً للفكر العقلاني الفلسفي والتوجه الليبرالي، وتم عقد عدداً من ورش العمل حول دور الإعلام في تعزيز الليبرالية، ((يقيم مركز رؤيا مصرية بالتعاون مع مؤسسة فريدريش ناومان للأفكار الحرة والتدريب على الحرية ورشة عمل مجانية حول دور الإعلام في تعزيز الليبرالية، يوم الخميس ١٧ ديسمبر. ومن المقرر أن تناقش ورشة العمل في أربعة محاضرات دور الإعلام في خلق مجتمع ليبرالي، وذلك بعد استعراض مفهوم الليبرالية من وجهة نظر الإعلام وتقييم لدوره في نشر هذا المفهوم ترسيخه. كما تختتم ورشة العمل بمحاضرة حول العلاقة بين الإعلام ومنظمات المجتمع المدني الليبرالية وإمكانية تعزيزها))(١).

وهذا التيار المنحرف ليس له جذور عميقة في المجتمع، وليس له امتداد أو قبول شعبي، سوى عند أصحابه وكتابه ومنظريه، وتكمن خطورته في أن بعض وسائل الإعلام المحلية والإقليمية صدرت رموزه، وجعلت منهم مفكرين إسلاميين، وخبراء في الحركات الإسلامية، وصناع للرأي العام!: ((تطورت الدعاية في العصر الحديث كثيراً، ولكن الغريب من أصناف الدعاية هي الدعاية الفكرية، فكم من شاعر أو كاتب لا يؤبه له جاء الإعلام ولمع صورته بدعاياته، حتى عاد الناس لا يثقون بأي شيء يشتهر، وربما كان غاية في الرداءة والفساد، ولكن جيوش الإعلام والدعاية رفعت من شأن كتاب صغار أو مغالطين كبار وحاصرت الناس حتى أفقدتهم بصيرتهم، ولقد شكَت إحدى المستشرقات فقالت: "إن أدونيس لم يقل شيئاً ولكن اللوبي الأدونيسي هو الذي أعطاه الأهمية"))(٢).

ويسعى أصحاب تلك الوسائل الإعلامية المعاصرة بكل وسيلة تحقق غايتهم في فرض ما يريدون من فكر مؤدلج وترسيخ صورة ذهنية معينة في ذهن المتلقي، بل وتشكيل العقل الجمعي المجبر على الانصياع للواقع مع تزايد وطأة العولمة وفق صياغة عالم القطب الواحد،

---

(١) دور الإعلام في تعزيز الليبرالية، منى نادر، تقارير مصرية، جريدة اليوم السابع، الأحد، ١٣ ديسمبر ٢٠٠٩م. www.youm7.com.

(٢) محمد أركون .. وجولة في فكره المأفون، الدكتور محمد محمود كالو، ٢٧/١٠/٢٠٠٩م، منتدى التوحيد.

يقول أحمد دعدوش: ((مع تطور وتوسع دور وسائل الإعلام وتقنيات الاتصال التي تجتاح عالمنا اليوم، تتماهى باطراد تلك الحدود التي كانت تفصل في الماضي بين دور كل من الإعلامي والمعلِن، إذ يضطر كل منهما للتحايل على ارتفاع مستوى الوعي الاجتماعي، مستفيدَين من تطور مهارات الاتصال وتقنيات الإبهار، مما دفعهما للانتقال إلى مستويات أعلى من الإسفاف في نقل الصور المؤدلجة عن الواقع، أو الإمعان في ترسيخ صور أخرى في ذهن المتلقي. وتلعب الفلسفة العملية البراغماتية دوراً رئيساً في تشكيل العقل الجمعي المجبر على الانصياع للواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي السائد في العالم الغربي، وبما يصب أساساً في مصلحة النخبة المتنفذة، الأمر الذي يتم تعميمه في مجتمعات العالم كافة مع تزايد وطأة العولمة وفق صياغة "عالم القطب الواحد"))[(١)].

وبناء الثقافات وزعزعة القناعات وتغيير المعتقدات وتشكيل الملامح للمجتمعات ومن ثم توجيه المجتمع إلى أي وجهة كانت بداية بمثقفيه وانتهاءً بعامته ودهمائه، يقول علي مهدي حسن: ((تعد وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة مصدراً مهماً من مصادر التوجيه والتثقيف في المجتمع، وهي ذات تأثير كبير في جماهير المتلقين المختلفين، المتباينين في اهتماماتهم وتوجهاتهم ومستوياتهم الفكرية والأكاديمية والاجتماعية. وهذا ما يكسبها أهميتها في عملية بناء المجتمعات، وهي أحد العناصر الأساسية المساهِمة في تشكيل ملامح المجتمعات))[(٢)].

وكان للإعلام الغربي دور واضح ومركز في استهداف العالم العربي والإسلامي بالدعاية والترويج للتوجهات الفكرية في خطوات متتابعة ومستمرة ومنتظمة، ((فتطورت وسائل الإعلام واستخدمت في مجال الدعاية (البروباجاندا) الفكرية للرؤى والأطروحات ذات التوجهات الفكرية الذي يستهدف الغرب تسويقها في المجتمعات الإسلامية. فغالباً ما تستخدم التقارير الإخبارية والكتب ومختلف المنشورات والمواد المصورة مثل الأفلام وبرامج

---

(١) أساليب الدعاية المعاصرة .. (الغاية تبرر الوسيلة!)، أحمد دعدوش، موقع صيد الفوائد، www.saaid.net/arabic.

(٢) دور وسائل الإعلام في تشكيل المفاهيم المجتمعية، علي مهدي حسن، مؤسسة الحوار المتمدن، العدد: ٢٢٠٤، تاريخ ٢٠٠٨/٢/٢٧ م. www.ahewar.org.

الإذاعة والتليفزيون لنشر العديد من الأفكار وتسويقها وترويجها عبر خطوات متتابعة ومستمرة ومنتظمة. وكان لشبكة الانترنت نصيب كبير بعد ظهوره وانتشاره في المجتمعات العربية والإسلامية في نشر العديد من الأفكار والدعوة إليها بأساليب كثيرة أقلها المباشر والأكثر الأعم منها الأساليب غير المباشرة التي يمكن أن تدعي الحياد وهي تروج وتدعم الفكرة المناوئة))(١).

ومن تلك التوجهات الفكرة الليبرالية المرفوضة وغير المقبولة في مجتمعات المسلمين، والتي تم التسويق لها عبر خطط طويلة الأجل تعتمد على التلقين والكذب والتكرار حتى تستقر وتصبح واقعاً مصدقاً في حياة الناس من خلال الإعلام: ((والفكرة الليبرالية – من ناحية الأصل – فكرة غير مقبولة في الأوساط الإسلامية لارتباطها بإبعاد الدين عن الحياة تماماً والتخلي عن كل قيد بدعوى الحرية، فلزم لتسويقها في العالم العربي خطط ممنهجة طويلة الأمد تعتمد على أسلوب التلقين لتحويل الأفراد ومن ثم المجتمع من مجرد مستقبلين إلى باحثين عن المزيد من المعلومات ومن ثم يتحولون إلى أصحاب رأي يدافعون عن الفكرة نتيجة التكرار المتعمد الذي يصل بهم إلى مرحلة التصديق الكامل.

وتعتمد تلك الوسائل الإعلامية على فكرة المغالطات وتكرارها حتى يتوهم المتلقي بعد فترة من الكذب المستمر والمتعمد والمشوه للحقائق أو المستغل لبعض الصدق ليدخل فيه الكثير من الكذب والوقائع غير الحقيقية، فبعد فترة من التكرار وتواتر الكاذبين على نقل الكذب يتحول الكذب إلى صدق بين جلي ويضيع معه الحق الضعيف الذي لا يمتلك من الأدوات والوسائل ما يستطيع أن يظهر فيها صوته أو يجلي فيها مواقفه. وكلما كان وعي الأفراد عالياً أو كلما ارتفعت شريحة المتلقين فكرياً كلما اضطر الملقنون لإخفاء ما يريدون ترويجه لأشكال وأنماط غير مباشرة تتخفى وراء كل خبر أو صورة أو تقرير خبري أو حتى استطلاع للرأي))(٢).

(١) الإعلام الغربي وتسويق الليبرالية في العالم العربي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠١٢/٠٥/٠٦م. www.taseel.com.

(٢) الإعلام الغربي وتسويق الليبرالية في العالم العربي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٢٠١٢/٠٥/٠٦م. www.taseel.com.

ومن الأمثلة القائمة والشاهدة على الإعلام الموجه والمعني بتسويق الليبرالية في العالم العربي، الإذاعة البريطانية الـــBBC في قسمها العربي، والتي حملت على عاتقها التسويق لتلك الأفكار والترويج لها من خلال برامجها واستطلاعات الرأي الموجهة التي تقوم بها خدمة لأهدافها: ((وعلى سبيل المثال فمن الأدوات التي يروج بها موقع الإذاعة البريطانية لليبرالية في العالم العربي والإسلامي الاستطلاع، ومن أخر استطلاعاتهم اليوم استطلاع للرأي يتساءل فيه واضعه عن ما هو تأثير الحركة الليبرالية على مسيرة الإصلاح في السعودية؟ ووُضع للمستهدَف من التصويت خياران لا ثالث لهما إما تأثير ايجابي أو سلبي وترك القراء ليدلوا برأيهم حول الموضوع))(١).

وقد حمل الاستطلاع نتائج مقررة سلفاً وتلبيساً وأصواتاً مختارة منتقاة، لتصل بالقارئ والمستمع إلى نتيجة حتمية، تغره وتخدعه بعد ذلك بفكرة وجود المشروع الليبرالي المزعوم في المملكة. وأصبح الإعلام يخدم بعض التوجهات الليبرالية ويُسوق لها ولكتابها والذين يُعدون على الأصابع، ولكن أصبح لبعضهم أعمدة ثابتة في صحفنا اليومية، فلا يمر يوم إلا وقد سُودت هذه الصحف ببعض مقالاتهم وخاصة صحيفة الرياض والوطن والشرق الأوسط وبعض الكتاب له مئات المقالات المنشورة فجردوا أقلامهم ونالوا نصيب الأسد في أعمدة الصحف اليومية لفرض مشروعهم الليبرالي التغريبي بحجة الإصلاح ومكافحة الإرهاب.

يقول إدريس أبو الحسن: ((لم يبال الليبراليون بحجم وضعهم في خريطة المكونات السياسية بالمملكة، مستعلين على تلك الخريطة برمتها، وخاضوا (إلى يومنا هذا) معارك شرسة على مستوى الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب، جسدت في نظر خصومهم الاستعلاء على الدين والقيم والثوابت والخصوصيات، وهو ما تجلى على صفحات الجرائد تحديداً في جدالات طويلة وردود تتنقل إلى الإعلام المرئي والمسموع، خاضها علماء ولأول مرة مع خريجي جامعات تكساس وكاليفورنيا. وبرغم استحواذ الليبراليين (الأقلية الناطقة) على نصيب الأسد في الإعلام، فالمتابعون للشأن يقررون أن منهجية الاستعلاء التي تبناها

---

(١) الإعلام الغربي وتسويق الليبرالية في العالم العربي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ٠٦/٠٥/٢٠١٢م. www.taseel.com.

الاتجاه الليبرالي، زادت من عزلته في المجتمع وانكشفت في خضمها حقائق خطيرة عن هذا الاتجاه، زل بها لسانه، عن الدين والمجتمع والقيم))[1].

وكذلك المواقع والشبكات والصحف الإلكترونية والقنوات الفضائية التي أنشأت للتسويق لليبرالية، هي الأخرى لها دورها في نشر الفكر وإذاعته بين أبناء بلادنا بالدرجة الأولى واستقطاب الكتاب والمشاركين، ومن مظاهر هذا التوجه التغريبي الليبرالي كما يقول د. عبد الرحيم السلمي: ((امتلاك مؤسسات إعلامية مستقلة ممولة بملايين الريالات ومن أبرزها: مجموعة "الشركة السعودية للأبحاث والتسويق" ويصدر عنها: صحيفة "الشرق الأوسط"، وصحيفة "الاقتصادية" و"عرب نيوز"، ومجلة "المجلة"، ومجلة "سيدتي"، وكذلك مجموعة "الإم بي سي" وهي مجموعة قنوات فضائية ذات برامج متنوعة مثل: قناة "العربية الإخبارية"، و"إم بي سي (١-٢-٣-٤)"، ومجموعة "روتانا" (وهي قنوات فضائية غنائية وسينمائية)، ومجموعة "آي آر تي" (وهي قنوات فضائية منوّعة)، ومجموعة "إل بي سي"، وصحيفة الحياة وغيرها، وكل هذه الإمبراطوريات الإعلامية لها مواقع على الانترنت. ومن مواقعهم على الانترنت: جريدة "إيلاف الإلكترونية" (عثمان العمير)، وموقع "التجديد العربي" (يوسف مكي)، وموقع "جدل" (سعود السرحان، يوسف الديني) ومجموعة من منتديات الحوار منها: "الليبراليون السعوديون"، و"الشبكة الليبرالية السعودية" و"جسد الثقافة"، و"منتدى طومار"، و"منتدى الإقلاع" و"منتدى الحرية" وغيرها))[2].

وهذا الدور الإعلامي الموجه والقذر للقنوات الفضائية وخصوصاً قناة العربية ذات التوجه الواضح في خدمة الليبرالية ومنظريها وقد أصبحت منبراً لهم لعرض وتقديم ما يريدون: ((قد لا يختلف اثنان على وضوح توجه "العربية" في معظم تغطياتها الإخبارية، وبرامجها الحوارية، وأفلامها الوثائقية، وإعلاناتها التجارية، وحتى في موقعها الإلكتروني، الذي

---

(١) الليبراليون السعوديون: الأقلية الناطقة، إدريس أبو الحسن، شبكة القلم الفكرية www.alqlm.net.

(٢) تأثير الاتجاه التغريبي، عبد الرحيم بن صمايل السلمي، تاريخ ١٤٣٢/١/٣هـ، موقع المسلم almoslim.net/node.

تحول إلى منبر لمنظري الليبرالية الجديدة ... ويضيف: مجموعة mbc، بما فيها قناة العربية، ليست مجرد إمبراطورية إعلامية أنشأها مستثمر في العشرينيات من عمره، وهي ليست مجرد شركة تجارية تسعى إلى الربح من خلال الإعلانات في سوق خليجية ناضجة، بل هي تنظيم إعلامي جبار، يدير أموالاً طائلة يتم جنيها من شبكة علاقات سياسية معروفة))(١).

ومن تلك الوسائل الإعلامية المتجددة والمرتبطة بالظاهرة، والتي أسهمت إسهاماً واضحاً في نشر هذا الفكر والتمهيد له وتوسيع دائرة المنتمين له في الوطن العربي، ظاهرة معارض الكتاب الدولية، وظهور دُور نشر في الآونة الأخير تتبنّى تلك التوجهات الفلسفية والليبرالية.

((ولعلّي هنا أركّز على أهم ثلاثة منها؛ وهي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، وصنوه دار مدارك للنشر، والشبكة العربيّة للأبحاث والنشر، ومركز نماء للبحوث والدراسات، وهناك عدد من القضايا المشتركة فكريّاً في مؤلّفات هذه الدور، يمكن إجمالها في على النّحو التالي:

١. التسويق للرُّخصة في الأحكام الفقهيّة، وجعلها أصلاً في الفقه الإسلامي.
٢. تضخيم أمر الحريّة، بل أصبحت مقدّمة على الدِّين وتطبيق الشّريعة والتوحيد.
٣. الانبهار بالغرب، والتسويق للأفكار والنظريات الغربية، وخاصة الديمقراطيّة الغربيّة.
٤. التحامل الشّديد على المدرسة السلفيّة، بل وصل بهم إلى رفض أن تكون العقيدة هي الموجِّه لأمور حياتنا.
٥. إحياء منهج المدرسة المعتزليّة القديمة وانتقاد النُّصوص الشرعيّة وتعطيلها وتأويلها.
٦. مرجعيتها مختلطةٌ بين الكتابات الفلسفيّة الغربيّة وكتابات دُعاة الحريّة.
٧. التأثر بالمدرسة المغربيّة (الجابري، أركون ..) ومَن على شاكلتهم مِثل الترابي(٢).

---

(١) قناة العربية تصرح بميولها المارونية، تقرير إخباري، ٨/٣/٢٠٠٨م، مجلة العصر، alasr.ws/articles/view.

(٢) وقفات مع بعض دور النشر في معرض الكِتاب، د. شاهر بن ظافر الشهري، ٢١/٤/١٤٣٤هـ، موقع الدرر السنية www.dorar.net.

وما تزامن معها من أنظمة مؤخراً، تسمح بحرية أوسع للكتب: ((معرض الرياض القادم والمنتظر من جميع ذوي الاهتمام، تعقد عليه كثير من الآمال، وذلك بأن يحفل بالمتنوع والنادر الذي يصعب توفره في المكتبات المحلية، لقلة الطلب عليه، أو للرقابة، الرقابة العامة، أو الرقابة الذاتية التي تفرضها مكتباتنا المحلية على نفسها، مجاراة للرأي العام التقليدي. والمعرض بدون هذا النادر والمتنوع لا قيمة له، ولا مبرر لإقامته، أو على الأقل لتسميته بـــ(الدولي)))[1].

وفي السنوات الأخيرة فُتح الباب على مصراعيه لكل أنواع الثقافات ومختلف عناوين الكتب والروايات من منطلق الحرية الفكرية، وشملت ما يلي:

أ- عرض كتب فيها الاستهزاء الصريح بالله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ب- كذلك عرض كتب فيها:

- تَنقُص كتاب الله وطرح ما يُشكِكُ فيه.
- التطاول على النبي – صلى الله عليه وسلم –، والقدح في سنته والدعوة إلى ردها.
- سب أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، – ورضي الله عنهم وأرضاهم–.
- ما يروّج للسحر والكهانة والعرافة والتنجيم وتحضير الأرواح، ويشرح طرق ممارستها.
- كتب الديانات المنسوخة.
- معتقدات الديانات الوثنية (كالبوذية والصابئة)، ومذاهب الفرق الضالة كالرافضة والإباضية والمعتزلة وغيرهم.
- عرض النظريات الإلحادية بأساليب قد تخدع القارئ العادي وتفتنه خاصة الشباب.
- عرض كتب وروايات تتحدث عن الجنس والفواحش.

ج- استغلاله لدعوة أشخاص ... عرفوا بالانحراف الفكري يُصَدَّرُون ويُقَدمُون للمجتمع على أنهم رموز الفكر والثقافة، فيغتر بهم الشباب والفتيات بما يطرحونه من أفكار وما يبثونه من شبهات. ويتم ذلك من خلال الندوات والمحاضرات واللقاءات

(١) معرض الكتاب .. الثقافة أولاً، محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٧٥١، الخميس ١٧ محرم ١٤٢٧هـ – ١٦ فبراير٢٠٠٦ م. www.alriyadh.com.

المفتوحة))[1]. ومن خلال ما سبق يتضح دور وسائل الاتصال المعاصرة في تبني ونشر هذا الفكر العقلاني في توجهه الليبرالي في العالم العربي والإسلامي.

د- أسباب تتعلق بالغرب.

ويستمدُّ أركون خاصَّةً وغيره من الفلاسفة، أفكارهم في دعوقمم من فلاسفةٍ الغرب، وخصوصاً أولئك الذين نصروا المذهب الإنساني، ودعوا إليه، مثل "رينيه ديكارت" و"سبينوزا"، و"كانت". وكتابات هؤلاء كانت ثورةً على دين محرَّف، وكنيسةٍ دانت بمنهج منحرف وسلوك مستبد، فجاء أركون ليجعل من فكره وقلمه، جسراً منحرفاً وامتداداً سيئاً لذلك الاتجاه، ونسي أنه يثور على دينٍ صحيح، لا كنيسةَ فيه، وكتابٍ محفوظ، لا ريبَ فيه وقد استمد كثيراً من أفكاره ورؤاه من كتابات بعض المستشرقين المعاصرين، ويؤكد أركون - دائماً - في دعوته إلى نزع القداسة عن القرآن الكريم، وخلعِها على الإنسان، تلك الصرخة الإلحادية التي جاهر بها الفيلسوف الألماني "نيتشه" الذي قال: "لقد مات الإله.

وإن الدعم الغربي لهذا الفكر العقلاني الفلسفي والتوجه الليبرالي أصبح معلناً ومتنامياً بل أصبح الليبراليون العرب عمالة تحت الطلب كما عبر أحدهم، حيث كتب جون بي آلترمان: ((أصبحت الحاجة ماسة إلى الليبراليين العرب أكثر من أي وقت مضى حيث يرى فيهم بعض الغربيين الأمل والقوى القادرة على مواجهة خطر «القاعدة» لذلك يدعوهم كبار مسؤولي الحكومات في واشنطن ولندن وباريس وغيرها من العواصم الغربية إلى موائد الأكل وشرب الخمر. لقد ازداد الدعم الغربي لليبراليين العرب، لكن يبدو أن تنامي هذا الدعم قد يحدث تأثيراً معاكساً، فبدلاً من أن يؤدي إلى تقويتهم فإنه سيؤدي إلى تهميشهم ووصمهم بالعمالة، بل جعل الكثيرين يتشككون في الإصلاح السياسي الذي يسعى الغرب إلى تحقيقه في المنطقة.

يعتبر اتخاذ السياسة الغربية لليبراليين العرب قاعدة انطلاق لتنفيذ سياساتها في المنطقة أمراً منطقياً، بالنظر إلى التجانس الموجود بين الطرفين، فالليبراليون العرب على مستوى تعليمي جيد، ويتحدثون الإنجليزية بطلاقة، وفي بعض الأحيان يتحدثون الفرنسية أيضاً. فالساسة

(١) بيان حول معرض الرياض الدولي للكتاب، ١٨/٤/١٤٣٣هـ، موقع المسلم، almoslim.net/node.

الغربيون يجدون الراحة في التعامل معهم وهم كذاك يحبون التعامل مع الغرب))[1].

وتأكيداً على هذا الدعم في التطور الديمقراطي من خلال النظم القائمة وأهمية تمتع الشعوب بحرياتها، فقد صدر أيضاً تقرير عن مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية بتاريخ ٩ يونيو ٢٠٠٥م: ((ركز هذا التقرير على ضرورة أن يكون هدف أمريكا في الشرق الأوسط تشجيع التطور الديمقراطي وليس الثورة.. وذكر التقرير أن عملية التطور الديمقراطي بطيئة ومتدرجة ويجب أن تتم من خلال النظم السياسية الموجودة في الدول العربية. وأشار التقرير إلى أن سياسة نشر الديمقراطية تؤدي إلى بعض المخاطر ولكن حرمان الشعوب من الحرية ينطوي على مخاطر أكثر ..))[2].

ونتيجة لهذا التوجه الذي اجتمع فيه حاجة الغرب لهذا التوجه ولهذه العمالة من جهة وتنامي دعم الغرب لليبراليين العرب من جهة أخرى، وخدمة لهذا التوجه ونتيجة للدراسات البحثية والرصد المبكر لمؤسسات الغرب لواقع المسلمين فقد صدر في ٢٠٠٧م عن مؤسسة (راند)[3]. دراسة بعنوان "بناء شبكات إسلامية معتدلة" وذلك في إطار تحديد شركاء تعتمد عليها الجهود الأمريكية لمساعدتها في تحسين صورتها في العالم الإسلامي من جهة وفي تحقيق

(١) الليبراليون الجدد.. عمالة تحت الطلب، كتب جون بي آلترمان (Jon B. Alterman) مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والاستراتيجية الأمريكي (Center for Strategic and International Studies)، ترجمة: إبراهيم عرفة أحمد، شبكة المثقفين السعوديين. www.sa-top.com.

(٢) انظر: رابع عشر: أسباب انتشار هذا الفكر والافتتان به، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الدرر السنية، www.dorar.net، نقلاً عن: الموقع الإلكتروني: www.Mengos. net.

(٣) راند: مؤسسة راند هي منظمة عالمية لديها مكاتب في جميع أنحاء العالم تعنى بالبحث والتطوير Research and Development، أسسها الجنرال هنري هارلي أرنولد HenryH. Arnold قائد الجيش والقوات الأمريكية إبان الحرب العالمية الثانية، أُسست في ١ أكتوبر ١٩٤٥م ثم سُجلت كمؤسسة مستقلة غير ربحية في ١٤ مايو ١٩٤٨م، لديها أكثر من ١٧٠٠ موظفاً في فروع المؤسسة في أكثر من ٥٠ بلداً ونشرت أكثر من ١٠٠٠٠ تقريراً، وتفوق ميزانيتها السنوية مائة مليون دولار سنوياً، وأبرز مجالات بحثها: الأمن القومي، الصحة، التعليم، الإرهاب والأمن الداخلي، والجانب العسكري .. وغيرها. انظر: موقع المؤسسة www.rand.org.

أهدافها في مواجهة التيارات الأصولية من جهة أخرى.

وركز الفصل الخامس من الدراسة على "خارطة الطريق نحو بناء شبكات معتدلة" ومما ورد في تلك الخارطة: ((إن مبحثنا هذا يدعو لإحداث تغييرات جوهرية في الاستراتيجية الحالية تجاه العالم الإسلامي، ويحدد البحث الحالي منطقة المشكلة في الشرق الأوسط ويقوم بصياغة برامجها بناءً عليه. إن هذه البقعة من العالم كبيرة جداً ومتنوعة جداً ومعقدة وتقع في أيدي قطاع عريض من القطاعات غير المعتدلة ... وبالتالي على الولايات المتحدة أن تتبع استراتيجية جديدة تكون غير متماثلة وتنقيحية.. على الولايات المتحدة أن تتجنب مركز جاذبية الخصوم وبدلاً منه تقوم بالتركيز على الحلفاء وبرامجها والمناطق التي استطاعت الولايات المتحدة أن تؤثر فيها أو أن يكون من المحتمل أن تؤثر فيها في حرب الأفكار))[1].

والأخطر في هذا التقرير هو ما عبروا عنه بإعادة ضبط الإسلام وجعله متكيفاً مع الواقع المعاصر ويؤمن بوجهة النظر السائدة في الغرب ((الأكثر خطورة في تقرير مؤسسة "راند" الأخير – الذي غالباً ما تظهر آثار تقاريرها في السياسة الأمريكية ويتحدث باسم"أمريكا" – أنه يدعو لما يسميه "ضبط الإسلام" نفسه – وليس "الإسلاميين" ليكون متمشياً مع "الواقع المعاصر"))[2].

ومما تفترضه الدراسة أن بعض الجماعات الإسلامية قد تطورت بحيث باتت تدعم الديمقراطية والتعددية، وترفع شعار حقوق المرأة والحرية الفردية، وباتت تتحول من التقليدية إلى الحداثة! وترفض العنف! وترى أنه من الأفضل توجيه برامج بناء القدرات والموارد نحو المنظمات المسلمة المعتدلة والليبرالية، ولكن بشكل غير مباشر وظاهر.

ولذا فإن الدراسة تقترح وتوصي في هذا الشأن، أن يكون من بين الفئات المستهدفة:

---

(١) "بناء شبكات مسلمة معتدلة Building Moderate Muslim Networks"، شارلي بينارد وأنجل رابسا ولويل شوارتز وبيتر سكيل، تقرير مؤسسة راند RANDCorporation " الأخير ٢٠٠٧م، الفصل الخامس، بتصرف يسير.

(٢) لماذا تبني أمريكا "شبكات مسلمة معتدلة" علمانية؟ محمد جمال عرفة، المحلل السياسي بشبكة إسلام أون لاين. نت، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

الأكاديميون المسلمون الليبراليون في الجامعات ومراكز الأبحاث، حيث يستطيعون من خلالها التأثير على أراء الآخرين، ورجال الدين من الشباب المعتدلين الذين سيشكلون القيادة الدينية المستقبلية، الذين سيكون لهم أثرهم في إيجاد تيار معتدل ذي قاعدة شعبية عريضة وغيرهم من الكُتاب والصحفيين والمعنيين بالاتصال والنشطاء الحقوقيين، والتأكيد على أن يتضمن مشروع بناء الشبكات المعتدلة جهوداً لربط المجموعات العلمانية والإسلامية المعتدلة (الليبرالية) الصغيرة ببعضها البعض في بيئتها، وبالجماعات المشابهة في الخارج.

وتواصلاً مع الدور نفسه واستمراراً لتلك الجهود الحثيثة للغرب بصورة عامة، ولأمريكا ومؤسساتها البحثية المهتمة بالشرق الأدنى بصورة خاصة، فقد بدأ دعمها للتيارات الليبرالية في الوطن العربي واضحاً من خلال دعم المعارضين العرب، ليس ذلك فحسب بل ودعوتهم لكي يرفعوا أصواتهم، فقد كتب عمر حمزاوي: ((بدأ عدد من مراكز الأبحاث والمؤسسات السياسية الأمريكية، المهتمة بشؤون الشرق الأوسط، في الأيام الماضية نشاطاً لافتاً للنظر. فقد نظم معهد "المؤسسة الأمريكية" مؤتمراً حول الديمقراطية في العالم العربي، عنوانه "إلى المعارضين العرب: ارفعوا أصواتكم"، ودعا إليه مجموعة من ممثلي التيارات الليبرالية لمناقشة دورهم في تحولات أوطانهم السياسية والاستراتيجية الأنجع للدعم الغربي لهم، وتلاه "معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى"، بعقد ورشة عمل حول مستقبل الليبرالية العربية))[(١)].

وأصبحنا نرى ونلمس في واقع بعض المجتمعات الإسلامية والأفراد أثراً مُشاهداً ومحسوساً لهذا التوجه، وتغيراً في تدينها مقارنة بما كانت عليه قبل عقد من الزمان، وما واكب ذلك من بعض الأطروحات والكتابات والمستجدات على الساحة الإسلامية والعالمية التي تؤيد ظاهرة التدين الجديد وما عُرف بعصرنة الإسلام، أو الإسلام الحديث وتنادي به بل وتدعمه.

ثانياً: أسباب نشوء الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه الإرجائي، ويمكن

---

(١) يا ليبراليي العرب اتحدوا، عمر حمزاوي كاتب وباحث مصري بمؤسسة كارنيجي للسلام العالمي – واشنطن، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٩٩١٨، الاثنين ٢٣ ذو الحجة ١٤٢٦هـ – ٢٣ يناير ٢٠٠٦م. www.aawsat.com.

تقسيمها حسب متعلقاتها إلى ما يلي:

١. أسباب تتعلق بالمدعوين.

٢. أسباب تتعلق ببعض المفتين.

٣. أسباب تتعلق بالدعاة.

٤. أسباب تتعلق بوسائل الاتصال المعاصرة.

٥. أسباب تتعلق بالسياسات الحكومية.

٦. أسباب تتعلق بالغرب.

وسأذكر تلك الأسباب بتفصيلاتها كما يلي:

١. أسباب تتعلق بالمدعوين

إن الحاجة إلى التدين رغبة موجودة في النفوس، وخاصة مع طغيان الجوانب المادية وغلبتها على كثير من مناحي الحياة وانشغال الناس بها، فتجد بعض النفوس تميل إلى التدين لتروي ظمأها وتسد عوزها وحاجتها النفسية، وتقلل من شعورها بالذنب. مما زاد من إقبال الناس على الدين، ورغبتهم في التعبير عن تدينهم وحبهم للإسلام، وتأثر هؤلاء الناس ومنهم أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين بعدة مؤثرات منها:

- العصر الذي نعيش فيه وما رافقه من الهجمة الشرسة على الإسلام، وتسلط وظهور أعداء الله على المسلمين وما أصابهم من ضعف وتبعية لأعدائهم، مما أوجد في نفوس وشخصيات بعضهم هزيمة نفسية، وتقليداً ظاهراً للغرب في كثير من مناحي الحياة وأصبحوا متأثرين بهم، يقول أحمد زين: ((التعاطي ونمط المعيشة والتصورات تتم وفقاً لنمط الحياة الغربية بصورة طاغية ولافتة))[1]، وهذا الجيل من أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، هو امتداد للتدين الذي بدأ في منتصف القرن

(١) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

الماضي، وعاش دوامة الصراع السياسي بين العلمانية والإسلام، ومن ثم ترخص في كثير من الأمور تماشياً مع الظروف والملابسات التي أحاطت به في ذلك الوقت.

- التعليم والتربية الغربية التي حصل عليه الكثير منهم على مستوى بيئتهم الاجتماعية، وبلادهم أو عن طريق الابتعاث، وما رافقه من تطبيع للنمط الغربي في فكرهم وحياتهم، وزاد في ذلك طريقة تلقيهم لثقافتهم بأنفسهم، وتنامي معارفهم الحياتية وقدرتهم المبهرة على التوصل للمعلومات (لا العلم)، والثقة الشديدة بالنفس تشعرهم بالقدرة – ولو الزائفة – على الاجتهاد والاختيار من الكم الهائل والمنفتح على القنوات الإعلامية والشبكات المعلوماتية المختلطة في مشاربها ومفاهيمها، مما شكل ضغطاً وكماً متبايناً من الأفكار والعقائد والثقافات والتقاليد، ذابت تحته تلك الشخصيات، فأصابها من الانحراف بقدر ذوبانها، ((وليس عند هذا الجيل إشكالية في التعايش مع المفهوم العلماني للدين! نظرا لمفهوم "الإرجاء" الشائع في أوساطه، ولاختلاط المفاهيم والأحكام الشرعية لديه))[1].

- إقبالهم وميلهم إلى تدين بمواصفات خاصة، ابتسر الدين وانتقى منه الفتاوى والرؤى الشرعية الموافقة لرغباتهم وأهوائهم من التيسير والترخص، ولم يكن هذا التدين تكليفاً مراً له تبعاته، ولم يحملهم هم هذا الدين، حيث عرض عليهم ديناً (لا شوكة فيه)، مع المحافظة على مكتسباتهم المادية والثقافية والاجتماعية والمصالح والمتع الدنيوية والترف والشهوات، وهذا ما يبحث عنه البعض ليسهل عليها تدينها.

٢. **أسباب تتعلق ببعض المفتين**[2]:

وذلك من خلال عدم تحقيق الوسطية التي جاء بها هذا الدين بين التشديد والتضييق على الناس في الفتيا، وما قابله من توسع وتسهيل وتتبع للرخص:

---

(١) التدين الجديد، أنور الخضري، ص١٨.

(٢) وهؤلاء المفتون: ليسوا من العلماء الربانيين والراسخين في العلم، لأن العلماء الربانيين هم أهل الوسط الحق في دين الله، وهم الناصحون لعباد الله، الذين يجب أن يُصدر عنهم.

- فالغلظة والفظاظة والجفاء لدى البعض من المفتين وما يصحبها عادة من الآراء المتشددة والتضييق وخاصة في المسائل الاجتهادية، ينفر الناس ويصرفهم إلى البديل الأقرب إلى نفوسهم والأحب إلى قلوبهم، ووجود القدوة الحية المباشرة للمنهج الحق والأمة الوسط في واقع الناس وحياتهم أمر مهم، والذي جسده الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – وأتباعهم، فأثروا في فكر الناس وإقناعهم وتعبيدهم لربهم وتوجيه سلوكهم وتزكية أخلاقهم، وعند غياب هذا النموذج الذي يحمل هذه المشاعر الحية والدور والأثر الإيجابي لتوجيه الناس وقيادتهم قولاً وعملاً قدوة وسلوكاً، يبحث الناس عن من يجدونه معهم وبينهم.

وهذا مما أسهم في توجيه شريحة من الناس إلى تتبع الرخص والبحث عن التيسير والتسهيل بوصفه رأياً فقهياً معتبراً، يقول أحمد زين: ((البراح في المساحات الفقهية للعلماء الذين ينتهجون التيسير والتسهيل على المسلمين، أوجد –عند هؤلاء المتدينين– رأياً متساهلاً في كل قضية فقهية، وأنه لا جناح عليهم في انتهاجه، فهو رأي فقهي معتبر من عالم معتبر"، ويضيف: "وأنا أرى أن ظاهرة القص واللصق من الفتاوى والاجتهادات تجري على أشدها لإكساب المشروعية لكثير من الأفعال التي درج الشباب عليها، فبدلاً من أن يتنازل عن عادات ما قبل التدين إذا به يحاول أن يجد لها مبرراً شرعياً محترماً))[1].

- كما أن التوسع في الفتيا وتتبع الرخص من بعض أهل العلم في بعض المسائل، ولد عند هؤلاء الأتباع ميلاً مبنياً على تتبع الأقوال والاجتهادات الموافقة للهوى، وإذا وافق الفقيه شهوة الأتباع بغرض تحبيبهم في الدين وتقريبهم إليه، ربما كان ذلك سبباً في خروجهم منه، قال الإمام الشاطبي: ((فإذا صار المكلف في كل مسألة عنت له يتبع رخص المذاهب، وكل قول وافق فيها هواه، فقد خلع ربقة التقوى، وتمادى في

(١) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net. بتصرف يسير.

متابعة الهوى، ونقض ما أبرمه الشارع وأخر ما قدمه))[1].

ومنهج التوسع في الفتيا وتتبع الرخص أصبح ظاهراً مُتبعاً عند أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وعلى سبيل المثال هذه بعض فتاوى المرأة والتي تدخل تحت هذا الباب الذي لا يُسد، يقول أحمد زين: ((ومن خلال فتاوى المرأة على موقع "إسلام أون لاين. نت" نستطيع أن نرسم صورة لحركة المرأة في المجتمع؛ فهي تصافح ابن عمها أو ابن عمتها عند الضرورة (فتوى: مصافحة الرجل للمرأة.. الحكم والضوابط، د. القرضاوي)، وهي تقابل مطلقها لأغراض شريفة (هل يجوز للمرأة المطلقة أن تتقابل مع من طلقها بعد الطلاق لأغراض شريفة؟ د. القرضاوي)، وتستطيع أن تتابع رياضيين يرتدون الشورت (فتوى: ضوابط النظر بين الرجل والمرأة، د. القرضاوي)، كما أنه لا بأس أن ترقق المرأة حاجبيها (فتوى: ترقيق المرأة حواجبها، الشيخ عطية صقر)، وتستطيع أن تخطب لنفسها من أرادت (فتوى: ما حكم أن تخطب المرأة الرجل؟ د. علي جمعة)، ويجوز أن تضع العطر الخفيف (فتوى: حكم وضع المرأة للعطر، الشيخ عطية صقر)، وهي تخدم الضيوف (فتوى: خدمة الزوجة للضيوف، عطية صقر)، كما يجوز لها ركوب الدراجة (فتوى بدون اسم مفت)، كما يجوز لها العدو في الشارع (فيصل مولوي)، كما يجوز لها قراءة القرآن أمام الرجال (فتوى: د. نصر فريد واصل)))[2].

- وهذه الفتاوى صدرت عن أشخاص منتسبين للفقه وأغلبها يستند إلى دليل شرعي أو قاعدة شرعية أو قول سابق، لكنها في الحقيقة أخذ أصحابها بالأقوال الشاذة والأدلة الضعيفة أو المرجوحة، وتفترض في بيئة المستفتي أنها محافظة .. سليمة من الفتن! وأنها تخص حالات بعينها وضرورات متعلقة بحالات فردية! ليس لها حكم التعميم. وشاع هذا المنهج المتساهل، ومما أيده ودعمه وزاد من ترسيخه في أوساط أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين: ((إلحاح الدعاة الجدد على الرجاء

(١) الموافقات، الشاطبي، ج٣ص١٢٣.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

ورحمة الله وغفران الذنوب مهما كانت، وهي مساحة لا شك فيها ولا إنكار لها، وإن الإلحاح عليها جعلها كأنها المسار الوحيد والخيار الفذ، مما أوجد خللاً لدى المتعرضين لهذا الخطاب، ووجههم إلى مزيد من الجرأة على الحرام مع التأكد من مغفرة الله لهم، وكذلك من تركيز بعض الدعاة الجدد على مسألة أعمال القلوب وأهميتها والتقليل من شأن أعمال الجوارح والسلوكيات والأخلاق))[1].

ثالثاً: أسباب تتعلق بالدعاة:

ومن تلك الأسباب أيضاً ما يتعلق بالدعاة، وهو من ألصقها بالظاهرة وأقربها إلى أصحابها ومن دواعي نشأتها واستمرارها، فقد ظهر خلال السنوات القليلة الماضية، دعاة مثقفون ينتمون إلى النخب المتعلمة وينحدرون من طبقات اجتماعية ثرية، ولديهم القدرة على مخاطبة المدعوين بفنون الإلقاء القصصي البليغ والخطاب الوعظي المؤثر، ويظهرون للجماهير عبر القنوات الفضائية واسعة الانتشار في عالمنا العربي، في وقت ضجت فيه الساحة الإعلامية بالبرامج الهابطة الماجنة، وأجدبت من البرامج الإيمانية، وأصبح المشاهد والمستمع بحاجة لمن يخاطب روحه ويزيد في إيمانياته، فبرز هؤلاء الدعاة الجدد الذين لكل واحد منهم ثقافته وأفكاره واهتماماته، ورغم تنوع هؤلاء الدعاة وتعدد مشاربهم إلا أنهم يلتقون في نقاط أربع:

١. جميعهم قادمون من قطاعات التعليم العالي ويحملون شهادات جامعية.
٢. اكتسبوا ثقافتهم الدينية بأنفسهم غالباً و لم يدرسوا على العلماء.
٣. ينتمون غالباً إلى أوساط اجتماعية ثرية وراقية.
٤. يظهرون مستقلين عن "المؤسسة الدينية الرسمية" من جهة و"الجماعات الإسلامية" من جهة أخرى، محاولين التوفيق بين الإسلام وواقع الشريحة المخاطبة، والتي بدأت تتسع مع الأيام. وهدفهم الرئيس كما يبدو من دعوتهم: ((تصحيح القيم الأخلاقية لدى الأفراد فيما يتعلق بسلوكياتهم اليومية))[2].

---

(١) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net. بتصرف يسير.

(٢) الشباب المتدين بين عمرو خالد وعمرو دياب، عاصف بيات، موقع إسلام أون لاين =

ومن خلال اللغة السهلة وأسلوب الخطاب العصري والزي غير التقليدي، على عكس الدعاة والشيوخ التقليديين، بما يرتديه هؤلاء الدعاة من البدلة أو الجينز وربطة العنق، وهو أيضاً حليق الذقن، وجد شيئاً من التناغم والتوافق مع الشريحة المتلقية وطبيعة ومستوى تعليمها، وأضيف إلى ذلك نوعية الموضوعات والخطاب المتضمن لقيم دينية تُعنى بتحقيق الذات على النمط الليبرالي الجديد ومنها: بناء الذات والفاعلية والمثابرة في العمل والطموح والثروة والنجاح، ووصل الأمر إلى تقديم استشارات نفسية وتربوية واجتماعية وإدارية، مزجت بين الموروث الإسلامي والثقافة الغربية، فكانت رسالة الدعاة الجدد للشباب أنه: ((بإمكانهم أن يصبحوا متدينين، وفي الوقت نفسه أن يمارسوا حياتهم الطبيعية من عمل ودراسة وترفيه، كما يمكنهم أن يظهروا بمظهر عصري يشبه أبناء جيلهم، والأهم أنه يمكن للشباب أن يكون متديناً ويحتفظ في الوقت نفسه بسلطته ومكانته الاجتماعية))[1].

والدكتور عمرو خالد يُعد النموذج الأبرز الذي أثر على شباب الإسلام بهذه الظاهرة ويعتبر قدوة لهم في الفكر والسلوك، وترى دراسة باتريك هايني (الإسلام كظاهرة اجتماعية): ((أن نموذج عمرو خالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب والطبقات العليا في مصر، ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر، بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين وفي ألا تحمل شعوراً بالذنب أو إحساساً بالتقصير يدفعها إلى إعادة النظر في وضعها الاجتماعي وما يكفله لها من امتيازات لا تتاح للطبقات الأقل، وهو تدين ذو مواصفات خاصة، لن تجده هذه الشرائح في خطاب الشيوخ التقليديين))[2].

ومع مرور الأيام أثر هؤلاء "الدعاة الجدد" في صورة العلماء والفقهاء، وأعطوا انطباعاً

=

.www.islamonline.net

(١) الشباب المتدين بين عمرو خالد وعمرو دياب، عاصف بيات، موقع إسلام أون لاين .www.islamonline.net

(٢) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

عن توجه ناقد لهم.. باعتبار أنهم متشددون .. وغير مواكبين للحياة العصرية، وزاحمت هذه الطائفة من الدعاة دور علماء الدين وفقهاء الشريعة، أدركت ذلك أم لم تدرك، وشاركت فيه أو لم تشارك، وأصبحت المخالفات الظاهرة التي ترتكبها هذه الطائفة، والانحرافات التي تحملها أحياناً، محط اقتداء وتقليد من الآخرين.

رابعاً: أسباب تتعلق بوسائل الاتصال المعاصرة:

والوسائل المعاصرة للاتصال من القنوات وشبكات المعلومات والأجهزة المحمولة المتعددة والمتنوعة والتي أصبحت في متناول الجميع الرجال والنساء والكبار والصغار، وتُعد هذه الوسائل لدى شريحة كبيرة من الناس هي المصدر الوحيد غالباً لتلقي المفاهيم والتصورات والآراء والسلوكيات، وذلك من خلال البرامج المقدمة وخاصة التفاعلية الحية منها، والتي تعتبر من الأساليب المحببة لما فيها من التواصل المباشر والحوار الثنائي، وتزخر معظم برامج هذه الوسائل بالثقافة الغربية والمنفتحة والمستوى الهابط والمنحل في كثير من البرامج، مما دعا البعض من المتابعين أمام ضغط هذا الواقع الإعلامي المنافس للمطالبة بالبديل الإسلامي الذي يتفق مع هوية وثقافة الأمة الحضارية ليقف أمام محاولات الغرب الجادة في تمرير ثقافته بالقوة إلى مجتمعاتنا الإسلامية.

وأمام هذه المطالبات وسعياً لإرضاء التوجهات، إسلامية كانت أو علمانية، فإن القنوات الفضائية تجد في صنف (الدعاة الجدد) فرصة في تقديم ذلك البديل الإسلامي لِيُلبي تلك الرغبات وتحاول تلك القنوات صنع هؤلاء الدعاة (على أعينها) لعدم مصادمتهم غالباً لمضامين الرسالة الإعلامية لها.

بل وتحرص بعض هذه القنوات على استغلال التيار، وركوب الموجة بتقديم نفسها كبديل إعلامي، أو أنها تمزج بين ما هو إسلامي وغيره، مما يجعلها أكثر قبولاً لدى شريحة المتدينين الجدد بما تقدمه لهم من خليط إسلامي غربي، وفي ظل ما كانت تعيشه بعض الدول الإسلامية خاصة، وقبل ما عرف بالربيع العربي من الكبت والقمع وتغييب دور الدعاة والمساجد، فكانت هذه القنوات هي البديل المناسب والوحيد للمعرفة والثقافة الدينية لدى تلك المجتمعات في الجملة.

وقالت الباحثة الجامعية التونسية سنية المنصوري في تصريح لــ(إسلام أون لاين. نت) بتاريخ ٢٠٠٣/٧/٣١م: ((إن وجود قنوات فضائية إسلامية أمثال اقرأ والمجد وغيرهما من الفضائيات، قد مثل مصدراً بديلاً للمعرفة الإسلامية وللفتوى الدينية، خصوصاً لدى الفتيات والنساء، في ظل غياب الدعاة والوعاظ الدينيين عن المساجد والبرامج الإذاعية والتلفزيونية المحلية (بسبب التضييق الأمني من جانب السلطات التونسية)، كما أن الدعاة الدينيين من أمثال (عمرو خالد) و(حبيب علي الجفري) قد تحولوا إلى شخصيات مؤثرة في أوساط اجتماعية كبيرة بتونس))[(١)].

وأصبحت برامج الفضائيات هي الرافد الأكبر لتشكيل عقول وبلورة أفكار (المتدينين الجدد) وصياغة ثقافتهم الدينية، لطبيعة سنهم وإقبالهم وانفتاحهم على الفضائيات ومواقع الإنترنت. يقول د. محمد البشر في حديثه عن الإعلام المعاصر وأثره وهيمنته: ((أما الآن فالوضع يختلف كثيراً، بعد ما أتاحت ثورة المعلومات والاتصالات لكل فرد في جميع أنحاء المعمورة أن يعي ما يجري حوله، بل ويشارك برأيه بحرية لم تتح للأقدمين، وصار بإمكانه أن يعلن رفضه لأمر أو تأييده لأخر، وهو جالس أمام شاشة كمبيوتر، وأن يبحث عن الذين يتفقون معه، ليشكلوا معاً جماعات ضغط إلكترونية ... ورأينا عبر شبكة الانترنت منتديات ومواقع يجتمع بها الأفراد ذوو الميول والتوجهات والأفكار المتقاربة والتي يعلنون من خلالها عن أفكارهم صراحة .. ولم نكن نحن العرب والمسلمين بمعزل عن هذا التطور الاتصالي والانفتاح المعلوماتي))[(٢)].

خامساً: أسباب تتعلق بالسياسات الحكومية

إن مما أسهم أيضاً في نشوء هذه الظاهرة، السياسات الحكومية لبعض الدول وما يمثله الهاجس الأمني لديها من خطر، وخاصة ما يتعلق بملف الإسلاميين والجماعات الإسلامية

---

(١) تونس .. الفضائيات البديل الأمثل للدعاة، د. خالد شوكت، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٢) تحولات النخب، محمد بن سعود البشر، الرياض، غيناء للنشر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الطبعة الثانية، ص٧٦.

وما أسهمت به التقارير الغربية، وما نجم عنها من إجراءات واحتياطات أمنية، واتخاذ مواقف عدائية سافرة وواضحة من الإسلام، الذي أصبح هو الضحية في ظل هيمنة بعض الأنظمة العلمانية على سياسات بعض الدول العربية والإسلامية، والتي عملت على تجييش تلك الحرب الإعلامية والدعائية التي مورست ضد "التدين الصحيح" في واقع الصحوة الإسلامية، والذي يحتكم إلى الكتاب والسنة وفهم الصحابة والقرون المفضلة الأولى في الإيمان والاتباع، وهو المسمى بالتوجه السلفي، لعلمهم ولما استقر في أنفسهم من خطر هذا التوجه تحديداً، على الغرب في عقر داره وفي الأنظمة العلمانية الموالية له في طول العالم الإسلامي وعرضه، وذلك من خلال وصفه بالتطرف تارة والإرهاب تارة الأخرى، مما شكل حاجزاً نفسياً بين الناس وبين هذا الشكل من أشكال التدين المعروضة على الساحة واستمراراً لتلك الحرب والحصار، تبنت بعض الدول سياسة تضييق الخناق على المتدينين ومنعهم من ممارسة حقوقهم الخاصة من الشعائر التعبدية مثل الصلاة والحجاب، في ظل الأنظمة الديمقراطية المزعومة، مما دفع بالبعض إلى البحث عن رخص الفتاوى خوفاً من المتابعة الأمنية والتعقب والمنع والإقصاء وما قد يصل إليه الأمر من البطش والتعذيب الذي قد يتعرض له.

تقول الباحثة سنية المنصوري: ((إن الصراع الذي شهدته تونس خلال عقد التسعينيات، بين النظام والحركة الإسلامية، قد أضر في حينها بوضع الالتزام الديني لدى التونسيين عامة، على الرغم من أن عدداً كبيراً من أبناء المجتمع التونسي كانوا ملتزمين من الناحية الدينية، لكنهم لم يكونوا أعضاء في حركة أو جماعة إسلامية. وكان تقرير الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان السنوي عن عام ٢٠٠٢م قد تحدث عن الحملات الأمنية والإدارية ضد المحجبات التونسيات، وجاء فيه أن العديد من المحجبات تعرضن إلى المضايقات في الشوارع أو أماكن العمل، وتم تجريد العديد منهن من الحجاب عنوة في بعض مراكز الأمن بالعاصمة وإجبارهن على التوقيع على تعهد بعدم العودة إلى ارتداء الحجاب. كما أن الرابطة التونسية للدفاع عن حقوق الإنسان كانت قد ذكرت في ٢٠٠٣/٥/٢٨م أن عدداً من طالبات التعليم الثانوي مُنعن من اجتياز امتحانات نهاية العام بسبب ارتدائهن للحجاب. يذكر أنه في عام ١٩٨١م أصدرت السلطات التونسية قانوناً

يعتبر الحجاب زياً طائفياً))[1].

ومع زيادة الإقبال على التدين، وتبني عدد من العلماء والدعاة لخطاب علمي مؤصل منبثق من فقه للواقع ورؤية شاملة للإصلاح السياسي والاجتماعي تقوم على أساس من الدين الإسلامي .. الأمر الذي هددَّ مستقبل هذه النظم العلمانية في هذه البلدان، اتجهت السياسات الحكومية في بعض دول الوطن العربي خاصة، وفي ظل فشل الخطاب الديني الرسمي على كسب ثقة الناس، إلى صياغة بديل قادر على حرف مسار هذا التدين الصحيح، والذي سيعيد للدين حقيقته وللأمة مكانتها.

وليس بالضرورة لدى تلك الأنظمة أن يكون حرف المسار رسمياً، لكنه مسيطر عليه أو في أقل الأحوال "مسالم وغير متمرد"!! وهذا البديل ينتج عن توجيه مقصود ومخطط له من خلال المناهج التعليمية والخطاب الدعوي والمؤسسات والقيادات الفاعلة في الأوساط الاجتماعية والشبابية. وربما تتم صياغته بالاتفاق مع أكثر من جهة تلتقي مصالحها مع قيام "بديل" بهذا النوع والحجم!! ((وفي وزارة الأوقاف – المصرية – تشدد مشاريع الإصلاح على الدور الاجتماعي للمسجد وعلى أهمية المجتمع المدني والاكتفاء الذاتي. إن إحدى حلقات الدراسة في الأزهر تطرقت إلى ضرورة إعادة صياغة الدعوة انطلاقاً من تعاليم التسويق الأمريكية))[2].

والمستجدات السياسية على الساحة العربية وما نعيشه من أحداث متسارعة وما يجري خلف الكواليس ودهاليز السياسة، من تغير الحكومات، وما واكبها من الوصاية الغربية التي تقف بقرب من الحدث ومشرفة على بعض فصوله، لتحقيق ما تستطيع من مكاسب دينية وصفقات تجارية، لتعزز وجودها وتخدم مصالحها وتجعل لها موطئ قدم يخولها من المزاحمة في صياغة مستقبل هذه الحكومات والدول، وذلك هو ما جرى ويجري الآن.

---

(١) تونس .. الفضائيات البديل الأمثل للدعاة، د. خالد شوكت، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٢) تدين نيولوك .. إسلام البرجوازية في مصر، حسام تمام وباتريك هاني، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

سادساً: أسباب تتعلق بالغرب.

والغرب هو ذلك المزيج من التحالف الغربي المعلن والمجاهر باستهدافه للعالم الإسلامي في حضارته وأمته ومقدراته، والذي تنوعت أوجهه: سياسية، واقتصادية، وثقافية، وعسكرية .. وتارة يتمثل في منظمات ومؤسسات دولية وأخرى محلية. ومن مصلحته – في ظل هجمته على العالم الإسلامي – الانحراف بالتوجه والخطاب الديني الذي يكرس الندية والمواجهة بين العالمين الإسلامي والغربي، وتهدئة لغة التعبئة واستقلالية الأمة التي يقوم بها العلماء والدعاة ضد كل ما يخالف الدين الإسلامي.

يقول الشيخ محمود الطحان: ((.. والظاهر أن أساطين الكفر أيقنوا بعد التجارب الطويلة أن هدم الإسلام من الخارج والوقوف أمام تياره طريق غير ناجح، فسلكوا لهدمه طريقاً آخر من الداخل، يدعو لإصلاح الإسلام وتجديد أفكاره وأحكامه، والاستخفاف بتراثه، وبكل قديم فيه، وهي طريقة خادعة تجذب بعض الخاوين من الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية))[(١)].

واحتلت مسألة مخاطبة العالم الإسلامي مؤخراً الأولوية في قائمة الاهتمامات الخارجية لدى الغرب، فالإذاعات العربية والقنوات الفضائية "المعربة" تنال الرعاية والتمويل من قبل الحكومات هناك. والخطاب الديني الإسلامي يجد عناية واهتماماً أياً كان نوعه متطرفاً أو متساهلاً!! ويخضع للرقابة والمتابعة والتحليل.

ونتيجة لذلك تمارس ضغوط ضد الدول الإسلامية لإيجاد بدائل للخطاب الديني القائم، بما يتفق مع الديمقراطية، والتعددية الفكرية والسياسية التي يراد للمنطقة أن تنفتح عليه! كما أن الحالة الأمنية التي أفرزتها هذه الضغوط في جانبها الأمني أفسحت المجال لـــ"تدين جديد" من هذا النوع في مقابل انحسار "التدين" الصحيح! في إطار اهتمام الغربيين بحركات "التدين الجديد" عموماً! فقد أصدرت الدورية الفرنسية "السياسة الأفريقية"، في عددها ٨٧ ملفاً خاصاً .. بعنوان "موضوعات الرب"، لبحث التغيرات الجديدة على مستوى الدين في قارة

(١) مفهوم التجديد، محمود الطحان، ص ١٨.

أفريقيا السمراء.

وقد ضم الملف دراسات ومقاربات مختلفة حول الدين والحياة في أفريقيا، يقول حسام تمام: ((وكانت أهم دراسات الملف تتحدث عن "الدعاة الجدد"، "لأنها ربما كانت الأولى والأهم عن ظاهرة جديدة على الحقل الديني الإسلامي" والدراسة هي بعنوان: "الإسلام كظاهرة اجتماعية" أعدها "باتريك هاني" وقد أشار إلى أن: "أهم نقاط الاختلاف التي ترصدها الدراسة – بين الدعاة الجدد ومن قبلهم – كانت الابتعاد عن السياسة والتزام خطاب أخلاقي يختلف مع خطاب الجماعات والتنظيمات السياسية))[1].

واستمراراً لذلك الاهتمام "بالتدين الجديد" واستغلاله ودعمه وتوجيهه بما يخدم المصالح الغربية عموماً والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص، سعياً منها في مقاومة المد الإسلامي والحد من المد الأصولي، الذي تراه عنصراً رئيساً في تهديد مصالحها الغربية حول العالم. يقول خليل العناني: ((لا يزال الغرب مسكوناً بهاجس التطرف الإسلامي، ولا تزال الكثير من مؤسسات ومراكز الأبحاث الأمريكية تقوم بالعديد من الدراسات والأبحاث حول كيفية تقويض والحد من المد الأصولي الذي تراها عنصراً رئيساً في تهديد المصالح الغربية حول العالم. ويعتقد البعض أن أحد الأدوات الرئيسة لمواجهة هذا المد المتصاعد تكمن في تقوية ما أطلق عليه تيارات "الإسلام المعتدل" باعتبارها حائط الدفاع الأول في مواجهة انتشار التطرف، والتشدد في العالم الإسلامي. وتعتبر الدراسة التي أعدتها شارلي بينارد الباحثة بمؤسسة "راند" للدراسات ونشرت عام ٢٠٠٤م أحد العلامات البارزة في هذا المجال، والتي صنفت فيها الإسلام السياسي إلى أشكال متعددة، كان أهمها "الإسلام المعتدل"))[2].

وهذا ما تحقق لهم من خلال ظاهرة التدين الجديد ممثلة في "الدعاة الجدد" حيث ترى دراسة باتريك هاني: ((أن نموذج عمرو خالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب

(١) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

(٢) وصفة أمريكية لدعم فكر الإسلام "المعتدل" ، خليل العناني، موقع تقرير واشنطن www.Taqrir Washington.com.

والطبقات العليا في مصر، ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر، بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين وفي ألا تحمل شعوراً بالذنب أو إحساساً بالتقصير يدفعها إلى إعادة النظر في وضعها الاجتماعي وما يكفله لها من امتيازات لا تتاح للطبقات الأقل، وهو تدين ذو مواصفات خاصة لن تجده هذه الشرائح في خطاب العلماء الراسخين))(١).

وحسب ما يرى المتابعون من خلال تحليل مضامين وأساليب خطاب عمرو خالد الدعوي فإنه تتضح مشابهته الكبيرة لخطاب الإصلاح .. في أوائل القرن التاسع عشر، وكذلك تأثره الواضح بهيمنة خطاب الليبرالية الجديدة والتي أثرت عالمياً وعلى كافة الأديان وفي ذلك السياق يقول حسام تمام: ((وتقارن الدراسة بين خطاب عمرو خالد من خلال تحليل مضمون درسه (الشباب والصيف) وبين خطاب الإصلاح .. في أوائل القرن التاسع عشر لتتحدث عن أوجه تشابه كبيرة بينهما خاصة فيما يتعلق بالنظرة إلى الثروة الاقتصادية، فخطاب عمرو خالد يتحدث عنها باعتبارها ليست عيباً أو ذنباً بل هي نعمة من الله، ويؤكد على ذلك في كل دروسه مبرراً التراكم الاقتصادي الذي حققته الطبقة البرجوازية في السنوات الأخيرة، ويعطيه الشرعية الدينية مشروطة بأداء حقه، وهو خطاب موجه بالأساس إلى الطبقة المهيمنة أو الصاعدة اقتصادياً حتى في رؤيته للأخلاق والقيم الإسلامية، فالصبر مثلاً في خطاب عمرو خالد يختلف عن الصبر في الخطاب الإسلامي التقليدي الذي يأخذ طابعاً (قدرياً) في حين يعني عند عمرو التواصل والاستمرار في العمل وتنظيم الوقت والمثابرة على النجاح))(٢).

ويقول أيضاً: ((وتؤكد الدراسة أن ظاهرة عمرو خالد والشيوخ الجدد مرشحة للتكرار ليس في مصر وحدها بل في العالم العربي والإسلامي، بفعل التفاعلات المستمرة والمكثفة بين

---

(١) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com. بتصرف يسير.

(٢) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

الخطاب الإسلامي وبين قيم وأفكار وتوجهات الليبرالية الجديدة))[(١)].

وهذه المتابعة الغربية للخطاب الديني في مجتمعاتنا، في أساليبه وأبعاده وخلفياته، كل ذلك يأتي سعياً وراء استغلال أو توجيه أو مصادمة.. هذا أو ذاك التيار والتوجه! وفي ذات السياق نفسه من المكر والكيد الذي قال الله عنه ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣]، وفي جبهة غير مرئية من حربها على الإرهاب، تقوم الولايات المتحدة بإنفاق الملايين ... لتغيير الوجه الحقيقي للإسلام، فقد جاء في مجلة أخبار الولايات المتحدة الأمريكية: ((بينما لا تزال ألاعيب الحرب مستمرة، إلا أن هذه لا مثيل لها، يقول رعاتها: أنها تستخدم لأول مرة الأساليب الاستراتيجية، كان ذلك في يوليو ٢٠٠٣م حيث اجتمع في جامعة الأمن القومي في واشنطن دي سي أبرز المسؤلين الحكوميين العاملين من أجل حرب (كسب الأفكار) ضد الإرهاب، لقد كان هنالك مديرو أزمات من البنتاغون والبيت الأبيض ودبلوماسيين من وزارة الخارجية وخبراء العمليات النفسية ..

بدأت الحكومة الأمريكية في حملة للحرب السياسية لم يسبق لها مثيل منذ أن كانت الحرب الباردة في أوجها. فمن فرق العمليات العسكرية النفسية، والعمليات السرية لعناصر وكالة الاستخبارات المركزية، إلى وسائل الإعلام والمراكز الفكرية ذات التمويل المفتوح، تقوم واشنطن بزرع عشرات الملايين من الدولارات في حملة لا تهدف إلى التأثير على المجتمعات المسلمة وحدها، بل تسعى للتأثير على الإسلام نفسه وذلك من خلال استراتيجية عُرفت بمعركة (القلوب والعقول).

لقد أجاز البيت الأبيض إستراتيجية جديدة ومفصلة، سماها التواصل مع العالم الإسلامي، وهي التي تقول لأول مرة: أن الولايات المتحدة لديها مصالح تتعلق بالأمن القومي في التأثير على ما يجري في الإسلام لأن أمريكا في العالم الإسلامي، وتدعو الخطة للعمل من خلال ثلاثة أطراف كما يقول أحد المسؤلين: الدول الإسلامية المعتدلة، والمؤسسات وجماعات الإصلاح لتعزيز القيم المشتركة للديمقراطية، وحقوق المرأة والتسامح،

---

(١) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

ففي حوالي عشرين دولة على الأقل، قامت الولايات المتحدة بتمويل بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية، والبرامج الدراسية في المدارس الإسلامية والمراكز الفكرية الإسلامية وورش العمل السياسية، وغير ذلك من البرامج التي تعمل على تشجيع الإسلام المعتدل))(١).

ونتيجة لذلك فقد صدر بعد ذلك بسنوات قليلة وتحديداً في ٢٠٠٧م عن مؤسسة (راند) دراسة بعنوان "بناء شبكات إسلامية معتدلة" وذلك في إطار تحديد شركاء تعتمد عليها الجهود الأمريكية لمساعدتها في تحسين صورتها في العالم الإسلامي من جهة وفي تحقيق أهدافها في مواجهة التيارات الأصولية من جهة أخرى. وركز الفصل الخامس من الدراسة على "خارطة الطريق نحو بناء شبكات معتدلة" وتشمل وضع معايير صارمة وحادة لتحديد المعتدلين فعلاً في العالم الإسلامي .. وهدفت الإستراتيجية إلى تمييز الحلفاء وانتقائهم ودعمهم وابتعدت عن مركز جاذبية الخصوم الذين كانوا شغلها الشاغل إبان الحرب الباردة، وبذلك التفوا على خصومهم ورموا بحلفائهم في أوساطهم وعقر دارهم في طريقهم لبناء تلك الشبكات المعتدلة.

ومما ورد في تلك الخارطة: ((إن مبحثنا هذا يدعو لإحداث تغييرات جوهرية في الاستراتيجية الحالية تجاه العالم الإسلامي، ويحدد البحث الحالي منطقة المشكلة في الشرق الأوسط ويقوم بصياغة برامجها بناءً عليه. إن هذه البقعة من العالم كبيرة جداً ومتنوعة جداً ومعقدة وتقع في أيدي قطاع عريض من القطاعات غير المعتدلة .. وبالتالي على الولايات المتحدة أن تقوم بالتركيز على الحلفاء وبرامجها والمناطق التي استطاعت الولايات المتحدة أن تؤثر فيها، أو أن يكون من المحتمل أن تؤثر فيها في حرب الأفكار))(٢).

والأخطر في هذا التقرير هو ما عبروا عنه بإعادة ضبط الإسلام، وجعله متكيفاً مع

---

(١) القلوب والعقول والدولارات، ديفيد كابلان David E. Kaplan، الثلاثاء ٠٢ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ، مجلة أخبار الولايات المتحدة يو إس نيوز U.S. News.

(٢) "بناء شبكات مسلمة معتدلة Building Moderate Muslim Networks" شارلي بينارد وأنجل رابسا ولويل شوارتز وبيتر سكيل، تقرير مؤسسة راند RAND Corporation " الأخير ٢٠٠٧م، الفصل الخامس، بتصرف يسير.

الواقع المعاصر، ويؤمن بوجهة النظر السائدة في الغرب ((الأكثر خطورة في تقرير مؤسسة "راند" الأخير – الذي غالباً ما تظهر آثار تقاريرها في السياسية الأمريكية ويتحدث باسم "أمريكا" – أنه يدعو لما يسميه "ضبط الإسلام" نفسه – وليس "الإسلاميين" ليكون متمشياً مع "الواقع المعاصر"))(١).

وتضع الدراسة توصيفاً خاصاً للمعتدلين الذين تطمح أن يكونوا ضمن شبكاتها، فبعض المسلمين يؤمنون بوجهة النظر السائدة في الغرب، والتي ترى أن القيم الديمقراطية ذات طابع عالمي لا ترتبط بأطر ثقافية أو دينية بعينها، في حين يرى مسلمون معتدلون آخرون أن الديمقراطية داخل العالم المسلم لا بد وأن تعتمد على أساس من الدين الإسلامي والتقاليد المحلية وتحافظ على الخصوصية الاجتماعية، ويسعى هذا الفريق إلى تفسير النصوص الشرعية والمواقف والأحداث التاريخية بأسلوب يدعم القيم الديمقراطية. وفي كلتا الحالتين تتركز الأهمية والثمرة الحقيقية لدى هذين التيارين في النتيجة، فبغض النظر عما إذا كانت فلسفة ذلك التوجه تستقي جذور قيمها الديمقراطية من مصادر غربية أو قرآنية، إلا أنهم يتفقون في المحصلة على أهمية هذه القيم وضرورة تطبيقها.

والشريعة الإسلامية أحد أهم مؤشرات الدراسة في "الاعتدال الأمريكي" بل وشروطه، التي من يرى أنها أحد مصادر المرجعية الفكرية والقيمية فهو "معتدل" وفقاً للمفهوم الأمريكي للاعتدال، ومن يرى أنها المصدر الوحيد لتشريع القوانين وصياغة المناهج وصناعة المجتمع فهو متطرف، وبالتالي فإن موقف المسلم في الجوانب السياسية والمجالات الاقتصادية والاجتماعية وقضايا المرأة تحديداً تُعد مقياساً فعلياً لاعتداله من عدمه!!

ومن خلال تلك الدراسة فإنه يتم تحديد الشركاء المحتملين للولايات المتحدة الأمريكية إضافة للعلمانيين في المسلمين الليبراليين، والعناصر التقليدية المعتدلة، ما في ذلك الصوفيون ويكون ذلك بالإجابة على ١١ سؤالاً أوردتها الدراسة كمعايير للاعتدال ولأي جماعة أو

(١) لماذا تبني أمريكا " شبكات مسلمة معتدلة " علمانية؟ محمد جمال عرفة، المحلل السياسي بشبكة إسلام أون لاين. نت، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

تيار ينتمي، وتقصد الدراسة بالمسلمين الليبراليين أولئك الذين تقوم أيدلوجيتهم الدينية على أساس ديني في الوقت الذي يتبعون فيه أجندة متوافقة مع الأفكار الغربية المرتبطة بالديمقراطية والتعددية مهما كانت انتماءاتهم المختلفة .. وطبقاً لوجهة نظرهم، يجب أن تكون الحكومة الإسلامية ديمقراطية! كما أن الشريعة نتاج للظروف التاريخية المرتبطة بوقت ظهورها وعليه يجب تحديثها!.

ومما تفترضه الدراسة أن بعض الجماعات الإسلامية قد تطورت بحيث باتت تدعم الديمقراطية والتعددية، وترفع شعار حقوق المرأة والحرية الفردية وباتت تتحول من التقليدية إلى الحداثة! وترفض العنف! وترى أنه من الأفضل توجيه برامج بناء القدرات والموارد نحو المنظمات المسلمة المعتدلة والليبرالية، ولكن بشكل غير مباشر وظاهر.

ولذا فإن الدراسة تقترح وتوصي في هذا الشأن، أن يكون من بين الفئات المستهدفة: الأكاديميون المسلمون الليبراليون في الجامعات ومراكز الأبحاث، حيث يستطيعون من خلالها التأثير على آراء الآخرين، ورجال الدين من الشباب المعتدلين الذين سيشكلون القيادة الدينية المستقبلية، الذين سيكون لهم أثرهم في إيجاد تيار معتدل ذي قاعدة شعبية عريضة وغيرهم من الكُتاب والصحفيين والمعنيين بالاتصال والنشطاء الحقوقيين والتأكيد على أن يتضمن مشروع بناء الشبكات المعتدلة جهوداً لربط المجموعات العلمانية والإسلامية المعتدلة (الليبرالية) الصغيرة ببعضها البعض في بيئتها، وبالجماعات المشابهة في الخارج وأصبحنا نرى ونلمس في واقع بعض المجتمعات الإسلامية والأفراد أثراً مُشاهداً ومحسوساً لهذا التوجه وتغيراً في تدينها مقارنة بما كانت عليه قبل عقد من الزمان[1]، وما واكب ذلك من بعض الأطروحات والكتابات والمستجدات على الساحة الإسلامية والعالمية التي تؤيد ظاهرة التدين الجديد وتنادي بها بل وتدعمها.

---

(١) "بناء شبكات مسلمة معتدلة Building Moderate Muslim Networks" شارلي بينارد وأنجل رابسا ولويل شوارتز وبيتر سكيل، تقرير مؤسسة راند RAND Corporation " الأخير ٢٠٠٧م، الفصل الخامس، بتصرف يسير.

الفصل الثالث

مجالات الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وأساليبه ومصادره

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: مجالات الانحراف المعاصر في مفهوم التدين
- المبحث الثاني: أساليب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين
- المبحث الثالث: مصادر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

المبحث الأول:

مجالات الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

وسيمضي الحديث بناءً على ما سبق:

أولاً: مجالات الانحراف المعاصر في مفهوم التدين (في جانبه المعتزلي العقلاني) وما عرف اليوم بالعصرانيين أو التنويريين والليبراليين نموذجاً وهو انحراف سعى أصحابه إلى تطويع مبادئ الدين لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، ومن ثم إخضاع الدين لتطورات هذه الحضارة، ووجهة نظرها في شؤون الحياة، فهم يرون أن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة، وهم امتداد لفكر المعتزلة في تقديم العقل على النقل، لذا أكثروا من مدحهم، وامتداد للمدرسة الإصلاحية التي أرادت أن تلعب دور "لوثر" و"كلفن" زعيمي "البروتستانت" المسيحية في إرادة وضع وتأسيس دين حديث للمسلمين، وامتداد للحركة التغريبية التنصيرية التي تسمى تبشيراً أو استشراقاً، فقد قدموا عقولهم فشككوا في القرآن والسنة، ودعوا إلى تطوير الدين، وتنحية الشريعة، وفصل الدين عن الدولة، والدعوة إلى وحدة الأديان، والتجديد في الفقه بل وأصوله، وتقديس العقل وتقديمه على النص، ولذا فقد تعددت مجالات الانحراف لديهم في هذا الزمان، ويمكن تحديد تلك المجالات من خلال تحليل ووصف المواد من (المحاضرات والكتابات والبرامج والمشروعات)، والتي شملت المجالات التالية:

١. الانحراف العقدي:

وقام هذا الانحراف على الدعوة إلى المنهج العقلاني الفلسفي وإعادة قراءة النصوص وإلى التعددية والحرية المطلقة في المعتقدات مع عزل العقيدة والشريعة عن نظام الحياة وإبقائها محصورة في الإطار الشخصي والروحي وهذا هو أساس العلمانية، وأدى ذلك إلى انحرافات عقدية عدة أذكر منها:

أولاً: **التشكيك في القرآن وعدم التحاكم إليه:** فهم يشككون في القرآن ويرون محاكمته إلى الروايات التاريخية، يقول محمد أركون: ((ينبغي التمييز بين الصحة التاريخية

للمصحف، والصحة الإلهية))[١] ((ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس))[٢].

وإمعاناً وتغليباً لذلك الشك يعتقد البروفيسور محمد أركون أنه لا يوجد اليوم على وجه الأرض نص صحيح للقرآن، وأن نص القرآن الذي في أيدي المسلمين اليوم نص محرّف، وأن النص الأصلي مفقود، والحل في نظره لا يمكن إلا بالوصول إلى مخطوطات موجودة في البحر الميت، لنصل للنص الحقيقي للقرآن، فيقول: ((لنذكر الآن المهام العاجلة التي تتطلبها أية مراجعة نقدية للنص القرآني ..، أي نقد القصة الرسمية لتشكيل القرآن، هذا يتطلب منا الرجوع إلى كل الوثائق التاريخية سواءً كانت ذات أصل شيعي أم خارجي أم سني، هكذا نتجنب كل حذف تيولوجي لطرف ضد آخر، بعدها نواجه ليس فقط مسألة إعادة قراءة هذه الوثائق، وإنما أيضاً محاولة البحث عن وثائق أخرى ممكنة الوجود كوثائق البحر الميت التي اكتشفت مؤخراً))[٣].

بل إنهم يرون حصول التغيير في القرآن، وأنه جائز فيه الخطأ والنسيان والتبديل والحذف، يقول د. محمد الجابري: ((ومن الجائز أن تحدث أخطاء حين جمعه، زمن عثمان أو قبل ذلك، فالذين تولوا هذه المهمة لم يكونوا معصومين، وقد وقع تدارك بعض النقص كما ذُكر في مصادرنا، وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، فالقرآن نفسه ينص على إمكانية النسيان والتبديل والحذف والنسخ .."، ثم ساق بعض الآيات التي تدل على وقوع النسخ إجمالاً في القرآن الكريم، وختمها بقوله: "ومع أن لنا رأياً في معنى: "الآية" في بعض هذه الآيات، فإن جملتها تؤكد حصول التغيّر في القرآن، وإن ذلك حدث بعلم الله ومشيئته))[٤].

---

(١) الفكر الإسلامي: قراءة علمية، محمد أركون (المتوفى:٢٠١٠م)، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م، ص٨٣.

(٢) الفكر الإسلامي: قراءة علمية، محمد أركون ص٢٠٣.

(٣) الفكر الإسلامي، محمد أركون، ص ٢٩٠.

(٤) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عابد الجابري، ص٢٣٢.

ونصر أبو زيد ينحى في ذات الاتجاه المنحرف والعقيدة الضالة، ويُشكِّكُ في مصدريَّةِ القرآنِ، ويَجعلُ مصدره هو البيئة العربية ذات الثقافة الشفاهية، ثُمَّ إِنَّه يقول في ذلك أيضاً ((إِنَّ القرآن تشكَّلَ من خلال ثقافة شفاهية، والوقائع هي التي أنتجت هذه النصوص ...

بل ويُبالغ في ذلك ويرى أن الفكر الرجعي هو الذي حول القرآن إلى نص له قداسته، بينما حقيقته وجوهره - كما يزعم - منتج ثقافي تشكل في الواقع، فيقول: ((الفكر الرجعي في تيار الثقافة العربية الإسلامية هو الذي يُحوِّل النص (أي القرآن) إلى شيء له قداسته، بالقول: إِنَّه نص خاص، وخصوصيته نابعةٌ من قداسته وألوهية مصدره،بينما حقيقة النص وجوهره أنَّه مُنتجٌ ثقافيٌّ تشكلَّ في الواقع والثقافة خلال فترةٍ تزيد على العشرين عاماً))[1].

وإضافة إلى تشكيكهم في القرآن وقداسته، فإنهم يرون استحالة تطبيقه والتحاكم إليه في واقع وحياة الناس اليوم، يقول أركون: ((إن القرآن - كما الأناجيل - ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً، أما الوهم الكبير فهو اعتقاد الناس - اعتقاد الملايين - بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون شغال وفعال ومبادئ محدودة تطبق على كل الحالات وفي كل الظروف))[2].

ثانياً: **التشكيك في السنة**، وزعمهم أنها ولَّدت الخلافات بين المسلمين، وسبب من أسباب الصراع على السلطة بينهم، يقول أركون: ((إن السنة كُتبت متأخرة بعد موت الرسول - صلى الله عليه وسلم - بزمن طويل وهذا ولَّد خلافات. لم يتجاوزها المسلمون حتى اليوم بين الطوائف الثلاث السنية والشيعية والخارجية، وصراع هذه الفرق الثلاث جعلهم يحتكرون الحديث ويسيطرون عليه لما للحديث من علاقة بالسلطة القائمة))[3].

وهذا جمال البنا يُشكك في أعظم مصدرين للسنة النبوية ويُجرد الصحيحين - بزعمه - من الأحاديث التي لا تُلزم، ويعمل على تنقية صحيح البخاري ومسلم مـــن ٦٥٣ حديثاً

(١) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد ص١٤.

(٢) الفكر الإسلامي، محمد أركون، ص ٧٥.

(٣) الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، محمد أركون، (المتوفى:٢٠١٠م)، بيروت، دار الساقي، ١٩٩٥م، بدون: ت ط، ص١٢.

مشككاً في صحتها، معتبراً أنها غير مُلزمة لأحد، واعتمد على مقدمات أربع واهية بعيدة عن المنهجية العلمية وتبين تخبطه وضلاله وهي:

- إجماع أهل السنة على عدم صحة كل مافي البخاري.
- تحريم التدوين، والإقلال من الرواية، في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - والخلفاء الراشدين - رضي الله عنهم -.
- تجربة حديثة لباحث إسلامي متخصص في مجال علوم الحديث، تؤكد قصور قواعد المحدثين في التحقيق من صحة الأخبار.
- قصة زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - من عائشة - رضي الله عنها - والتي يعتبرها كذبة كبيرة في كتب الحديث.

ثم يرى أنه بعمله هذا قد فتح الطريق لمراجعات أخرى لكتب الحديث التي دون الصحيحين، فيقول: ((أعتقد أننا اقتحمنا العقبة وفتحنا السبيل لمراجعة كتب السُنة الأخرى، وكل حديث تحفظنا عليه في البخاري سيستتبع التحفظ على عشرة أحاديث في المراجع الأخرى التي هي دون الصحيحين))[1].

وكتب البنا أيضاً كتاباً آخر، وعنوانه يدل عليه، في تشكيكه في السنة وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأطلق عليه اسم: جناية قبيلة حدثنا، وأورد فيه طواماً وشذوذات ومنها قوله ((قبيلة حدثنا أقحمت العشرات وربما المئات من أحاديث عن إسرائيليات لا أصل لها، وتحدثت عن مئات الأحاديث عن "الغيب"، والغيب لا يعلمه إلا الله، وامتدت جناية قبيلة حدثنا إلى الرسول، فأكدوا أنه مرض حتى لا يعرف يمينه من شماله، وأنه قال "تلك الغرانيق العلا وأن شفاعتهم ترتجى" في سورة النجم، وأنه كان يطوف على نسائه كل ليلة، وأوتي قوة ٣٠ رجلاً))[2].

---

(١) انظر: تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تلزم، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م)، القاهرة، دار الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

(٢) جناية قبيلة حدثنا، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م)، القاهرة، دار الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

وبعضهم زاد على ذلك ووصف أحاديثه - صلى الله عليه وسلم - أن بعضها رثٌ وبال وتُشعره بالحرج أمام - من يُسميهم - رجال دين آخرين، فيُشكك في أحاديث الصحيحين ويرد ما ثبت فيهما لأجلهم، فيقول عدنان إبراهيم: ((انصفوا رسول الله من أنفسكم أنصفوه من علمائكم أنصفوه من مواريثكم هذه الرثة بعضها رثٌ وبال، لا يمكن يا أخي العالم الآن أصبح مفتوحاً ومكشوفاً لا شيء يُدس ولا شيء يُخبأ، أُحرجنا، بدأ الآن بعض رجال دين آخرين يُحرجونا من كُتبنا، يقول لك: في عندك في مسلم! تفضل، هذا في البخاري!))[1].

وهم يتعمدوا الطعن والنيل أولاً من الأصلين العظيمين الكتاب والسنة، والذي بهما تكون العصمة والثبات على الحق والعقيدة الصحيحة، وهدفهم من ذلك أن يصلوا إلى ما يريدوا من الحرية المزعومة، ومنها حرية الاعتقاد، ولهذا كانت النتيجة لانحرافهم عن الأصلين، قولهم بحرية الاعتقاد والتدين بأي دين على السواء.

ثالثاً: **حرية الاعتقاد:** فالإنسان له أن يعتقد ما يشاء، فله مطلق الحرية في ذلك، وبعبارة مختصرة هو حر في أن يكون مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً باختياره دون إكراه، وتلك هي الطامة، وهذا الذي يراه أركون فالأديان الثلاثة اليوم كلها صحيحة ومرضي عنها عند الله، والسلفيون وحدهم منغلقون داخل يقينياتهم ولم يسمعوا ولا يريدون أن يسمعوا أصلاً للاكتشافات الفكرية الأكثر تحريراً للروح البشرية فيقول: ((كل دين ينصب نفسه بنفسه بصفته (الدين الوحيد الصحيح) كل دين يعلن نفسه بأنه وحده المرضي عنه عند الله ... ولا يزال الأصوليون في الأديان الثلاثة راكبين رؤوسهم ومصرين على التشبث بهذا الموقف اللاهوتي القروسطي القديم الذي عفى عليه الزمن. نقول ذلك على الرغم من أن البحث التاريخي والعلمي المعاصر يدحض هذا الاعتقاد اللاهوتي بسهولة. لكنهم يرفضون بشكل دوغمائي الاكتشافات الفكرية الأكثر تحريراً للروح البشرية .. لكن السلفيين المنغلقين داخل يقينياتهم اللاهوتية المطلقة لم يسمعوا بها حتى الآن! ولا يريدون أن يسمعوا

---

(١) عدنان إبراهيم، خطبة جمعة، يوتيوب. بتصرف يسير.

أصلاً، وإذا سمعوا فإنهم يرفضونها بصفتها رجساً من عمل الشيطان، أو غزواً فكرياً آتياً من جهة الغرب الملحد الرجيم))[1].

وجمال البنا يكتب كتاباً عن حرية الاعتقاد وتفنيد دعوى حكم الردة، ويقول في مقدمته: ((بُحت أصواتنا وجفت أقلامُنا في الدعوة والكتابة عن هذا الموضوع، في سنة ٧٢ أصدرنا «حرية الاعتقاد في الإسلام»، وفي سنة ٨٥ أصدرنا «لست عليهم بمسيطر قضية الحرية في الإسلام» وفي سنة ٩٤ أصدرنا «كلا ... كلا لفقهاء التقليد وكلا لأدعياء التنوير» وفي سنة ٩٦ أصدرنا «خمسة معايير لمصداقية الحكم الإسلامي» الذي اعتبرنا فيه أن حرية الفكر هي أحد هذه المعايير وأخيراً خصصنا الرسالة الثانية من رسائل هذه المؤسسة لموضوع الإسلام والحرية والعلمانية وفي هذه الرسالة سنثبت أن الإسلام يدعو إلى حرية الفكر والعقيدة إلى آخر مدى، وسيكون دليلنا على هذا نصوص القرآن الكريم: أن الإيمان والكفر قضية شخصية لا تدخل فيه ولا إكراه عليه))[2].

بل يرى د. خالص جلبي: ((أن حرية الاعتقاد مضمونة دخولاً وخروجاً واعتناقاً وتبديلاً وتغييراً وبعد أعظم آية في سورة البقرة الكرسي تأتى آية لا إكراه في الدين وهي تفيد بسحب أي فتنة وضغط وإكراه وممارسة أي لون من القوة للتحكم في خيارات الإنسان العقائدية اعتناقاً وتركاً أو تبديلاً وتغييراً))[3].

ومثل هذه المفاهيم المرتكسة عند هؤلاء هي التي دفعت بعض أبناء المسلمين على الجرأة على الدين، ووصل الحال ببعضهم إلى سب الله ورسوله، بل والردة وترك دين الإسلام في هذا العصر، عياذاً بالله.

(١) نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، أركون، ص٨٧.

(٢) انظر: تفنيد دعوى حد الردة، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م)، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

(٣) مسألة حرية الاعتقاد اعتناقاً وتغييراً وتبديلاً، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

٢. الانحراف في العبادات:

وهو انحراف ظاهر أيضاً لديهم وقد أتوا فيه بالعجائب والضلالات والشذوذات والأوهام الفكرية والتي لا يقبلها ولا يُصدقها ويعمل بها إلا الجهلة وأهل الأهواء، ومن تلك الانحرافات، آراء جمال البنا وفتاواه الشاذة، وقد أفرد بعضها بكتب مستقلة، وله أقوالاً وضلالات كثيرة حتى طالت أركان الإسلام ومنها: قوله:

((فهذه الثوابت لو تركناها دون أن نتحدث عنها بحرية فإنها تتوثن وتصدأ، يعني: لو تركنا الصيام والصلاة والزكاة والحج وغيرها دون أن نطعن فيها وندمرها؛ ففي المستقبل ستكون عبارة عن أصنام يعبدها الناس، فعلينا أن ننشئ الأجيال القادمة على ألا يوجد شيء اسمه صلاة وصوم وزكاة وحج ولا شيء من هذا أبداً، لا تقل لي: أصلي؛ لأن تعودك على الصلاة يجعل الصلاة وثناً يعبد))(١).

وتجويزه لإمامة المرأة للرجال مطلقاً(٢)، وقوله بأنَّ التدخين لا يفسد الصوم(٣)!

ود. حسن الترابي يرى أن كل إنسان له أن يعبد الله بما يناسبه، بل كل إقليم وشعب له أن يجد نمط العبادة التي تناسبه أيضاً فيقول: ((لكل مسلم أن يجد الرأي الذي ينشرح له صدره، ووجه العبادة الذي يُناسبه، فهو يستطيع أن يعبد الله كما هو ميسَّرٌ له، ويستطيع كل شعب أو إقليم من المسلمين أن يجد نمطه أو كيفية العبادة التي تناسبه))(٤).

وامتد ذلك الرأي إلى بعض مفكرينا وكتابنا، فهذا إبراهيم البليهي يرى أهمية مراجعة مقولات الصحوة - كما يسميها - وتجاوز فقهياتها في بعض المسائل المرتبطة بالتدين

---

(١) الدفاع عن الله ورسوله وشرعه - الرد على جمال البنا، حسن أبو الأشبال الزهيري.

(٢) انظر: جواز إمامة المرأة للرجال، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م)، القاهرة، دار الشروق، ٢٠١١م، الطبعة: الأولى.

(٣) التدخين ليس من المفطرات، جمال البنا، صحيفة الشرق الأوسط، العدد: ١٠٥٤٢، الثلاثاء ٢٨ رمضان ١٤٢٨هـ - ٩ أكتوبر ٢٠٠٧م. www.aawsat.com.

(٤) انظر: تجديد الفكر الإسلامي، د. حسن الترابي، المغرب، دار القرافي للنشر والتوزيع، بدون ت ط، الطبعة: الأولى.

الصحوي، فيقول: ((لا يمكن لأي راصد للحالة الإسلامية في الوسط السعودي أن يتجاوز ظاهرة خرجت من رحم الصحوة الإسلامية صار لها حضورها وزخمها، وهي تحوي أصواتاً مختلفة ومتباينة، ولكن يجمعها هدف واحد هو "مراجعة مقولات الصحوة" وإطلاق العنان لقلم الاجتهاد الفكري للعمل والبحث واستئناف النظر، وإعادة التعاطي مع الأفكار والثقافات السائدة في العالم اليوم برؤية موضوعية من دون استحضار مفاهيم القطيعة والمفاصلة ...

ويضيف تجاوز فقهيات الصحوة: هناك مسائل فقهية جزئية ارتبطت بظاهرة التدين الصحوي مثل: "وجه المرأة، الغناء، اللحية، الإسبال، التأمين، صلاة الجماعة"، وغيرها من المسائل المشابهة التي تحتفظ بمكانة خاصة في ذاكرة الوعي الإسلامي الشعبي الذي صنعته الصحوة والتي تتعامل مع هذه المسائل من منطلق مذهبي خالص، فهذه المسائل التي أفتى بها الرواد لا يجوز مساسها أو إثارة الزوابع حولها. أما تيار التجديد فلا يكُنُ تقديساً علمياً لا لهذه المسائل ولا لغيرها من الجزئيات الفقهية، والقداسة فقط للمنهجية العلمية، وبعد ذلك يُفتح الباب لكل دراسة معرفية جادة لبحث هذه المسائل أو غيرها))[1].

وتيارهم التنويري لا يكنُ تقديساً علمياً لا لهذه المسائل ولا لغيرها من الجزئيات الفقهية، وهكذا هم في نظرهم للدين في قضاياه الاعتقادية والعملية العبادية.

ومن أعظم الانحرافات المعاصرة في هذا المجال عبودية المرأة لربها وخالقها بقرارها في بيتها استجابة لأمر الله بقوله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فأصبحت قضية المرأة، وما يزعمونه من تحريرها عندهم هي قضية القضايا ونزع حجابها واختلاطها بالرجال في كل مكان يُتاح لهم هو أعظم أهدافهم، واستمتاعهم وعبثهم بأعراض النساء هو غاية مطلبهم.

فيرى جمال البنا أن الحجاب ليس من الدين أصلاً، فيقول: ((الإسلام لا يريد الحجاب، وإنما يريد الحشمة، والحجاب ليس من العقيدة ولا من الأصول؛ لأنك حين تقول: لا إله إلا الله

---

(١) التنويريّون تجاوزوا آيديولوجيا الصحوة، إبراهيم البليهي، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٩٥١٦، الجمعة ٠٥ ذو القعدة ١٤٢٥هـ - ١٧ ديسمبر٢٠٠٤ م.www.aawsat.com .

محمد رسول الله، لا تضيف عبارة: وأشهد أن الحجاب حق أو واجب، إذاً: فالحجاب ليس من الدين))[1].

وقال أيضاً بعدم وجوب الحجاب وأنه لم يات الأمر به مطلقاً، وكذلك كشف الرأس وظهور شعر المرأة في الشارع أو داخل الصلاة، لا حرج فيه: ((ليس في القرآن الكريم أو السنة الشريفة ما يأمر بالحجاب مطلقاً. القرآن عندما قال "وليضربن بخمرهن على جيوبهن" كان ذلك في إطار الحديث عن لباس اجتماعي سائد في ذلك الوقت، فالرجال يلبسون العمائم والنساء تختمر لتقي نفسها من التراب أو من الشمس، وبالتالي فالمسألة لا علاقة لها بالدين .. ويقول: الإسلام لا يطلب من المرأة أن تغطي شعرها أو تنزع ذلك الغطاء، هذا ليس شأنه، وإنما يدخل في إطار حقوقها الشخصية. وقال لا أجد حرجاً مطلقاً في أن تصلي المرأة بشعرها، ومع ذلك لابد أن نفرق بين كونها في الشارع، فلا نرى ضرورة لأن تلبس غطاء على رأسها، وبين أن تكون في الصلاة فترتديه، وإن كنت لا أرى حرجاً في أن تصلي بدونه))[2].

ود. حسن الترابي يرى أنه لا حجاب على النساء، لأنه حكم خاص بنساء النبي – صلى الله عليه وسلم – فقط فيقول: ((أمَّا الحجاب المشهور فهو من الأوضاع التي اختصَّت بها نساء النبي – صلى الله عليه وسلم –، لأنَّ حكمهنَّ ليس كأحد من النساء، وجزائهنَّ يُضاعف أجراً أو عقاباً ... فقد قرَّرت آية الحجاب التي حكمت ألاَّ تظهر زوجة النبي – صلى الله عليه وسلم – للرجال ولو بوجهها وكفيها، مما يجوز بالطبع لسائر النساء المسلمات))[3].

٣. الانحراف الخُلُقي:

وامتداداً ونتيجة لدعوتهم إلى نزع الحجاب، وأن المرأة تخالط الرجال والذي يراه بعضهم أنه من ضرورات العصر، وأن الفصل بين الجنسين عملية وحشية، فيقول جمال البنا:

---

(١) انظر: الحجاب، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م)، القاهرة، دار الشروق، ٢٠١٠م، الطبعة: الثانية.

(٢) حوار مع شبكة العربية، الخميس ٠٩ صفر ١٤٢٧هـ – ٠٩ مارس ٢٠٠٦م، www.alarabiya.net.

(٣) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع، د. حسن الترابي، ص٢٧.

((الاختلاط ضروري ومن الطبيعة والفطرة لأن الفصل بين الجنسين عملية وحشية، فقد عشنا في الثلاثينيات من القرن الماضي مرحلة كان يتمنى فيها أي شاب أن يجلس ولو على البعد مع امرأة، لا يريد أن يفعل شيئاً سيئاً، ولكن لمجرد أن يتعرف على هذا الكائن الذي كان مجرد الجلوس إليه مستحيل. وقال: ليس حدوث أشياء خاطئة مبرراً لأن نمنع بسببها الاختلاط، الشخص يمشي في الشارع مثلاً فتصدمه سيارة فهل نحرم المشي في الشارع؟))[1].

فلا غرابة أن يُطالعنا بعد ذلك هذا المفتون، بجواز تقبيل الشباب للفتيات معتبراً أن القبلات بين غير المتزوجين من الشباب والفتيات من الضعف البشري وتدخل ضمن اللمم في الإسلام، أي الذنوب الصغيرة التي تمحوها الحسنات[2].

ويستمر في فقهه الجديد وتحريفه لأحكام الدين ومشابهة المبتدعة الروافض بتجويزه لنكاح المتعة، كما يرى جواز الزواج بدون ولي ولا شهود[3].

وهذا مشاري الذايدي يرى أن الفقه الانتقائي والعادات الاجتماعية هي التي صاغت الذهنية الذكورية المحافظة تجاه المرأة، وأهمية تعديل النظر إلى قضية المرأة، وأن ذلك ربما يكون فاتحة الحياة لعقل عربي جديد فيقول: ((ولكن نحن نتأمل هنا في شيء آخر..، نتأمل في تورطنا كلنا بموضوع المرأة. وليس بغريب إذا ما قلنا إنه ربما تكون قضية المرأة وتعديل النظر إليها، وإعادة صوغ الذهنية الذكورية المحافظة إزاءها، ونقلها من مستوى «الشيء» الذي يتصرف به، إلى الكينونة المستقلة مالكة الأمر والقرار، ربما تكون هي فاتحة الحياة لعقل عربي جديد! أعرف أنني دخلت منطقة وعرة، يرى أغلب الرجال أنه لا يجوز تغيير وضعها ومرتكزها الثقافي، الذي هو، وبالمناسبة، ليس مأخوذاً من النصوص الدينية «المنتقاة» فقط،

---

(١) حوار مع شبكة العربية، الخميس ٠٩ صفر ١٤٢٧هـ - ٠٩ مارس ٢٠٠٦م، www.alarabiya.net.

(٢) انظر: قضية القبلات وبقية الاجتهادات، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م)، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٠م، الطبعة: الثانية.

(٣) انظر: مسئولية فشل الدولة الإسلامية في العصر الحديث، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م)، القاهرة، الناشر: دار الفكر الإسلامي، ١٩٩٤م، الطبعة: الأولى.

بل من رصيد العادات والمواضعات الاجتماعية، وهنا يصبح موضوع المرأة معقداً جداً، حتى أنه أعقد ربما من موضوع الإرهاب الديني السياسي! لأن الأخير محصور في خطاب «سياسي» ديني، بدون أن تكون له تلك الجذور الاجتماعية الضاربة في الأعماق، عكس موضوع المرأة التي تحالف عليها، فقه انتقائي، منقود ومعارض بفقه ديني آخر، متقدم إزاء المرأة بالقياس إليه، وكذلك تقاليد اجتماعية صارمة، أي أن خصمها هو خصم مركب ومتعدد. ولكن لا مناص من المحاولة والاستمرار، حتى لا نحبس النساء في سجون الجسد. ونحبس معهن عفويتنا البشرية))[1].

وهكذا نجد أن موضوع المرأة أصبح موضوعاً محورياً لديهم يعملون عليه في مقابل من يريد صيانة المرأة وحفظها ولا مناص عندهم من المحاولة والاستمرار حول المسألة النسوية كما يعبرون على مستواها المحلي أو العالمي، فهذا محمد المحمود في مقال له بعنوان: المرأة في زمن الحصار يقول: ((لن يتوقف الجدل حول المسألة النسوية، لا في السياق المحلي الذي يفزعه أن تكون هناك مسألة نسوية أصلاً، ولا في السياق العالمي الذي تدور فيه رحى معارك الأنسنة بأنواعها ومستوياتها المتباينة ... وبما أن المسألة النسوية ليست مسألة مجردة من إيحاءاتها، وإنما هي مسألة رامزة إلى حد كبير، فقد وضع الخطاب التقليدي ثقله في هذه المسألة، وراهن على قضية المرأة خاصة، لأنها في النهاية، هي القضية التي ستحدد مصيره في المجتمع على نحو حاسم وواضح، لهذا، فكل مسألة تمس المرأة من قريب أو بعيد، نجدها ميداناً فسيحاً لتشنجات التقليدي واضطراباته، تلك الاضطرابات التي لا تعبر عن شيء بقدر ما تعبر عن أزمته الذاتية مع العصر، وليس مع قضية المرأة فحسب. ولعل أسوأ ما في هذا الحراك التقليدي المتأسلم الذي يسعى في الوقت الراهن للاحتفاظ بنفوذه على نحو مهووس، أنه يفضح المسكوت عنه - أو المؤجل البت فيه - في خطابه. إنه - دون قصد واع - يكشف عن حقيقة «التخلف والانحطاط واللاإنسانية» التي تنطوي عليها رؤاه. إن طبيعة الرؤية التي يمتلكها تجاه المرأة، تحضر - دون عناء - في خطابه الذي يخص به المرأة في كل

---

(١) هل نحن جديرون بالتحول .. أم أننا تورطنا به؟ مشاري الذايدي، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٩٥٤١، الثلاثاء ٣٠ ذو القعدة ١٤٢٥هـ - ١١ يناير ٢٠٠٥م، www.aawsat.com.

حين. وهي رؤية تنطوي على قدر هائل من الاحتقار الظالم والازدراء الأهوج للمرأة))[1].

وما نص عليه: من الاحتقار والظلم والازدراء الأهوج للمرأة، الذي يرمي به من يصمهم بالتقليدين زوراً وبهتاناً، هو بعينه ما وقع فيه التنويريون الليبراليون من ممارسات مشينة ضد المرأة، فهذه أميرة القحطاني تقول من داخل الوسط المثقف في مقال لها بعنوان: مع الاعتذار للمثقفين المحترمين: ((للأسف أقولها وأنا احترق ألماً على عالمي الذي خلته جنة من جنات الدنيا.. هذا العالم الذي يحمل الكذابين والمنافقين والوصوليين و(النسونجيين) وهذه الكلمة وحدها كارثة .. كارثة على هذا الوسط الذي يفترض به أن يكون وسطاً ثقافياً راقياً تبنى من خلاله الحضارات. وكي لا أطيل عليكم وعلى طاري النسونجيين إليكم هذه القصة القصيرة لمثقف نسونجي تخطى الستين عاماً، هذه القصة جرت معي عندما كنت أكتب في إيلاف: فقد تحدثت مع كاتب وصاحب مؤلفات لإجراء لقاء صحفي معه وقبل إجراء الحوار – الذي لم يتم – دار بيني وبينه حديث حول الكتابة والنجاح والفشل فقال لي حرفياً (أنا استطيع أن أجعل من الإنسانة العادية كاتبة كبيرة!) فقلت له وأنا في دهشة مما أسمع: الكتابة موهبة لا تصنع ولا تمنح. فقال لي بكل ثقة: أنا جعلت من إنسانة عادية كاتبة كبيرة وقد أصبحت الآن مشهورة لكنها تنكرت لي عندما اشتهرت.

وعرفت من خلال حديثه أنه كان يريد ثمناً لذلك التوجيه الذي يقول أنه قدمه لتلك الكاتبة وطبعاً عرض علي المساعدة (بشرط) أن يكون هناك ثمن لهذه المساعدة التي لم أطلبها منه أساساً ودون أن أدخل معه في تفاصيل وقبل أن أنهي معه مكالمتي سألته: هل هناك مثقفات يتعاملن معه ويتقبلن هذا الأسلوب في التعامل؟ قال وبصوت عال جداً: (طبعاً)!! وأريد أن أنوه فقط بأن هذا الرجل لم يكن يخجل من الإفصاح عن رغبته بل كان يتحدث بكل ثقة وكأن نساء العالم كلهن ساقطات!! والشيء المؤكد أن هذا المثقف ليس واحداً وهذا الحالة ليست واحدة والوسط الثقافي مليء بالحشرات الضارة المؤذية وعلى من يفكر الدخول فيه أن يتزود بمبيد حشري يستخدمه عند اللزوم، مع الاعتذار

(١) المرأة في زمن الحصار، محمد المحمود، جريدة الرياض العدد ١٣٥٤٨، الخميس ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ – ٢٨ يوليو ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

للمثقفين المحترمين))[1].

ومثل هذا كثير وقد شاع وانتشر[2] في هذا الوسط المختلط المنحرف الذي ينادي ويطالب بحقوق المرأة، وهم أول من يصادرها، ويطلبون بمُتعهم وشهواتهم.

٤. الانحراف في المعاملات وغيرها:

وهذا المجال كغيره لحقه من الانحراف صوراً ظاهرة واضحة، ولعل من أبرزها، تحليل الربا، ونكاح المرأة بغير ولي، والطلاق والميراث والجهاد، ورد حد الزنا والسرقة.

وآراؤهم وفتاواهم المنحرفة الشاذة ذاعت وشاعت في كتبهم، فهذا عدنان إبراهيم يقول في حكم الرجم للزاني المحصن وآية الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم: ((لماذا هذه الآية نزلت ونسخها الله تلاوةً وأبقى حكمها، وقد قلنا لكم أن هذا عجيب وغريب وغير معقول وغير مقبول وغير منطقي، لأن التلاوة أيها الإخوة: النص الشيء المتلو هو دليل الحكم، فإذا أراد الله أن يستبقي هذا الحكم المهول القاسي الفظيع القتل بالرجم حتى الموت ... عقوبة مخيفة فضيعة مهولة جداً ... الحكم تكاد الأمة تجمع عليه تتطابق تتسالم ... يرجم الإنسان حتى الموت بالحجر شيء مخيف أيها الإخوة، هل الزنا أعظم أم القتل؟ القتل العمد، القتل طبعاً بإجماع الأمة القاتل يُقتل قتلةً حسنة ... وليس رجماً حتى يردم بالحجارة!! هذا شيء متناقض ...))[3].

وجمال البنا يرى نفس الرأي، فيقول: ((وما يستحق النظر في هذه القضية بأسرها هي عقوبة الرجم في حد الزنا، لأنها خرجت عن مألوف السنة في أمرين، الأول: كما ذكرنا أن السنة غالباً ما تنحو منحى الرحمة والتيسير، وهذه تمثل الشدة والقسوة والثاني: أن القرآن حدد العقوبة بالفعل، فزيادة السنة خرجت عن إطارها المألوف في تفصيل المجمل أو ذكر

---

(١) مع الاعتذار للمثقفين المحترمين، أميرة القحطاني، صحيفة الجزيرة الثقافية، العدد: ٢٥٩، الاثنين ٥ ذو القعدة ١٤٢٩هـ. www.al-jazirah.com/culture.

(٢) انظر: للمزيد، لماذا لا يثق الليبراليون بالليبراليات، إبراهيم السكران، ١٤٣٢/٢/٨هـ، موقع المسلم، almoslim.net/node.

(٣) خطبة د. عدنان إبراهيم بعنوان "لا رجم في الإسلام" بتاريخ ٢٠١٣/٥/١٧م، يوتيوب.

المغفل، وأعتقد أن هذه النقطة تنتظر مزيداً من التحقيق))[1].

وجمال البنا يرى أن أموراً ومسائل كثيرة بحاجة إلى اجتهاد في العصر الحديث، فيقول: ((أمور كثيرة جداً تحتاج إلى هذا، حد الرجم والسرقة، والزنا، ورمي المحصنات، وكل ما أتى في الشريعة ولو حتى في القرآن قابل لإعادة النظر))[2].

ومن صور الانحراف في هذا الجانب والآراء والفتاوى الشاذة كذلك ما يتعلق بقضية الطلاق، فيرى جمال البنا أنه لا يقع مهما طلق الرجل إلا بموافقة المرأة ورضاها وقبولها، فيقول: ((لا يجوز مطلقاً للرجل أن يطلق منفرداً، لأنه تزوج بصفة رضائية، ولذلك تقتضي صحة الطلاق رضا الاثنين واتفاقهما على الانفصال، ولكن أن يقوم بتخريب بيتها وتدمير حياتها ويحرمها من أولادها فهذا منتهى الاجرام والظلم، وبالتالي مهما حلف بالطلاق من الصباح حتى المساء فهذا لا يعد طلاقاً. الطلاق يتم باتفاق تتقبله المرأة))[3].

وقسمة الميراث التي تولى الله قسمتها بين أصحابها، يرى فيها د. عدنان إبراهيم رأياً خاصاً، وأن تتغير تلك القسمة نظراً لتغيير الظروف والخلفيات، فيقول: ((الاحتمال الثاني المعقول والأقرب إلى روح الشرع وعدل الله وربوبية الله لخلقه ذكوراً وإناثاً بعضكم من بعض والإناث شقائق الرجال، وهذا تشريع عادل ومنصف وغير متحيز على خلفية المرأة في زمن التشريع اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً، فهنا إذا تغيرت هذه الخلفية بالكلية لازم يكون في تغيير للقسمة هذه وستحقق روح التشريع في الأخير، مالذي يجعلك تكش من الشيء هذا؟ هو استبقاء النموذج ولماذا تأخذ المرأة مثلي؟ هذه المسائل صعب طرحها في العالم الشرقي، ولكن في العالم الغربي سهل وبسيط ...))[4].

---

(١) العودة إلى القرآن، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م) القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى، ص ١٣٦.

(٢) كل الشريعة تحتاج لإعادة نظر، المفكر جمال البنا، الثلاثاء، ٩ سبتمبر ٢٠٠٨/١٠/١٢م، صحيفة اليوم السابع.

(٣) حوار مع شبكة العربية، الخميس ٠٩ صفر ١٤٢٧هـ - ٠٩ مارس ٢٠٠٦م، www.alarabiya.net.

(٤) قسمة الميراث غير معقولة وظروف تشريعها كانت اقتصادية، عدنان إبراهيم، يوتيوب، www.youtube.com/watch?v=DOGbzCXbvt4.

وفي موضوع قسمة الميراث يقول أيضاً: ((الذي أطالب به أن نعيد الاجتهاد في هذه المسائل ... وأقولها بصراحة ليس بالضرورة إذا ورد الشيء مقدراً في الشريعة الإسلامية، أن نسلم بقاعدة أن المقدرات تعبديات، قد تكون أشياء مقدرة على أنها ليست تعبدية يمكن أن يُستنبط لها حكم معقول المعنى .. علة معقولة المعنى))(١).

ثانياً: مجالات الانحراف المعاصر في مفهوم التدين (في جانبه الإرجائي):

أولاً: **مجال العقيدة:** ويندرج تحت هذا المجال عدة مسائل: وسأبدأ بما له التصاق بظاهرة التدين الجديد والدعاة الجدد وعمرو خالد تحديداً وذلك من خلال ما يلي:

١. تقديم إسلام بمواصفات خاصة

وجعلتها موضع التقديم، لارتباطها والتصاقها بالظاهرة وصاحبها، ولكونها الأخطر بالنظر إلى مآلات الأمور وعواقبها بالنسبة للدين الذي يُتدين به في مجتمعات المسلمين، وما سيتربى عليه شباب وفتيات المسلمين، من خلال وسائل الإعلام التي هي مصادر ثقافة وتعلُم الشريحة الأكبر منهم، وفي ظل كيد ومكر أعداء الله من داخل المجتمعات الإسلامية وخارجها، بالسعي إلى تقديم القيم الغربية، وإعادة ضبط الإسلام وجعله (معتدلاً أمريكياً) متكيفاً مع الواقع المعاصر ويؤمن بوجهة النظر السائدة في الغرب، وفسح الطريق بل وتمهيده أمام المفتونين من الليبراليين وغيرهم من العلمانيين وأئمة الكفر ليحققوا هدفهم ويصلوا إلى مرادهم، وموافقة الأعداء في ذلك وخدمتهم وتذليل الصعاب أمامهم، يُعد الأمر الأخطر عقدياً لما ينتج عنه من تغيير للدين وثوابته وقواعده ومُسلماته - شعر بذلك الدعاة أم لم يشعروا وقصدوا ذلك أم لم يقصدوه - وبحسب الرغبة والحاجة في التدين، يصنع الناس لأنفسهم في ظل غياب الخطاب والتوجيه الصحيح "تديناً جديداً"، يحمل ملامح غير متجانسة وعناصر غير مترابطة ... وهو بدوره قد يشكل وعياً جمعياً ضاغطاً، وأخطر ما فيه أنه غير موجه ولا إرادي، ومع مرور الوقت يربوا فيه الصغير ويهرم فيه الكبير، ويصبح ديناً

---

(١) إعادة الاجتهاد في فروض الميراث، عدنان إبراهيم، يوتيوب، www.youtube.com/watch?v=UjqlOe_6DvM.

له مفاهيمه وقيمه وسننه وشرائعه!! فإذا أراد العالِم أن ينكر على أهله قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٢].

ولهذا وصف بعض الكتاب ظاهرة الدعاة الجدد وظاهرة الداعية عمرو خالد – غفر الله له ووفقه – تحديداً: بقولهم: التدين الجديد، التدين اللذيذ، التدين المغشوش التدين المستحدث التدين الشخصي، التدين الجزئي، تدين بمواصفات خاصة، تدين نيولوك (وتعني: تدين بنظرة جديدة)، وهذا ما يتضح جلياً في دعوة عمرو خالد، وهذا ما تراه دراسة باتريك هايني: ((أن نموذج عمرو خالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب والطبقات العليا في مصر، ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر، بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين وفي ألا تحمل شعوراً بالذنب أو إحساساً بالتقصير يدفعها إلى إعادة النظر في وضعها الاجتماعي وما يكفله لها من امتيازات لا تتاح للطبقات الأقل، وهو تدين ذو مواصفات خاصة))[1].

ولهذا فإن ظاهرة عمرو خالد قد تأثرت بهيمنة خطاب الليبرالية الجديدة والذي أثر عالمياً على كافة الأديان بفعل التفاعلات المستمرة والمكثفة بين الخطاب الإسلامي وبين قيم وأفكار وتوجهات الليبرالية الجديدة ((وتضع الدراسة ظاهرة عمرو خالد في سياق عالمي تأثر بهيمنة خطاب الليبرالية الجديدة عالمياً وعلى كافة الأديان، فيرى أنها تقترب كثيراً من جماعات الإيمان الجديدة المسيحية التي انتشرت مؤخراً في الغرب في رفضها للمؤسسات الدينية التقليدية واستقلالها عنها، وفي طابعها الفردي المستقل البعيد عن الجماعية، وفي تركيزها أيضاً على المشاعر والعواطف))[2].

وهو بذلك لا يتعارض مع المصالح الغربية والأمريكية على وجه التحديد، بل يرى البعض أنه يدعو إلى ما يُعرف بالإسلام الأمريكي، يقول د. محمد بن رزق بن طرهوني:

(١) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

(٢) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

((إن الأستاذ عمرو خالد داعية فعال وناجح ولكنه لضعفه علمياً – وهذا مع حسن الظن به – يدعو في الحقيقة إلى إسلام يختلف كثيراً عن دين الإسلام وهو ما يمكن أن يندرج تحت الإسلام الأمريكي[1]. والإسلام الأمريكي هو دين يأخذ من الإسلام الجوانب التي لا تعارض المصالح الأمريكية والتي تتوافق مع الدين النصراني بل تندرج تحت الكليات الخمس التي اتفقت عليها الشرائع فلا العقل ينكرها ولا الناس على اختلاف مشاربهم يعارضونها))[2].

٢. الإرجاء:

فدعوته فيها شبه ظاهر من بدعة المرجئة حيث أصبح شائعاً عند عمرو خالد والدعاة الجدد والجيل الذي نشأ وتربى على أيديهم تساهلاً وترخصاً وإصراراً على مخالفات شرعية ظاهرة! تظهر على أشخاصهم وسلوكياتهم مخالفات شرعية، هي في نظرهم أموراً مباحة أو سهلة!! يقول أنور الخضري: ((وليس عند هذا الجيل إشكالية في التعايش مع المفهوم العلماني للدين! نظراً لمفهوم "الإرجاء" الشائع في أوساطه، ولاختلاط المفاهيم والأحكام الشرعية لديه، وهؤلاء في الغالب هم نتاج فقهاء الرُّخص والتيسير والتسامح، ونتاج ما عرف بـــ"الدعاة الجدد"، لذلك فلا غرابة أن تجد في سلوكياتهم الكثير من المخالفات الشرعية الظاهرة! وفيما ينظرون إلى أنفسهم بأنهم عاملون ودعاة للإسلام (الذي يحملونه)، تظهر على أشخاصهم وسلوكياتهم مخالفات شرعية، هي في نظرهم أمور مباحة أو سهلة!! ومن الأمثلة على دعاة هذا التيار الأستاذ عمرو خالد))[3].

وغلب على خطاب الدعاة الجدد الاهتمام بجانب حسن السلوك مع الآخرين والإحسان إليهم، وبعض الرقائق وأعمال القلوب وإغفال جوانب مهمة في مسائل العقيدة والإيمان مما انعكس على حياة المتدينين وأصبح من مظاهر تدينهم ((الاهتمام بجانب حسن

---

(١) الإسلام أعظم من أن يوصف بهذا الوصف، وقصدَ الكاتب من ذلك ما سعى ويسعى إليه الغرب وخاصة أمريكا من تغيير حقيقة الإسلام في نفوس المسلمين، وأن يدينوا إسلاماً صورياً لا يمثل حقيقة الإسلام كاملة.

(٢) ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص١.

(٣) التدين الجديد، أنور الخضري، ص١٨، بتصرف يسير.

السلوك مع الآخرين والإحسان إليهم بالعطاء والعون.. وببعض أعمال القلوب التي قد لا تخلو منها قلوب العامة على فطرتها، هذا مع شيء من الرقائق، وإغفال جوانب مهمة في مسائل العقيدة والإيمان والتوحيد والولاء والبراء، وحقيقة اتباع النبي- صلى الله عليه وسلم - ودعوته، ومسائل الأحكام التي خالفها كثير من الناس اليوم حتى اندرست!))[1].

ومما زاد من تنامي هذا التوجه الإرجائي إلحاح هؤلاء الدعاة على سعة رحمة الله وعظيم مغفرته وهي صفتان لا شك فيهما ولا إنكار لهما، وكانت خياراً وحيداً لهؤلاء الدعاة مع تركيزهم أيضاً على أعمال القلوب والتقليل من أعمال الجوارح: ((إلحاح الدعاة الجدد على الرجاء ورحمة الله وغفران الذنوب مهما كانت، وهي مساحة لا شك فيها ولا إنكار لها، إن الإلحاح عليها كأنها المسار الوحيد والخيار الفذ أوجد خللاً لدى المتعرضين لهذا الخطاب ووجههم إلى مزيد من الجرأة على الحرام مع التأكد من مغفرة الله لهم، وتركيز بعض الدعاة الجدد على مسألة أعمال القلوب وأهميتها والتقليل من شأن أعمال الجوارح))[2].

وعبارة السلف في ذم من يغلب جانباً على جانب مشهورة معروفة وهي قولهم: "من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري - أي: خارجي - ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله - تعالى - بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الموحد"[3] فالمرجئة يعبدون الله بالرجاء وحده والصوفية يعبدون الله - تعالى - بالمحبة وحدها كما يزعمون.

ومما يؤكد وجود هذا الميل إلى المرجئة، دعوة عمرو خالد الموجهة بالدرجة الأولى إلى علية القوم والطبقة المستقرة بأعلى الهرم بما يُلبي رغبتها في التدين دون تبعات أو شعور بالذنب وإحساس بالتقصير، يقول حسام تمام ((نموذج عمرو خالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب والطبقات العليا في مصر، ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه

(١) التدين الجديد، أنور الخضري، ص ١٨.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٣) ذكرها ابن تيمية - رحمه الله - في مجموع الفتاوى، ج١٠ص٢٠٧، نقلاً عن بعض السلف - رحمهم الله -. ولم أجد نسبتها إلى أحد بعينه.

الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر، بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين وفي ألا تحمل شعوراً بالذنب أو إحساساً بالتقصير يدفعها إلى إعادة النظر في وضعها الاجتماعي وما يكفله لها من امتيازات لا تتاح للطبقات الأقل))[1].

وبهذا فهو يُشبه المرجئة في بدعتهم، وأن الإرجاء في بعض مراحله نشأ نشأة سياسية، ولهذا كان المرجئة دوماً أداة طيعة بيد الملوك والحكام والساسة، لأن محصلة عقيدتهم الضالة أنهم يقولون: دعوا من تولى عليكم، يقول ويفعل ما شاء، لأنه مؤمن بمجرد انتسابه إلى الإسلام، يكفيه ذلك، والله يحكم فيه يوم القيامة، ليس ذلك إليكم، يقول النضر بن شميل: قال لي المأمون: يا أبا الحسن (الإرجاء دين الملوك)[2].

والاكتفاء بالإسلام مع الإصرار على الذنوب والمعاصي والإقامة عليها وعدم تركها، بل وحث الناس على ذلك قولاً وفعلاً، وأن هذا الإصرار على فعل المعصية لا يعارض التدين بالإسلام، له متعلق خطير بما تقوله المرجئة ويُنسب إليها في أنه: لا يضر مع الإيمان معصية، فعمرو خالد أحد الدعاة إلى الله والذين يدعون للسير على خطا الحبيب – صلى الله عليه وسلم –، ومع ذلك فهو مصر على حلق لحيته وعلى اللباس الغربي وعلى اختلاط النساء بالرجال في محاضراته وغير هذا مما هو ظاهر بيِّن.

وكان من ثمار دعوة عمرو خالد شيوع ((مذهب المرجئة الحقيقية في ادعاء أنه كما لا ينفع مع الكفر طاعة فإنه لا يضر مع الإيمان معصية!!! أصبح شائعاً في الجو الثقافي المصري المعاصر بعامة، وبخاصة في أوساط الفنانين، ونخبة المثقفين، وقطاع كبير من العلمانيين، وشاع بينهم دون أن يعرفوا مصدره غالباً، واستحكم فيهم استجابةً لعوامل التبرير النفسي لما هم فيه من تخليط وتشويه وتناقض، وبتدبير من إعلام طاغ اتفق موضوعياً مع هذا المذهب، كما اتفق موضوعياً مع رغباتهم في الجمع بين المتناقضات: بين الصلاة والرشوة،

(١) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

(٢) الكُنى والأسماء، الدولابي، ج٣ص٢٦٠.

والصوم والمسلسلات، والزكاة والزنا، والحج والرقص الشرقي، والعمرة والتزوير، والكذب وقراءة الأوراد!!))[١].

وانطبع من خلال الدعاة الجدد ومنهم عمرو خالد تصالحاً شعورياً مع المعصية، بل تجاوز الأمر إلى أبعد من ذلك وأصبح السلوك الشخصي المعيش حياتياً غير المقبول شرعياً، سلوكاً دينياً مطلوباً، يقول حسام تمام ((ما اقترب منه الباحث - باتريك هايني - ولم يقله أن المهم في ظاهرة الشيوخ الجدد هي الحالة التي يصنعونها وليس أشخاصهم ولا مضمون كلامهم. الحالة هنا هي الجو المحيط والوسيط الذي ينتقل عبره الكلام والجمهور الحاضر وهكذا .. فهذه الحالة تؤدي إلى تصالح شعوري بين الواقع المعيش وبين الدين الذي يمثل المرجعية الأساسية للشخص الحاضر المنتمي للبرجوازية الجديدة. ويصير السلوك الشخصي المعيش حياتياً المرفوض دينياً (مثل الاختلاط مع الفتيات غير المحجبات أو المحجبات والتعرف عليهن) سلوكاً دينياً مطلوباً (فالشاب صار يدعو الفتاة للدين) ويضيف أيضاً وجمهور "الدعاة الجدد" بحسب وصف الدراسة: "في مجمله من غير المؤطرين تنظيمياً أو سياسياً، ويتشكل من مجموعات صغيرة أقرب إلى مفهوم الشلة (الذي تنتظم وفق العلاقات بين أبناء النخبة) منه إلى مفهوم الجماعة والتنظيم، فحضور الدروس كان دائماً ما يتم عن طريق مجموعة الأصدقاء أو (الشلة)، وهو جزء من تفاعلات العلاقة بين أعضاء هذه المجموعة التي مثلما تذهب لحضور الدروس تذهب أيضا إلى المصيف والنادي والسينما وأداء العمرة في الأراضي المقدسة))[٢].

ولم يقتصر هذا الشعور على الجمهور والمدعوين، بل تجاوزه إلى الدعاة أنفسهم الذين صنعوا من أنفسهم قدوة ومثلاً، يقتدي الناس بهم ويحذون حذوهم، ومن كلام عمرو خالد - عفا الله عنه - في قناة المستقبل اللبنانية: ((على فكرة أنا في مسرحيات للأستاذ عادل إمام ما أقدر أن أقوم من قدامها بموت من الضحك، وفي مسرحيات للأستاذ محمد صبحي ما

(١) دعوة إلى الحقيقة البنائية للإسلام، يحي هاشم فرغل، موقع العرب نيوز www.alarabnews.com.

(٢) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

أقدر أن أقوم من قدامها ويقول: لو في مسرحية أو في فلم بيعرض حاجة هادفة، الفن في حد ذاته يعني، أنا لست مكسوفاً إني أنا أقولك أروح فلم أو مسرح إيه المشكلة، المهم ماذا يُعرض لو الذي يُعرض حاجة جيدة، يعنى مسرحية زى مسرحية الأستاذ عادل إمام شاهد ما شافش حاجة مين لم يضحك عليها؟ ومين لم يتفرج عليها؟))[1].

ومن تلك المظاهر أيضاً المرتبطة بالشعور ذاته، والتي لا تليق بالمسلم العامي ولا يُقر عليها، فضلاً عن داعية إلى الله مثل عمرو خالد يُشاهده ويُتابع برامجه الملايين في العالم الإسلامي: ((مجالسة النساء المتبرجات والتحدث إليهن بدون أي تحفظ وعينه تنظر إليهن دون خجل ولا وجل ويتبادل معهن الابتسامات والضحكات والتعليقات وكأن إحداهن امرأته أو إحدى محارمه. ومن ذلك شريط فيديو بعنوان (كلام من القلب عمرو خالد يستضيف سهير البابلي)، فيه لقاء استضاف فيه عمرو خالد، الممثلة السابقة (سهير البابلي) وحضوره المجالس المختلطة وجمعه الرجال والنساء في صعيد واحد المتبرجة بتبرجها والمتعطرة بعطرها والمتغنجة بغنجها ويفسح لهذه المجال لتتكلم على مرأى من الجميع، والاستماع إلى الموسيقى والتصريح بمتابعة الأفلام والمسرحيات الهابطة لفساق الأمة))[2].

٣. ضعف عقيدة الولاء والبراء:

والذي يُعدُ من أعظم مجالات الانحراف العقدي، وسبباً من أسباب ظاهرة التدين الجديد ورافد من روافدها، ذلك أن التشبه بالغرب الكافر والتخلق بقيمه من أبرز مظاهر التدين الجديد الذي أفرزته ظاهرة الدعاة الجدد يقول أنور الخضري: ((نشر ثقافة التسامح مع المبتدعة فضلاً عن الكفار، وهو تسامح يتجاوز الثوابت الشرعية في تأصيل الرؤية تجاههم وإبداء المواقف إزاء أعمالهم! والتعامل معهم! أحد دعاة هذا المسلك ظهر ليروي تجربته عند تعلمه اللغة في دولة غربية على نظام الالتحاق بالأسر.. فذكر تجربته هذه مشيداً – والحق يقال – (ببعض القيم)! لدى هذه الأسرة على مستوى الأبوين والأبناء .. دون أي تعليق

---

(١) ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة مشكاة الإسـلامية، ص ٨. بتصرف، النص كما هو باللهجة المصرية.

(٢) ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة مشكاة الإسـلامية، ص٣.

على هذا المسلك في الدراسة والمخالفات التي تحيط به! بل قدمت التجربة كأنموذج للكيفية التي ينبغي أن نستفيد بها من الغرب وخبراته في العيش!! هكذا!! كما أن بعض اللقاءات المتلفزة بين الشباب (مقدمي هذا النوع من البرامج) وبين شخصيات غربية تكسر الحواجز النفسية مع الكافر من خلال السلوك المقدم والثقافة المصاحبة لهذه اللقاءات!!))[1].

بل أصبح مما يلفت النظر تطبيع السلوكيات والمظاهر الغربية في أوساط المتدينين الجدد وصبغ الحياة وفقاً للتصورات الغربية كما يقول أحمد زين: ((التعاطي ونمط المعيشة والتصورات تتم وفقا لنمط الحياة الغربية بصورة طاغية ولافتة وأعتقد أن الرجوع للأحكام الفقهية يمكن أن يدين نموذجاً هذا توجهه))[2].

ومن تلك المظاهر البارزة في دعوة عمرو خالد، والتي تعتبر مؤشراً جلياً في ضعف عقيدة الولاء والبراء: دعوته المتكررة للتعايش مع الغرب. فإن عمرو خالد يرى أهمية تشجيع التعايش مع الغرب وأن يقتنع بذلك المسلمون لأنه من مصلحتهم، وأن يبذلوا خطوات حقيقية ليتعايشوا بإيمان صادق، بل ويرى إمكانية التعايش مع اليهود وأن مشكلة المسلمين معهم سياسية وليست ثقافية، ومتى ما حُلت مشكلة الأرض فيمكن التعايش بطمأنينة.

وقد ورد هذا في إجابة لمراسل إذاعة ال بي بي سي الذي سأله: ((أولاً عن سبب اهتمامه واهتمام المفكرين العرب بموضوع تحالف الحضارات فأجاب: أعتقد أن أمامنا بديلين للمستقبل إما صدام الحضارات أو تعايش الحضارات. أعتقد أن من مصلحة المسلمين ومن مصلحة الشباب العربي ومن مصلحة الغرب ومصلحة الجميع أن نشجع فكرة التعايش وندعمها أن نبحث عن مثل هذه اللقاءات ليس للكلام فقط وإنما أن يكون هناك فكر صادق لدى كل الأطراف فعلاً بحيث تجيد التعايش لمزيد من الطمأنينة في الأرض خاصة وأننا في العشرين سنة القادمة إذا لم نقتنع بالتعايش بإيمان صادق ونبذل له خطوات حقيقية فسيكون صوت دعاة الصدام فيعلو في الأرض ويؤدي إلى نتائج لن يستطيع معها العقلاء

(١) التدين الجديد، أنور الخضري، ص١٧.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

فعل أي شيء.

س: هذا بالنسبة للثقافة أو العلاقة مع الغرب، ماذا عن العلاقة مع اليهود أو مع دولة إسرائيل الموجودة حالياً كأمر واقع في المنطقة؟

ج: قضية دولة إسرائيل قضية سياسية أكثر منها ثقافية ومازلت أرى أنه لابد للسياسيين أن يجلسوا سوياً ويصلوا إلى تصور لحل هذه المشكلة بما يضمن الطمأنينة والتعايش. نحن أصلاً ليست لدينا مع اليهود كديانة أي مشكلة وكلنا نتذكر القصة الشهيرة عندما ترك المسلمون الأندلس ونزحوا للمغرب اختار اليهود أن يعيشوا مع المسلمين في المغرب حيث كان أحب إليهم العيش مع المسلمين على أن يعيشوا في الأندلس. إن هذه حقيقة تاريخية ثابتة لا توجد لدينا مشكلة إنما هناك مشكلة على الحق والأرض فيجب أن يجلس السياسيون وبنفس الطريقة يجدون لها الحلول الجيدة للتسوية))[(١)].

وأكد د. عمرو خالد دعوته للتعايش مع الآخر، من خلال رسالة الدكتوراه: التي كانت بعنوان: الإسلام والتعايش مع الآخر والتي ناقشها في ١٩ مايو ٢٠١٠م في جامعة ويلز ببريطانيا: وذكر د. عمرو خالد من عوامل التعايش الاجتماعي المزدوج في الإسلام: حرية العقيدة: ((حرية الفكر والاعتقاد تمنع استبداد الفرد والجماعة. لقد أطلق الإسلام العنان للفكر وحث البشر أن يعملوا الفكر وأن يعتنقوا ما يريدون. لا أحد يمكن أن يجبرهم على التخلي بما يعتقدون. وبذا فإن المسلمين ليسوا مطالبين بإجبار الآخرين على الأخذ بفكرهم وعقيدتهم، لأن هذا ليس شأن المسلمين، والحكم هنا ليس في هذا العالم وإنما الأمر امتياز لله يوم الحساب. والقرآن يوضح: ﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ [الحج: ٦٨ – ٦٩].

يخاطب الله – تعالى – رسوله – صلى الله عليه وسلم – عن أهل الكتاب: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ

(١) موقع محطة البي بي سي العربية http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east الدوحة، الأحد ٢٦ فبراير ٢٠٠٦م.

﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥].

يوضح الإسلام أن اختلاف الناس حول الدين حقيقة أخذت مكانها بمشيئة الله. وإن الله – تعالى – قد كفل لعباده تلك الحرية وذلك الاختيار فيما يفعلون وفيما يدعون: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[الكهف: ٢٩]))[1].

وليس الأمر كذلك، فليس لهم إلا سلوك أحد الطريقين وهو الإيمان، أو النار، لا خيار غير ذلك، وآية الكهف التي أوردها هي بعينها ترد على من قال: أن الإسلام قد أطلق العنان للفكر وحث البشر أن يعملوا الفكر، وأن يعتنقوا ما يريدون، وأن الله – تعالى – قد كفل لعباده تلك الحرية وذلك الاختيار فيما يفعلون وفيما يدعون.

قال الشيخ السعدي – رحمه الله – عند تفسير الآية: ((﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ أي: لم يبق إلا سلوك أحد الطريقين، بحسب توفيق العبد، وعدم توفيقه، وقد أعطاه الله مشيئة بها يقدر على الإيمان والكفر، والخير والشر، فمن آمن فقد وفق للصواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجة، وليس بمكره على الإيمان، كما قال – تعالى -: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]، وليس في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ الإذن في كلا الأمرين، وإنما ذلك تهديد ووعيد لمن اختار الكفر بعد البيان التام، كما ليس فيها ترك قتال الكافرين. ثم ذكر – تعالى – مآل الفريقين فقال: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ بالكفر والفسوق والعصيان ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ أي: سورها المحيط بها، فليس لهم منفذ ولا طريق ولا مخلص منها، تصلاهم النار الحامية))[2].

ومما ذكره د. عمرو خالد من التوصيات في نهاية الرسالة، قوله: ((حماية التعايش المشترك بين المسلمين وغير المسلمين بسياج منيع من الاحترام المتبادل والثقة فلا ينحرف التعايش السلمي عن مساره الطبيعي لأي سبب من الأسباب، ولا يكون لمصالح طرف من

(١) الإسلام والتعايش مع الآخر، د. عمرو خالد، بريطانيا، مكتبة جامعة ويلز، ٢٠١٠م، أصل الرسالة، ص٢٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ ص٤٧٥.

الأطراف أسبقية دون الآخرين. هذا الأمر يتطلب الاستعانة بالعوامل العامة، القيم المعتدلة، الأفكار والمبادئ التي لا جدال حولها والتي تعززها الديانات المنزلة.

فيما يتعلق بهذا الشأن إعلان المبادئ بشأن التسامح الصادر في ١٦ نوفمبر ١٩٩٥م، والذي يربط بين التسامح وحقوق الإنسان. المادة الأولى من هذه الوثيقة الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) تتناول مفهوم التسامح الذي يشمل التالي:

١. التسامح هو احترام وقبول وتقدير تنوع ثقافات عالمنا.
٢. التسامح موقف يعززه الاعتراف بالحقوق العالمية للإنسان.
٣. التسامح مسؤولية لحفظ الإنسان، والتعددية التي تشمل التعددية الثقافية، الديمقراطية، وحكم القانون ...
٤. تطبيق التسامح يعني أن الفرد حر في اعتناق الذي يريد بحسب قناعته، وأن هذا الفرد يقبل بأن للآخرين خيارهم. التسامح يعني أن لا تفرض آراء فرد على آخرين))[1].

والحرية المزعومة في اعتناق واعتقاد ما يريده الإنسان من الدين، أمر لا يُقره الإسلام، بل يوجب توحيد الله والإخلاص له – سبحانه وتعالى –، والالتزام بدينه والدخول في الإسلام والبُعد عما حرم الله، يقول الشيخ بن باز – رحمه الله –: ((الإسلام لا يقر حرية العقيدة. الإسلام يأمر بالعقيدة الصالحة ويلزم بها ويفرضها على الناس، ولا يجعلها حرة يختار الإنسان ما شاء من الأديان، فالقول بأن الإسلام يجيز حرية العقيدة هذا غلط. الإسلام يوجب توحيد الله والإخلاص له – سبحانه وتعالى –، والالتزام بدينه والدخول في الإسلام، والبُعد عما حرم الله.

وأعظم الواجبات وأهمها: توحيد الله والإخلاص له، وأعظم المعاصي وأعظم الذنوب: الشرك بالله – عز وجل –، وفعل ما يكفر العبد من سائر أنواع الإلحاد، فالله سبحانه يقول: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦]، ويقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ويقول عز وجل:

(١) الإسلام والتعايش مع الآخر، د. عمرو خالد، ص٢٧٧.

﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ويقول النبي الله – صلى الله عليه وسلم –: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله][١] متفق على صحته.

فَبَيَّن – عز وجل – وبَيَّن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وجوب العقيدة ووجوب الالتزام بشرع الله، وأن لا حرية للإنسان في هذا، فليس له أن يختار ديناً آخر، وليس له أن يعتنق ما حرم الله، وليس له أن يدع ما أوجب الله عليه، بل يلزمه ويُفتَرض عليه أن يستقيم على دين الله وهو الإسلام، وأن يوحد الله بالعبادة، وألا يعبد معه سواه – سبحانه وتعالى –، وأن يؤمن برسوله محمد – عليه الصلاة والسلام –، وأن يستقيم على شريعته، ويوالي على هذا ويعادي على هذا وأن يقيم الصلاة كما أمر الله، وأن يؤدي الزكاة كما أمر الله، وأن يصوم كما أمر الله ويحج كما أمر الله.

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود – رضي الله عنه – قَالَ: [يا رَسُولَ اللَّهِ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال قلت له إن ذلك لعظيم قال قلت ثم أي؟ قال ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال قلت ثم أي؟ قال ثم أن تزاني حليلة جارك، فأنزل الله في هذا قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ﴾][٢]، فدل ذلك على أن توحيد الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتحريم القتل وتحريم الزنا أمر مفترض لابد منه، وليس لأحد أن يشرك بالله، وليس له أن يزني، وليس له أن يسرق، وليس له أن يقتل نفساً بغير حق، وليس

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ﴾، حديث رقم (٢٥)، ج١ص٢٩ ومسلم، ١كتاب الإيمان، ٨ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم (٣٦)، ج١ص٥٣.

(٢) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾، حديث رقم (٤٧٦١)، ج١١ص٥٤٥. ومسلم، ١كتاب الإيمان، ٣٧ باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها بعده، حديث رقم (١٤١)، ج١ص٩٠.

له أن يشرب الخمر وليس له أن يدع الصلاة، وليس له أن يدع الزكاة وعنده مال الزكاة، وليس له أن يدع الصيام وهو قادر على صيام رمضان إلا في السفر والمرض، وليس له أن يترك الحج وهو قادر على أن يحج مرة في العمر، إلى غير ذلك.

فلا حرية في الإسلام في ذلك، بل يجب أن يلتزم الإنسان العقيدة الصحيحة ويدع ما حرم الله نعم له حرية في الأمور المباحة التي أباحها الله له، له حرية في الأمور المستحبة التي لا تجب، فلو شاء تركها لا بأس، والمباح إن شاء فعله الإنسان وإن شاء تركه أما ما أوجب الله عليه فيلزمه فعله، وما حرمه الله عليه فيلزمه تركه، وليس له أن يعتنق الشيوعية أو النصرانية أو اليهودية أو الوثنية أو المجوسية ليس له ذلك بل متى اعتنق اليهودية أو اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو الشيوعية صار كافراً حلال الدم والمال، ويجب أن يستتاب، يستتيبه ولي الأمر المسلم الذي هو في بلده فإن تاب ورجع إلى الحق وإلا قتله لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: [مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ][(١)] ... فمن بدل دينه دين الإسلام بالكفر يجب أن يقتل إذا لم يتب، فبهذا يعلم أنه ليس للمسلم حرية أن يترك الحق وأن يأخذ بالباطل أبداً، بل يلزمه الاستقامة على الحق ويلزمه ترك الباطل، وعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وينصح لله ويدعو إلى الله – عز وجل –، وأن يحذر ما حرم الله عليه، وأن يدعو الناس إلى ترك ما حرم الله عليهم، كل هذا أمر مفترض حسب الطاقة))[(٢)].

ومبدأ التسامح الذي أورده د. عمرو خالد ونقله ضمن توصياته واستشهد بالوثيقة الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) وتتناول مفهوم التسامح: والتسامح هنا ليس المقصود منه المسامحة والعفو وغُفران الزلات للآخرين وغض الطرف عن أخطائهم، إنما هو تسامح من نوع آخر يختص به الليبراليون في هذا الزمان وكثيراً ما يدندنون به، ويتضمن ما يلي:

---

(١) البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، حديث رقم (٦٩٢٢)، ج١٧ ص٣٣٤.

(٢) فتاوى نور على الدرب، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (المتوفى:١٤٢٠هـ)، ١١٥ الإسلام يدعو للعقيدة الصحيحة، الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، www.alifta.net.

١. أحد أخلاقيات وقيم الليبراليين الاجتماعية، التي تمثل رؤية مثالية ومبدأً اجتماعياً لديهم.
٢. تشجيع الحريات الأساسية التي تدعم حرية التعبير والعبادة الدينية، وقبول التنوع الأخلاقي والثقافي والسياسي. وكلها ضمانات لانتشار التسامح كثقافة.
٣. قيمة تقتضي من الفرد والمجتمع والدولة تقبل طريقة الآخر في التفكير أو التصرف بشكل مختلف، واحترام حريات الآخرين أيا كانت نوعيتها سواء فكرية كانت أم سياسية أم اقتصادية، وغيرها من الحريات وقبول الآخر، وترك الناس يفكرون ويتكلمون بأسلوب قد لا يتفق مع المرء.
٤. يرتبط مفهوم التسامح بمفهوم التعددية، فتعدد القيم والآراء والمصالح من القيم والفضائل الإنسانية، وأمر طبعي وضروري، وفقاً للرؤية الليبرالية.
٥. عدم الإيمان بالرقابة، أو أي وسيلة لمنع حرية التعبير في المجتمع، حتى لو كان ذلك تحدياً لثوابت المجتمع أيا كانت.
٦. التسامح لدى الليبراليين. يُدافع عن الحرية الدينية للمذاهب المختلفة التي تُمثل أولى إرهاصات دعم الليبراليين لقيمة التسامح تجاه الآراء المخالفة[1].

وهو مبدأ خطير، يتعارض مع ثوابت الإسلام، ومع عقيدة الولاء والبراء، ويصبح المتسامح هنا هو المفرط في عقيدته ودينه. ولذا وجب الاستفصال عن مدلوله ومؤداه وما يُفضي إليه خصوصاً في عقيدة المسلم وعزته وكرامته وقال الدكتور أحمد القاضي: ((إن مفهوم التسامح الذي يتكئ عليه دعاة التقريب مفهوم فضفاض يتضمن حقاً وباطلاً يحتم ضرورة الاستفصال عن المدلول المراد: فإن أريد بالتسامح: العفو والصفح في المعاملة بالتنازل عن بعض الحقوق الشخصية مالية أو معنوية، أو ما يحيله الشرع الإسلامي إلى اجتهاد ولاة أمور المسلمين في معاملة الحربيين من المنِّ أو الفداء، حسب ما تقتضيه السياسة الشرعية، أو منح الذميين والمعاهدين والمستأمنين في المجتمع الإسلامي حقوقاً مدنية وإذناً في البقاء على دينهم وعباداتهم، من غير إكراهٍ لهم على اعتناق الإسلام، فهو حقٌ جاء به الإسلام وحفل به تاريخه، وفاق به جميع الأنظمة القديمة والحديثة، وقد شهد له بذلك الأعداء، فهو بهذا

(١) انظر: الليبرالية .. أيدلوجية مراوغة ..، د. هبة عزت، www.hebaezzat.com.

المدلول فضيلة خلقية، ومنهجٌ نبيل في العلاقات الدولية، والتنظيم الاجتماعي، لا يثلم عقيدة، ولا يهدر كرامة، ولا يضيع حقاً.

وإن كان التسامح يعني المداهنة، وإعطاء الدنية في الدين، وتسوية المسلمين بالمجرمين، وإدانة سبيل السابقين الأولين من المؤمنين، وإباحة جناب المجتمع المسلم لجحافل المنصرين والملحدين لإشاعة الفاحشة الفكرية والخلقية في الذين آمنوا، باسم "الحرية الدينية" و"التعددية الثقافية"، و"التنوع الحضاري"، وما شابهها في زخرف القول، بحجة تحسين صورة الإسلام والمسلمين في أذهان الغربيين، فما هذا بتسامح بل خنوع واستجداء، ونزع للباس التقوى))[1].

ومن البرامج كذلك الخادشة لعقيدة الولاء والبراء تلك السفريات والمعسكرات المختلطة والمقامة في بلد الكفر، فقد أقام عمرو خالد معسكراً في بريطانيا جمع فيه الفتيان والفتيات فوق سن العاشرة، ويتضح من إعلان البرنامج بعض أهدافه وما اشتمل عليه من فعاليات: Training Camp Amr Khaled Summer مخيم عمرو خالد الصيفي (استمتع بأحلى أسبوعين في بريطانيا مع عمرو خالد) (للأسف العدد محدود يا تلحق يا ما تلحقش).

البرنامج: برنامج صيفي للفتيان والفتيات لصيف ٢٠١٠ بريطانيا. فوق سن ١٠ سنوات لغاية ١٧ سنة ويستمر لمدة أسبوعين. في الفترة ما بين ١٠-٢٤ يوليو. المكان: مدينة برمنجهام ونور فولك))[2].

ومن مظاهر ضعف عقيدة الولاء والبراء أيضاً حضور الداعية عمرو خالد لاحتفالات النصارى الأقباط بعيد ميلاد المسيح - عليه السلام -، وحضوره هذا أيضاً يأتي في إطار دعوته للتعايش مع الآخر، ((كتب شريف الدواخلي القاهرة: - من قلب كاتدرائية الأقباط بالقاهرة التي بادر بالذهاب إليها لتهنئة الأقلية القبطية المصرية بعيد الميلاد، أعرب الداعية المصري عمرو خالد عن خوفه على مصير البلد من تداعيات الحوادث الطائفية التي تشهدها بين الحين والآخر.

---

(١) دعوة التقريب بين الأديان، أحمد القاضي، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، الطبعة: الأولى، ص ٣٣٣.

(٢) مخيم عمرو خالد الصيفي Training Camp Amr Khaled Summer موقع الفيسبوك Face book ٢٠١٠م.

وفي تصريح خاص لــ"إسلام أون لاين. نت" على هامش حضوره الاحتفال بأعياد الميلاد مساء الأحد ٢٠٠٨/١/٦م، قال خالد: "أتيت بمبادرة شخصية، فلم يدعني أحد، والحقيقة أنني جئت إلى مقر الكاتدرائية المرقسية لكي أبدأ التنفيذ العملي لبرنامجي: دعوة للتعايش" وأعرب عن اعتقاده أن "بداية هذا التعايش تتمثل في مشاركتنا للإخوة الأقباط في أفراحهم"، وتساءل مؤكداً: "وهل هناك مناسبة أفضل من عيد ميلاد المسيح – عليه السلام –؟"))(١).

بل ويضيف عمرو خالد في لقاء مصور له من داخل الكاتدرائية المرقسية، قوله: ((لماذا أنا جئت إلى هنا أنا جئت لكي أقول: عام سعيد لإخوانا الأقباط في مصر جئت أقول: سنة أجمل لنا كُلنا، لكن جئت أيضاً بمبادرة ورسالة، وضع في بالك أنا أول داعية إسلامي يأتي يبارك في مثل هذه))(٢).

ومن مظاهر ضعف عقيدة الولاء والبراء أيضاً حضور الداعية عمرو خالد لاحتفالات السفارة الأمريكية في القاهرة، حيث أوردت جريدة البديل خبراً مفاده: ((عمرو خالد .. في احتفال السفارة الأمريكية بعيد الاستقلال. الداعية الإسلامي: حضوري ليس قبولاً لسياسات أمريكا ولكنني أرفض المقاطعة. كتب: سلامة عبد الحميد من جريدة البديل: لفت حضور الداعية عمرو خالد حفل السفارة الأمريكية بعيد الاستقلال الانتباه، مساء أمس الأول، وقال عمرو خالد لــ"البديل" إنه يحضر احتفال السفارة سنوياً، مؤكداً أهمية التواصل مع أمريكا وسفارتها في مصر، نافياً أن يكون حضوره دليلاً على موافقته على السياسات الأمريكية تجاه مصر والعرب بشكل عام، ولكنه رفض أيضاً المقاطعة لأن الحوار والنقاش هو الأجدى دائماً – علي حد قوله وانتقد عمرو أديب حضور الداعية الإسلامي عمرو خالد في الحفل، وقال: أنا أحضر مش مهم، أو أي حد ثاني لكن حضوره هو يحمل الكثير من المعاني والكثير من الرسائل، ولا أعتقد أن قراره بتلبية الدعوة كان سليماً))(٣).

---

(١) شريف الدواخلي، ٢٠٠٨/٠١/٠٧م، موقع أون إسلام www.onislam.net/arabic/newsanalysis

(٢) الحقيقة وراء ذهاب عمرو خالد للكنيسة، النص كما هو باللهجة المصرية، موقع اليوتيوب، www.youtube.com/watch.

(٣) سلامة عبد الحميد، جريدة البديل، عدد ٢٠٠٨/٠٧/٠٤م. بتصرف يسير، www.Elbadeil.com.

ومن تلك المظاهر أيضاً المنافية للولاء والبراء حضوره لحفل تكريم مجلة التايم الأمريكية التي كرمته ضمن ١٠٠ شخصية على مستوى العالم ((اختارت مجلة "تايم" الأمريكية الداعية المصري البارز عمرو خالد ضمن قائمتها السنوية لــ١٠٠ شخصية أكثر تأثيراً في العالم، وتطلق تايم قائمة الأشخاص الــ١٠٠ الذين يشكلون عالمنا (The people who shape our world) بحسب وصفها مع بداية شهر مايو من كل عام وذلك للعام الــ٤ على التوالي. ولا تورد المجلة ترتيباً لهذه الشخصيات المائة ولا تبرر بالضرورة سبب اختيارها الشخصيات، مكتفية بالقول إنها تريد تكريم "الرجال والنساء الذين يغيرون وجه العالم بسلطتهم أو بموهبتهم أو بأخلاقهم".

وفي تفسيرها لاختيار خالد ضمن الشخصيات الــ١٠٠، ذكرت "تايم" ما جعل عمرو خالد يستحق هذه المكانة هو رعايته لمؤتمر حوار الأديان في العاصمة الدانمركية (كوبنهاجن) في مارس ٢٠٠٦م بعد الجدل الذي أثير بعد أزمة الرسوم الدانمركية المسيئة للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم –". وقالت "تايم" إن "عمرو خالد ليس اسماً مألوفاً في الغرب، ولكن بالنسبة لقطاع من العالم الإسلامي فإن المصري البالغ من العمر ٣٩ عاماً هو نجم ساطع". ولفتت المجلة إلى أن نموذج "صناع الحياة" لعمرو خالد شجع المسلمين على تنفيذ خطط عملية من أجل تغيير حياتهم ومجتمعاتهم من خلال الإسلام، كما شجعهم أيضاً على الانسجام بسلام مع الغرب. ويُعتبر خالد بحسب المجلة الأمريكية "صوتاً هاماً للاعتدال من داخل العالم الإسلامي"))[(١)].

والغريب في الأمر أن عمرو خالد يرى أن اختياره ضمن قائمة المجلة رسالة له على سلامة منهجه وأنه يسير على الطريق الصحيح، فقد قال في لقاء مع جريدة الشرق الأوسط: ((ليس لي أن أسعد باختيار المجلة ولكنني بالفعل أشعر بالسعادة لهذا الاختيار الذي جاء بعد عام طويل تعرضت فيه لكثير من الانتقادات، ولهذا شعرت بمجرد إبلاغي بالخبر وكأنها رسالة بأنني على الطريق الصحيح))[(٢)].

---

(١) إسراء نعماني، مجلة التايم، عدد الخميس ٢٠٠٧/٠٥/٠٣م. www.time.com.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، الخميس ٠١ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ – ١٧ مايو ٢٠٠٧م العدد =

٤. بعض المسائل العقدية التي أخطأ فيها عمرو خالد وخالف فيها الصواب:

- دعوته لشدِّ الرحل لزيارة قبر النبيِّ - صلى الله عليه وسلم -؟ قال عمرو خالد في شريط: الحج - باللهجة المصرية -: (عادة الناس أول ما تنزل المدينة عادة فخلُّونا نبدأ الرحلة كدا أنت الآن متجه إلى المدينة الحقيقية يا ترى هاه مشاعرك حتبقى إيه، تعالوا نتكلم أول ما نتكلم عن المدينة يبقى نتكلم عن زيارة النبي - صلى الله عليه وسلم - أنت رايح تقابل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، على فكرة أقول حاجة لطيفة وأنت طالع من هنا خذ نية زيارة النبي أصل كل الناس تأخذ نية إيه؟ الحج أو العمرة ماشي صح رقم واحد، الحج والعمرة فاكرين في الدرس اللِّي فات لَمَّا قلنا نبقى تجار نيّات، نمرة اثنين آخذ نية إيه؟ رايح عند لقاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رايح أزور النبي - صلى الله عليه وسلم - تأخذ النية دِيَّن في حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - من جاءني يزورني كان حق على الله سبحانه أن أكون له شفيعاً ...).

-دعوته إلى الاستغاثة بعمر بن الخطاب: دعاء زائر قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا سلم على عمر أن يقول: (محتاجين لك يا عمر)، فقال في شريط (الحج) - باللهجة المصرية -: واخط خطوة، السلام عليك يا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هاه وافتكر عمر بن الخطاب محتاجين لك يا عمر، وقول اللي في قلبك) أ.هـ.

-دعوته إلى حرية الاعتقاد: قال باللهجة المصرية: ((... تعالوا نمسك حاجة تالتة، الإسلام وحرية العقيدة!! تعبد اللي أنت عايزه"، وقال "الصحابة كفلوا حرية العقيدة))، وقال: الإسلام رحمة مع الأديان الأخرى أ.هـ. ألقاها في محاضرة في المدينة الرياضية في بيروت بتاريخ ٢٠٠٢/٣/١١م وقد فسر الآية الكريمة: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف: ٢٩]، حين ذهب إلى الدنمارك فسرها على أنها تكفل حرية الكفر. وفي نفس المحاضرة قال عمرو خالد: (إن المسلمين أخذوا الجزية من الكفار ليدافعوا عنهم وليس ليذلوهم ولما عجزوا عن حمايتهم ردوا لهم المال).

=

١٠٣٩٧. www.aawsat.com.

الرد: كيف ذلك والله – تعالى – يقول: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، أي أذلاء والحرية المزعومة في اعتناق واعتقاد ما يريده الإنسان من الدين، أمر لا يُقره الإسلام يقول الشيخ بن باز – رحمه الله –: ((الإسلام لا يقر حرية العقيدة. الإسلام يأمر بالعقيدة الصالحة ويلزم بها ويفرضها على الناس، ولا يجعلها حرة يختار الإنسان ما شاء من الأديان، فالقول بأن الإسلام يجيز حرية العقيدة هذا غلط. الإسلام يوجب توحيد الله والإخلاص له – سبحانه وتعالى –، والالتزام بدينه والدخول في الإسلام، والبُعد عما حرم الله.

وأعظم الواجبات وأهمها: توحيد الله والإخلاص له، وأعظم المعاصي وأعظم الذنوب: الشرك بالله – عز وجل– وفعل ما يكفر العبد من سائر أنواع الإلحاد، فالله سبحانه يقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، ويقول سبحانه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ويقول – عز وجل –: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥] ويقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله][(1)] متفق على صحته.

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود – رضي الله عنه – قَالَ: [يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت: ثم أي؟ قال: (أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك) قال: ثم أي؟ قال: (أن تزاني حليلة جارك)، فأنزل الله في هذا قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾][(2)]

---

(١) البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾، حديث رقم (٢٥)، ج١ص٢٩ ومسلم، ١كتاب الإيمان، ٨ باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم (٣٦)، ج١ص٥٣.

(٢) البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾، حديث رقم (٤٧٦١)، ج١١ص٥٤٥. ومسلم، ١كتاب الإيمان، ٣٧ باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان =

فدل ذلك على أن توحيد الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتحريم القتل وتحريم الزنا ــ أمر مفترض لابد منه، ...

وليس له أن يعتنق الشيوعية أو النصرانية أو اليهودية أو الوثنية أو المجوسية، ليس له ذلك بل متى اعتنق اليهودية أو اليهودية أو النصرانية أو المجوسية أو الشيوعية صار كافراً حلال الدم والمال ويجب أن يستتاب، يستتيبه ولي الأمر المسلم الذي هو في بلده، فإن تاب ورجع إلى الحق وإلا قتله لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: [مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ][(1)] رواه البخاري في الصحيح. فمن بدل دينه دين الإسلام بالكفر يجب أن يقتل إذا لم يتب، فبهذا يعلم أنه ليس للمسلم حرية أن يترك الحق وأن يأخذ بالباطل أبداً، بل يلزمه الاستقامة على الحق ويلزمه ترك الباطل ...))[(2)].

-الجلوس إلى المبتدعة والسفر معهم بل ويدعو الشباب إلى سماع واتباع الحبيب الجفري وهو يعلم حقيقته المنحرفة المضلة.

ثانياً: **مجال الفقه:** وبداية أركز على مفهوم الانحراف في التدين وظاهرة التدين الجديد، والعوامل المؤثرة في تنامي هذه الظاهرة في أوساط أبناء الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر، وهم الشريحة الأكثر استهدافاً في خطاب عمرو خالد، وترى دراسة باتريك هاني: ((أن نموذج عمرو خالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب والطبقات العليا في مصر، ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر، بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين وفي ألا تحمل شعوراً بالذنب أو إحساساً بالتقصير يدفعها إلى إعادة النظر في وضعها الاجتماعي وما يكفله لها من امتيازات لا تتاح للطبقات الأقل، وهو تدين ذو مواصفات خاصة لن تجده هذه الشرائح في خطاب

أعظمها بعده، حديث رقم (١٤١)، ج١ص٩٠.

(١) سبق تخريجه ص ٢٦٩.

(٢) فتاوى نور على الدرب، ١١٥ الإسلام يدعو للعقيدة الصحيحة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، www.alifta.net مختصراً.

الشيوخ التقليديين))[١].

وسأتطرق هنا لبعض المسائل الفقهية التي خالف فيها الدكتور عمرو خالد فيها أهل العلم في خاصة نفسه ومما فيه اهتداء واقتداء من الناس به، ومما حدا ببعض الناس بعد ذلك أن يترك ما هو عليه من الصواب في بعض المسائل لُيقلد عمرو خالد ووجود ظاهرة عمرو خالد ومن تأثر سببه به بعض فقهاء الرخص، أو بعض الآراء الفقهية المتساهلة والتي حسنت لهم ترك ما كانوا عليه من التمسك بأمور الشريعة إلى التهاون فيها كحلق اللحية، وترك الحجاب والاختلاط بين الجنسين.

يقول أحمد زين: إن ((البراح في المساحات الفقهية للعلماء الذين ينتهجون التيسير والتسهيل على المسلمين، فوجد هؤلاء المتدينون رأياً متساهلاً في كل قضية فقهية، ولا جناح عليهم في انتهاجه، فهو رأي فقهي معتبر من عالم معتبر.. ويضيف: وأنا أرى أن ظاهرة القص واللصق من الفتاوى والاجتهادات تجري على أشدها لإكساب المشروعية لكثير من الأفعال التي درج الشباب عليها، فبدلاً من أن يتنازل عن عادات ما قبل التدين إذا به يحاول أن يجد لها مبرراً شرعياً محترماً))[٢].

بل إن الأمر تجاوز ذلك، بتهاون البعض بما كان متمسكاً به من أمور الشريعة والذي أدخلهم في سلسلة من التفريط، يقول الدكتور محمد بن رزق بن طرهوني: ((بدأ بعض هؤلاء في التفريط في التمسك بأمور من الشريعة بسبب قناعات تولدت لديهم من سماعهم لعمرو خالد فالتي كانت محجبة حجاباً شرعياً سليماً تهاونت واكتفت بحجاب عمرو خالد والتي كانت تتجنب الاختلاط ترخصت فيه والتي كانت لا تشاهد المسرحيات بدأت تشاهدها والذي كان مطلقاً للحيته حلقها أو قصرها والذي كان يتحرج من النظر للنساء والتحدث إليهن ترخص في ذلك وهلم جرا))[٣].

---

(١) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٣) ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة مشـــكاة الإسلامية، ص١٠.

وهذا الانحراف في الجانب الفقهي أسهم بصورة غير مباشرة في نشوء وتنامي هذه الظاهرة، كما سبق معنا عند الحديث عن أسباب نشأة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين. ومن تلك المسائل الفقهية على سبيل الإجمال لا الحصر:

حلق اللحية: والدكتور عمرو خالد داعية إلى الله، وأعظم قدوة وأسوة له هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومع ذلك عفا الله عنه وغفر له نجده مصر ومداوم على حلق لحيته، وسُئل عمرو خالد سؤالاً يقول: ((السؤال: لو سمحت لي بالسؤال الذي يدور في بالي الآن ومنذ زمن .. لماذا لا تربّي لحية؟؟ وإن كان السؤال غير مقبول فاعذرني، وحفظك الله من كل سوء.

إجابة الأستاذ عمرو خالد: جزاك الله خيراً. سؤالك مقبول طبعاً. وموضوع اللحية يتلخص فيما يلي: اللحية سنة واجبة، لكنها إذا تعارضت مع فرض من الفروض أكبر منها فالأولوية للفرض. وهذا الفرض مثل الدعوة إلى الله. فإذا تعارضت سنة مع فريضة فالأولوية للفريضة. وحتى لو كانت اللحية فرضاً وتعارضت مع فرض أكبر منها "الدعوة إلى الله" فالأولوية للفرض الأكبر.

وهنا يأتي سؤال: هل هناك تعارض عندك بين هذه السنة والفريضة التي تقوم بها؟ فأقول: نعم يوجد تعارض منذ أن كنت في مصر. وأستأذنك أني لا أستطيع أن أبدي ما هو هذا التعارض، فإني أحتفظ بهذا الأمر لا أعلن عنه على الهواء مباشرة حتى أستمر في أداء الفرض))[1].

سماع الغناء والموسيقى: وهذا الباب من البلاء والشر المستطير الذي شاع وانتشر مع شيوع وسائل الاتصال من القنوات والشبكات وكذلك الأجهزة المحمولة في أيدي الناس، والتي يسرت لهم مزيداً من السماع للغناء والموسيقى، وعمرو خالد كما يقول عن نفسه عندما سُئل عن سماعه للغناء فقال: ((نعم طبعاً أيام ثانوي وإعدادي كنت باسمع لأغاني وبلا

(١) محمد نجاتي سليمان، مؤسس مدونات هيئة الدفاع عن الداعية عمرو خالد، أكتوبر ٢٠٠٩م. hafedelbanna.arabblogs.com.

شك إنه ممكن من حين لآخر أكون باسمع أغنية، لكن الوقت ضيق، لكن يعني بالشكل العام وما الأغنية وما الكلام الذي يُقال))[1].

وفي جواب له مكتوب في رسالة عن مسالة الغناء والموسيقى، فكتب: ((أخي الحبيب: هناك رأيان للعلماء في هذه القضية الأول: كونها حرام وأنها مزمار الشيطان والثاني: أنها حلال ولكن بشروط وضوابط :

١. ألا تكون موسيقى صاخبة.
٢. ألا تكون مائعة تثير الغرائز.
٣. ألا تلهي عن ذكر الله – تعالى –، فتصير من القضايا ما يلهى المستمع عن ذكر الله – تعالى –.
٤. ألا يصحبها مجون.
٥. أن يكون الكلام المصاحب للموسيقى حلالاً فلا يحمل دعوة لحرام أو لشبهة وألا يشتمل على كلام غير جائز.
٦. وليسأل المرء نفسه هل قرأ ورده هل قال الأذكار قبل أن يصرف وقته في السماع للأغاني.

فإن تحققت تلك الشروط فلا بأس من السماع بقدر لا يلهي القلب ولا يملأه بما يشغله عن الله – تعالى – وذلك عند القائلين بالجواز.

وأنا أميل للرأي الثاني وإن كنت على نفسي أنفذ الأول فمن الأفضل ملء الوقت بما ينفعنا يوم القيامة. ولمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع لكتاب فتاوى معاصرة أو الإسلام والفن لفضيلة الشيخ يوسف القرضاوي. والله أعلم وجزاكم الله خيراً))[2].

اختلاط النساء بالرجال: وهذا ظاهر من شخص أخينا عمرو خالد – غفر الله له – فمجالسته للنساء المتبرجات والتحدث إليهن بدون أي تحفظ وعينه تنظر إليهن دون خجل

---

(١) عمرو خالد، لقاء مع قناة المستقبل اللبنانية، ٣ مارس ٢٠٠٥م، مقطع يوتيوب. بتصرف.

(٢) فتوى عن الغناء والمعازف، عمرو خالد، السبت ٣ سبتمبر ٢٠٠٥م، منتديات yahoo مكتوب.

ولا وجل ويتبادل معهن الابتسامات والضحكات والتعليقات وكأن إحداهن امرأته أو إحدى محارمه.

ومن ذلك برنامج (كلام من القلب عمرو خالد يستضيف سهير البابلي) فيه لقاء استضاف فيه عمرو خالد، الممثلة السابقة (سهير البابلي) في جزأين، وصورته وصورها على غلاف الشريط. وحضوره المجالس المختلطة وجمعه الرجال والنساء في قاعة أو مسرح واحد المتبرجة بتبرجها والمتزينة بزينتها، وذلك في أغلب لقاءاته ومحاضراته وأمام كاميرات التصوير، والتي تبث على الهواء أحياناً، ولا يرى في ذلك بأساً، حتى قال بعضهم: ((والله إنّا لا نتابع دروسه لأجل الوعظ وإنما من أجل رؤية النساء ... وقال بعضهم وهو يشاهد برامج عمرو خالد إن أحسن ما فيه ليس عمرو خالد .. بل تركيز المصور على الحسناوات في القاعة إما يضحكن أو تنساب الدموع على خدودهن وهذا ما يشدني لبرنامجه ...))[١].

ومنبع ذلك وسببه أنه يرى جواز اختلاط الرجال بالنساء علاوة على ممارسته إياه، فيقول: عندما سُئِل في ثنايا لقاء معه تحت بعنوان: كيف كان زفاف الداعية عمرو خالد؟ وحديثه عن الفرق بين الاحتفال بزفاف ابنة النبي – صلى الله عليه وسلم – فاطمة – رضي الله عنها – وأفراح اليوم، أنه خلا من المعصية، فسأله المحاور: ((ماذا تقصد بالمعصية؟ فأجاب: لا أقصد بالمعصية اختلاط الرجال بالنساء في الفرح ففي فرح فاطمة شارك الرجال والنساء معاً في الاحتفال بزفاف فاطمة. وقال في درس له: إن الصحابة كانوا يجتمعون رجالا ونساءً في دار الأرقم!! ويؤكد ذلك بقوله: ضع في بالك رجال ونساء لا يوجد حاجز بينهم!! وهذه دعوة للاختلاط الصريح ونسبته إلى صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فلا يوجد في السيرة ما يثبت أن النساء كانوا مع الرجال في دار الأرقم ألبتة. وحتى لو ثبت هذا فأين تدريج التشريع؟))[٢].

---

(١) الداعية عمرو خالد في ميزان الكتاب والسنة، ١٥/٤/٢٠٠٦م، شبكة أنا المسلم، www.muslm.net.

(٢) الداعية عمرو خالد في ميزان الكتاب والسنة، ١٥/٤/٢٠٠٦م، النص كما هو باللهجة المصرية، شبكة أنا المسلم، www.muslm.net. بتصرف يسير.

الحجاب: الذي لا يرى الدكتور عمرو خالد وجوبه ويرد على امرأة في اتصال هاتفي في قناة اقرأ في برنامج مجلة المرأة المسلمة: فيقول: ((لا تريدي أن تتحجبي، ليست مشكلة، ولكن احذري الملابس الضيقة))[1].

وكرر في محاضرة عامة له عن الحجاب قوله: ((ليس لازماً أن تتحجبي من اليوم، لكن أرجوك لازم تلبسي حلو من اليوم))[2].

ومن آثار ومظاهر دعوة الدكتور عمرو خالد أن الحجاب اتخذ أشكالاً جديدة تحت ضغط الموضة والأناقة بما يتوافق البيئة المحيطة والمناشط المشتركة، يقول أحمد زين: ((مما يلفت النظر الآن - مثلاً وليس حصراً - أن كثيراً من السيدات والفتيات المنتسبات للحركة قد استبدلن بـ(الخمار التقليدي) الذي تعود عليه المجتمع المصري والذي كانت توصف كل من تلبسه بـ(الأخت) .. استبدلن به غطاء الرأس والصدر القصير المتعدد الأنماط والألوان. هذا التغير وإن أخذ شكلاً مظهرياً إلا أنه ينبئ عن حراك ما، هذا الحراك ربما يكون تم تحت ضغط الأناقة التي يبدو عليها حجاب المتدينات الجدد، وانخراط الكثيرات منهن في مناشط الحركة، وربما تحت ضغط الانفتاح على أشكال الحجاب المختلفة (الإيراني والخليجي والأوربي ...)، التي وسعت الخيارات أمام هذا الجمهور الذي تعود على نمط واحد من الاختيارات. ولكنه في رأيي يبقى تأثراً بالتدين الجديد، وثورة على النمط التقليدي))[3].

وهذه التطورات المتلاحقة والمتغيرات المتسارعة في جوانب المرأة واختلاطها بالرجال وفي جوانب الحياة الاجتماعية الأخرى تحت ضغط الواقع والتي صهرت كثيراً الناس في بوتقة واحدة وشكلتهم وفق معطيات المدينة الحديثة، وأصبح الناس داخل عجلة الحياة وكأنهم يُقادون ويُوجهون وفق ما يريد عدوهم فيما يقرأون ويسمعون ويشاهدون وكذلك ما يلبسون ويسكنون بل وصل الحال ببعضهم حتى فيما يأكلون ويشربون، وصيغت حياة

(١) ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص ٣. النص الأصل باللهجة المصرية. بتصرف.

(٢) عمرو خالد، مقطع يوتيوب. www.youtube.com النص الأصل باللهجة المصرية، بتصرف.

(٣) أثر المتدينين الجدد على الحركة الإسلامية، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

شريحة كبيرة من الناس على خلاف الشرع المطهر وخاصة الشباب والفتيات، وأصبح بعضهم من حيث لا يشعر مسخاً، مقلداً متبعاً لغيره، لا تكاد تحدد هويته أو هويتها، وهذا خطر داهم ومؤشر نذارة للمصلحين والمربين أن يتداركوا أنفسهم وأبناءهم ومجتمعهم وأمتهم مما يُراد لهم ويُمكر بهم.

ثالثاً: **مجال السلوك**: والسلوك للفرد المسلم يُعتبر ثمرة لتدينه، فهو بمثابة المخرج الحقيقي والصافي النقي غير المتكلف لمدخلات كثيرة جداً من المعارف والمواقف اجتمعت في قلب هذا الإنسان ورُوحه وخُلُقِه، وشكلت في ذلك الإنسان شخصية معينه لها خصائصها ومواصفاتها، ومن خلال يعبد الله ويقف عند حدوده ويتعامل مع عباده في ضوء ذلك السلوك الذي يدين لله به وعندما ينحرف ذلك السلوك، فإنه يدل على خلل في التدين، وخلل فيما وراء ذلك التدين من تلك المعارف والمواقف التي أسهمت في صناعة شخصية الفرد.

وظاهرة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين أفرزت سلوكيات منحرفة تُخالف مفهوم التدين الصحيح، ومن تلك السلوكيات المعتاد عليها والتي أصبحت جزءاً من الحياة ما يلي:

أولاً: البحث عن الرخص، وأخذ الفتاوى عن الفقهاء المتسامحين، بمبرر تسامحهم ليس إلا وعدم الاعتماد على البحث والعلمية الموضوعية في انتقاء الأقوال، وإهمال النصوص والبحث عن الرخص وتتبعها بشكل واضح!.

ثانياً: مظاهر مخالفة الشريعة في السلوك وإهمال بعض الواجبات بدعوى تقسيم الدين إلى قشور ولباب، ومن ذلك اللباس والزينة للشباب والفتيات، فتجد في ملابس الشباب تشبهاً بالنمط الغربي بصورة واضحة، وبعض الفتيات المتدينات يظهرن بالأزياء ذات الزينة والجمال مع حجاب (الشعر فقط)، وخصصت إحدى القنوات الفضائية المنتسبة للإسلام برنامجاً عن الأزياء لتقديم "الموضة" التي يمكن أن تظهر بها المرأة المسلمة في الشارع والعمل.. مع وجود مقدمة وعارضات أزياء "إسلاميات"!!.

ثالثاً: الاختلاط الذي أصبح سلوكاً شائعاً وسمة بارزة في أوساط الشباب والفتيات المنتمين لظاهرة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين والمعروف ب "التدين الجديد"، وذلك في الجامعات والمعاهد، وأصبح الخروج في رحلات مشتركة أمراً معتاداً في بعض المجتمعات!

وتعد هذه الرحلات برامج دعوية "يجدد فيها الإيمان"! وكذلك ما يحصل في البرامج التلفزيونية التي يقوم عليها شباب من الجنسين ليتناولوا مسائل دينية ونفسية وتربوية من منظور "إسلامي"، مع تبادل الحوار والطرفة والجلسة "الأخوية"! من مثل برنامج "يلا شباب" على الــ M.B.C وغيرها.

رابعاً: تسويغ بعض المخالفات الواقعة في المجتمع وصبغها بالصبغة الدينية في بعض الأحوال، أو إعطاءها الشرعية بحجة أنها صور من الإبداع في مجال التصوير والنحت أو القصة والرواية والشعر، ويرون أنه لا صلة للدين في الحكم عليها، وقد يصل الأمر إلى الحكم على أقوال وأفعال منافية للعقيدة.

خامساً: التعايش الكامل مع الكافر ونقض مفهوم الولاء والبراء وكسر الحواجز النفسية معه من خلال السلوك المقدم ونشر ثقافة التسامح مع الكفار والمبتدعة، دون مراعاة للثوابت الشرعية تجاههم وإبداء المواقف إزاء أعمالهم! والتعامل معهم! كما يحصل في بعض المخيمات والمعسكرات الصيفية المختلطة للشباب والفتيات والمقامة في دول الكفر، وكذلك اللقاءات المتلفزة بين الشباب (مقدمي هذا النوع من البرامج) وبين شخصيات غربية تكسر الحواجز النفسية مع الكافر من خلال السلوك المقدم والثقافة المصاحبة لهذه اللقاءات!! وتجارب بعض الشباب المتداولة في تعلم اللغة من خلال العيش مع الأسر الغربية والقيم المستفادة من تلك الأسرة على مستوى الأبوين والأبناء، في طريقة حياتهم وأسلوب عيشهم وتقدم التجربة كأنموذج يُحتذى، دون أدنى تعليق على مخاطرها ومحاذيرها الشرعية.

سادساً: التناقض في الشخصية مظهراً وسلوكاً، فتجد الزي الغربي مسيطر وطاغ على الشباب والفتيات وهذا التشابه في الظاهر أورث سلوكيات أخرى ذات مسحة وثقافة غربية مثل تتبعهم وحديثهم عن الفن الإسلامي ومشاهدة "الأفلام والمسلسلات" المحافظة وسماع الأغاني الكلاسيكية أو الموسيقى غير الصاخبة، بل وصل إلى الجمع بين العادات الخاطئة القديمة والعادات الجديدة، كالعلاقات الآثمة مع الخدينات (أي الصاحبات) سلوك قائم قبل التدين!! وبعده، والفارق هو (القشور) التي يحرص عليها الطرفان في التعامل، ولذا حذر السلف رحمهم الله تعالى من مشابهة الكفار والفساق في الظاهر، فإن لذلك أثر بالغ يصل إلى

باطن الإنسان ويؤثر في إيمانه ودينه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ((إن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة ..فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة والموالاة فكيف بالمشابهة في أمور دينية فإن إفضاءها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد، والمحبة والموالاة لهم تنافي الإيمان ...))[1].

سابعاً: العناية بالعلاقات الشخصية، وحسن السلوك مع الآخرين والحرص على خصال البذل والإحسان وتقديم يد العون للآخرين والمساهمة في الأعمال والبرامج التطوعية، وكذلك العناية ببعض أعمال القلوب، في حين يتم إغفال جوانب مهمة في مسائل العقيدة والإيمان والتوحيد والولاء والبراء، وحقيقة اتباع النبي- صلى الله عليه وسلم - ودعوته، ومسائل الأحكام التي خالفها كثير من الناس اليوم حتى اندرست! وأصبحت مجهولة عندهم. وهذه السلوكيات والمظاهر تتفاوت من شخص لآخر، لكنها بطبيعة الحال موجودة وقائمة ومنتشرة في هذه الأوساط.



(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ج١ص٢٢١ .

المبحث الثاني:

أساليب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

وهذا المبحث يتعلق بالأساليب التي انتهجها وأخذ بها أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، ونحن بحاجة إلى تعريف معنى الأساليب أولاً في اللغة والاصطلاح.

الأسلوب لغةً: قال ابن منظور – رحمه الله – (((سلب): سَلَبه الشيءَ يَسْلُبُه سَلْباً.. والفعل سَلَبْتُه أَسْلُبُه سَلْباً إذا أَخَذْتَ سَلَبَه وسُلِبَ الرجلُ ثيابه.. ثم قال ويقال للسَّطْر من النخيل أُسْلوبٌ وكلُّ طريقٍ ممتدٍّ فهو أُسلوبٌ قال والأُسْلوبُ الطريق والوجهُ والمَذْهَبُ يقال أَنتم في أُسْلُوبِ سُوءٍ ويُجمَعُ أَسالِيبَ والأُسْلُوبُ الطريقُ تأْخذ فيه والأُسْلوبُ بالضم الفَنُّ يقال أَخَذ فلانٌ في أَسالِيبَ من القول أَي أَفانِينَ منه))[١].

وأما تعريف الأسلوب اصطلاحاً: فيمكن أن يعرف بـــ:

أ- في اصطلاح الدعاة: قيل: "هي الكيفيات التي يتمّ بها أداء الدعوة وتبليغها من الأمور المعنويّة الفنيّة، وأنواع المسالك التأثيرية، وهي في الغالب غير حسيّة[٢]. وعرَّفه بعضهم فقال: هي مجموع الطرق العمليّة المتّبعة في عرض الأفكار، والتي يتبعها الداعية، ويطبقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس[٣].

ب- في الاصطلاح العام: هو فنّ القول[٤]، وطريقة الإنشاء واختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير[٥]. وقيل: الأساليب: هي القوالب

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١ص٤٧١.

(٢) منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبد الله رشيد الحوشاني، الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، الطبعة:الأولى، ج ٢ص٥٤٣.

(٣) أسس الدعوة ووسائل نشرها، د. محمد عبد القادر أبو فارس، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى، ص٩٠.

(٤) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، بيروت لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٤٨م، الطبعة: الأولى، ص١٢.

(٥) الأسلوب، أحمد الشايب، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية عشرة، ص ٤٤.

والتراكيب التي تصاغ فيها المعاني[1].

وهناك من يرى أن الأساليب والوسائل، أسماء لمسمى واحد. فهي مجموع الطرق المؤدية إلى إيصال المطلوب والمراد إلى عموم المتلقين، سواءً سميت وسيلة أو أسلوباً.

وأن كل ما أوصل الدعوة فهو وسيلة دعوية، سواء سميت منهجاً أو طريقة أو أسلوباً ويبرر هؤلاء رأيهم هذا بأمور منها:

١-أن الوسائل والأساليب مشتركة في المدلول اللغوي، راجعة إلى معنى واحد وهو: "الطريق"، ولهذا أتت التعريفات الاصطلاحية للوسائل الدعوية وأساليبها كلها متقاربة، متفقة، مجتمعة في معنى واحد، وهي أن الوسيلة والأسلوب هما الطريق الأمثل الذي يمكن الداعية من إيصال مضمون الدعوة بطرق شتى.

٢-طرق الدعوة ، أو مناهج الدعوة، أو أساليبها أو وسائلها، جميعها تتحدث عن معنى واحد ، وهو طرق إيصال الدعوة.

وعليه فسيتم بإذن الله تتبع تلك الأساليب التي سلكها أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين والحديث عنها بما يوضحها:

أولاً : أساليب أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين بجانبه الفلسفي العقلاني الليبرالي:

اتخذ أصحاب هذا الفكر الفلسفي من أمثال: محمد أركون ومحمد الجابري وحسن حنفي ومحمد شحرور وجمال البنا ونصر حامد أبو زيد وحسن الترابي وخالص جلبي وطارق السويدان وعدنان إبراهيم، عدداً من الوسائل المتنوعة والظاهرة في دعوتهم، على تفاوت بينهم في استخدامها، ومنها:

١. تأليف الكتب.

٢. عقد الندوات.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، (المتوفى:٨٠٨هـ)، بيروت لبنان، دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى، ج١ ص٣٦٨.

٣. إقامة المحاضرات.

٤. خطب الجمعة.

٥. تسجيل الحوارات.

٦. تحرير المقالات الصحفية.

٧. تصوير اللقاءات والبرامج المتلفزة.

٨. إنشاء المدونات والمواقع الإلكترونية.

واتبع كذلك الفلاسفة الليبراليون، وكتاب الصحف منهم على وجه الخصوص، أساليب شتى وطرقاً منهجية متنوعة للتسويق لباطلهم، والهدف الأعظم هو الانحراف بمفهوم الدين والتدين الصحيح إلى مفاهيم منحرفة ومغلوطة تُلبس على الناس دينهم وتصرفهم عن الحق إلى الضلال من خلال هذه الأساليب المتنوعة والمتعددة، ومن تلك الأساليب، ما يلي:

الأسلوب الأول[(١)]: التشكيك في ثوابت الدين

والهدف من ذلك إبطاله ونقضه ورده إضعافه في نفوس أهله، من خلال زعزعة ثوابته وتشكيك الناس فيه، فهذا حسن حنفي يشكك في نصوص الوحي وأنها لا تُثبت شيئاً، كما يُثبتها العقل، فيقول: ((إن النص لا يثبت شيئاً بل هو في حاجة إلى إثبات، في حين لا يقف شيء غامض أمام العقل، فالعقل قادر على إثبات كل شيء أمامه أو نفيه))[(٢)].

بل ومبدأ الشك مقدم عندهم على مذهب أهل البدع وأنه لا يُسلم بكل شيء حتى مُسلمات الدين وثوابته، فيؤكد محمد المحمود على أهمية الشك وعدم التسليم بالمسلمات في عالم الفكر والثقافة ونفي اليقينيات وأنه هو الخطوة الأولى للخروج من عالم الجمود والانحطاط، فيقول: ((إن أشد ما يقتل الأفكار في مهدها، ويخص بالقتل كل بديع منها،

---

(١) أساليب ووسائل الليبراليين مخاطر وشبهات، محاضرة للشيخ د: عوض بن محمد القرني في محاضرة بعنوان، استضافتها أحدية محمد الجبر الرشيد، بالرياض، يوم الأحد الموافق ١٤٣١/٧/١هـ. www.youtube.com/watch ?v=ZFMhumFqbJo.

(٢) من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، ج١ ص٣٧٣.

التسليم بمسلمات في عالم الفكر والثقافة، وافتراض اليقيني فيما ليس بيقيني، بحيث تصبح كل القضايا، وكأنها قد ختم عليها بالقول الأخير والنهائي، وهذا يعني بوضوح ألا سبيل إلى البحث (البحث الحقيقي، وليس المصادقة على سالف الأقوال والنتائج) فيها، مما يعني الجمود في عالم الفكر، هذا الجمود الذي يقود – بدوره – إلى انحطاط عام ... ومن الطبعي أنه لا يمكن أن تفتح كثير من القضايا للبحث الحقيقي، مادام هناك يقين راسخ – لا يسمح بمساحة من الشك – أن هذه القضايا قد تم البت فيها من قبل فلان أوفلان، وحينئذ سيغدو كل (بحث!) مجرد شرح، أو توضيح، أو تأكيد، أو تلخيص لمسلمات هذا أو ذاك. مما يعني أن الخطوة الأولى تكمن في نفي اليقين عن هذه القضايا))[1].

ولهذا فهم يذمون العقل التسليمي، ويرون أهمية الشك في المسائل، وبالشك يتحرر العقل وتلك هي سمة المفكر المتسائل، كما يقول عبد الله المطيري: ((فالشك هو سمة للفكر المتسائل ... وبما أن العقل الشكاك هو من ينظر بإمعان ويفحص باهتمام فإنه قادر على التغلب على سلطة أخرى وهي سلطة الزمن (القِدَم) فتقادم الزمن على الآراء يحيطها بنوع من التقديس وإثبات الصحة المطلق. فالعقل الشكاك يلغي أو يحاول أن يلغي دور الزمن، ويحرر هذا المقولة (الفكرة) من كل الهالات المحيطة بها ... وهذا هو الحال الذي انتهى إليه الفكر العربي الإسلامي الحالي فهو لم يشك في آلية عمله، في مناهجه، في نظمه المعرفية، لم ينقدها نقداً حقيقياً بناء. ولهذا فهو لم ينظر أي لم يعد يفكر، لا داعي عنده للتفكير الجديد. فما دامت كل الحلول قد تم التوصل إليها، وبما أنه ليس بالإمكان أفضل مما كان، وما ترك الأولون للآخرين من شيء وما دامت الأمة هي أفضل الأمم وهي التي لا تجارى، فما داعي النظر إذن. والفكر العربي الإسلامي لم يبصر، وهذه نتيجة حتمية، فكيف يبصر واقعه ويحدد حالته الراهنة بدقة وهو كالمغشي عليه))[2].

---

(١) الفكر بين التطور والجمود، محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ٦٥٥، الخميس ١٤٢٥/٦/٢٥هـ – ٢٠٠٤/٨/١٢م. www.alriyadh.com.

(٢) لماذا الطرح الفكري هو الأهم؟ لماذا الفلسفة؟ عبدالله بن محسن المطيري، جريدة الوطن، العدد: ١٦٧٨، الأربعاء، ١٤٢٦/٣/٢٥هـ – ٢٠٠٥/٥/٤م. www.alwatan.com.

الأسلوب الثاني: الاستهزاء والسخرية بالله ورسوله وكتابه ووصفه بالأسطورة

وذلك من أخطر أساليبهم، والتي شاعت وتعددت مؤخراً، وأصبحت في كتبهم وعلى صفحات الجرائد ومواقع التواصل الاجتماعي، ومن أسوأ تلك النماذج على الإطلاق ما كان من كلمات الكاتب تركي الحمد القبيحة الواضحة في كفره وزندقته واستهزائه بالله وشرعه، والتي اشتمل عليها كتابه ((الكراديب)):

١. قوله (ص٥٠): ((دع الله وشأنه)).
٢. قوله (ص٧٨): ((الانتحار نصر على الله، في الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك)).
٣. قوله (ص١٣٧): ((فالله والشيطان واحد هنا وكلاهما وجهان لعملة واحدة)).
٤. قوله (ص١٣٨): ((ولذلك كان هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون))[1].

وأركون يصف القرآن أنه ذو بنية أسطورية مرتبطة بثقافات سابقة للإسلام، وأنه جاء ليستولي على أنقاض الخطاب الاجتماعي القديم ليبني قصراً آيدولوجياً، فيقول: ((إن التاريخ يعلمنا أن الإسلام قد احتفظ بالكثير من الشعائر الخاصة بالدين العربي السابق عليه. فمثلاً شعيرة الحج إلى مكة، والإيمان بالجن، والتصورات الاسطورية المشكلة عن الشعوب القديمة، والكثير من القصص ذات العبرة، كل ذلك مرتبط بثقافات سابقة على الإسلام. ولكن القرآن يستولي من جديد على" أنقاض الخطاب الاجتماعي القديم هذا "من أجل بناء" قصر إيديولوجي" جديد، كما تشهد على ذلك سورة أهل الكهف ... وبهذا المعنى نقول إن القرآن هو خطاب ذو بنية أسطورية ...))[2].

---

(١) الكراديب، تركي الحمد، بيروت لبنان، دار الساقي للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م، الطبعة: الثالثة، ص ١٣٨.

(٢) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، (المتوفى:٢٠١٠م)، بيروت، دار الساقي للطباعة والنشر، ٢٠١٢م، الطبعة: السادسة، ص ١٤١.

ومن ذلك أيضاً ما صدر مؤخراً عن الكاتب الصحفي بجريدة البلاد السعودية (حمزة كاشغري) في تويتر من تطاول على الله – تعالى – وتشكيك في وجوده سبحانه وفي وجوب عبادته جل وعلا، ومما تبع ذلك من سوء الأدب مع النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – وتصريح بكراهية ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم –، ومما قاله هذا المذكور:

(أن قدرة الإله على البقاء ستكون محدودة لولا وجود الحمقى). (إن كل الآلهة الضخمة التي نعبدها كل المخاوف العظيمة التي نرهبها، كل الرغبات التي ننتظرها بشغف .. ليست إلا من خلق عقولنا). (هناك تجارب علمية استطاعت فعلاً إطالة العمر، وسيتحقق الخلود لو نجحوا في نقل العقل البشري للإله). وقوله: (ولو افترضنا وجود الله فإنه سيجعلكم في عينه على الدوام ما دمتم جيدين).

ومما قال في مقام النبي – صلى الله عليه وسلم –: (في يوم مولدك أجدك في وجهي أينما اتجهت، سأقول إنني أحببت أشياء فيك وكرهت أشياء .. ولم أفهم الكثير من الأشياء الأخرى). (في يوم مولدك لن أنحني لك، لن أقبل يديك، سأصافحك مصافحة الند للند، وأبتسم لك كما تبتسم لي، وأتحدث معك كصديق فحسب، ليس أكثر).

ومن استخفافه بالقرآن قوله: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر حبي .. وما أوتيتم من القلب إلا قليلاً)[1].

ومثل هذا النوع من الاستهزاء والسخرية بدأ بالتفشي والذيوع في هذا الزمان، مع دعوى الانفتاح وحرية الرأي والفكر، والتعددية الدينية والفكرية، نسأل الله الثبات والعافية.

الأسلوب الثالث: التعدي على العلماء وإسقاطهم، والتأليب والتحريض عليهم

ومعلوم أن النيل من العلماء ليس مقصوداً لذواتهم، وخاصة من هؤلاء المبطلين وأضرابهم وإنما المقصود الدين الذي يحملونه ويبلغونه للناس، ويصمون العلماء بالتقليد، وأنهم كانوا بعيدين عن حياة الناس ومعالجة قضاياهم، يقول د. حسن الترابي: ((ولئن كان فقهنا

(١) بيان عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، بيان رقم: ٢٥٣٤٦ وتاريخ ١٤٣٣/٣/١٦هـ.

التقليدي قد عكف على هذه المسائل (أي مسائل تفسير النصوص) عكوفاً شديداً، فإنما ذلك لأن الفقهاء ما كانوا يعالجون كثيراً قضايا الحياة العامة وإنما كانوا يجلسون مجالس العلم المعهودة، ولذلك كانت الحياة العامة تدور بعيداً عنهم. ولا يأتيهم إلا المستفتون من أصحاب الشأن الخاص في الحياة. يأتونهم أفذاذاً بقضايا فردية في أغلب الأمر فالنمط الأشهر في فقه الفقهاء المجتهدين كان فقه فتاوى فرعية، وقليلاً ما كانوا يكتبون الكتب المنهجية النظرية، بل كانت المحررات تدويناً للنظر الفقهي حول قضايا أفراد طرحتها لهم ظروف الحياة من حيث هم أفراد، ولذلك اتجه معظم الفقه للمسائل المتعلقة بقضايا الشعائر والزواج والطلاق والآداب .. فلا يكاد الفقيه التقليدي اليوم يتصور ما هو الإسلام .. ولا يكاد ينظر للإسلام من مقاصده ومعانيه ومبادئه العامة من حيث هو إيمان حي يتحرك وإنما هو يعلم تفاصيله المنثورة))[1].

وهذا ما يفعلونه ويكررونه، للقدح في العلماء وفتح الباب للجرأة عليهم والنيل منهم واقرأ هذا التجاسر من محمد المحمود الذي يقول: ((ولو أننا تأملنا في جملة تراثية، طالما تم ترديدها على أسماعنا، وهي «إن لحوم العلماء مسمومة» لوجدناها جملة غير بريئة في مغزاها النهائي. إنها تريد أن تقيم تفرقة بين العلماء وبين غيرهم، من حيث وقع الغيبة عليهم. أي أنها تعمد إلى إقامة عالم كهنوتي له خصوصيته ممايز لبقية المسلمين. وبما أن الغيبة (لا النقد العلمي) كما يعرف الجميع حرام دون تخصيص، فمن أين أتى هذا التخصيص؟! لا شك أن إطلاق هذه الجملة التراثية لا يُعنى بها التجريح الشخصي المرفوض (الغيبة) وإنما المراد به تجنب التقييم النقدي للمواقف الفكرية في الخطاب التقليدي، والتي هي جزء لا يتجزأ من الخطاب ذاته. وإذا كانت المواقف والمقولات متواشجة داخل الخطاب الواحد، ولا يمكن - إلى حد ما - عزل الشخصي عن الموضوعي في سلوك الشخصية العامة، فإن منح الأشخاص (من فئة خاصة) حصانة ضد مساءلة المواقف والأفكار، تعني تعطيل الممارسة المعرفية الخلاقة. ومن ثم، لا يبقى لدينا إلا التقليد والاجترار))[2].

---

(١) تجديد الفكر الإسلامي، د. حسن الترابي، ص١٤.

(٢) التقليد والتوثين، محمد بن علي المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٥٨٣، الخميس ٢٧ رجب ١٤٢٦هـ=

وتنقصهم وهمزهم لعلماء السلف أمر ظاهر ولم يسلم منهم أحد، فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ينتقص منه منصور النقيدان، فيقول: ((الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بابان من أبواب الفقه لم تقدَّم فيهما دراسات ذات بال تتوافق والمتغيرات والمنعطفات الكبرى التي عاشتهما الأمة الإسلامية في القرنين الأخيرين، وبعد نشوء مفهوم الدولة الحديثة، والشرعية الدولية وحقوق الإنسان، بحيث لم تزل أحكام الجهاد تدرس كما لو أننا نعيش في القرن الرابع أو الخامس، مع علم الجميع أن جهاد الطلب والابتداء أمر قد ولى زمنه. حضور ذلك الفقه بطابعه التقليدي سوّغ لكثير من الإسلاميين الاستناد على مثل آراء ابن تيمية السابقة لإعلان الجهاد ضد حكوماتهم التي يرونها (مرتدة) وبالتالي هي أشد خطراً من الحكومات الكافرة كفراً أصلياً، ولدى ابن تيمية من الآراء والاجتهادات التي يدعي فيها إجماع علماء المسلمين ما يستندون عليه ويعبون منه حتى الثمالة))[1].

وكذلك سعيهم الحثيث لإسقاط الدعاة وعمل المؤامرات ضدهم والتحريض عليهم وتشويه صورهم عند العامة والخاصة، فتعترف إحدى التائبات من الليبرالية، فتقول: ((ثم أعلنت وداد خالد عن فضائح أخرى في تجربتها الممتدة عشر سنوات مع الليبراليين وأهم ما ذكرته:

أ- الترصد المستمر للمشايخ المشهورين وتسجيل جميع حلقاتهم التلفزيونية للتصيد عليهم وضربهم إعلامياً.

ب- أنهم سعوا لإسقاط الشيخ يوسف الأحمد، وترصدوا له شهرين حتى طرح فكرته في إعادة بناء الحرم فهيجوا العامة عليه، وأنهم نشروا فريتهم عليه في ألف منتدى وأغلب الصحف، وراسلوا الغربيين لنشرها في صحفهم، بعد تحريف كلام الشيخ، وأنهم نجحوا في ذلك وأصبح الأحمد حديث المجالس. وذكرت أنها ستكشف عن خطة سابقة لليبراليين لإسقاط الشيخ محمد المنجد كما فعلوا بالشيخين الشثري والأحمد. إذن عندنا هنا عمل منظم، وخلايا سرية، واجتماعات باطنية، وجمع أموال، وإنشاء

= ١٤٢٦هـ - ١ سبتمبر ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

(١) خيط رفيع أثبت التاريخ استحالته، منصور النقيدان، جريدة الرياض، العدد: ٥٥٥، الخميس ٢٠/ربيع ١/١٤٢٤هـ - ٢٢ مايو ٢٠٠٣م. www.alriyadh.com.

مواقع، وخطط مدروسة، وتنسيق مستمر، وإذا رجعنا بالذاكرة إلى الهجوم المنظم والممنهج على المشايخ الفضلاء سعد الشثري ويوسف الأحمد ومحمد المنجد وغيرهم، أيقنا صحة ذلك))[1].

الأسلوب الرابع: نسبة الإرهاب إلى الدين والتدين، كان واضحاً عند هؤلاء الربط بين الإسلام وما قرره كذلك الفقهاء في أبواب الجهاد وغيرها وبين الإرهاب بمعناه المتداول اليوم، ونسبة الإرهاب والقتل إلى الثقافة الإسلامية وأهلها، فهذا محمد شحرور يقول: ((تسببت أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١م بهزة عنيفة في نظرة كثير من الناس في العالم للإسلام كدين، مع أن الذي دفع إلى هذه الأحداث هو الإسلام كثقافة موروثة صنعها البشر ابتداء من عصر التدوين. لذا فإنني وضعت عنوان كتابي هذا (تجفيف منابع الإرهاب).

فالثقافة الإسلامية الموروثة ربطت بين القتال والقتل والغزو والشهادة والشهيد، وكذلك قللت من قيمة الحياة والحرص عليها وطلبت ممن يحب الحياة ويكره الموت أن يشعر بالذنب، وأن الذي يُقتل في سبيل الله سيدخل الجنة مباشرة بدون انتظار. وشجع الناس على الموت، ورُبطت الشهادة بالموت بالمعركة. وكذلك الفقه الإسلامي الموروث لم ينبس بكلمة عن احترام حرية الناس في اختيار عقائدهم وشعائرهم وحرية الكلمة وحرية الضمير حيث بدأ هذا الفقه في عصر الاستبداد ابتداء من نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي، أي في القرنين الثاني والثالث الهجريين))[2].

وكذلك ربط الإرهاب بالبعد التديني والدعوي في المجتمع السعودي، بهدف تخويف الناس من التدين والمتدينين واستعداء السلطة عليهم.

وهذا الأسلوب أصبح ظاهراً معلناً مكرراً في كثير من أطروحات الليبراليين وكتاباتهم الصحفية، فهذا محمد المحمود يرى أن التدين سبباً مباشراً للإرهاب فيقول: ((ليس صحيحاً

---

(١) مفارقة الماخور الليبرالي، إبراهيم بن محمد الحقيل، بتاريخ ٢٠١٢/٠٣/١٧م، مركز التأصيل للدراسات والبحوث www.taseel.com.

(٢) تجفيف منابع الإرهاب، محمد شحرور، ص١٩.

ما يروج له الإسلاموي من أن الزج بالدين في كل صغيرة وكبيرة هو عنوان التدين الحقيقي، أو أن ممارسه والمتحمس له من أفراد المجتمع هو الأكثر تديناً من غيره. إن هذه الممارسة الخاطئة هي التي أدت إلى أن يتصور المتدين أن لكل حادث طارئ حكماً شرعياً بالضرورة ... تحييد الديني في الوقائع المدنية التي ليس فيها حكم شرعي صريح، أمر ضروري؛ لئلا تمنح القداسة إلا للديني الخالص الذي نص عليه الشرع الحنيف. وهذا التحييد قد أصبح أكثر إلحاحاً في سياق الأحداث الإرهابية الراهنة ... ومادام الوعي بخطورة الإرهاب كفكر ماثلاً أمام الجميع، فلابد أن نبادر إلى تحديد مسارات الديني في الاجتماعي على نحو واضح، لابد أن يتم الفصل بين الممارسة المدنية والممارسة الدينية، حتى لدى الفاعل الديني الذي أصبح الدين له وظيفة. بمعنى أن يصرح بأن رأيه مجرد قراءة عقلية للحدث محل المعاينة، وليس حكماً شرعياً. لابد التصريح في هذا))(١).

ويرون أيضاً أن سبب الإرهاب نابع عن التشدد من المنابر والمدارس وحِلَقِ العلم على كافة مستوياتها وكذلك الأنشطة الصيفية، يقول يوسف أبو الخيل: ((جففوا منابع التشدد من المنابر والمدارس وحِلق الدروس على كافة مستوياتها والأنشطة اللاصفية واجعلوا ذلك هماً جمعياً يطال كل واحد منا كفل منه ومن الجهاد في سبيله وسترون كيف أن أرض التسامح والاستقرار الفكري ستهتز وتربو وستنبت نشأً جديداً يجعل الإرهاب والتدمير في سلم الكبائر بعد أن صعَّدها الخطاب المتشدد لسلم الجهاد الأكبر، أما أن تستمر منتدياتنا الفكرية على اختلافها تنفخ في الكير التكفيري ثم نطالب مستهلكي بضاعته بأن يلزموا الهدوء ويتجنبوا التفخيخ فنحن بذلك لا نعدو أن نكون كزارع الشوك الذي ينتظر موسم الحصاد ليجني من شوكه العنب!!!))(٢).

بل وزادوا على ذلك أن الإسلاميين جعلوا الدين كأداة للصراع، وأنهم سلطوا عليه

---

(١) الإرهاب .. من الفكر الخارجي إلى السلوك القرمطي، محمد بن علي المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٤٣٦، الخميس ٢٨ صفر ١٤٢٦هـ - ٧ إبريل ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

(٢) في الحرب على الإرهاب: حسم أمني وتردد في الحسم الفكري، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد: ١٣٤٣٨، السبت ٣٠ صفر ١٤٢٦هـ - ٩ إبريل ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

آليات تأويلية وتفسيرية بتجزئته وتقطيعه ومن ثمّ إعادة بنائه وتركيبه ضمن منظومة تضمن خدمة أهدافهم الصراعية، يقول عبد الله بن بجاد: ((وبما أنّ هذا الإسلام المباشر البسيط الذي عرضناه أعلاه لا ينفع في الصراعات من حيث أنّه دينٌ متسامحٌ جاء "رحمةً للعالمين"، بما أنّه كذلك فقد اضطر المتصارعون إلى تجزئته وتقطيعه ومن ثمّ إعادة بنائه وتركيبه ضمن منظومة تضمن خدمة أهدافهم الصراعية، وتشكّلت على هذا الأساس "إسلاماتٌ" تعبّر عن رؤية كلّ فريقٍ وتثبّت نظرية كلّ طائفة.

ولنأخذ أمثلة على الزيادات التي أدخلها المتصارعون على النصّ ليبرّروا بها رغباتهم وأهدافهم، فمن ذلك أننا نجد الحديث السابق يقول: (أن تشهد ألا إله إلا الله)، غير أنّ المتصارعين لم يجدوا هذه العبارة كافية بالنسبة لهم للحكم بالإيمان والإسلام، بل رأوا أنه يجب أن تتم تجزئتها إلى جزأين كحدٍ أدنى: الجزء الأول (لا إله) والجزء الثاني (إلا الله)، ثم تأتي مرحلة الشحن التأويلي ومرحلة التعبئة التفسيرية، فيكون الجزء الأول: (لا إله) المقصود به هو "الكفر بالطاغوت" ونفي جميع "الأديان" و"التأويلات" الأخرى، ويضاف لذلك تكفير المخالفين وقتالهم والبراءة منهم، ثم يأتي دور الجزء الثاني: (إلا الله) لتتم تعبئتها كالتالي: أي لا معبود بحقٍ إلا الله، أو لا موجود إلا الله، أو غيرها من التفسيرات المشحونة والملغومة التي اختلفت باختلاف المدارس والفرق والمذاهب والطوائف، وعلى هذا فقس. وإذا كان هذا جزءاً من التشويه الأيديولوجي لأهم مبدأٍ في الإسلام (الشهادتين) فما بالك بما دون ذلك من عقائد وشعائر، من روحانياتٍ وسلوكيات، من عباداتٍ ومعاملات!))[1].

الأسلوب الخامس: التفسير المنحرف للقرءان بحجة إعادة قراءة التراث

وهذا أسلوب من أساليبهم المشتهرة، ومن ثم فهم يفهمون القرآن فهماً عصرياً حديثاً على خلاف ما فهمه وفسره علماء السلف، فقد فسّر الدكتور شحرور، على سبيل المثال مطلع الآيات في سورة الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾[الفجر: ١ – ٣]، بما يلي:

---

(١) إسلام النص وإسلام الصراع، عبد الله بن بجاد العتيبي، جريدة الرياض، العدد: ١٤٤٤١، الاثنين ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٨هـ – ٧ يناير ٢٠٠٨م. www.alriyadh.com.

((فالخلق الأول بدأ بانفجار كوني هائل حيث قال: "والفجر. وليال عشر. والشفع والوتر" حيث إنّ الفجر هو الانفجار الكوني الأول "وليال عشر" معناه أنّ المادة مرّت بعشر مراحل للتطوّر حتى أصبحت شفّافة للضوء، لذا أتبعها بقوله: "والشفع والوتر" حيث أنّ أول عنصر تكوّن في هذا الوجود وهو الهيدروجين وفيه الشفع في النواة والوتر في المدار، وقد أكّد هذا في قوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧]، والهيدروجين هو مولّد الماء، أي بعد هذه المراحل العشر أصبح الوجود قابلاً للإبصار لذا قال: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾[الأنعام: ١]، وهذا من أصول أسباب انحرافهم وغوايتهم عن الصراط المستقيم))[(١)].

ويقول يوسف أبا الخيل مقرراً ذلك ومنافحاً عنه: ((التعددية في الآراء والمعتقدات والأفهام والرؤى والتفاسير والتأويلات ومن ثم الديانات ككل تشكل طبيعة إنسانية ركب الله البشر عليها كجبلّة خلقية بيولوجية لا يستطيع الإنسان مهما حاول الآخرون أياً كانوا طبعه على نقيضها والانفكاك عنها والإفلات من قبضتها وفي ذلك يقول الله – تعالى –: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨] ..، إنها تمثل نحلة خلقية خاصة بالإنسان تنطلق من موروثاته الثقافية والبيئية وسلم القيم التي تختزنها ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه والمخزون الثقافي الذي ينتمي إليه، وأهوائه وميوله ورغباته وهكذا ...

ويضيف: إن أكبر مشكلة واجهت الفكر العربي الإسلامي حين مواجهته مشكلة التعددية وبالذات من النصف الأول من القرن الثالث الهجري هي ظن أولئك المتحذلقين والمتقوقعين حول فهومهم الخاصة أنهم بنفيهم وإقصائهم لخصومهم إنما هم آخذون بحجزهم عن النار وهؤلاء المخالفون ما فتئوا يتفلتون منهم ويقعون فيها في تصنيف حصري لحق النجاة لفهوم بعينها دون بقية الأفهام المباينة والمقاربة))[(٢)].

---

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، محمد شحرور ص٢٣٥.

(٢) أصالة التعدد في الطبيعة البشرية، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، الاثنين ١٤٢٥/٥/١٧هـ – ٢٠٠٤/٧/٥م. www.alriyadh.com.

ويرون إمكانية شق طريق جديد لفهم القرآن باستعمال العلوم الإنسانية المساعدة والتي ستقرب أكثر إلى الحقيقة، يقول د. خالص جلبي: ((وهذا الفهم لم يكن ليتوفر لأي مفسر قديم بسبب عدم إحاطته بالتاريخ ... قصدي من كل هذا الكلام الذي سأحاول شق الطريق فيه إلى رسم معالم علم جديد لفهم القرآن، أعني العلوم الإنسانية المساعدة أنها هي التي ستقربنا من ضوء الحقيقة، أما اللعب بالكلمات والألفاظ فهو طريق .. لا يزيد عن لعبة ألفاظ ماهرة ..))[(١)].

ويتوسع جلبي أكثر وينفي وجود مفسرين وأن ذلك تحكم واحتكار للفهم، وأن لكل أحد أن يفسر فيقول: ((فليس هناك في الإسلام رجال دين ومفسر وفقيه في شهادات تَحتكرُ الفهم وتجعله حراماً على غيرهم. وتفسير السائحات بسيط للغاية وهو أن الكثير مروا عليها و لم يستطيعوا أن يستوعبوا امرأة مسلمة تمارس السياحة؟ وهو يذكرنا بقصة الملا الكردي مع تلاميذه حينما قرأ نصا باللغة العربية عن الفأرة التي خرجت من السمن حية أي على قيد الحياة فترجمها حية بمعنى ثعباناً. والقاسمي ذكر ما ذكرت وأن المعنى لا يصرف إلا بقرينة ولا يوجد قرينة. وهي كارثة الثقافة عندما يسقط عليهم السقف من فوقهم))[(٢)].

وهكذا فسروا القرآن بأهوائهم وعلى غير منهج السلف فأتوا بالعجائب وانحرف تدينهم وفسدت عقيدتهم.

الأسلوب السادس: محاربة فتاوى أهل العلم وعدم احترامها وهز ثقة العامة بالعلماء وتأصيلاً لذلك الأسلوب عمدوا إلى إسقاط فتاوى العلماء وعدم احترامها بل وزعزعة وتشكيك وعي العامة في العلماء وحول بعض مسائل الدين، فهذا عدنان إبراهيم يطعن في أئمة أعلام وفي بعض كتب السنة التي أبانت الحق وأظهرته، فيقول: ((ابن تيمية ناصبي عاشق لبني أمية، والذهبي ناصبي هواه أموي، ابن حزم ناصبي، ابن كثير وابن عساكر

(١) من أسرار الكتاب، د. خالص جلبي، جريدة الوطن، الأحد ١٤٣٢/٤/١٤هـ - ٢٠١١/٣/٢٠م. www.alwatan.com.

(٢) د. خالص جلبي، حوار ملحق الرسالة، جريدة المدينة، الجمعة ١٤٢٣/٩/٣هـ - ٢٠٠٢/١١/٠٨م. www.al-madina.com.

يؤرخان لبني أمية، الهيتمي هواه أموي، ثم ينتقص الطبري وينقد أسلوبه في التاريخ وطريقته مفضلاً غيره ممن لا يعرف نسبه ولا دينه من الغربيين.

ويقول عن كتاب العواصم من القواصم لمؤلفه ابن العربي المالكي رحمه الله، كتاب تضليل وتزوير وبهتان فيقول: عواصم ابن العربي قواصم النصب والبغض لأهل البيت والكذب على الله والرسول والأئمة والتواريخ وعلى العقل والشواهد والحس والضرورات.

وينتقص من أحمد بن حنبل وكذلك الذهبي لأنهما نقدا أحاديث لم تصح عن النبي – صلى الله عليه وسلم –))[1].

بل ويدعون إلى إعادة البحث واستئناف النظر في بعض مسائل الفقه الشائعة والتي قد تناولها أهل العلم بالبحث والفتوى، يقول إبراهيم البليهي: ((إطلاق العنان لقلم الاجتهاد الفكري للعمل والبحث واستئناف النظر، وإعادة التعاطي مع الأفكار والثقافات السائدة في العالم اليوم برؤية موضوعية من دون استحضار مفاهيم القطيعة والمفاصلة ... ويضيف تجاوز فقهيات الصحوة: هناك مسائل فقهية جزئية ارتبطت بظاهرة التدين الصحوي مثل: « وجه المرأة، الغناء، اللحية، الإسبال، التأمين، صلاة الجماعة ...»، وغيرها من المسائل المشابهة التي تحتفظ بمكانة خاصة في ذاكرة الوعي الإسلامي الشعبي الذي صنعته الصحوة والتي تتعامل مع هذه المسائل من منطلق مذهبي خالص، فهذه المسائل التي أفتى بها الرواد لا يجوز مساسها أو إثارة الزوابع حولها. أما تيار التجديد فلا يكُن تقديساً علمياً لا لهذه المسائل ولا لغيرها من الجزئيات الفقهية، والقداسة فقط للمنهجية العلمية، وبعد ذلك يُفتح الباب لكل دراسة معرفية جادة لبحث هذه المسائل أو غيرها))[2].

كما رُميت فتاوى أهل العلم بالتشدد والتخلُف والانغلاق، وخاصة في قضايا المرأة، يقول محمد المحمود: ((يستطيع المتأمل للخطاب الديني المتشدد لدينا، وهو الخطاب المتنفذ في

---

(١) حقيقة الدكتور عدنان ابراهيم المتشيع! بقلم: داود العتيبي، منتدى التوحيد، www.eltwhed.com.

(٢) التنويريّون تجاوزوا آيديولوجيا الصحوة، إبراهيم البليهي، جريدة الشرق الأوسط، العدد: ٩٥١٦، الجمعة ٠٥ ذو القعدة ١٤٢٥هـ – ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤ م. www.aawsat.com.

شرائح عريضة من مجتمعنا التقليدي، أن يلاحظ أنه خطاب مأسور إلى تصوّر كلي متخلف، تصوّر تنبع منه كل رؤى التخلف التي قادت، ولا تزال تقود، إلى تضخم رؤى التشدد باستمرار ... وإنما هو موقف يتنامى إلى درجة أن يصبح هوية عامة لخطاب هؤلاء المتشددين. إذن، بما أن قيادة المرأة للسيارة تدخل في دائرة المجهول، في دائرة الجديد الغريب، في دائرة المخوف لغرابته وللجهل به، فلابد أن يقصى هذا الحق الطبعي للمرأة، لابد أن يُبعد عن مجال الذات الحيوي ...

ومن المؤسف والمحزن، أن هوية الاختلاف فيه تكمن في كونه خطاب تشدد يصدر عن وعي منغلق وعي لم يتصالح مع المكونات الحضارية للعصر الحديث، ولهذا يسعى إلى رفضها وإقصائها بواسطة مقولات التحريم. ذهنية التحريم التي كنا ولا نزال نعاني منها، والتي خنقت المجتمع بطوفان من المحرمات من جهة، وعطلت العقل وحاصرت مظاهر التنوع الفكري من جهة أخرى))[١].

وذلك الرد لكلام أهل العلم، وما تضمنه من أحكام شرعية مُجمعٌ عليها، قد اتخذ عند أصحاب الانحراف المعاصر صوراً وطرقاً شتى هدفها (التخلص) من الحكم الشرعي، وعلى سبيل المثال: حد الردة، والذي تناوله أكثر أولئك الكتاب، يقول فهد العجلان في كتابه معركة النص تحت عنوان: جامعة الانحرافات الفكرية المعاصرة: ((حدَّ الرِّدة لم يكن مجالَ اختلاف بينهم؛ فقد أجمع عليه الفقهاء كافة، وحكى الإجماعَ عليه عشرات من الفقهاء من مختلف الأزمان، بينما تجد هذا الحكم حاضراً ومُشْكِلاً في الدراسات المعاصرة، وهو ما يدلل على أن العامل المؤثر فيها ليس هو النظر في الاجتهاد الفقهي بِقَدْر ما هو تأَثُّرٌ بروح الثقافة الغربية. إن الملفت للانتباه أن (التخلص) من هذا الحكم الشرعي لم يَسِر على طريقة واحدة، فبعضهم: ينكر هذا الحكم لعدم ذِكْره في القرآن الكريم .. وبعضهم يثبت الحديث ويصفه بأنه من قَبِيل أحاديث (الآحاد)، ولا يستقيم العمل بها، لأنها ظنية ..

(١) قيادة المرأة .. من الوعي المتخلّف إلى ذهنية التحريم، محمد بن علي المحمود، جريدة الرياض العدد: ١٥٦٩٧، الخميس ١٤ رجب ١٤٣٢هـ - ١٦ يونيو ٢٠١١م. www.alriyadh.com.

وثمة آخرون: لا ينكرون العمل بخبر الآحاد لكنهم لا يرون العمل به في المجالات المهمة كمجال التشريع .. ويأتي بعضهم بذريعة (الخلاف الفقهي) .. ومنهم من يفسِّر حدَّ الرِّدة بأنه (الخروج) على الدولة ونظامها، وهو ما يطلَق عليه في النُّظم المعاصرة: (الخيانة العظمى)، ومنهم من يرى الاستمساك بالمصلحة في كافة صورها لتعطيل العمل بالنص، ومن يتحدث عن ضرورة تقديم صورة حسنة للغربيين، وأن الحديث عن حدٍّ للمرتد في زمان شيوع ثقافة الحريات الدينية وقيام النظم السياسية الغربية على حمايتها، يقدم صورة مشوَّهة عن الإسلام ...

ومنهم من يرى أنه يشيع (الرعب) و(الذعر) من أن تقرير مثل هذا (الحكم) الذي سيكون سبباً لاستغلال بعض النظم السياسية له في سبيل القضاء على مخالفيهم وخصومهم.. وبعضهم ينفي هذا الحكم لمعارضته لأصلٍ قطعي مُحكَم هو (الحريات)، تلك عَشْرَة كاملة، هي أبرز وسائل البحوث المعاصرة (للتخلُّص) من هذا الحكم الشرعي، قد اجتمعت فيها منابت الانحراف المعاصرة من جذورٍ بقاعٍ شتى))(١).

الأسلوب السابع: استغلال الفتاوى الشاذة والترويج لها وتوظيف الاختلافات الفقهية لنشر باطلهم، وكان ذلك تتبعاً للرخص واستجابة منهم لضغط الواقع وخوضاً في المسائل بلا دليل ومتابعة لشهوات الناس، وأشهر وأجرأ من تناول هذه القضية في العصر الحديث وأطلق الفتاوى الشاذة والأقوال المخالف، جمال البنا الذي يرى أن أموراً ومسائل كثيرة بحاجة إلى اجتهاد في العصر الحديث، فيقول: ((أمور كثيرة جداً تحتاج إلى هذا، حد الرجم والسرقة، والزنا، ورمي المحصنات، وكل ما أتى في الشريعة ولو حتى في القرآن قابل لإعادة النظر))(٢).

ويقول منصور النقيدان في مسألة مصافحة النساء: ((ولهذا ذهب بعض الفقهاء إلى أن المسلم إذا كان في مجتمع يعد مصافحة المرأة من الأعراف المتبعة وكان امتناعه من مصافحتها

---

(١) انظر: معركة النص، فهد بن صالح العجلان، الرياض، مكتب مجلة البيان، ١٤٣٣هـ، الطبعة: الأولى، ص٤١ وما بعدها.

(٢) كل الشريعة تحتاج لإعادة نظر، المفكر جمال البنا، الثلاثاء، ٩ سبتمبر ٢٠٠٨/١٠/١٢م، صحيفة اليوم السابع. انظر: ص ٢٥٠ وما بعدها.

يوقعه في حرج ويصمه بعدم اللياقة، كان له أن يُصافحها درءاً للإحراج (السيد حسين فضل الله/ الفتاوى)))[1]، وهذا الأخير أحد أكبر مراجع الشيعة المجتهدين والذي نشأ في أحضان الحوزة العلمية بالنجف[2].

وفي مسألة اختلاف الفقهاء فإنهم يسعون إليها ويُؤكدون على الخلاف وأهمية بقائه واستمراره فيما يريدون الوصول إليه من المسائل وإشاعتها وتطبيعها بين الناس، ويدندنون على أسسهم التي يرتوون منها بنسبية الحقيقة وتعددية الصواب، ليس طلباً للحق، بل اتباعاً للهوى وخروجاً عن الشرع المطهر، فإن السماح بتطبيق كل خلاف مهما كان على أرض الواقع! دعوة ستؤول بأصحابها إلى الزندقة والتنصل من أحكام الشريعة.

يقول محمد المحمود: ((لقد اختلف الفقهاء في مسائل الفقه، واعترفوا بهذا الاختلاف، اعترفوا به بلسان المقال أحياناً، وبلسان الحال في أحايين أخرى ... وكجزء من مظاهر هذا الاعتراف، أخذ الأصوليون الفقهاء يتلمسون أسباب هذا الاختلاف، كي لا يظن أحد أن هذا الاختلاف راجع إلى خلل في مصدر التشريع، أو إلى ضلال في التلقي. لقد أرادوا أن يمنحوا هذا الاختلاف شرعية هو في أمس الحاجة إليها، خاصة في ظل وعي صحراوي، اعتاد على الأحادية في كل شيء، ومنها أحادية الحقيقة، التي تقود - بالضرورة - إلى نفي تعددية الصواب، أي نفي شرعية الاختلاف في النهاية ...

إذن، فقد كان الخلاف موجوداً، وقد كان مشروعاً أيضاً، وكما كان، فكذلك ينبغي أن يدوم، ويعمم بأقصى درجة ممكنة. ليس هذا فحسب. وإنما يجب أن يتعدد ويتنوع ويتسع باتساع الأمة الإسلامية اليوم، دون أن يتملكنا الخوف، من تعددية الآراء وتباين الرؤى؛ لأن العالم الإسلامي اليوم، يتنوع بمقدار ما يتغير. هذا التغير الحتمي الذي فرضه عليه احتياجه إلى الاندماج في السياق الحضاري))[3].

---

(١) منصور النقيدان، جريدة الحياة، العدد: ١٤٠٠٢، الثلاثاء ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٢هـ - ١٧يوليو ٢٠٠١م. www.alhayat-j.com.

(٢) انظر لسيرته والتعريف به: (الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٣) مسائل الخلاف: شرعية مع وقف التنفيذ! محمد بن علي المحمود، جريدة الرياض، الخميس ٤ =

الأسلوب الثامن: ممارسة الإرهاب الفكري والقمع النفسي، واستعداء السلطة على المخالفين، واتهامهم بشتى التهم، حتى أنهم تعرضوا لشخص رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فهذا حسن حنفي يقول: ((دفع الأنبياء الناس إلى التطرف، بدلاً من تقويمهم، في حين استطاع الملوك استمالتهم دون أدنى مقاومة، لم يتسامح الأنبياء معهم حتى مع أكثر الملوك إيماناً إذا كان سلوكهم مناقضاً للدين، أي أن الأنبياء أضروا بالدين أكثر مما نفعوه))(١).

نعم إنهم يُمارسون إرهاباً فكرياً مؤصلاً وقمعاً نفسياً مرتباً مدروساً من خلال منظريهم وكتابهم ليصمون أهل الحق والخير بأقذع الألفاظ وينبزونهم بأبشع الأوصاف، مثل قولهم: اللاهوتيين التقليديين والمتشددين والتكفيريين وغيرها من رميهم بالتخلف وعدم الفهم، فمحمد أركون يرى أهمية تفكيك أنظمة تلك التصورات وأطر تلك الأفكار الموروثة، فيقول: ((فهؤلاء اللاهوتيون كانوا يعلّمون آنذاك عقائد من نوع شعب الله المختار، أو لا خلاص خارج الكنيسة، أو أن الإسلام هو آخر نسخة عن الدين الحق، وأنه هو وحده المقبول من قبل الله والملقَّن من قبل خاتم الأنبياء. من الواضح أن تفكيك أنظمة التصورات وأطر الفكر الموروثة عن الماضي لا يزال في بداياته. أقصد تفكيك أنظمة الثقافات المناضلة من أجل بقائها على قيد الحياة والخائفة من تهميش الثقافة المهيمنة لها))(٢).

ومحمد المحمود يقول: ((التقليدي يقسم العالم كله إلى فسطاطين متمايزين أشد ما يكون التمايز: فسطاط الحق، وهو الفسطاط الذي يؤمن التقليدي أنه لا يتسع لغير التقليديين الراسخين في التقليدية، مقابل فسطاط الباطل، وهو الفسطاط الذي يؤمن التقليدي أنه المكان الطبيعي لكل من اختلف معه ولو في بعض تفاصيل الميتافيزيقيا التي تطاحنت فيها عقول اللاهوتيين على مدى قرون، ولم تنتهِ إلى شيء ذي بال. لا فائدة من محاولة إفهام التقليدي؛ لأنه (لا يريد أن يفهم)، و(لا يستطيع أن يفهم). تركيبته الذهنية تجعله يريد أن

=

جمادى الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٢ يوليو ٢٠٠٤ م. www.alriyadh.com.

(١) رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، تقديم: حسن حنفي، ص ٩٦.

(٢) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، (المتوفى:٢٠١٠م)، بيروت، دار الساقي، ٢٠١١م، الطبعة: الرابعة، ص٢٤٧.

يصوغ كل شيء وفق تصوراته التي يجزم أنها الحق الصُراح بل ويريد أن يجبر الآخرين على أن يروها كذلك، وإلا فهم بقية قوم آذنوا ببوار! التقليدي يريد أن يُخضع كل فكر وكل نظام وكل نشاط، كل حركة، بل وكل سكون، لما يراه هو حقا. التقليدي يريد أن تكون له الهيمنة على كل شيء بالكامل ١٠٠%؛ لأنه يتصور الحقيقة، بل ويتصور تطابقه مع الحقيقة على هذا الوجه المستحيل من الكمال))[1].

وهم يرون أن المنابر والدروس، وكذا المدارس وما يُمارس فيها من أنشطة لاصفية، على كافة مستوياتها سبب للتشدد، فهي بحاجة إلى تخفيف، ويستعدون السلطة على تلك المنابع، يقول يوسف أبو الخيل: ((جففوا منابع التشدد من المنابر والمدارس وحِلق الدروس على كافة مستوياتها والأنشطة اللاصفية، واجعلوا ذلك هماً جمعياً يطال كل واحد منا كفل منه ومن الجهاد في سبيله، وسترون كيف أن أرض التسامح والاستقرار الفكري ستهتز وتربو وستنبت نشأً جديداً يجعل الإرهاب والتدمير في سلم الكبائر بعد أن صعَّدها الخطاب المتشدد لسلم الجهاد الأكبر، أما أن تستمر منتدياتنا الفكرية على اختلافها تنفخ في الكير التكفيري ثم نطالب مستهلكي بضاعته بأن يلزموا الهدوء ويتجنبوا التفخيخ فنحن بذلك لا نعدو أن نكون كزارع الشوك الذي ينتظر موسم الحصاد ليجني من شوكه العنب!!!))[2].

الأسلوب التاسع: تمجيد الغرب وحضارتهم والدفاع عنهم، وهذا أسلوب من أساليبهم الذي بهرهم وغرهم من جهة، وخدعوا به غيرهم من جهة أخرى، بل ودعاهم لأن يزدروا حضارة الإسلام ويرموها بالجمود والرجعية، وأنها هي سبب تخلف المسلمين وتأخرهم، وأن السر في حضارة الغرب على خلاف بقية حضارات الأرض قاطبة هو انعتاقها من الدوران التاريخي وتجاوزها للمسارات الثابتة وتوصلها إلى آلية ضمنت لها استمرار الإنجاز واطراد التقدم.

---

(١) خطاب من لا يفهم، محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٥٩٧٧، الخميس ٢٩ ربيع الآخر ١٤٣٣هـ - ٢٢ مارس ٢٠١٢م. www.alriyadh.com.

(٢) في الحرب على الإرهاب: حسم أمني وتردد في الحسم الفكري، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض العدد: ١٣٤٣٨، السبت ٣٠ صفر ١٤٢٦هـ - ٩ إبريل ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

يقول إبراهيم البليهي: ((لقد كانت الحضارات القديمة بدون استثناء تتحرك ضمن مسارات ثابتة تبدأ بالنشوء ثم الازدهار ثم الانحدار والانحلال وكان كل تطور وازدهار يعقبه تراجع واندحار وكانت كل حضارة حتى في أقصى درجات ازدهارها لا تتجاوز المستوى الذي بلغته الحضارة المنقرضة التي سبقتها لذلك بقيت البشرية مرتهنة بالمسارات التاريخية الثابتة فلم تتمكن أية حضارة سابقة من تحقيق اختراقات استثنائية تكفل لها دوام الازدهار ومواصلة التطور، أما الحضارة الغربية الحديثة فهي الحضارة الوحيدة التي انعتقت من هذا الدوران التاريخي وتجاوزت هذه المسارات الثابتة وتوصلت إلى آلية تضمن لها استمرار الإنجاز واطراد التقدم))[1].

ولذا فهم يرون أن الحضارة الغربية هي أعظم حضارة عرفتها البشرية وعاشها الإنسان، وأن التاريخ لم يشهد حضارة بمثل مميزاتها غيرت في الوعي الإنساني تغييراً نوعياً، يقول محمد المحمود: ((تقف التجربة الحضارية الغربية الحديثة كأعظم تجربة حضارية عرفها التاريخ، وكأعظم حضارة مؤثرة فيما يتجاوز محيطها الجغرافي. ومن خلالها خطا الوعي الإنساني خطوات حاسمة، تغير بسببها الوعي الإنساني تغيراً نوعياً لم يسبق له أن حلم بمثله، فضلاً عن أن يمارسه واقعاً، وقطع مراحل لم تجر في خاطر إنسان من قبل، فكأنما كانت قبل ذلك مخبأة في رحم الزمان. وهذه حقيقة لايسع العدو ولا الصديق، ولا البعيد ولا القريب أن يتجاهلها، فضلاً عن أن يجهلها، خاصة في وقت هي من أهم مقومات وجوده. إن حضارة ما من الحضارات السابقة لم تقدم للبشرية ما قدمته الحضارة الغربية))[2].

بل ويرى أنها معجزة إنسانية لم يسبق لها مثيل في التاريخ البشري، بل لم يوجد ما يقاربها ولو في أدنى مستوياتها البدائية التي أفرزتها فترات الإصلاح الديني، فيقول المحمود أيضاً: ((لقد كانت الحضارة الغربية – إبان لحظة اللقاء – معجزة إنسانية لم يسبق لها مثيل

---

(١) العامل الثقافي الحاسم الذي انفرد به الغرب، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، الأحد ١٨ شعبان ١٤٢٥هـ – ٣ أكتوبر ٢٠٠٤م. www.alriyadh.com.

(٢) الغرب/ التغريب بين الاهتمام والاتهام، محمد المحمود، جريدة الرياض، الخميس ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ – ٠١ يوليو ٢٠٠٤ م. www.alriyadh.com.

في التاريخ البشري، بل لم يوجد ما يقاربها ولو في أدنى مستوياتها البدائية التي أفرزتها فترات الإصلاح الديني. ماذا يفعل العروبي والإسلامي ليواجه هذا الظرف الذي لا يستطيع الصمود له من جهة، ولا أن يتجاهله من جهة أخرى؟ هل يعترف بموقعه القدري من التاريخ البشري، فيبدأ من لحظته الراهنة، معزولاً عن توهمات التاريخ الأسطوري أو حتى الواقعي! كما بدأ غيره – من بعده بعقود – فسبقه بمراحل ومراحل؟!! واجه العروبي والإسلامي هذا الإشكال بعبث طفولي، إذ ادعى أنه صاحب هذه الحضارة (الحضارة الغربية) وأن الآخر سرقها منه على حين غفلة. وكي يبرر هذه الدعوى لجماهير الغوغاء قام باستدعاء التاريخ العلمي للمسلمين، مستحضراً العلماء والفلاسفة والمفكرين، حتى المنبوذين منهم إسلامياً. وحاول الربط بين بدايات التحضر الغربي وبين فترات التماس بين الأمتين))[1].

الأسلوب العاشر: الاستقواء بالخارج لمواجهة المجتمع والدولة وضرب الأساس الإسلامي وفي مقدمة ذلك الخارج أمريكا، والتي تتبنى وتدعم كل ما يقوض أركان الإسلام، ويفت في عضد المسلمين في زماننا هذا، يقول جمال خاشقجي[2]: ((السادة أعضاء حزب أمريكا في العالم العربي، أعرف أن ما منكم من أحد سيقر بالانتماء لهذا الحزب المنتشر من الخليج إلى المحيط، ولكنكم ستهتمون بقراءة خطابي هذا، فأنتم بيننا، نتبادل معكم الرأي في مجالسنا ومقاهينا المشغولة هذه الأيام بتلمس مخرج من أزمات تراكمت، ليس لي أن أشكك في وطنيتكم، بل أميل إلى الإيمان بصدق ولائكم من خلال بحثكم عن أمل ولو كان بالارتماء

(١) نحن والآخر .. من إشكاليات العلاقة، محمد بن علي المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٦٩٥، الخميس ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٦هـ ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com

(٢) جمال أحمد حمزة خاشقجي وُلد في المدينة المنورة عام ١٩٥٨م. صحافي سعودي عمل في بداية مسيرته الصحافية مراسلاً لصحيفة سعودي جازيت، ثم أصبح مراسلاً لعدد من الصحف العربية اليومية والأسبوعية في الفترة الممتدة من ١٩٨٧م إلى ١٩٩٠م. عُين في منصب نائب رئيس تحرير صحيفة آراب نيوز من ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٣م، ثم تولى منصب رئيس تحرير صحيفة الوطن اليومية عام ٢٠٠٤م وشغل هذا المنصب لمدة (٥٢) يوم فقط إذ تمت إقالته. سبق أن التقى وأجرى مقابلات خاصة مع أسامة بن لادن في العديد من المناسبات قبل وقوع هجمات ١١ سبتمبر. إلى جانب عمله كمعلّق سياسي للقناة السعودية المحلية ومحطة "أم بي سي" و"بي بي سي" وقناة الجزيرة.

في حضن الشيطان الأكبر، ولكن لم تندفعوا لذلك إلا بعد أن غلقت دونكم الأبواب وأنتم ترون عالمكم العربي وأمتكم يترديان سياسياً وحضارياً، وفوق ذلك خوف من فتاوى المتنطعين وسطوتهم، فتعلقتم وقد كتمتم عقيدتكم بحبل أمريكي، ولم يعد يهمكم إن قال قائلهم إن هذا حبل من الشيطان))[(١)].

وفي نفس الوقت ومع ما يعيشه هذا التيار من عزلة شعبية وأقلية منبوذة على المستوى الداخلي، مما أكد صلاته الخارجية بالغرب من خلال علاقات خاصة بسفارات تلك الدول وتلقي الدعم بكل أشكاله، وهم لا يرون في ذلك بأساً بل يعدونه ضرورة من ضرورات الإصلاح، كتب إدريس أبو الحسن: ((فرغم تنكره لوجود صلات له من قريب أو من بعيد بأمريكا، يبقى الاتجاه الليبرالي متهماً من قبل العديد من الجهات المحلية، بوجود علاقة ما تربط بعض رموزه بسفارات محددة. وإذا صح أن للاتجاه الليبرالي في المملكة ارتباطاً بسفارات توجهه (ولن تكون غير الأمريكية والبريطانية)، فإن مرد ارتماء هذا الاتجاه في أحضان الغرب، ما هو إلا تنفيس عن حالة العزلة الشعبية التي يعيشها في الوطن. ولا أحد من المتابعين لطبيعة الشراكة بين الليبراليين العرب وأمريكا، ينفي وجود تنسيق سري وعلني بين الليبراليين العرب والمشروع الأمريكي في المنطقة، فحتى العديد من الليبراليين لا يرون بأساً بتلقي الدعم الأمريكي بكل أشكاله، ويرون ذلك ضرورة من ضرورات الإصلاح))[(٢)].

الأسلوب الحادي عشر: استغلال المرأة، لإخراجها من خدرها وإفساد البيوت والمجتمعات والمتاجرة بقضيتها على حساب عفتها وحجابها ومكانتها ودورها الحقيقي في المجتمع. وهذا الأسلوب من أخطرها لدى الفلاسفة العقلانيين ومن أكثرها طرقاً، بل إن المرأة لديهم هي قضية القضايا وأمها، فقد كتب جمال البنا كتاباً لأجل هذه القضية عنون له: بالمرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، والذي قال فيه: ((كل مشروع للنهضة بالأمة، لابد أن يضع فى صدارته قضية المرأة وتحريرها من الأسر والأغلال، التى فرضها

---

(١) السادة أعضاء حزب أمريكا في العالم العربي، جمال خاشقجي، صحيفة الوطن، الثلاثاء ١٨ ذي الحجة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤/٢/١٠م.

(٢) الليبراليون السعوديون: الأقلية الناطقة، إدريس أبو الحسن، شبكة القلم الفكرية www.alqlm.net.

المجتمع عليها بحيث تكون (إنساناً) حراً تسهم مع المواطنين فى بناء بلادها ... القرآن ساوى بين الرجل والمرأة فى كل شيء، وليس أدل على هذا من قول الله تعالى))[1].

يقول محمد المحمود: ((من المآسي التي تأخذ بخناق مجتمعاتنا التقليدية، وتجعلها ترتكس في مهاوي التخلف والانحطاط دركات ودركات، أن تصبح بدهيات الحقوق المدنية، لهذه الفئة أو تلك، مجالاً للأخذ والرد من هذا الفصيل الايديولوجي أو ذاك. فضلاً عن كون النقاش والجدل حول هذه الحقوق الإنسانية البدهية التي تمارسها كل امرأة على ظهر الأرض، يظهرنا أمام العالم أجمع، وكأننا مثال الانحطاط والتخلف والانغلاق الذي ليس له نظير؛ لأنه يرى الدنيا - من بعض فصائلنا المؤدلجة - حالة من الجمود ونوعاً من العقوق لبعضنا يستعصي على الفهم والتفسير ... المرأة هي الموضوع وهي القضية وهي الإشكال الذي سيبقى ميدان تجاذبات، بل وصراع، في المجتمعات التقليدية المحافظة التي يستبد بها هوس الجنس والعرض والشرف قبل هوس الإنسان. ستبقى المرأة قضية أو (أم القضايا!)، كما ستبقى قضايا المستضعفين والمهمشين والعمال قضايا عالمية حاضرة في الطرح المؤنسن، يجري الاشتغال عليها من قبل ذوي الاهتمامات الإنسانية في العالم (الإنساني) أجمع))[2].

ولا أكثر اهتماماً وشغلاً منهم على قضية المرأة، والتي جعلوها نصب أعينهم ومرمى سهامهم، تناولوا حجابها وخصوصيتها وعفتها وعملها واختلاطها بالرجال وخروجها وقيادتها للسيارة وسفرها دون محرم وتعليمها ما لا يناسبها من التخصصات لتزاحم الرجال، وكم بكوا على ظلمها زعموا وضرورة مساواتها بالرجال، وإعطاءها حقوقها السليبة، وهم لا يريدون إلا إفسادها وتحقيق شهواتهم ومآربهم بتفكك الأسرة وضياع المجتمع بل ويشعرون بالإحباط والمرارة ويصمون بالرجعية والتجمد كل من يطالب بإعطاء المرأة دورها الحقيقي والمشروع الذي ضمنه لها الإسلام.

---

(١) انظر: المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، جمال البنا (المتوفى:٢٠١١م)، القاهرة، دار الفكر الإسلامي، ٢٠١١م، الطبعة: الأولى.

(٢) المرأة: مسيرة العقوق والحقوق، محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٤٩٢، الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ٢ يونيو ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

يقول مشاري الذايدي متذمراً لتعثر مشروعهم النهضوي، بما عنون له التقدم إلى الخلف: (("التوكيد على الأهمية الكبرى لدور المرأة في الأسرة واعتبار الوظيفة الأساسية، وأنَّ عملها وتكسبها حق مشروع ضمنه لها الإسلام"، "التوكيد على حق المرأة في الأمومة، وحقها في الزواج" ما سبق أعلاه هو جزء من التوصيات التي تضمنها البيان الختامي الصادر عن اللقاء الثالث للحوار الوطني السعودي المنعقد في المدينة المنورة في الفترة ١٢- ١٤ يونيو ٢٠٠٤م. طبعاً من المحزن أن نكرر هذه (البديهيات) في هذا الزمن، بعد ملحمة قضية المرأة التي شهدتها ساحات الفكر والفقه والسياسة والمجتمع في عالمنا الإسلامي الحزين. لقد لبثنا في لحظة الإحباط أكثر مما ينبغي وشربنا من كأس المرارة حتى القطرة الأخيرة، وأخلفنا موعد الصبح إلى أن ألفنا نكهة الليل. ليست المشكلة أن نتعثر، المعضلة أن نتجلمد. والمأساة أن تأخذ ملامحنا مع الوقت شكل الحجر. لقد تعثر مشروع النهضة العربي، هل قلت تعثر؟ لا بل أصيب بالكساح. نعيد نفس الكلام، ونغزل على ذات النول، وكأننا مكلفون بنقل صخرة سيزيف الأزلية))[1].

الأسلوب الثاني عشر: إشاعة التحلل وإثارة الرغبات والشهوات وإسقاط المناعة الأخلاقية والسلوكية في المجتمع. وذلك من خلال الروايات الليبرالية التي غالباً ما تدور حول الجنس والشذوذ والخمر والإلحاد، وأيضاً من خلال الاجتماعات المختلطة والدعوة إلى الاختلاط.

فالمرأة لديهم هي كما تصفه الكاتبة الروائية السعودية سمر المقرن وتقول: ((الليبراليون في السعودية يتمسحون بالليبرالية وهم أبعد ما يكون عنها، فالليبرالية تعني الحرية وتعني الانفتاح لكنهم ينظرون إلى الليبرالية من الجانب التنظيري فقط، فعلى أرض الواقع كل تلك التنظيرات تتبخر وتعد كلاماً على ورق، كما أنهم ينظرون إلى المرأة باعتبارها ماكينة تفريخ، أوأنها وسيلة للترفيه والمتعة والجنس فقط، وينظرون لها نظرة لا أخلاقية))[2].

---

(١) التقدم إلى الخلف، مشاري الذايدي، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٩٣٥٢، الثلاثاء ١٨ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ ٦ يوليو ٢٠٠٤م. www.aawsat.com.

(٢) سمر المقرن، جريدة الصوت الكويتية، حوار خالد العلوي، ٢٠٠٨م www.sootkw.com.

وهذه العلاقات المتكررة والمشبوهة والمحرمة، والتي ظاهرها لقاءات العمل ومعارض الكتاب، والكتابة على صفحات الجرائد للطعن في الدين ولمز المتدينين، وباطنها استدراج الغافلات والمغرر بهن باسم الليبرالية وهذه إحداهن وهي الدكتورة "نوره الصالح"، عضو هيئة التدريس بجامعة الملك فيصل، حيث تحكي تجربتها مع التيار الليبرالي قائلة: ((قضيت سنوات طويلة أؤمن بقيم الليبرالية. أدافع عنها وأناضل في سبيلها، وأدبج الصفحات في جمالها، كانت الليبرالية هي الخيار الوحيد المطروح في الساحة! التحقت بإحدى جرائدنا التي توسط لي عندهم أحد أساتذتي الليبراليين ممن يكتبون فيها، وذهبت أكتب في سحر الليبرالية وجمالها، لكن بطريقة ملتوية، خوفاً من مقص الرقيب، وخوفاً من وصمي بالنفاق، أو تكفيري من قبل الإسلاميين ..

في الجريدة بدأت خيوط الوهم تتكشف أمام ناظري .. اتصل بي – من خلال البريد – الكثير من الليبراليين والليبراليات للتواصل ودعم التوجه الليبرالي بزعمهم .. وخلق جبهة ليبرالية تنسق فيما بينها وتتعاون في سبيل أهداف الجميع ... لكنها كانت صدمة الانحطاط السلوكي بينهم .. هالني جداً – ولازال – هذا الانحطاط الأخلاقي الكبير بين شباب وفتيات الليبراليِّة في وطني، وبدأ زعم المصداقية والشرف والأمانة الذي يدعونه ليل نهار يتزعزع عندي .. بدأت تنازعني الشكوك حول مصداقية دعاة الليبرالية في بلادي، وبدأت أفتح عيني جيداً. تكشفت لي الكثير جداً من الأسرار من خلال كتاباتي في الجريدة، واتصالي بالليبراليات والليبراليين ومحاورتهم. اكتشفت أن هناك علاقات بين بعض الكتاب والكاتبات برغم أن البعض منهم متزوجون! اكتشفت لقاءات دورية مشبوهة في استراحات خارج المدينة تُدار فيها أشربة محرمة، ورقص الفتيات في حضور كتاب وكاتبات بعضهم معروف في الصحافة ..))[1].

الأسلوب الثالث عشر: الدفاع عن الملاحدة والتسويق لهم ولإنتاجهم تحت شعار حرية التعبير ونسبية الحقيقة. يقول يوسف أبو الخيل: ((يشكل تَمثُّل واعتقاد (نسبية) الحقيقة

(١) لماذا هربت من الليبراليين؟ نورة الصالح، الثلاثاء ٢٠ شوال ١٤٢٩هـ ٢١/١٠/٢٠٠٨م، منتدى الجامعات السعودية www.ksau.info.

عنصراً هاماً وأساساً لنجاح أي حوار قادم، دينياً كان أم مذهبياً .. في مجال الحوار مع الملحدين بالله، نجد أن القرآن يعرض آراءهم ومنطلقاتهم "العقدية" بكل حيادية وموضوعية رغم تنكفها حتى عن الطبيعة الإنسانية التي لا بد وأن تربط، بداهة، بين وجود الكون وبين وجود خالق له، ثم يرد عليها، إما بالدليل المنطقي إن كان الموقف يستدعي ذلك، وإما بالإرشاد الهادئ البعيد عن الانفعال إن كان ما أنكروه مما يتصل بالبدهية أو بالضرورة العقلية ... مع ذلك، فإننا نجد القرآن، بعد استعراضه لحجج المخالفين والمكذبين والرد عليها بكل هدوء وعقلانية، يقرر حقيقة كونية وجودية، هي (نسبية) الحقيقة وأن كل طرف من أطراف الحوار يمسك منها بخيط.

ثم يقرر على هواه قائلاً: تلك هي مبادئ الإسلام في علاقته مع أهل الملل والنحل الأخرى، علاقة تسامح ومحبة وحوار ليبرالي رائع. وهي بالمناسبة، أعني تلك المبادئ، أهم مبادئ الليبرالية الحقة المعاصرة المتمثلة بحرية الضمير والمعتقد قبل أي شيء آخر. وهي، ويا للمفارقة، نفسها المبادئ التي يحذرنا منها متعهدو الزعيق في المشاهد التقليدية المختلفة، أي أنهم، كما يحذروننا مما يسمونها "مبادئ الليبرالية العفنة"، فإنهم في ذات الوقت، وعوا ذلك أو لم يعوا، يحاولون ليّ أعناق مطايانا عن أن تسير في طريق الهدي القرآني، لتستمر الأرضية ممهدة للفكر الخوارجي الذي لا يعيش إلا حيث تنعدم تلك التعددية في مظهرها الإسلامي الرائع. تلك التعددية التي يحاول التقليديون إخفاءها تحت عباءة ثنائية التكفير أو الارتماء! وهي ثنائية لا بد وأن تنتهي، بطبيعتها، إلى الوصائية، تلك الوصائية التي شخصها الفيلسوف الفرنسي فولتير بقوله: "إن الإنسان الذي يقول لي اليوم: آمن كما أؤمن وإلا سيعاقبك الله، سوف يقول لي غداً: آمن كما أؤمن وإلا قتلتك"))[1].

ولهذا فقد مجدوا الملاحدة وأضفوا عليهم ألقاب المفكرين والمبدعين، وفي عصرنا هذا ظهر ذلك جلياً واضحاً، بمدافعتهم عن الملاحدة الذين تطاولوا على الذات الإلهية واستهزأوا برسول البشرية – صلى الله عليه وسلم – ومنهم المسمى حمزة كاشغري الصحفي في جريدة

---

(١) أخلاقيات الحوار، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد: ١٥٠٢٠، السبت ١٧ شعبان ١٤٣٠هـ – ٨ أغسطس ٢٠٠٩م. www.alriyadh.com.

البلاد الذي تطاول على الله وشكك في وجوده سبحانه، وأساء الأدب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصرح بكراهة ما جاء به - صلى الله عليه وسلم - وصدر بحقه بيان هيئة كبار العلماء[1]، وأن ما قاله من الاستهزاء بالله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وبآياته وبشرعه وأحكامه من أعظم أنواع الكفر وهو ردة عن دين الله، ومع ذلك فقد دافع عنه بعض رؤوس الليبرالية ومنهم تركي الحمد الذي قال في رده على أحدهم الذي كتب له: ((أستاذي: كتب شاب مبدع خاطرة خيالية للقاء مع الرسول فهاج شباب تويتر واتهموه بالزندقة ..)) فأجابه: ((نحن نعيش في ظل ثقافة تحاصر الإبداع ومجتمع يعادي العقل ولكن البقاء للأجمل في النهاية))[2].

وكذلك دفاع الصحفي جمال خاشقجي عنه أيضاً، فقد نقلت صحيفة المرصد خبراً مفاده: انتقد الصحفي جمال خاشقجي لجريدة الوول ستريت جورنال الفتاوى المتشددة التي نشرت بعد كتابات كشغري المسيئة تظهر مستوى عدم التسامح في السعودية. ونقلت عنه الجريدة الأكثر انتشاراً في نيويورك في مقال نشرته حول تداعيات قضية كشغري أنه قال: ((أنه أشبه بالجنون هذا المستوى من عدم التسامح، أعتقد أنه وصل لمرحلة المرض في السعودية)) ووصف خاشقجي، وهو واحد من القلائل الذين طلبوا العفو لكشغري مستشهداً بآيات قرآنية حسب الجريدة، ما يحدث بأنه انعكاس لـــ((ثقافة الكراهية))[3].
حرية التعبير ونسبية الحقيقة.

الأسلوب الرابع عشر: التناقض بين الانتماء للأمة أو الانتماء للوطن لضرب وحدة الأمة. وهذا ما يكررونه ويدندنون عليه دائماً، ويُشنعون على من يُنادي أو يتكلم بمفهوم الأمة ويُشككون في وطنيتهم، بل جعلوه مؤشراً ودليلاً على خطاب الإسلاميين تحديداً دون غيرهم، يقول يوسف أبا الخيل: ((إن توظيف مفهوم الجماعة، كمعبر جلي عن تكييف العلاقة "الوطنية"على أساس ديني، سيعيد مفهوم "الأممية" إلى الساحة العلائقية من جديد. بل

(١) بيان عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء.

(٢) تركي الحمد، حساب تويتر، الجمعة ١٨ ربيع الأول ١٤٣٣هـ - ١٠ فبراير ٢٠١٢م.

(٣) الفتاوى ضد "كاشغري " انعكاس لـــ ثقافة الكراهية، جمال خاشقجي، الخميس ١٦ ربيع الأول ٩ فبراير ٢٠١٢م صحيفة المرصد الإلكترونية www.al-marsd.com.

إن مفهوم الجماعة ما هو، فيما يتغيه، إلا وجه آخر من وجوه المفهوم الأممي. والمفهوم أو الأيديولوجية الأممية .. تنبذ، أول ما تنبذ، مفهوم الأوطان القُطْرية نفسها، وعلى إثرها ضرورة، تنبذ مفهوم الوطنية))[1].

والوحدة المجمع والمجتمع عليها في بلادنا والقائمة على الاعتصام بالكتاب والسنة، يضيقون بها ذرعاً ويرون أنها سبب للتشدد وتسلط الإسلاميين ومصادرة آراء الآخرين بل وصورة من صور الانغلاق المذهبي والجمود والتطرف، ويفرحون أيما فرح بالتفرق والتشرذم وحضور المبتدعة وتسلطهم، وضياع وحدة الأمة وتمزيق صفها واختلاف كلمتها.

فهذا عبد الله بن بجاد يقول: ((في قاعة فندق المترو بوليتان.. التأم عقد المؤتمر الثاني للحوار الوطني، الذي ضم بين جنباته في تلك الرحاب الطاهرة ما يمكن تسميته فسيفساء الوطن السعودي الكبير، لم يكن بيننا متبوع وأتباع ولا آمر ومأمور لقد اجتهد القائمون على تنظيمه أن يشمل كافة الطوائف الدينية .. الشيعة من الأحساء والمدينة، والصوفية من الحجاز ومكة، والإسماعيلية من نجران والسلفية من نجد، كما ضم كافة التوجهات الفكرية من إسلاميين وليبراليين وتنويريين بل حتى التوجهات السياسية لم تغب عن ذلك المشهد الرائع في ذلك المؤتمر فكنا نسمع للمعارض كما نسمع للموالي كلاهما يملك نفس الفرصة ونفس الأمن ونفس الحق في الحديث وإبداء وجهة النظر ولكن تحت مطرقة رئاسة اللقاء التي تحصر أنفاسك في ثلاث دقائق، لتجبرك على ضغط أفكارك وتركيزها، وكان صوت المثقفات السعوديات الحاضر بقوة في كل جلسات المؤتمر، يأتي ندياً بالمعرفة قوياً بالموقف من الصالة الأخرى، وقد اكتشفنا أن المثقفات منقسمات مثلنا على الضفة الأخرى))[2].

هذه بعض الأساليب التي يتبعها الليبراليون، لنشر باطلهم وبث سمومهم، وصرف الناس عن دينهم الحق بحجة التطوير والتنوير وتجديد الإسلام. وهناك من يرى أن الأساليب

---

(١) الوطنية والعودة إلى المربع الأول، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد: ١٥١١١ السبت ١٩ ذي القعدة ١٤٣٠هـ - ٧ نوفمبر ٢٠٠٩م. www.alriyadh.com.

(٢) حول: اللقاء الثاني للمؤتمر الوطني للحوار، عبد الله بن بجاد، جريدة الوطن، العدد: ١٢٢٠، الأحد ٩ ذي الحجة ١٤٢٤هـ - ١ فبراير ٢٠٠٤م. www.alwatan.com.

والوسائل، أسماء لمسمى واحد. فهي مجموع الطرق المؤدية إلى إيصال المطلوب والمراد إلى عموم المتلقين، سواء سميت وسيلة أو أسلوباً، ويبرر هؤلاء رأيهم هذا بأمور منها:

١. أن الوسائل والأساليب مشتركة في المدلول اللغوي، راجعة إلى معنى واحد وهو: "الطريق"، ولهذا أتت التعريفات الاصطلاحية للوسائل الدعوية وأساليبها كلها متقاربة، متفقة، مجتمعة في معنى واحد، وهي أن الوسيلة والأسلوب هما الطريق الأمثل الذي يمكن الداعية من إيصال مضمون الدعوة بطرق شتى.

٢. طرق الدعوة، أو مناهج الدعوة، أو أساليبها أو وسائلها، جميعها تتحدث عن معنى واحد، وهو طرق إيصال الدعوة. وعليه فإن من وسائل الليبراليين أيضاً في هذا الزمان، والتي ساعدتهم ومكنت لهم من إيصال رسالتهم، ما يلي إجمالاً: الصحف والمجلات، الروايات والقصص، شبكة المعلومات العالمية الأنترنت، (مواقع ومنتديات ومدونات)، معارض الكتاب المحلية والدولية، الندوات والمحاضرات، المهرجانات والمسرحيات، القنوات والإذاعات، الأفلام والفن، النوادي الأدبية.

ثانياً: أساليب أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين بجانبه الإرجائي

وكما سبق فإن هذا الجانب يتعلق بدعوة الدكتور عمرو خالد، وما رافقها من الأساليب والوسائل المؤثرة في صفوف الشباب والفتيات سلباً، وأسهمت بشكل غير مباشر في نمو وامتداد ظاهرة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، والتي أدخلت وجمعت فئاماً كثيرة منهم تحت مفهوم التدين الجديد بناء على ما سبق. ومن تلك الأساليب المتبعة عند أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين بجانبه الإرجائي ما يلي:

الأسلوب الأول: الترخص والتيسير والتسامح وتقديم الدين للشباب بمواصفات خاصة كوجبة شهية من (الدين اللذيذ)، دون (التكليف المر)، فلم يحمِّلهم هم هذا الدين، حيث يعرض عليهم دينا "لا شوكة فيه"، ولهذا فليس عند هذا الجيل إشكالية في التعايش مع المفهوم العلماني للدين! نظرا لمفهوم "الإرجاء" الشائع في أوساطه، ولاختلاط المفاهيم والأحكام الشرعية لديه، ونشر الفتاوى والاجتهادات تجري على أشدها لإكساب المشروعية

لكثير من الأفعال التي درج الشباب، لذلك فلا غرابة أن تجد في سلوكيات الدعاة والمدعوين الكثير من المخالفات الشرعية الظاهرة! هي في نظرهم أموراً مباحة أو سهلة!!

وهذا ما تم التأكيد عليه ((أن نموذج عمرو خالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب والطبقات العليا في مصر، ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر، بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين وفي ألا تحمل شعوراً بالذنب أو إحساساً بالتقصير يدفعها إلى إعادة النظر في وضعها الاجتماعي وما يكفله لها من امتيازات لا تتاح للطبقات الأقل، وهو تدين ذو مواصفات خاصة لن تجده هذه الشرائح في خطاب الشيوخ التقليديين))[1].

الأسلوب الثاني: البرامج التفاعلية الحية والتواصل المباشر والحوار الثنائي والمختلط غالباً، المقترن بالإثارة كالبرامج التلفزيونية التي يقوم عليها شباب من الجنسين ليتناولوا مسائل دينية ونفسية وتربوية من منظور "إسلامي"، مع تبادل الحوار والطرفة والجلسة "الأخوية"! من مثل برنامج "يللا شباب" على الــ M.B.C. – وهي أساليب محببة وجذابة لكثير من جيل اليوم – لا على التلقي والتوجيه! كما هو معتاد! ومن تلك البرامج على سبيل المثال ((الداعية عمرو خالد ينفذ برنامج تلفزيوني بعنوان (مجددون) المكتب الإعلامي للأستاذ عمرو خالد ١٥/ ٠١/ ٢٠١٠م.

بعيداً عن برامج الوعظ المعتادة عمرو خالد يقدم برنامج (تليفزيون الواقع) بمشاركة ١٦ شاباً وفتاة بينهما اثنان من السعودية معالي فقيه وعبد العزيز النعمان نموذجان مشرفان للشباب السعودي في (مجددون). عمرو خالد: (مجددون) برنامج (تليفزيون الواقع) الهادف الأول من نوعه في العالم العربي قدمنا برنامجاً تنموياً في صورة عصرية جذابة لم تغفل الجانب الترفيهي، أكد الداعية الأستاذ عمرو خالد أن برنامج (مجددون) هو برنامج تليفزيون الواقع الهادف الأول من نوعه الذي يقدم للعالم العربي. وأكد أيضاً أنه أول برنامج تليفزيون واقع

---

(١) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

يشبه منطقتنا العربية وثقافتها ولا يعتبر نقلاً لثقافة أخرى إلى ثقافتنا العربية.

وقال إن الشباب الذين يشاركون في البرنامج عاشوا مع عمرو خالد لمدة ٨ أشهر تلقوا خلالها تدريباً تنموياً ومهارياً وإعلامياً وتدريباً للقدرات على التحمل. هذا العام نقدم للعالم العربي ١٦ شاباً وفتاة وفي العام المقبل سنقدم عدداً أكبر. وخلال البرنامج ينقسم المشاركون إلى فريقين، فريق الشباب وفريق الفتيات وتسند إليهم مهام تنموية واجتماعية وحضارية وإعلامية ورياضية وتحدد مهلة لإنجاز المهمة. وكل مهمة تمثل حلقة من البرنامج وتم تصوير برنامج (مجددون) في خمس دول هي لبنان والأردن ومصر والسودان وبريطانيا. ويقوم عمرو خالد في البرنامج بدور محرك المهام والقائد الذي يرشد ويوجه ويقيم. كما يربط عمرو خالد في كل مهمة من المهام علاقة هذه المهمة بالإيمان تأكيداً على رسالته القائمة على مبدأ (التنمية بالإيمان).

شارك في إنتاج برنامج (مجددون) قناة دبي ومؤسسة (رايت ستارت فونديشين) الخيرية المسجلة في بريطانيا ويرأس عمرو خالد مجلس أمنائها ومجموعة من الشركات متعددة الجنسيات. وقال عمرو خالد إن إقناع شركات متعددة الجنسيات بدعم مثل هذه البرامج يعتبر نقلة في دعم رسالة الإصلاح والعمل الخيري والتنموي في العالم العربي))[1].

الأسلوب الثالث: الفضائيات ومواقع الإنترنت والتلقي المباشر والذاتي للثقافة منها! وهي مختلطة تجمع بين ما هو إسلامي وما هو مخالف للإسلام.. فصور مشاهير الممثلين والرياضيين والمغنيين.. إلخ، مع روابط الأغاني والموسيقى (المنتخبة)!! ويعد برامجه المتنوعة على القنوات الفضائية، وهي متأثرة إلى حد بعيد بالبرامج المختلطة الأخرى!. فإن القنوات الفضائية تجد في صنف (الدعاة الجدد) ومنهم د. عمرو خالد، فرصة في تقديم البديل الإسلامي ليلبي تلك الرغبات، وتحاول تلك القنوات صنع هؤلاء الدعاة (على أعينها) لعدم مصادمتهم غالباً لمضامين الرسالة الإعلامية لها. بل وتحرص بعض هذه القنوات على استغلال

(١) الداعية عمرو خالد ينفذ برنامج تلفزيوني بعنوان (مجددون)، صحيفة سعورس الإلكترونية، الثقافية، بتاريخ ١٥/١/٢٠١٠م. www.sauress.com

التيار وركوب الموجه، بتقديم نفسها كبديل إعلامي، أو أنها تمزج بين ما هو إسلامي وغيره، مما يجعلها أكثر قبولاً لدى شريحة المتدينين الجدد بما تقدمه لهم من خليط إسلامي غربي.

وفي ظل ما كانت تعيشه بعض الدول الإسلامية خاصة، وقبل ما عرف بالربيع العربي من الكبت والقمع وتغييب دور الدعاة والمساجد، فكانت هذه القنوات هي البديل المناسب والوحيد للمعرفة والثقافة الدينية لدى تلك المجتمعات في الجملة، وقالت الباحثة الجامعية التونسية سنية المنصوري في تصريح لـــ(إسلام أون لاين. نت) بتاريخ ٢٠٠٣/٧/٣١م: ((إن وجود قنوات فضائية إسلامية أمثال اقرأ والمجد وغيرهما من الفضائيات، قد مثل مصدراً بديلاً للمعرفة الإسلامية وللفتوى الدينية، خصوصاً لدى الفتيات والنساء، في ظل غياب الدعاة والوعاظ الدينيين عن المساجد والبرامج الإذاعية والتلفزيونية المحلية (بسبب التضييق الأمني من جانب السلطات التونسية)، كما أن الدعاة الدينيين من أمثال (عمرو خالد) و(حبيب علي الجفري) قد تحولوا إلى شخصيات مؤثرة في أوساط اجتماعية كبيرة بتونس))[١].

وأضحت هذه القنوات الفضائية وكذلك الشبكات المعلوماتية هي مصدر التلقي الرئيس لشريحة كبيرة من أبناء المسلمين قد عُلقت بها قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، وشغلت جُل أوقاتهم فمنها يتعلمون وعنها يصدرون في كثير من شئون دينهم ودنياهم، وأكثر تلك القنوات والشبكات مختلطة المشرب غثها غالب وكدرها ظاهر وسُمها ناقع منتشر لا يحتاج إلى دس، و لم يعد لدى كثير من المتلقين تمييز بين الحق والباطل، ودخل عليهم من خلال هذه الوسائل كثير من الشُبه والشر والفساد، ما حرفهم عن حقيقة دينهم، وكيد أعداء الله وسيطرتهم وتوجيههم لكثير من هذه الوسائل غير خاف على أحد.

الأسلوب الرابع: الإلقاء والخطاب الوعظي والقصصي الجماهيري المباشر من خلال المسارح والقاعات، والتجمعات الشبابية والشاشات الفضائية، (في وقت تعاني فيه الساحة الإعلامية من جفاف روحي وفراغ إيماني في برامجها الهابطة إلى مستوى الحضيض) وما يملكه

(١) تونس .. الفضائيات البديل الأمثل للدعاة، د. خالد شوكت، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

المتحدث من أدوات وأساليب مؤثرة في الخطاب وهالات وبهرجة مصاحبة، تفوق أحياناً على الخطاب نفسه ومضامينه وما يحمله من رسالة لابد أن تصل إلى قلوب المشاهدين وأسماعهم ليستفيدوا منها ويعملوا بها.

يقول د. سعد الدين إبراهيم: ((كاريزما عمرو خالد وخطاب إسلامي جديد تحدث الداعية الإسلامي الشاب عمرو خالد لطلبة الجامعة الأمريكية في قاعة الاحتفالات الكبرى، يوم الاثنين ٢٠٠٦/٣/٢٧م، لأكثر من ساعة، ثم أجاب على أسئلتهم لأكثر من ساعة أخرى، وكان المشهد من بدايته إلى نهايته مهرجاناً شبابياً مفعماً بالحرارة والبهجة والحماس، حتى إن مضمون الرسالة نفسها بدأ ثانوياً. إذ أن اللقاء نفسه كان هو الأهم بالنسبة للمتحدث الشاب والمستمعين الشباب. ولولا مضمون الرسالة وما أعرفه عن المتحدث، لقلت إن المشهد كان أشبه بحفلات فريق "البيتلز" في عقدي الستينات والسبعينات، فقد كان حماس وضجيج وصخب الجمهور الذي يصاحب ظهورهم علي المسرح أمراً غير مسبوق في تاريخ حفلات الموسيقى والطرب في الغرب إلى تاريخه، وإن كان قد أصبح بعد ذلك أمراً معتاداً مع فرق مشابهة في الغرب. ولكن في شرقنا العربي، فإن هذا النوع من الاستقبال الصاخب ظل غير معهود، على حد علمي. وحتى إذا كان شبابنا قد أخذوه عن الغرب في السنوات الأخيرة، فإن ذلك ظل مقصوراً على حفلات الموسيقى والغناء، وليس في المحاضرات العامة، خاصة إذا كانت في الجامعات))[1].

الأسلوب الخامس: المظهر الخاص لهؤلاء الدعاة بارتداء البدلة أو الجينز وربطة العنق وأيضاً حلق الذقن، في حين يقدمون للشباب إمكانية أن يجمع بين التدين والاستمتاع بالحياة العصرية، مع شيء من الضوابط الأخلاقية. وهذا أحد الأساليب والمسالك المؤثرة في المتلقين من خلال المحاكاة والتقليد والمتابعة لهذا الداعية في قبول بعض المخالفات الشرعية وإلفها والتعود على مشاهدتها من القدوات، يقول عاصف بيات: ((ولا يكتفي عمرو خالد باختيار الأماكن التي تتناسب مع جمهوره، بل هو نفسه في مظهره يشبه هذا الجمهور فبعكس شيوخ

(١) كاريزما عمرو خالد وخطاب إسلامي جديد، سعد الدين إبراهيم، الموقع الرسمي لعمرو خالد، المكتبة، ٢٠٠٦/٤/١م. www. amrkhaled.net.

الأزهر يرتدي خالد الجينز أو البدلة وربطة العنق، وهو أيضاً حليق الذقن))[1].

الأسلوب السادس: الفنون، فالقطاعات الشبابية داخل بعض الدعوات الإسلامية أصبحت تتعامل مع الفنون بقوة، وأصبحت بعض التزكيات داخل الدعوة توصي بمشاهدة بعض الأفلام السينمائية والأعمال المسرحية، وكثيرة هي النقاشات حول الأعمال الفنية حتى الهوليودية منها داخل مواقع الإنترنت، وساحات الحوار المتعلقة بالحركات الإسلامية، كثمرة لتلك الدعوة، وإقامة المسابقات في بعض فروع الفنون، ورصد الجوائز لها أمر ظاهر.

ولذلك أصبحت تجد أن د. عمرو خالد لا يتردد في أن يذكر علاقته بالفن والأعمال المسرحية أو الأغاني أحياناً، ومن كلامه في قناة المستقبل اللبنانية: ((على فكرة أنا في مسرحيات للأستاذ! عادل إمام ما أقدر أقوم من قدامها، بموت من الضحك، وفي مسرحيات للأستاذ محمد صبحي ما أقدر أقوم من قدامها ويقول: لو في مسرحية أو في فلم بيعرض حاجة هادفة الفن في حد ذاته يعني أنا لست مكسوفاً إني أنا أقولك أروح فلم أو مسرح ما المشكلة! لكن ما الذي يُعرض؟ لو الذي يُعرض حاجة جيدة، يعني مسرحية مثل مسرحية الأستاذ عادل إمام "شاهد ما شافش حاجة" من لم يضحك عليها؟ ومن لم يتفرج عليها؟

ود. عمرو خالد كما يقول عن نفسه عندما سُئل عن سماعه للغناء فقال: ((نعم طبعاً أيام ثانوي وإعدادي كنت باسمع لأغاني وبلا شك إنه ممكن من حين لآخر أكون باسمع أغنية لكن الوقت ضيق، لكن يعنى بالشكل العام ما هي الأغنية وما هو الكلام الذي يُقال))[2].

ود. عمرو خالد أيضاً له اهتمامات أخرى في جانب الفنون، ويستمر معنا إحسان الظن بشخصه والهم الذي يحمله في نشر الإسلام والدعوة إليه، ولكنه قد يرتكب أخطاء

---

(١) الشباب المتدين بين عمرو خالد وعمرو دياب، عاصف بيات، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net. الخميس، ٠٣ مارس ٢٠٠٥ م.

(٢) عمرو خالد، لقاء مع قناة المستقبل اللبنانية، ٣ مارس ٢٠٠٥م، مقطع يوتيوب. النص باللهجة المصرية، بتصرف.

عدة في دعوته وعمله للإسلام وتجاوزات غير مبررة، خاصة وهو محل نظر الملايين من المتابعين وخاصة الشباب، وهذا هو الأمر الأشد خطراً والأعظم ضرراً، وأحد أهم الأسباب في نشوء ظاهرة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

فها هو: ((الأستاذ عمرو خالد حكماً في مسابقة مؤسسة توني بلير العالمية للفيلم لبنان إدارة الموقع ٢٠١٠/٤/١١م. أعلن الأستاذ عمرو خالد عن مسابقة الفيلم العالمية التي تنظمها مؤسسة توني بلير الإيمانية، حيث سيكون على الشباب المشاركين الذين لا تتجاوز أعمارهم عن ٢٥ سنة إنتاج فيلم قصير يعرضون فيه "كيف أن الإيمان ملهم لصاحبه". فعلى الراغبين في المشاركة في المنافسة إرسال أفكارهم قبل الـــ١٢ من نيسان الجاري إلى موقع مؤسسة توني بلير الإيمانية www.tonyblairfaithfoundation.org علماً بأن المؤسسة ستوفر آلة تصوير لكل صاحب فكرة تم اختيار فكرته ضمن أفضل ٥٠ فكرة مقدمة للمؤسسة، مما سيمكنهم الاحتفاظ بكاميراتهم بعد الانتهاء من العمل، كما أن هناك قسماً خاصاً لمن يمتلك معدات تصوير لفيلمه الذي لا يجب أن يتجاوز الـــ ٣ دقائق. هذا وسيتوجه الفائزون الثلاثة بجائزة الفيلم إلى لندن لعرض أفلامهم في الأكاديمية البريطانية لفنون التلفزيون والأفلام أمام لجنة من الشخصيات العالمية. علماً أن الأستاذ عمرو خالد سيكون ضمن لجنة التحكيم التي تضم كلاً من "جت لي – ناتالي بورتمن وجلالة الملكة رانيا". "هي فرصة للشباب لبناء جسور دينية وثقافية في كافة أنحاء العالم"، يقول الأستاذ عمرو خالد، "وهي فرصة لهم أيضاً للتعبير عن إيمانهم بكلمات يصوغونها بأنفسهم، أتطلع إلى رؤية أفلام إلهامية .."))[1].

الأسلوب السابع: خطاب مرتادي النوادي الراقية (الشمس والصيد وسبورتنج) التي امتلأت بجمهور كان قد تعود على ارتياد أماكن اللهو، وقد نشر هذا الجمهور في أنديته صلاة القيام والدروس الدينية، وشهدت الجامعة الأمريكية – وهي مكان نخبة النخبة مادياً في مصر – صعوداً لتيار إسلامي متعدد الوجهات والاتجاهات". والمكان والشريحة المستمعة معاً قد فرضتا خطاباً وتديناً بمواصفات خاصة هو في الغالب نتاج فقهاء الرُّخص والتيسير والتسامح.

(١) الأستاذ عمرو خالد حكماً في مسابقة مؤسسة توني بلير العالمية للفيلم، الموقع الرسمي لعمرو خالد، إدارة الموقع، تاريخ النشر ٢٠١٠/٥/٣١م. www. amrkhaled.net.

ود. عمرو خالد نشأ وتربى في هذا الوسط الاجتماعي الذي يذهب إلى النادي ويختلط مع فتيات العائلة، لذلك فإن خطابه يبقى في الحدود التي يجد فيها الاستجابة والتفاعل من الوسط المحيط، والذي اتسع مع الأيام، وأصبح الخطاب يستهوي الكثير لما يتضمنه من مواصفات تتفق ورغبات البعض، وإن كانت أحياناً تتعارض مع أحكام الإسلام، يقول أحمد زين: ((ومن الأمثلة على دعاة هذا التيار الأستاذ عمرو خالد: "فهو من هذا الوسط، الذي يذهب للنادي ويختلط مع فتيات عائلته، فهو لن يقدم وجهة نظر مثالية أو متخيَّلة، بل على العكس، سيقدم وجهة نظر واقعية تحاول أن تتحرك بالواقع بعض الشيء، لا أن تتجاوزه وتتخطاه، فليس ثمة فراغ اجتماعي، بل هو مجرد التعديل على النمط، فلا مشكلة أن تتحدث الفتاة في التليفون مع ابن عمها، ولا مانع أن ترافقه إلى عمل أو زيارة، ولا مشكلة أن يتصلا ببعضهما لترتيب زيارة إلى ملجأ أو رحلة جماعية مع بعض المسنين، أو ينزلا في سيارة أحدهما لشراء احتياجات هذه الرحلة، وهذا ما يمكن أن يفسر ابتعاد عمرو خالد عن هذه المساحة، وعدم محاولة أن يتدخل في مساحة لن يستجيب له أحد فيها))(١).

ويتوجه خطاب د. عمرو خالد غالباً لأبناء النخب المستقرة بأعلى الهرم الاجتماعي، ملبياً لرغباتهم في التدين، كما يقول حسام تمام ((فترى الدراسة التي أعدها "باتريك هايني" أن نموذج عمرو خالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب والطبقات العليا في مصر ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين وفي ألا تحمل شعوراً بالذنب أو إحساساً بالتقصير يدفعها إلى إعادة النظر في وضعها الاجتماعي وما يكفله لها من امتيازات لا تتاح للطبقات الأقل، وهو تدين ذو مواصفات خاصة لن تجده هذه الشرائح في خطاب الشيوخ التقليديين))(٢).

الأسلوب الثامن: المخيمات الصيفية والبرامج الاجتماعية، والأعمال الخيرية (المشتركة

---

(١) المتدينون الجدد من الـــ(تيك أوي) إلى (ون كليك) أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net

(٢) عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع العرب نيوز www.alarabnews.com.

والمختلطة بين الشباب والفتيات) كزيارة إلى ملجأ أو رحلة جماعية مع بعض المسنين وهذا النوع من الأساليب والوسائل المشتهرة والمتكررة في دعوة د. عمرو خالد والطبقة التي تتفاعل مع خطابه غالباً، والتي اتسعت مؤخراً نتيجة لوسائل النقل والاتصال التي أتاحت فرصة المشاركة للجميع. وأصبحت هذه المخيمات الصيفية التدريبية والبرامج الاجتماعية الخيرية صورة من صور التدين لدى هذه الشريحة من الشباب والفتيات، مع شيء من الترخص في سلوكياتهم.

يقول أحمد زين من واقع تعامله مع هذا الوسط: ((أعتقد أنني تعاملت كثيراً مع المتدينين الجدد فتياناً وفتيات، سواء في العمل أو الدراسة أو العمل الخيري وغير ذلك من مناشط، وفي كثير من هذه الاحتكاكات تولدت عندي بعض الملاحظات التي أثارت دهشتي، فهذه الشريحة التي ترى نفسها ملتزمة بالإسلام، وبعضهم يمارس بعض الواجبات الدعوية، وكثيراً ما يحدثك عن قصة التزامه، وعن روعة التدين الذي وجد نفسه من خلاله، ومع كل هذه المظاهر، فإن ثمة ترخصاً تلاحظه على سلوكياتهم، وسأحاول وضع هذه المظاهر بين قوسين دون ترتيب: (فتيات يضعن الماكياج الخفيف - يتساهلن في التعطر والنمص - ملابس ضيقة أحياناً - مزاح وضحكات عالية بين الجنسين - حديث بين فتى وفتاة بعيداً عن المجموع، لا مانع أن يكون استشارة أو شكوى - متابعة أحدث الأفلام في السينما العربية والغربية - سماع الموسيقى الغربية ومتابعة أخبار الفنانين - عدم ظهور الاهتمام بغض البصر ... إلخ))[1].

وقد أقام عمرو خالد معسكراً في بريطانيا جمع فيه الفتيان والفتيات فوق سن العاشرة، ويتضح من إعلان البرنامج بعض أهدافه وما اشتمل عليه من فعاليات: ((Amr Khaled Training Camp Summer مخيم عمرو خالد الصيفي (استمتع بأحلى أسبوعين في بريطانيا مع عمرو خالد) (للأسف العدد محدود يا تلحق يا ما تلحقش).

البرنامج: برنامج صيفي للفتيان والفتيات لصيف ٢٠١٠م بريطانيا فوق سن ١٠

(١) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

سنوات لغاية ١٧ سنة ويستمر لمدة أسبوعين في الفترة مابين ١٠-٢٤ يوليو المكان: مدينة برمنجهام ونور فولك))[١]. وفي هذه البرامج من المخالفات الشرعية ما هو ظاهر.

الأسلوب التاسع: استعمال اللغة العامية، وهي جزء وزاوية في دعوة د. عمرو خالد، وأحد الأساليب البارزة والواضحة في دعوته، وهي تمثل قُرباً وسهولة لدى المتلقين والمستمعين لهذه الدعوة مما يجعلهم أكثر استجابة لها وتأثراً بها، وفي نفس الوقت هو تقليل من شأن العربية ونشر وإذاعة للعامية مع مرور الوقت وكثرة وتعدد المواد الدعوية المقدمة، وكثير منها مُتعلق بلغة العلم، وقال الله، وقال رسوله - صلى الله عليه وسلم -.



(١) مخيم عمرو خالد الصيفي Training Camp Amr Khaled Summer موقع الفيسبوك Face book ٢٠١٠م.

المبحث الثالث:

مصادر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

قال ابن منظور: تحت مادة (صدر): ((الصَّدْر أَعلى مقدَّم كل شيء وأَوَّله حتى إِنهم ليقولون صَدْر النهار. وقال أيضاً: وصَدْر الأَمر أَوّله وصَدْر كل شيء أَوّله))[1].

فيعبر عن المصدر فيقال مصدر الشيء أي سببه المنشئ، وعليه فإن مصادر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، تشمل بداياته وأول أمره، والأسباب التي أدت إلى حدوث هذا الانحراف حتى وصل إلى ما هو عليه اليوم.

وسبق الحديث مفصلاً عن أسباب نشأة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين[2]، والمصادر التي كانت سبباً في نشوء هذه الظاهرة وتناميها وانتشارها، وسأعرض لأهم تلك المصادر المشتركة جملة باختصار.

المصادر المشتركة:

ويمكن أن تجتمع تلك المصادر فيما يلي:

الأول: الجهل.

الثاني: الفتاوى والأقوال الشاذة.

الثالث: تأثير جذور الفرق القديمة.

الرابع: الفلسفة القديمة، والفلسفة الغربية المعاصرة.

وأما المصادر مفصلة مرتبة ترتيباً منطقياً، فهي كما يلي:

أولاً: مصادر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه المعتزلي العقلاني

وأبدأ بأهم المصادر وهي كما يلي:

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج٤ ص٤٤٥.

(٢) انظر: ص ١٩٦ وما بعدها، لمزيد من التفصيل.

المصدر الأول: الاعتماد على العقل

وهو أخطرها، بمعنى أن أفكارهم وآراءهم وأهواءهم العقلانية هي المعتبرة وهي المقدمة على كلام الله – تعالى – وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم –، وهي المحكمة أيضاً، ولا مقارنة بين كلام الله وما تمليه وتنتجه عقولهم، فكلام الله هو الحق والصدق، والله – سبحانه وتعالى – هو العليم الخبير وهو الكامل له الكمال المطلق، أيقارن بنتاج العقل؟

العقل عقل البشر، والبشر ناقصون، ويعتريهم السهو والخطأ والنسيان والخلل والضلال والوساوس والشكوك، فكيف تكون عقولهم هي المحكَّمة؟ لكن هؤلاء قد انطمست فطرهم، وزالت عقولهم، عقول الهداية نسأل الله السلامة والعافية، فجعلوا العقل هو المقدّس، بل قالوا: دلالة النقل والشرع ظنية، ودلالة العقل قطعية، وإذا تعارض ما في أذهانهم مع كلام الله ورسوله فالمقدم ما في أذهانهم، بزعمهم. وقد ذمهم الله على اتباع أهوائهم، وأن في ذلك فساد السموات والأرض ومن فيهن، فقال جل شأنه: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فمن هنا جاءوا بما خالف منهج السلف وعقيدتهم، ووقعوا في أمور كبرى في الدين أخرجتهم عن السنة والجماعة، وبذلك اعترضوا على دين الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أمور كثيرة، صار ميزانهم عقولهم، ما قبلته عقولهم من التشريع والأحكام والعقائد أخذوا به، وما لم تقبله ردوه. وكان ذلك من موانع هدايتهم وسبب في ضلالهم عن الحق: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

المصدر الثاني: تقديس آراء الرجال

وهو تقديس آراء الرجال المقدسين فيهم، وتقديم كلامهم وآرائهم على كلام الله وكلام رسوله. وهو ما نهى الله عنه، فقال سبحانه مُحذراً ومذكراً: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحجرات: ١]، فأهل الفرق وأهل الهوى إذا جاءهم آية من كلام الله أو حديث عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ربما يقول

بعضهم: نعم هذا حق، لكن لابد أن يرجع إلى رأي شيخه ماذا يقول في الآية أو في الحديث؟ ولابد أن يرجع إلى القواعد والمناهج التي وضعها كبارهم ورؤساؤهم الذين يُرجع إليهم.

فمثلاً: أصحاب الطرق الصوفية إذا جاءهم آية أو حديث يرجعون إلى الولي وإلى شيخ الطريقة ماذا يقول في الآية والحديث؟ والمعتزلة إذا جاءهم آية أو حديث رجعوا إلى قول النظام أو القاضي عبد الجبار أو نحوهم ليروا ماذا يقولون؟ فإن كان قولهم يوافق الكتاب والسنة أخذوا به، وإن عارض الكتاب والسنة ردّوا نصوص الكتاب والسنة، وقدموا آراء الرجال، هذا هو منهجهم.

المصدر الثالث: الأهواء والأمزجة والرغبات الشخصية

أغلب العقلانيين إنما دينهم أهواؤهم، خاصة فيما يتعلق بالأحكام الشرعية، أحكام الحلال والحرام، وأغلب الأمور العملية في الشرع إنما ميزانهم فيها الأهواء، ما يهوونه يعملون به ويأخذون به، وما لا يهوونه يردونه بوسائل الرد التي ردوا بها أمور العقائد، وهذه دعوى شيطانية عند من يروجون المحرمات، وأصبح فئام من الناس يجعلون الدين خاضعاً لأهوائهم ورغباتهم، ويخضعون نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف لما يهوونه وما يرغبونه، وما لا يهوونه ولا يرغبونه يردونه بأي صارف من الصوارف التي يرفضون بها النص، وهذا الاتجاه ظاهر في بعض كتاب الصحف والإعلاميين، وفي كثير من التوجهات والاتجاهات المعاصرة، فهم يعوّلون على رغبات الناس، فحين تشيع فاحشة من الفواحش أو تصرف خاطئ من التصرفات يقولون: هذه رغبات الناس، وهذا ما يهواه الناس وما يريدونه فيجعلون رغبات الناس والأهواء هي الميزان، وهذا هو الضلال المبين.

المصدر الرابع: الفلسفة

والفلسفة عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ((الفلسفة: العلم الأعلى عندهم والحكمة العليا وعلم ما بعد الطبيعة باعتبار الاستدلال وما هو قبلها باعتبار الوجود وهو الذي يسميه طائفة منهم العلم الإلهي))[1].

---

(١) الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (المتوفى: ٧٢٨هـ)، بيروت، =

وهي هنا تعني الفلسفة بمعناها القديم والحديث، وتعني: الكلام في أمور الغيب بغير علم، وهذا الكلام يسمونه: إلهيات، أو ما وراء الطبيعة، والكلام فيما عدا عالم الشهادة هو بمجرد الظن ولا يمكن أن يتكلم الإنسان في الغيب إلا بظن، بل هو الظن السيئ، لأنه لا يمكن لأحد أن يطّلع على الغيب إلا من أطلعه الله عليه، وما عداه فلا يمكن الكلام فيه. والفلسفة هي من الكلام في أمور الغيب بغير دليل ولا برهان. وهي من مصادر العقلانيين الرئيسة قديماً وحديثاً ويسمونها بالمعقولات والقواعد العقلية، وإنما هي قواعد الفلاسفة ترجموها وحولوها وأعطوها بعض الصياغات والمعاني التي تقرب من أذهان الناس وسموها: أدلة وبراهين، وما هي إلا فلسفة لا تستند إلى أي برهان ولا دليل لا عقلي ولا ذهني ولا حسي وهي من أضر العلوم على البشر قديماً وحديثاً.

المصدر الخامس: دراسات المستشرقين

والمستشرقون: هم طائفة من أهل الكتاب من الملاحدة الغربيين الذين تسلّطوا على دراسة الإسلام وتاريخه وتراثه من منظورهم هم وعلى خبث طوية وكيد وتآمر على الإسلام وأهله، غالباً، فخرجت عنهم نظريات خطيرة، صارت هذه النظريات في العصر الحديث مصدراً لأغلب الدراسات التي بنيت عليها أكثر مصالح المسلمين في السياسة والاقتصاد والاجتماع.. وغيرها، وصيغت مناهج أغلب بلاد المسلمين -خاصة التي دخلها الاستعمار- على مناهج المستشرقين، سواء في التعليم أو الإعلام أو الاقتصاد.. وتعلم وتربى أكثر أبناء المسلمين على النظريات الاستشراقية، والذين درسوا في الغرب كذلك أغلبهم تتلمذوا على المستشرقين وعلى أفكارهم الخبيثة الهدّامة، وجاءوا بها مقلدين وتابعين وكأنهم من الفاتحين[1].

ثانياً: مصادر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه الإرجائي

وأهم تلك المصادر ما يلي:

= الناشر: دار المعرفة، بدون ت ن، ج١ص١٢٦ .

(١) انظر: مصادر تلقي العقيدة عند العقلانيين، د. ناصر العقل، www.islamweb.net.

أولاً: الجهل والابتداع:

فالجهل وعدم العلم، من أعظم أسباب الوقوع في البدع، والبدعة هي المنبت السيئ لتلك الأفكار الرديئة التي خالفت الحق وجانبت الصواب و لم تعتصم بالكتاب والسنة، كما أمر الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –. لذا كان من قواعد الدين المهمة، وسداً لباب البدعة والفساد في الدين، فإنَّ كل عمل ليس عليه أمر الشارع فهو رد، كما أنه لا ينفع صاحبه ألبتة ولو جهد فيه وتعب وأنفق الأموال الطائلة، قال – صلى الله عليه وسلم –: [من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد] وفي رواية: [من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد](1).

قال ابن حجر – رحمه الله –: ((قال بن بطال: مراده أن من حكم بغير السنة جهلاً أو غلطاً يجب عليه الرجوع إلى حكم السنة وترك ما خالفها امتثالاً لأمر الله – تعالى – بإيجاب طاعة رسوله وهذا هو نفس الاعتصام بالسنة))(2). والبدع والمخترعات في الدين كلها مردودة بنص الحديث، والبدع مرتع خصب للأفكار المنحرفة، ومن تلك البدع التي كانت سبباً في نشأة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين بدعة المعتزلة والمرجئة، وقد كانتا سبباً لفكر منحرف استمر عبر التاريخ، وكان من آثار تلك البدع هذا الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

ثانياً: الفتاوى الشاذة المخالفة لمنهج السلف:

فقد يكون العلماء مصدراً لهذا الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وذلك من خلال عدم تحقيق الوسطية التي جاء بها هذا الدين بين التشديد والتضييق على الناس في الفتيا عند بعض العلماء.

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله –: ((المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يَحمِل الناس على الوسط المعهود فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى

---

(١) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود، حديث رقم (٢٥٥٠)، ج٦ ص٢٦٧٥، مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (١٧١٨)، ج٣ ص١٣٤٣.

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج١٣ص٣١٧.

طرف الانحلال. والدليل على صحة هذا أنه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة ... بلا إفراط ولا تفريط، فإذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع، ولذلك كان ما خرج عن المذهب الوسط مذموماً عند العلماء الراسخين.. ولأنه إذا ذهب بالمستفتي مذهب العنت والحرج بُغّض إليه الدين، وأدى إلى الانقطاع عن سلوك طريق الآخرة... وأما إذا ذهب به مذهب الانحلال كان مظنة للمشي مع الهوى والشهوة))(١).

وما قابل المذهب الوسط من توسع وتسهيل وتتبع للرخص عند البعض الآخر، ومنهم أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه الإرجائي، يقول أحمد زين: إن ((البراح في المساحات الفقهية للعلماء الذين ينتهجون التيسير والتسهيل على المسلمين، أوجد – عند المتدينين – رأياً متساهلاً في كل قضية فقهية، وأنه لا جناح عليهم في انتهاجه، فهو رأي فقهي معتبر من عالم معتبر"، ويضيف قائلاً: وأنا أرى أن ظاهرة القص واللصق من الفتاوى والاجتهادات تجري على أشدها لإكساب المشروعية لكثير من الأفعال التي درج الشباب عليها، فبدلاً من أن يتنازل عن عادات ما قبل التدين إذا به يحاول أن يجد لها مبرراً شرعياً محترماً))(٢).

ثالثاً: الدعاة وكتاب الصحف والمنتديات

ومن تلك المصادر أيضاً ما يتعلق بالدعاة، وهو من ألصقها بالظاهرة وأقربها إلى أصحابها وأحد أكبر مصادرها ودواعي نشأتها واستمرارها، فقد ظهر خلال السنوات القليلة الماضية دعاة مثقفون ينتمون إلى النخب المتعلمة وينحدرون من طبقات اجتماعية ثرية، ولديهم القدرة على مخاطبة المدعوين بفنون الإلقاء القصصي البليغ والخطاب الوعظي المؤثر ويظهرون للجماهير عبر القنوات الفضائية واسعة الانتشار في عالمنا العربي، وكذلك بعض الكتاب الصحفيين منهم على وجه الخصوص والذين تبنوا الكتابة والدعوة إلى هذا التدين المنحرف عبر الصحف اليومية والمواقع والمنتديات، فأصبحوا من أهم مصادر هذا الفكر

(١) الموافقات، الشاطبي، ج٥ص٢٧٧.

(٢) المتدينون الجدد وفقه القص واللصق، أحمد زين، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net. بتصرف يسير.

المؤمنين به والناشرين له.

رابعاً: وسائل الاتصال المعاصرة

ووسائل الاتصال والإعلام المعاصرة هي من أعظم مصادر بث الأفكار المسمومة والمعتقدات الفاسدة والتصورات الخاطئة، وهذه الوسائل قد تعددت وتفننت في نقل الشر وتزيينه لمشاهديه ومُستمعيه وقُرائه، واتسعت دائرة تأثيرها عبر وسائلها المرئية والمسموعة والمقروءة، والتي تعمل جميعاً على بناء الثقافات وزعزعة القناعات وتغيير المعتقدات وتشكيل الملامح للمجتمعات ومن ثم توجيه المجتمع إلى أي وجهة كانت بداية بمثقفيه وانتهاءً بعامته ودهمائه يقول علي مهدي حسن: ((تعد وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة مصدراً مهماً من مصادر التوجيه والتثقيف في المجتمع، وهي ذات تأثير كبير في جماهير المتلقين المختلفين، المتباينين في اهتماماتهم وتوجهاتهم ومستوياتهم الفكرية والأكاديمية والاجتماعية. وهذا ما يكسبها أهميتها في عملية بناء المجتمعات، وهي أحد العناصر الأساسية المساهِمة في تشكيل ملامح المجتمعات))[1].

خامساً: الغرب

والذي يمثل أحد مصادر الانحراف في مفهوم التدين، هو ذلك المزيج من التحالف الغربي المعلن والمجاهر باستهدافه للعالم الإسلامي في حضارته وأمته ومقدراته. والذي تنوعت أوجهه: سياسية، واقتصادية، وثقافية، وعسكرية .. وتارة يتمثل في منظمات ومؤسسات دولية وأخرى محلية، تعمل جميعها على تشجيع الإسلام المعتدل والتركيز على "بناء شبكات معتدلة" ووضع معايير صارمة وحادة لتحديد المعتدلين فعلاً في العالم الإسلامي واتخاذ قرارات حاسمة لتحديد ودعم هؤلاء الأفراد (من المعتدلين) في ظروف محددة.



(١) دور وسائل الإعلام في تشكيل المفاهيم المجتمعية، علي مهدي حسن، مؤسسة الحوار المتمدن العدد: ٢٢٠٤، تاريخ ٢٧/٢/٢٠٠٨م. www.ahewar.org.

الفصل الرابع

أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، سماته، ومسالك القائلين به

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين
- المبحث الثاني: سمات دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين
- المبحث الثالث: مسالك الاستدلال عند دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

المبحث الأول:

أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين[1]

ولكون الحديث هنا عن الأصول، فإنه يتوجه نحو أصل ذلك الانحراف، والذي نبت من أصل تلك البدع التي خرج منها وقام عليها ونشأ في ظلها فلا انفكاك له عنها، وإن طال الزمان وتغيرت بعض المسميات والمصطلحات، فأصول بدعة المعتزلة والمرجئة هي الأساس في ذلك، والحديث عن أصول تلك البدع، يشمل ما يلي:

أولاً: أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه المعتزلي العقلاني

والذي تطور عن مذهب المعتزلة مروراً بالمدرسة العقلية الفلسفية وصولاً إلى ما يعرف بالعصرانية والليبرالية المعاصرة اليوم مبني على أصولهم الخمسة وهي:

١. العدل: ويقصدون به نفي القدر، وأن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، وأن الله لم يخلق أفعال العباد، وأن الإنسان خالق أفعاله.. وقالوا: إن الله لا يخلق الشر ولا يريده، إذ لو خلقه ثم عذب العباد لأجله يكون ذلك جوراً والله عادل لا يجور.

٢. التوحيد: ويقصدون به نفي صفات الباري - سبحانه وتعالى - تنزيهاً له - بزعمهم - وهذا من أهم أصولهم، فهم يصفون الله سبحانه بصفات السلوب، فيقولون: لا حي ولا سميع، ولا فوق العالم، ولا يقوم به علم ولا قدرة. وبناءً على أصلهم هذا قالوا ببدعة خلق القرآن ونفي رؤية الله - سبحانه -.

٣. الوعد والوعيد: ويقصدون به إيجاب وقوع الثواب للمطيع، وإيجاب وقوع العقاب على مرتكب المعاصي، فلا يجوز على الله - بزعمهم - أن لا يعذبهم ويخلف وعيده، ولا يجوز كذلك عفوه عن الكبيرة من غير توبة.

٤. المنزلة بين المنزلتين: وهذا الأصل متلازم مع أصل الوعد والوعيد، فزعموا أن المسلم العاصي بارتكاب الكبيرة في منزلة بين الإيمان والكفر، فلا يسمى مؤمناً ولا يسمى

---

(١) انظر: المبحث الثالث: مفهوم التدين عند المتكلمين، ص ٤٢، ومفهوم التدين عند المعتزلة ص١٠٧.

كافراً وإذا مات وهو مقيم على كبيرة، فهو من أهل النار خالداً فيها.

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقصدوا به الخروج على الحاكم الفاسق الظالم وحمل الناس على ما يؤمنون به بالحجة والبرهان، أو بالقوة والسلطان، كما فعلوا في محنة خلق القرآن[1].

وبهذا جمعت المعتزلة أصولها من أخلاط المبتدعة وشربت من روافدهم كالجهمية والقدرية والخوارج، بل ولم تكتف بذلك فأخذت عن الأمم الأخرى عقائدها ومقالاتها: كاليهود والنصارى، وفلاسفة اليونان والصابئة، والمجوس وغيرهم، على حسب زعمائها وفرقها. ويقودهم في ذلك العقل الذي أكبروه وجعلوه هو الأصل في تقرير العقيدة وأصول الدين عندهم، وقدموا أوهام عقولهم وظنونها مما أسموه: (بالعقليات أو القواعد العقلية) على نصوص الكتاب والسنة، وحكموا تخرصاتهم العقلية في نصوص الشرع التي جعلوها محكوم عليها ومتهمة، فصار العقل عندهم هو الخصم للشرع، وهو الحكم على كلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم –.

فقدموا العقل على كلام الله وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – وهذا مستقر عندهم وهو ما أوردهم الموارد، وجرأهم على الله ودينه وشرعه وحدوده وردوا السنة، وبنوا كلامهم على مقاييس عقولهم يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((وإنما عمدة الكلام عندهم، ومعظمه: هو تلك القضايا التي يسمونها العقليات، وهي أصول دينهم. وقد بنوها على مقاييس تستلزم رد كثير مما جاءت به السنة، فلحقهم الذم من جهة ضعف المقاييس التي بنوا عليها، ومن جهة ردهم لما جاءت به السنة))[2]. وأصلهم ومبدأهم هذا في تقديم عقولهم على الوحي، جعلهم يتخبطون وفي أودية الضلالة يضيعون وفي الغواية ينغمسون، فخرجوا بآراء شاذة وعقائد منحرفة، خالفت طريق السلف وأصبحت ديناً ضل به كل من

(١) حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، الرياض، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، ج١ص١٥٢. وانظر: شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار ابن أحمد بن عبد الجبار.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٢ص٧.

تلقفه من بعدهم وسار على بدعتهم، ومن تلك الضلالات التي ترتبت عندهم على ذلك الأصل ما يلي:

١. استقلال عقولهم بالعلم بالله ومعرفة أسمائه وصفاته: وعطلوا السمع، وهم يوجبون على المكلف النظر العقلي، ويرون أنه لا يمكن معرفة الله وأسمائه وصفاته – تعالى – وكونه قادراً حياً موجوداً سميعاً بصيراً، إلا بالنظر في الحوادث والمخلوقات، وقالوا: ((معرفة الله – تعالى – لا تُنال إلا بحجة العقل))[1]، ولذا شاع عنهم وأصبح من مذهبهم إنكار صفات الله سبحانه، وتجرأوا على الله وقالوا مقالات شنيعة في حقه سبحانه.

٢. أوجبوا على الله ما لا يليق بجلاله، بمحض عقولهم القاصرة، وما ذلك إلا نتيجة لتقديم عقولهم و لم يجعلوها تابعة ومنقادة للوحي، فأوصلتهم تلك العقول المجردة إلى الجرأة على الله وأن يوجبوا عليه ما لا يليق بذاته وصفاته، وبلغ من جرأتهم ووقاحتهم فوق ذلك، ففي تاريخ بغداد أورد الخطيب البغدادي: ((سمعت عمرو بن عبيد يقول وذكر حديث الصادق المصدوق فقال لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله – تعالى – يقول هذا لقلت له ليس على هذا أخذت ميثاقنا))[2]. ولذا فلا يستغرب أحد من سوء أدب وجرأة معتزلة زماننا، بما يسودون به الصحف اليومية، فهم على طريق سادتهم سائرون ولنهجهم مقتفون ولبدعتهم متبعون.

٣. زعمهم خالق مع الله، وذلك بنفيهم أن يكون الله هو خالق أفعال عباده، وقولهم: أن الإنسان يخلق أفعال نفسه، وهم بذلك لا يريدون نسبة الشر إلى قدر الله، فوقعوا في شر مما فروا منه.

(١) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار، ج١ ص٨٨.

(٢) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج١٢ص١٧٠.

٤. تحريفهم للقرآن وإنكارهم للسنة وطعنهم في بعض الصحابة رواة الحديث – رضي الله عنهم –، فيما يخالف عقولهم، كما في نفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الجنة وقد جاءت في كتاب الله وصحت بها السنة المتواترة، ونفيهم لشفاعته – صلى الله عليه وسلم – لأهل الكبائر من أمته رغم تواترها.

٥. اختراعهم أصول ومبادئ عقدية، لم ترد عن الله، ولم تثبت عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ومن أعظم ذلك ما ابتدعوه من أصول الإيمان والعقيدة الخمسة عندهم، وغير ذلك من البدع التي بنوا عليها تدينهم الباطل.

ثانياً: أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه الإرجائي[1]

والذي يعنينا هنا من تلك الأصول، هو ما استقر عليه المعنى الاصطلاحي للمرجئة عند السلف رحمهم الله، وأن المقصود بهم (مرجئة الفقهاء) الذين من أصولهم:

١. القول بأن الإيمان هو التصديق والقول، أو الإيمان قول بلا عمل، أي أخرجوا الأعمال من مسمى الإيمان، وعليه قالوا: أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه لا يجوز الاستثناء في الإيمان، ومنهم من جعل الإيمان: مجرد قول اللسان، وهم (مرجئة الكرامية)، ومنهم القائلون: أن الإيمان مجرد المعرفة، وأنه لا تضر مع الإيمان معصية، وهم الذين أرجأوا الحكم في صاحب الكبيرة وتارك الفرائض في الآخرة، فلا يحكمون له بجنة ولا نار وهم الغلاة من (مرجئة الجهمية).

٢. اعتمادهم على عقولهم وتقديمهم لها، وما تأولوه من كتب اللغة، وتركهم لطريقة السلف وإجماعهم.



(١) انظر: ثانياً: مفهوم التدين عند المرجئة، ص ١١٣.

المبحث الثاني:

سمات دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

أولاً: سمات دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين من المعتزلة[1]:

١. إكبار العقل، وتقديمه على الوحي فيما لا مجال للرأي فيه، وجعله حاكماً عليه، فردوا النصوص وأولوها وحرفوها، تحت شعار الحرية الفكرية، وعلى حساب نقض مناهج الدين وإجماع سلف الأمة.

٢. تكذيب القرآن والسنة الصحيحة في بعض الأمور الغيبية، وإنكارها أو تكذيبها، والتهكم بها أو التشكيك فيها، واستباحة الخوض في أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله، وليس للعقل قدرة على تصورها وإخضاعها للاستقراء العقلي والتجارب الحسية.

٣. التطاول على مقام النبوة والأنبياء – عليهم السلام –، والنيل من الصحابة – رضي الله عنهم – وشتمهم.

٤. تفسير القرآن والسنة، وتأويلها تأويلاً عقلانياً جديداً، حسب كل عصر، دون اعتبار لتأويل السلف وطريقتهم.

٥. إنكارهم لحجية خبر الآحاد، بل والأحاديث الصحيحة والمتواترة إذا لم تناسب أذواقهم كما فعلوا تجاه أحاديث القدر والشفاعة وغيرها.

٦. التلقي عن المذاهب والفلسفات الأجنبية عن الإسلام والميل إليها والإشادة بها، فكما أخذ المعتزلة عن اليهود والنصارى والصابئة واليونان والمجوس والوثنيين، فكذلك أفراخهم المحدثون تتلمذوا على المستشرقين والغربيين ورثة الفكر اليهودي والنصراني والوثني واليوناني، واستمدوا منهم مناهجهم وأساليبهم ومصطلحاتهم في الجملة.

٧. الاستهزاء والاستهانة بأحكام الله وشرعه أو بعضها، وبالحلال والحرام، والأخلاق والتشريعات والعبادات، والتشكيك في دينه، ومعارضة الآيات والأحكام بالرأي

---

(١) انظر: رسائل ودراسات في الأهواء، ناصر العقل، ج٢ص٤١٤.

والخوض في المسائل الشرعية بغير فقه وعدم التسليم لله فيها.

٨. لمز السلف أهل السنة والتهوين من شأنهم، ورميهم بالتعصب وضيق التفكير والجهل. فيقول د. جلبي: ((وحيث الفكر السلفي كف العقل عن الحركة ونشط العنف ... ومقتل الفكر السلفي أنه يحدد فهم القرآن في عصر ورجال وتفاسير بعينها. والتفسير الفعلي ليس العصر والرجال بل آيات الآفاق والأنفس.. والفكر السلفي يرى أن فهم السلف هو مفتاح الدخول لأسرار القرآن مثل من يريد إجراء عملية فتق بأدوات الزهراوي. مع أن السلف هم الذين أضاعوا الخلافة الراشدة بحرب أهلية طاحنة))(١).

٩. الدعوة إلى حرية الفكر والاعتقاد والجرأة على إثارة الشبهات والآراء الشاذة في العقيدة وأصول الإسلام، وإحياء النحل والمذاهب المنحرفة بين المسلمين وتمجيدها والدعاية لها باسم التسامح الديني، وحرية الفكر والاعتقاد.

١٠. يرون أن انتصار أهل السنة وظهورهم، وهزيمة الفرق المنحرفة في القديم والجديد، نكسة تاريخية وضرراً بالإسلام والمسلمين، وعاملاً من عوامل التخلف والجمود.

١١. تمجيد رواد الاتجاهات العقلانية الحديثة للفرق المنحرفة القديمة وأسفهم عليها، والعمل على إحيائها، وارتباطهم الوثيق بتراثها.

١٢. تعطيل الجهاد في سبيل الله، وتضييق دائرته، وقصره على ما يسمى بـ(الدفاع) فقط بدعوى الرد على فرية المستشرقين الزاعمين أن الإسلام لم ينتشر إلا بالسيف.

ثانياً: سمات دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين من المرجئة:

ومن أهم تلك السمات: العقدية منها، والتي ظهرت على دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين من المرجئة، وتدخل تحت باب الإيمان الذي ظلت فيه المرجئة، ويندرج تحتها ويتفرع عنها غيرها من السمات الأخرى.

(١) السلفية بين الفكر الإصلاحي والفكر التقليدي، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

١. الإيمان شيءٌ واحد عندهم، وأنه يكفي فيه تصديق القلب أو قول اللسان.
٢. الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان، وأنه لا يضر مع الإيمان معصية.
٣. مفهوم العبادة، والتي أصبحت صورة وشكلاً بلا أثر في الحياة، وجُردت العبادات من مقاصدها، وجُمع بين المتناقضات،.
٤. الابتداع، والإعراض عن منهج السلف. وهذا موجود مبثوث لمن تتبعه في محاضرات وأطروحات الدعاة الجدد وفي حياة المتدينين الجدد بصورة أظهر.
٥. الجهل بأحكام الدين ومقاصد الشريعة، وإذا تدين الناس على غير علم، فإنهم سيقعون حتماً في البدع ويضيفون إلى الدين ما ليس منه أصلاً، وخاصةً إذا تلقوا دينهم عن الأصاغر أوممن لم يكتمل علمهم، أو من المصادر المختلطة وغير الموثوقة، كالقنوات والشبكات.
٦. التصوف، فإنه وكنتيجة طبيعية لما عليه أصحاب التدين الجديد من منهج مختلط ينقصه العلم والتحقيق سواء من دعاته أو من الناس المتلقين لذلك التدين، فإنه قد شابه بعض الانحراف العقدي والسلوكي ومن ذلك التصوف، وأصبح المتدينون الجدد يتلقون قدراً لا بأس به من العقيدة الصوفية من بعض الدعاة الجدد[1].
٧. عدم حاكمية الشريعة، على الحياة والأفراد، فالشريعة هي الحاكمة على أعمال الناس وتصرفاتهم وعنها يصدرون في جميع تلك الأعمال والتصرفات، وذلك هو الأصل في تدين الناس، ثم تبدل هذا المفهوم عند أصحاب التدين الجديد.
٨. رقة الدين، بالتساهل في الدين وأحكامه وحدوده، وذلك ثمرة مرة من ثمار القول بالإرجاء، وبسببه برزت مظاهر الإعراض عن دين الله وشرعه كلياً أو جزئياً.
٩. مخاطبة أوساط اجتماعية ثرية ورفيعة ومثقفة بل ومنفتحة. ولعل من السمات التي أسهمت في نشأة وتكون وامتداد هذه الظاهرة (التدين الجديد) أو ما يسميه البعض (التدين اللذيذ)، هي مخاطبة طبقة اجتماعية معينة.

(١) ومن أبرزهم وأخطرهم في جانب التصوف والغلو في الأولياء، الحبيب علي الجفري، وسبقت الإشارة إليه، وحكم العلماء عليه، ص ١٨١.

١٠. التأثر بالثقافة الغربية وتقليد الغرب واختلال مفهوم الولاء والبراء. وهذه من السمات الأظهر والأخطر في هذه الظاهرة من حيث تأثر وإعجاب دعاتها أولاً ومن ورائهم من المدعوين بالثقافة الغربية. ولا شك أن الشباب أكثر تأثراً وتقليداً للثقافة الغربية وأكثر تناغماً معها في ظل الانفتاح الإعلامي الكبير الذي يعيشونه ووسائل الاتصال التي يتبعونها ويتلقون منها أغلب ثقافتهم.

١١. الاختلاط بالمرأة والدعوة لمشاركتها. وهذه السمة ظاهرة جلية، وأصبحت المرأة عنصراً بارزاً وفعالاً فيها بالحضور في البرامج والمشاركة في الأعمال التطوعية والخيري.



المبحث الثالث:
مسالك الاستدلال عند دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

والمسالك هي الطرق، والمعنى هنا هي طرق الاستدلال عند دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين التي يستدلون من خلالها على انحرافهم، والأصل في جميع طرق الاستدلال عند أهل البدع: الهوى، عياذاً بالله من الهوى، إذ أنهم لا يأخذون الأدلة مأخذ الافتقار إليها بل يقدمون أهواءهم، ويعتمدون على آرائهم، ثم يجعلون الأدلة الشرعية تبعاً لذلك الهوى وسيمضي الحديث والتقسيم على ما سبق، ببيان طرق أدلة المعتزلة أولاً، ثم المرجئة.

أولاً: مسالك الاستدلال عند دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه المعتزلي

وأهم مسالك المعتزلة في الاستدلال على العقائد:

١. **العقل**:

فكل ما قبله العقل أقروه، وكل ما خالف معقولاتهم من النصوص رفضوه أو أولوه حتى يوافقها، ولذلك جعلوه هو الأصل، وجعلوا الشرع تابعاً وشاهداً له، وسبب ذلك إكبارهم للعقل وثقتهم المطلقة به، مما قادهم إلى فساد في العقائد والأعمال، دفعتهم إليها نزعتهم العقلية وقانونهم الكلي الذي وضعوه لأنفسهم، فقالوا: ((إذا تعارضت الأدلة السمعية والعقلية.. فإما أن يجمع بينهما، وهو محال، لأنه جمع بين النقيضين، وإما أن يردا جميعاً، وإما أن يقدم السمع وهو محال، لأن العقل أصل النقل، فلو قدمناه عليه كان ذلك قدحاً في العقل الذي هو أصل النقل، والقدح في أصل شيء قدح فيه، فكان تقديم النقل قدحاً في النقل والعقل جميعاً، فوجب تقديم العقل، ثم النقل إما أن يُتأول وإما أن يفوض ..))[1].

فهذا هو القانون الكلي الذي يعتمد عليه هؤلاء ويطردونه في سائر مسائل العلم

(١) أساس التقديس، للرازي، نقلاً عن ابن تيمية، في درء تعارض العقل والنقل، ج١ص٤.

والعمل الخبرية والإرادية، وهو ما يقوله حسن حنفي الذي يرى أن العقل مستقل عن الوحي بل الوحي ذاته يفتقر إلى العقل! حيث يقول: ((الحجج النقلية كلها ظنية حتى ولو تضافرت وأجمعت على شيء أنه حق، لم يثبت أنه كذلك إلا بالعقل))[(١)].

ومن تلك الصور لذلك الإكبار والتقديم للعقل عند المعتزلة الفلاسفة المعاصرين ما يقوله محمد المحمود: ((إن هذا الهوس النقلي الاجتراري المعادي للعقل يصنع حالة غباء نموذجية لا مثيل لها في التاريخ الإنساني كله؛ لأنها ليست حالة غباء أولي أحادي البعد بل هي حالة غباء مركب، حالة غباء تستشعر أنها حالة ذكاء وزكاء، بل وتعتقد جازمة أنها الحالة المثلى، والطريق الأقوم، والذكاء الاستثنائي الذي يعصم من الوقوع في الأخطاء سواء عصمة على متسوى المعرفة المجردة، أو على مستوى السلوك المتعين للأفراد أو للجماعات وكما أشرت من قبل، فالنقل إذا ما تضخم – من حيث هو استهلاك لمقولات القدماء بزعم قداستها – لا يصنع حالة غباء نموذجي فحسب، بل ويصنع بالضرورة حالة كهنوتية كأسوأ ما يمكن أن يكون الكهنوت. والكهنوت بالضرورة يصنع سلطة مطلقة على مستوى المعنى أو على مستوى الواقع، سلطة مطلقة قامعة لا يحق لأي أحد أن يعترض عليها بأية صورة من صور الاعتراض، حتى ولو كان اعتراضاً ضمنياً، وذلك بالسكوت عن الإشادة بعصمتها المدعاة من قبل رموزها المستغِلين المستغفِلين أو أتباعها المستغَلين المستغَفَلين))[(٢)].

ويرى أيضاً المحمود أن العقل يكون مكبلاً ومعتقلاً متى ما كان ذليلاً مستعبداً للنقل وتابعاً له فيقول: ((عندما تقول التقليدية إن العقل الصريح لا يعارض مع النقل الصحيح، فهي لا تطرح العقل الحر، العقل النامي المتطور، العقل المتحرّر والمحرّر، بل العقل المعتقل، العقل المكبل بالقيود، والمحاصر بالمحصنات والمقدسات والمصنّمات. أي العقل المحكوم لا الحاكم العقل المقاد لا القائد، العقل التابع الذليل الذي يستحيل عليه أن يكون حراً، ومن ثم يستحيل عليه أن ينتج إنسانا حراً. إنه عقل الاتباع، العقل المسْتَعبَد، والمسَتعبِد، إنه عقل

(١) من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، ج١ ص٣٦٨.

(٢) العقل الغائب في مجتمعات النقل والتقليد، محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٦٠٢٦، الخميس ١٩ جمادى الآخرة ١٤٣٣هـ – ١٠ مايو ٢٠١٢م. www.alriyadh.com.

الاستعباد الداعم للاستبداد، والمناهض لكل أنشطة التحرر ولكل صور الاستقلال))[1].

٢. **الفلسفة:**

لما ترجمت كتب الفلسفة وانتشرت أخذ منها المعتزلة وتأثروا بها، فكانت أدلتهم واستدلالاتهم وأقوالهم معتمدة على الآراء الفلسفية، والمقدمات المنطقية، والأقيسة الكلامية، التي تعود في مجملها إلى الفلسفة اليونانية، وما انساق خلفها اليوم من آراء الفلاسفة الغربيين المعاصرين وخصوصاً أولئك الذين نصروا المذهب الإنساني، ودعوا إليه، مثل "رينيه ديكارت" و"سبينوزا"، و"كانت"، وجعلوا ما جاء به الأنبياء من باب الظن الذي لا يفيد يقيناً، كما تفيده معقولاتهم، ولذلك أدخلوا النقل من باب التأويل فهم يقولون: بأن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال إلا الحق، والحق هو ما علمناه بعقولنا فيجتهدون في تأويل النصوص إلى ما يوافق رأيهم، بأنواع التأويلات التي هي في حقيقتها تحريفات للشريعة.

فهذا محمد الجابري يزعم أن الفكر الفلسفي ظُلم عبر تاريخ البشرية وعُودي وعانى ولا زال ممن اعتبره من المؤرخين بضاعة أجنبيةً وعلوماً دخيلة، فيقول: ((لا أظن أن في تاريخ البشرية فكراً عانى، وما زال يعاني، من ظلم المؤرخين كالفكر الفلسفي في الاسلام. لقد اعتبره المؤرخون القدامى (مؤرخو الملل والفرق) بضاعة أجنبية و"علوماً دخيلة" فتحيزوا ضده واعتبروه ربيباً بل لقيطاً. وتلك نظرة ما زلنا نجد لها اليوم "أشباهاً ونظائر" لدى بعض المؤلفين العرب المعاصرين الذين يستعيدون في كتاباتهم صراعات الماضي فينخرطون فيها بوعي أو بغير وعي، ويقفون من الفلسفة العربية الإسلامية نفس الموقف الذي وقفه منها متكلمو عصرها متقمصين شخصية الغزالي أحياناً وشخصية ابن تيمية أحياناً))[2].

ويقول د. خالص جلبي مؤكداً أهمية الفلسفة في فتح العقل وتقدم العلم ونهوض الحضارة الإسلامية: ((تعتبر الفلسفة في نظر البعض مصدر إزعاج، كما أنها مصدر تهديد

(١) تغييب العقل وأزمة غياب الإنسان! محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٦٠٠٥، الخميس ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ - ١٩ إبريل ٢٠١٢ م. www.alriyadh.com.

(٢) نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، محمد عابد الجابري (المتوفى:٢٠١٠م): الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة: السادسة، ١٩٩٣م، ص٣٤.

للعقيدة عند آخرين . والبعض يصاب بالدوار مع تعاطي عقار الفلسفة، فهي تسحب من تحت أقدامه المسلمات واليقينيات .ولكنها بالمقابل عند آخرين مصدر متعة بدون حدود، لأنها تأخذه إلى عوالم سحرية، لا تكف عن التجدد وتغيير شكلها الخارجي دوماً، مثل عروس تبدل أناقتها باستمرار .ومن نهض بالعقل في التاريخ هم بضع مئات من أدمغة الفلاسفة. فلا يتقدم العلم بدون أرضية راسخة من حرية الفكر الفلسفية؛ لأن الفلسفة فتح للعقل على كل أنواع الأسئلة المزعجة والمحرجة بدون حدود وخوف .ولم يكن للحضارة الإسلامية أن تنهض لولا اتصالها بالفكر اليوناني ... ولن ننهض اليوم إذا لم نتصل بالفكر الفلسفي العالمي، وهي مسافة خمسة قرون))[(١)].

ونشأ عن تلك المسالك وتفرع عنها مسالك أخرى، أصبحت أيضاً أساساً لبنائهم الواهي وبدعهم المردودة عليهم، ومنها:

١. رد الأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدعون أنها مخالفة للمعقول وغير جارية على مقتضى الدليل فيجب ردها، وكذلك أحاديث الآحاد الصحيحة.

وتلك طريقة أهل التحسين والتقبيح العقلي الذين يقولون: "الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل، والشرع تابع لذلك" - كالمعتزلة ومن شاكلهم، ومن يسمون في عصرنا الحالي بالعقلانيين.

فهذا أيضاً د. خالص جلبي يرى أن أحاديث الآحاد تعمل إرباكاً في الفهم في أمور شتى فيقول: ((ولنتصور مشكلة المحرم والطيران حالياً، أو مفهوم الردة الخطير فنقتل كل من يغير آراءه ومعتقداته؟ .. ويقول أيضاً والحديث يعمل لك إرباكاً، والعلم يعطيك الوضوح والحديث هو مصدر إرباك ليس في هذه المسألة فحسب بل في أمور شتى مثل المحرم وكشف الوجه، وطول آدم، ونشأة الإنسان، ومفهوم الردة وانحطاط المرأة، وأن المرأة تقف بين

---

(١) رعب الفلسفة، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net، الأحد ١٧ أكتوبر - تشرين الأول ٢٠١٠م.

الحمار والشيطان في قطع الصلاة، وأن بول البنت على الثوب يغسل والصبي يرش والعقيقة المضاعفة للفحل والمفردة للمسكينة، وهي نماذج من عشرات فوجب إعادة النظر في المفاهيم العقلية وإعادة غربلة التراث وعلينا ألا نقلق لهذا فالحديث في معظمه خبر آحاد يفيد غلبة الظن كما اتفق على ذلك أهل العلم))[(١)].

بل ويرون أهمية التحفظ عند قراءة الأحاديث لأسباب يتهمون الصحابة – رضي الله عنهم – بها فهذا محمد شحرور يقول: ((فقد وصلتنا الأحاديث التي قالها النبي – صلى الله عليه وسلم – لأشخاص أو لشخص واحد (أحاديث الآحاد)، ولم تصلنا خطب الجمعة التي خطبها، وسمعها كل المسلمين آنذاك، والتي يصل عددها إلى أربعمائة خطبة على الأقل، وكان المفروض أن تصلنا بالتواتر. والسبب في ذلك هو النواحي الثلاث مجتمعة: ضعف الأداة، موقف السلطة الاستبدادي، والموقف الأيديولوجي للناقل. ضمن هذا المنظور ثلاثي الجوانب، لا يمكن أن يقوم شيء اسمه الموقف الحيادي، فبمجرد اهتمام البخاري ومسلم بأحاديث الآحاد وتصحيحها، وعدم التفاتهما إلى خطب الجمعة التي سمعها المسلمون المصلون جميعاً من النبي – صلى الله عليه وسلم –، يوضح أمامنا مدى التحفظ الذي يجب أن نتسلح به، على الناقل وموقفه الأيديولوجي، ونحن نقرأ ما ورد في صحيحهما من أحاديث))[(٢)].

يقول يوسف أبا الخيل ((أحاديث الردة على افتراض صحتها من ناحية الرواية (صحة أسانيدها)، فإنها لا تعدو أن تكون أخبارآحاد تعارض حكم القرآن. وأخبار الآحاد التي من هذا النوع لا يجوز العمل بها))[(٣)].

---

(١) مم يتخلق الإنسان؟ د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net، الثلاثاء ٢٣ فبراير – شباط ٢٠١٠م.

(٢) الدولة والمجتمع، محمد شحرور، دمشق، الناشر: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ١٩٩٤م، الطبعة: الأولى، ص٢٣٠.

(٣) الحرية الدينية من منظور إسلامي، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد: ١٥٦١٥، السبت ٢١ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ – ٢٦ مارس ٢٠١١م. www.alriyadh.com.

٢. فهم الآيات والأحاديث بالهوى والتخرص وتأويلها عن ظاهرها إذا خالفت معقولاتهم وعدم الرجوع للمعنى العربي للفهم الذي يُفهم به عن الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم –.

وهذا هو الذي يراه ويعمل به الفلاسفة المعتزلة اليوم، فيرى محمد شحرور أن أقوال الصحابة والمفسرين ليس لها قيمة علمية، وأن فهم القران لا يمكن أن يُفهم بفهم الأولين، فيقول: ((والصحابة حولوا القرآن تراثاً ولم يعلموا أن كل ما فعله النبي – صلى الله عليه وسلم – والصحابة هو الاحتمال الأول لتفاعل القرآن مع العرب في القرن السابع الميلادي (الثمرة الأولى). وبذلك أصبح الإسلام دين نقل ومات العقل والنظرة النقدية إلى النصوص، وعند مشايخنا فهم القرآن هو عن.. عن، وقال مجاهد وعكرمة وابن عباس وابن كثير والزمخشري، علماً بأن أقوال هؤلاء ليس لها قيمة علمية كبيرة بالنسبة لنا ولكن لها قيمة تراثية أكاديمية بحتة. والقيمة الحقيقية هي للنص القرآني الحي المتشابه))[(١)].

ويبالغ د. خالص جلبي ويرى أن كتب التفسير قد انتهت صلاحيتها بنهاية عصرها فيقول: ((إذاً فأفضل طريقة للاتصال بالقرآن هي الاتصال المباشر به بدون حجب ووسائط ولو كانت كتب تفسير فهي ولدت في عصر مشبعة بروح العصر حتى الثمالة، مثل تفسير ابن كثير الذي انتهت صلاحيته مثل أي دواء ولنتصور أننا نتناول الأدوية التي فسدت وانتهى وقتها أو الدم الذي انتهت صلاحيته، ومنه سبب الشلل في العقل الإسلامي))[(٢)].

ولذلك فهو يُفسر آيات القرآن برأيه وكما يحلو له ويوافق هواه، ومن ذلك: تفسيره (الفتنة) في قوله – تعالى –: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. بأنها الإكراه، وإنما هي الشرك، فهو يقول في تقرير مذهبه في السلم ونبذ العنف: ((فهذا هو مجال الجهاد، أي حماية الناس من الفتنة: (الإكراه) ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة:١٩١]). وله من التأويلات الفاسدة والتخرصات العقلية الواهية حسب ظنه وهواه، كثير غير ما ذكر.

---

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، محمد شحرور ص٢٠٩.

(٢) كيف السبيل لفهم النص القرآني، د. خالص جلبي، صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

مسالك الاستدلال عند دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين:

المسلك الأول: الاعتماد على الأحاديث الواهية الضعيفة، أو المكذوب فيها على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، والتي لا يقبلها العلماء المتخصصون في علم الحديث ويردها إجماع السلف.

وهذا الجانب كما سبق يتعلق بدعوة د. عمرو خالد، وهذا المسلك ظاهر جلي، فهو يورد بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة ويكررها دون تثبت، ويبني عليها أحكاماً ويستنبط منها دروساً وعبراً، وعلى سبيل المثال لا الحصر أسوق بعضها:

الحديث الأول: "ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق ابن آدم: يارب إيذن لي أن أغرق ابن آدم ... فقد أكل رزقك وعبد غيرك ... وتقول الأرض مثل ذلك، وتقول الجبال مثل ذلك... فيقول الله: دعوهم، لو خلقتموهم لرحمتموهم" إلى آخر الحديث.

قال الشيخ الألباني – رحمه الله –: (((ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات على الأرض، يستأذن الله في أن ينتضح عليهم، فيكفه الله – عز وجل). ضعيف أخرجه أحمد (١/ ٤٣): ضعيف؛ لجهالة الشيخ الذي لم يسم، وأبي صالح مولى عمر؛ فإنه لا يعرف إلا بهذا الإسناد.

وأما العوام – فهو ابن حوشب[(١)]–، ثقة اتفاقاً، ومن رجال الشيخين، ونقل المناوي[(٢)] عن ابن الجوزي أنه قال:"والعوام؛ ضعيف"))[(٣)].

---

(١) العوام بن حوشب بن يزيد الشيباني أبو عيسى الواسطي، ثقة ثبت فاضل، من السادسة، مات سنة ثمان وأربعين، ع (انظر: تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، (المتوفى:٧٤٢هـ)، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، الطبعة: الأولى، ج٢٢ ص٤٢٧. وتقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ص٤٣٣).

(٢) محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الرحمن السلمي، المناوي، محدث. ولد بمصر في رمضان ودرس، وأفتى، وسافر مع الناصر فرج إلى البلاد الشامية لقتال تيمور لنك، ومات غريقاً في الفرات في شوال (المتوفى:٨٠٣هـ) .. من آثاره: المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح. (معجم المؤلفين، عمر كحالة، ج٨ ص١٩٢، والأعلام، خير الدين الزركلي، ج٥ ص٢٩٩).

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، =

الحديث الثاني: "إني والإنس والجن في نبأ عجيب ..! أخلق ويُعبَدُ غيري!! وأرزقُ ويُشكَرُ سواي!!! خيري إليهم نازل .. وشرهم إليّ صاعد!! .." إلى آخر الحديث.

قال الشيخ الألباني: ((ضعيف ... منقطع، فإن عبد الرحمن بن جبير وشريح بن عبيد لم يدركا أبا الدرداء، فعلة الحديث الانقطاع))[1].

الحديث الثالث: "ابن آدم ... خلقتك بيدي وربيتك بمعرفتي وتعصاني!! فإن رجعت إلي تبت عليك فمن أين تجد لك إلهاً مثلي وأنا الغفور الرحيم ..." ليس بحديث[2].

المسلك الثاني: فهم الآية أو الحديث بالهوى والتخرص. وعدم الرجوع للمعنى العربي للفهم الذي يفهم به عن الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم -.

فها هو د. عمرو خالد، يقول بعدم كفر إبليس، ويتأول الآيات كما يرى، فيقول: ((يوجد هنا معنى آخر، جميل أن نقوله.. أرجو الانتباه يا جماعة، إبليس كفر بربنا أو لم يكفر؟ لا لم يكفر، إبليس لم يكفر!! أنظر إبليس ماذا يقول: ﴿خَلَقْتَنِى﴾ فهو اعترف بالله أنه الخالق، أليس كذلك؟؟ قال ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾؟ ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ فأنت خلقتني، وأنت الذي خلقته، وفي آية ثانية ماذا يقول: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ فهو مدرك لعزة الله – عز وجل – أليس كذلك؟ وفي آية ثالثة ماذا يقول: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ فالأمر ليس بيدي، بل بيدك أنت فهل .. أنكر إبليس أن الله هو الخالق؟! أنكر إبليس أن الله هو الرب؟! لأ ...

(المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الرياض، دار النشر: دار المعارف، سنة الطبع: ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى، ج٩ ص٣٨٢.

(١) سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني، ج٥ص٣٩٣، مختصراً.

(٢) انظر: موقع الدرر السنية، www.dorar.net/enc/hadith أحاديث منتشرة في الإنترنت، راجعها واعتمد تخريجها المشرف العام، وموقع إسلام ويب مركز الفتوى www.islamweb.net/ver2/Fatwa، والحديث أخرج بعضه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، كما أخرج بعضه أو جملاً منه الديلمي في الفردوس، وكلاهما عن أنس – رضي الله عنه –، ويوجد بعضه أو قريباً منه في الإحياء للغزالي، ولم نقف على من تكلم على سنده بتصحيح أو تضعيف، ولكن هذه الكتب مظنة للحديث الضعيف، كما قال علماء الحديث.

فماذا أنكر إذاً؟ فمشكلة إبليس ما هي؟ رفض الطاعة.. نعم، هذه نقطة مهمة جداً جداً، أنت إلهٌ، أنت ربٌ نعم .. لكن إله تقول لِي أعمل كذا ولا أعمل كذا، لأ))[1].

وكذلك فهمه لهذا الحديث على مقتضى الهوى والتخرص، فيقول: عمرو خالد في ضمن محاضرة له في برنامج صناع الحياة: ((أرجو الانتباه: النساء ناقصات عقل ودين متى النبي قال هذا الحديث؟! يوم العيد الصبح وهو خارج من صلاة العيد أول ما قابل النساء اللواتي خرجن من صلاة العيد ... بالله عليكم! يوم العيد الصبح! والنساء حضروا صلاة العيد!! النبي الحكيم الرحيم أول ما يقابل النساء يقول لهن أنتن ناقصات عقل ودين؟! يوم العيد الذي هو يوم الفرحة! أنا أريد أن أقول لكم أن الموضوع لا يستقيم!! يوم العيد الذي هو يوم الفرحة يوم العيد والنساء خرجن جزاهن الله خيراً لصلاة العيد ... والنبي ... الحكمة ... والرحمة ... يُقابلهن ويقول لهن أنتن ناقصات عقل ودين؟! لا يمكن أن يكون المفهوم كذلك!!! قد يكون يمازحُهُنَّ؟!؟!؟! وعلى فكرة أحد العلماء أو كثير من العلماء قالوا ذلك: لعله كان يُداعب النساء!! وأُخذت ودرجت!! وأصبح كل من يريد شتم واحدة من النساء يقول لها أنت ناقصة عقل ودين، والمعنى لم يكن كذلك))[2].

المسلك الثالث: الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها، والعمومات من غير تأمل هل لها مخصصات أم لا؟ أو العكس، وكذلك الأخذ ببعض النصوص دون بعض في المسألة الواحدة.

ومن ذلك حديثه في بعض أمور التوحيد ودعوته إلى حرية الاعتقاد: قال باللهجة المصرية ((... دعونا نرى أمراً ثالثاً، الإسلام وحرية العقيدة!! تعبد الذي أنت تُريده)) وقال: الإسلام رحمة مع الأديان الأخرى. أ.هـ. ألقاها في محاضرة في المدينة الرياضية في بيروت بتاريخ ٣/ ١١/ ٢٠٠٢م. وقد فسر الآية الكريمة: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ حين ذهب إلى الدنمارك فسرها على أنها تكفل حرية الكفر. وفي نفس المحاضرة قال عمرو خالد:

(١) وقفات مع عمرو خالد، الشيخ عبدالرحمن بن سعد الشثري، شبكة الألوكة www.alukah.net/Web/shathary. بتصرف في تعديل الكلام العامي المكتوب.

(٢) وقفات مع عمرو خالد، الشيخ عبدالرحمن بن سعد الشثري، شبكة الألوكة www.alukah.net/Web/shathary. بتصرف في تعديل الكلام العامي المكتوب.

((إن المسلمين أخذوا الجزية من الكفار ليدافعوا عنهم وليس ليذلوهم ولما عجزوا عن حمايتهم ردوا لهم المال))[1].

وفي العلاقة مع الغرب واليهود تحديداً، يرى د. عمرو خالد رأياً خاصاً فيقول في جوابه على سؤال مراسل ال بي بي سي: الذي سأله أولاً عن سبب اهتمامه واهتمام المفكرين العرب بموضوع تحالف الحضارات فأجاب: ((أعتقد أن أمامنا بديلين للمستقبل إما صدام الحضارات أو تعايش الحضارات. اعتقد أن من مصلحة المسلمين ومن مصلحة الشباب العربي ومن مصلحة الغرب ومصلحة الجميع أن نشجع فكرة التعايش وندعمها أن نبحث عن مثل هذه اللقاءات ليس للكلام فقط وإنما أن يكون هناك فكر صادق لدى كل الأطراف فعلاً بحيث تجيد التعايش لمزيد من الطمأنينة في الأرض خاصة وأننا في العشرين سنة القادمة إذا لم نقتنع بالتعايش بإيمان صادق ونبذل له خطوات حقيقية فسيكون صوت دعاة الصدام، فيعلو في الأرض ويؤدي إلى نتائج لن يستطيع معها العقلاء فعل أي شيء.

س: هذا بالنسبة للثقافة أو العلاقة مع الغرب، ماذا عن العلاقة مع اليهود أو مع دولة إسرائيل الموجودة حالياً كأمر واقع في المنطقة؟

ج: قضية دولة إسرائيل قضية سياسية أكثر منها ثقافية ومازلت أرى أنه لابد للسياسيين أن يجلسوا سوياً ويصلوا إلى تصور لحل هذه المشكلة بما يضمن الطمأنينة والتعايش. نحن أصلاً ليست لدينا مع اليهود كديانة أي مشكلة وكلنا نتذكر القصة الشهيرة عندما ترك المسلمون الأندلس ونزحوا للمغرب اختار اليهود أن يعيشوا مع المسلمين في المغرب حيث كان أحب إليهم العيش مع المسلمين على أن يعيشوا في الأندلس. إن هذه حقيقة تاريخية ثابتة لا توجد لدينا مشكلة إنما هناك مشكلة على الحق والأرض فيجب أن يجلس السياسيون وبنفس الطريقة يجدون لها الحلول الجيدة للتسوية))[2].

---

(١) ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة مشـــكاة الإسلامية، ص٧.

(٢) موقع محطة البي بي سي العربية http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east الدوحة، الأحد ٢٦ فبراير ٢٠٠٦م

وفي موضوع آخر وعند حديثه عن الأخلاق التي يتميز بها المسلم عن غيره، وهي من فروع الدين المحمودة، ولكنه جعلها أساس الدين وفضلها على بعض أركان الإسلام، فيقول: ((سأقول لك أمراً عجيباً جداً! أنت قد تظن ... وتتخيل أن العبادات أولى، يعني أنت تريد أن تقول لي أن الأخلاق أهم من الصلاة والصوم والذكر والدعاء والحج؟ نعم، الأخلاق أهم!! كيف ذلك؟ يا إخواني كل عبادة من العبادات التي ذكرناها آنفاً، هدفها الأسمى: ضبط أخلاقك. الهدف الأسمى لكل عبادة: إن خلقك يكون سوياً، يكون منضبطاً، ولا قيمة في عبادة من العبادات لا تؤدي إلى إنضباط الأخلاق. ستكون تمارين رياضية ... إذاً من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر صلى أو لم يصل؟ قام بعمل تمارين رياضية!لكن صلى؟ و لم يستفد من الصلاة في شيئ. قيمة الصلاة الأساسية: أخلاقك ماذا حصل فيها ...))[1].

المسلك الرابع: التعايش والتسامح مع المبتدعة والكفار. وهذا المسلك واضح جلي في دعوة د. عمرو خالد، كما يُعتبر من أخطر المسالك أثراً وذلك لما تمر به أمة الإسلام من ضعف وهزيمة وتقليد وتبعية، وخاصة على مستوى شبابها، وما تزامن مع ذلك من ثورة في وسائل الاتصال من خلال القنوات والشبكات وتفاعل كثير من أبناء المسلمين مع هذه الوسائل، التي أصبحت هي المصدر الرئيس في بناء ثقافتهم، وما صحب ذلك أيضاً من توسع في برامج الابتعاث لأبناء المسلمين إلى بلاد الكفر واختلاط الثقافات، مع قلة العلم الشرعي وغياب مفهوم الولاء والبراء.

يقول محمد جلال القصاص: ((من خلال تتبع حلقات برنامج "دعوة للتعايش"، وفعاليات الأستاذ عمرو خالد قبلها وبعدها، يتبين أن المراد بالتعايش الذي ينادي به "عمرو خالد" في مرحلة من مراحله هو قبول الآخر، كافراً كان أو مبتدعاً، تقبله دون أن تعتنق مذهبه ودون أن تدعوه ليعتنق مذهبك. يرضى كل بالآخر على حاله، وتبحثا سوياً في المتفق عليه بينكما لتلتقيا عليه وتتعاونا من أجل عمارة الأرض. يقول: ولهذا خلقنا الله، ويستدل بقول الله – تعالى –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾

(١) انظر: أخلاق المؤمن، د. عمرو خالد، بيروت لبنان، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ص٣. بتصرف في تعديل الكلام العامي المكتوب.

[الحجرات:١٣]، يقرأ نصف الآية هكذا، ثم يفسر التعارف بأنه "التعايش" .. قبول كل منا لغيره، بمعنى الرضا به، والتعاون في المشترك بين الحضارات!! وهذا الاستدلال فاسد ...

ويستدل بأنّ الهدف من خلق الإنسان هو عمارة الأرض، ويكرر هذا كثيراً، ثم يقول: ولا تعمر الأرض إلا بالتعايش بين الحضارات، ويقول: لم تعمر الأرض إلا حين خالط العرب غيرهم من الشعوب واستفادوا من خبراتهم، فالسبيل لعمارة الأرض – هذا قول عمرو خالد – أن يتعاون أصحاب الديانات فيما بينهم، أن يعمل أهل الإيمان (أياً كان هذا الإيمان) في "التنمية". يقول نتخطى مرحلة الدين، ويرضى كل بدينه ثم نتجه للعمل للتنمية لإحداث نهضة في العلوم والثقافة والفنون والقيم والأخلاق والحرية. ولذا لم يبالِ عمرو خالد بأن يكون فريق عمله من المسلمين أم من النصارى، بل دعى الداعية عمرو خالد غير المسلمين للمشاركة في فعالياته!!))[1].

ومن مظاهر انحراف مفهوم التعايش الذي يدعو إليه د. عمرو خالد، بل ونفذه عملياً حضوره لاحتفالات النصارى الأقباط بعيد ميلاد المسيح – عليه السلام –، وحضوره هذا أيضاً يأتي في إطار دعوته للتعايش مع الآخر، ((كتب شريف الدواخلي القاهرة: – من قلب كاتدرائية الأقباط بالقاهرة التي بادر بالذهاب إليها لتهنئة الأقلية القبطية المصرية بعيد الميلاد أعرب الداعية المصري عمرو خالد عن خوفه على مصير البلد من تداعيات الحوادث الطائفية التي تشهدها بين الحين والآخر. وفي تصريح خاص لـــ"إسلام أون لاين. نت" على هامش حضوره الاحتفال بأعياد الميلاد مساء الأحد ٢٠٠٨/١/٦م، قال خالد: "أتيت بمبادرة شخصية، فلم يدعني أحد، والحقيقة أنني جئت إلى مقر الكاتدرائية المرقسية لكي أبدأ التنفيذ العملي لبرنامجي: دعوة للتعايش" وأعرب عن اعتقاده أن "بداية هذا التعايش تتمثل في مشاركتنا للإخوة الأقباط في أفراحهم"، وتساءل مؤكداً: "وهل هناك مناسبة أفضل من عيد ميلاد المسيح – عليه السلام –؟"))[2].

(١) عمرو خالد في المرحلة الثانية، محمد جلال قصاص، موقع صيد الفوائد www.saaid.net/Doat/alkassas. بتصرف يسير.

(٢) شريف الدواخلي، ٢٠٠٨/٠١/٠٧م، موقع أون إسلام www.onislam.net/arabic/newsanalysis

ورسالة د. عمرو خالد لنيل درجة الدكتوراه التي كانت بعنوان: الإسلام والتعايش مع الآخر، والتي ناقشها في ١٩ مايو ٢٠١٠م في جامعة ويلز ببريطانيا: وذكر د. عمرو خالد من عوامل التعايش الاجتماعي المزدوج في الإسلام: حرية العقيدة: ((حرية الفكر والاعتقاد تمنع استبداد الفرد والجماعة. لقد أطلق الإسلام العنان للفكر وحث البشر أن يعملوا الفكر، وأن يعتنقوا ما يريدون. لا أحد يمكن أن يجبرهم على التخلي بما يتعقدون. وبذا فإن المسلمين ليسوا مطالبين بإجبار الآخرين على الأخذ بفكرهم وعقيدهم، لأن هذا ليس شأن المسلمين، والحكم هنا ليس في هذا العالم وإنما الأمر امتياز لله يوم الحساب.

والقرآن يوضح: ﴿ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [الحج: ٦٨ - ٦٩]، يخاطب الله - تعالى - رسوله- صلى الله عليه وسلم -عن أهل الكتاب: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَـٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَـٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١٥]، يوضح الإسلام أن اختلاف الناس حول الدين حقيقة أخذت مكانها بمشيئة الله. وإن الله - تعالى - قد كفل لعباده تلك الحرية وذلك الاختيار فيما يفعلون وفيما يدعون: ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩]))[(١)].

ومما ذكره د. عمرو خالد من التوصيات في نهاية الرسالة قوله: ((حماية التعايش المشترك بين المسلمين وغير المسلمين بسياج منيع من الاحترام المتبادل والثقة فلا ينحرف التعايش السلمي عن مساره الطبيعي لأي سبب من الأسباب، ولا يكون لمصالح طرف من الأطراف أسبقية دون الآخرين. هذا الأمر يتطلب الاستعانة بالعوامل العامة القيم المعتدلة، الأفكار والمبادئ التي لا جدال حولها والتي تعززها الديانات المنزلة. فيما يتعلق بهذا الشأن إعلان المبادئ بشأن التسامح الصادر في ١٦ نوفمبر ١٩٩٥م، والذي يربط بين التسامح وحقوق الإنسان. المادة الأولى من هذه الوثيقة الصادرة عن منظمة الأمم المتحدة للتربية

(١) الإسلام والتعايش مع الآخر، د. عمرو خالد، ص٢٠.

والعلوم والثقافة (اليونسكو) تتناول مفهوم التسامح الذي يشمل التالي:

١. التسامح هو احترام وقبول وتقدير تنوع ثقافات عالمنا.
٢. التسامح موقف يعززه الاعتراف بالحقوق العالمية للإنسان.
٣. التسامح مسئولية لحفظ الإنسان، والتعددية التي تشمل التعددية الثقافية، الديمقراطية، وحكم القانون ...
٤. تطبيق التسامح يعني أن الفرد حر في اعتناق الذي يريد بحسب قناعته، وأن هذا الفرد يقبل بأن للآخرين خيارهم. التسامح يعني أن لا تفرض آراء فرد على آخرين))[١].

المسلك الخامس: القدوة الشخصية في المظهر والسلوك.

ومخالفة د. عمرو خالد لأوامر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هيئته ولباسه، أمر ظاهر ولم يعد يقتصر على أنه ذنب ومخالفة شرعية تتعلق بشخصه، بل تعدت تلك المخالفة وغيرها إلى الناس من المتابعين والمقلدين والمتأثرين بدعوته، يقول الدكتور محمد بن رزق بن طرهوني: ((بدأ بعض هؤلاء في التفريط في التمسك بأمور من الشريعة بسبب قناعات تولدت لديهم من سماعهم لعمرو خالد فالتي كانت محجبة حجاباً شرعياً سليماً تهاونت واكتفت بحجاب عمرو خالد والتي كانت تتجنب الاختلاط ترخصت فيه والتي كانت لا تشاهد المسرحيات بدأت تشاهدها والذي كان مطلقاً للحيته حلقها أو قصرها والذي كان يتحرج من النظر للنساء والتحدث إليهن ترخص في ذلك وهلم جرا))[٢].

ود. عمرو خالد داعية إلى الله، وأعظم قدوة وأسوة له هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومع ذلك عفا الله عنه وغفر له نجده مصر ومداوم على حلق لحيته، وسُئل عمرو خالد سؤالاً يقول: ((السؤال: لو سمحت لي بالسؤال الذي يدور في بالي الآن ومنذ زمن.. لماذا لا تربّي لحية؟؟ وإن كان السؤال غير مقبول فاعذرني، وحفظك الله من كل سوء.

إجابة الأستاذ عمرو خالد: جزاك الله خيراً. سؤالك مقبول طبعاً وموضوع اللحية

(١) الإسلام والتعايش مع الآخر، د. عمرو خالد، ص٢٧٧.

(٢) ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة مشكاة الإسلامية، ص١٠.

يتلخص فيما يلي: اللحية سنة واجبة، لكنها إذا تعارضت مع فرض من الفروض أكبر منها فالأولوية للفرض. وهذا الفرض مثل الدعوة إلى الله. فإذا تعارضت سنة مع فريضة فالأولوية للفريضة. وحتى لو كانت اللحية فرضاً وتعارضت مع فرض أكبر منها "الدعوة إلى الله" فالأولوية للفرض الأكبر. وهنا يأتي سؤال: هل هناك تعارض عندك بين هذه السنة والفريضة التي تقوم بها؟ فأقول: نعم يوجد تعارض منذ أن كنت في مصر. وأستأذنك أني لا أستطيع أن أبدي ما هو هذا التعارض، فإني أحتفظ بهذا الأمر لا أعلن عنه على الهواء مباشرة حتى أستمر في أداء الفرض))(١).

تخليه عن كثير مما يتميز به المسلم عن غيره فضلاً عن الداعية أو طالب العلم الشرعي ومن ذلك: لغة الدعوة وهي لغة القرآن والسنة قد هجرها إلى لغة عامية دارجة. ومداومته كذلك على ارتداء الجينز أو البدلة وربطة العنق، وما ارتبط بشخصية د. عمرو خالد من السلوكيات المخالفة للشريعة المطهرة أولاً، ولما ينبغي أن يكون عليه سلوك وهدي الداعية ثانياً، ومنها:

- مجالسة النساء المتبرجات والتحدث إليهن بدون أي تحفظ وعينه تنظر إليهن دون خجل ولا وجل ويتبادل معهن الابتسامات والضحكات والتعليقات وكأن إحداهن امرأته أو إحدى محارمه.
- حضوره المجالس المختلطة وجمعه الرجال والنساء في صعيد واحد المتبرجة بتبرجها والمتعطرة بعطرها والمتغنجة بغنجها ويفسح لهذه المجال لتتكلم على مرأى من الجميع.
- الاستماع إلى الموسيقى والتصريح بمتابعة الأفلام والمسرحيات الهابطة لفساق الأمة.
- السكوت على المنكرات الكثيرة الظاهرة مع تمكنه من الإنكار عليها وتوجيه أصحابها.



(١) محمد نجاتي سليمان، مؤسس مدونات هيئة الدفاع عن الداعية عمرو خالد، أكتوبر ٢٠٠٩م. hafedelbanna.arabblogs.com.

الفصل الخامس

الموقف الغربي من الانحراف المعاصر في مفهوم التدين

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: موقف مراكز الدراسات
- المبحث الثاني: مواقف الساسة
- المبحث الثالث: مواقف المفكرين والمثقفين

المبحث الأول:

موقف مراكز الدراسات

وسأعرف ابتداءً بمراكز الدراسات:

وكلمة مركز: هي من ركَّز تعني: موقع أو مكان أو نقطة تقديم خدمات، تُركزُ وتهتم بأمر معين وتضعه في بؤرتها ودائرة اهتمامها، وتجمع مراكز[1].

وكلمة دراسات: جمع دراسة، والدِّرَاسَةُ: الأعْمَالُ الْمَدْرَسِيَّةُ، أَي القِرَاءةُ وَتَحْصِيلُ العُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، والدِّرَاسَةُ: بَحْثٌ، وتحقِيقٌ لجمع المعارف والعلوم لظاهرة معينة طِبِّيَّة أو اجتماعيَّة أو نفسيَّة . وتسمى دراسة حالة[2].

أولاً: موقف مراكز الدراسات من الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه الاعتزالي الليبرالي، ويشمل عدداً من مراكز الدراسات التي تطرقت لهذا الموضوع بالمتابعة والتحليل والدراسة والدعم، ومنها:

١. جامعة الأمن القومي في واشنطن دي سي: (National Security University in Washington, D.C).

والتي أقرت في قاعات اجتماعاتها استراتيجية عُرفت بمعركة (القلوب والعقول) وذلك عام ٢٠٠٣م، فقد أجاز البيت الأبيض إستراتيجية جديدة ومفصلة، سماها التواصل مع العالم الإسلامي، وهي التي تقول لأول مرة: أن الولايات المتحدة لديها مصالح تتعلق بالأمن القومي في التأثير على ما يجري في الإسلام لأن أمريكا في العالم الإسلامي، وتدعو الخطة للعمل من خلال ثلاثة أطراف كما يقول أحد المسؤلين: الدول الإسلامية المعتدلة،

---

(١) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (توفي٧٢١هـ)، مكان النشر بيروت، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، سنة النشر ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ج١ص١٠٧. وموقع المعاني www.almaany.com.

(٢) مختار الصحاح، الرازي، ج١ص٨٥ . وموقع المعاني www.almaany.com.

والمؤسسات وجماعات الإصلاح لتعزيز القيم المشتركة للديمقراطية، وحقوق المرأة والتسامح، ففي حوالي عشرين دولة على الأقل، قامت الولايات المتحدة بتمويل بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية، والبرامج الدراسية في المدارس الإسلامية والمراكز الفكرية الإسلامية وورش العمل السياسية، وغير ذلك من البرامج التي تعمل على تشجيع الإسلام المعتدل))[١].

٢. معهد الدراسات الدولية والاستراتيجية الأمريكي (Center for Strategic and International Studies).

وذلك من خلال مدير برنامجه في الشرق الأوسط جون بي آلترمان (JonB. Alterman) الذي كتب: ((أصبحت الحاجة ماسة إلى الليبراليين العرب أكثر من أي وقت مضى، حيث يرى فيهم بعض الغربيين الأمل والقوى القادرة على مواجهة خطر «القاعدة» لذلك يدعوهم كبار مسؤولي الحكومات في واشنطن ولندن وباريس وغيرها من العواصم الغربية إلى موائد الأكل وشرب الخمر. لقد ازداد الدعم الغربي لليبراليين العرب، لكن يبدو أن تنامي هذا الدعم قد يحدث تأثيراً معاكساً، فبدلاً من أن يؤدي إلى تقويتهم فإنه سيؤدي إلى تهميشهم ووصمهم بالعمالة، بل جعل الكثيرين يتشككون في الإصلاح السياسي الذي يسعى الغرب إلى تحقيقه في المنطقة. يعتبر اتخاذ السياسة الغربية لليبراليين العرب قاعدة انطلاق لتنفيذ سياساتها في المنطقة أمراً منطقياً بالنظر إلى التجانس الموجود بين الطرفين، فالليبراليون العرب على مستوى تعليمي جيد ويتحدثون الإنجليزية بطلاقة، وفي بعض الأحيان يتحدثون الفرنسية أيضاً. فالساسة الغربيون يجدون الراحة في التعامل معهم وهم كذاك يحبون التعامل مع الغرب))[٢].

---

(١) القلوب والعقول والدولارات، ديفيد كابلان David E. Kaplan، الثلاثاء ٠٢ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ، مجلة يو إس نيوز U.S. News.

(٢) الليبراليون الجدد .. عمالة تحت الطلب، كتب جون بي آلترمان (Jon B. Alterman) مدير برنامج الشرق الأوسط في معهد الدراسات الدولية والاستراتيجية الأمريكي (Center for Strategic and International Studies)، ترجمة: إبراهيم عرفة أحمد، شبكة المثقفين السعوديين.

٣. مجلس العلاقات الخارجية الأمريكية، The Council on Foreign American Relations: بتاريخ ٩ يونيو ٢٠٠٥م

الذي اجتمع في تقريره حاجة الغرب لهذا التوجه الليبرالي، ولهذه العمالة من جهة، وتنامي دعم الغرب لليبراليين العرب من جهة أخرى من خلال ما يُعرف بالتطور الديمقراطي حيث: ((ركز هذا التقرير على ضرورة أن يكون هدف أمريكا في الشرق الأوسط تشجيع التطور الديمقراطي وليس الثورة كما يجدر بصانعي السياسات أن يأخذوا بعين الاعتبار التنوع السياسي والاقتصادي في المنطقة وذكر التقرير أن عملية التطور الديمقراطي بطيئة ومتدرجة ويجب أن تتم من خلال النظم السياسية الموجودة في الدول العربية. وأشار التقرير إلى أن سياسة نشر الديمقراطية تؤدي إلى بعض المخاطر ولكن حرمان الشعوب من الحرية ينطوي على مخاطر أكثر، ونبه التقرير على أخذ الظروف الخاصة بكل دولة على حدة مع التأكيد على مبادئ أساسية مثل حقوق الإنسان وتقبل الآخر وسيادة القانون وحقوق النساء والأقليات وعدم ربط الإصلاح بالصراع العربي الإسرائيلي))[1].

٤. مؤسسة (راند): RAND Corporation Report:

والتي صدر تقريرها في ٢٠٠٧م، خدمة لهذا التوجه الليبرالي ونتيجة للدراسات البحثية والرصد المبكر لمؤسسات الغرب لواقع المسلمين، وكان التقرير عبارة عن دراسة بعنوان "بناء شبكات إسلامية معتدلة" وذلك في إطار تحديد شركاء تعتمد عليها الجهود الأمريكية لمساعدتها في تحسين صورتها في العالم الإسلامي من جهة وفي تحقيق أهدافها في مواجهة التيارات الأصولية من جهة أخرى، وركز الفصل الخامس من الدراسة على " خارطة الطريق نحو بناء شبكات معتدل والأخطر في هذا التقرير هو ما عبروا عنه بإعادة ضبط الإسلام وجعله متكيفاً مع الواقع المعاصر ويؤمن بوجهة النظر السائدة في الغرب ((الأكثر خطورة في تقرير مؤسسة "راند" الأخير – الذي غالباً ما تظهر آثار تقاريرها في السياسة الأمريكية

---

(١) انظر: رابع عشر: أسباب انتشار هذا الفكر والافتتان به، موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، الدرر السنية، www.dorar.net.

ويتحدث باسم "أمريكا"- أنه يدعو لما يسميه "ضبط الإسلام" نفسه - وليس"الإسلاميين" ليكون متمشياً مع "الواقع المعاصر"))[1].

وتوصي الدراسة وتقترح أيضاً أن يكون من بين الفئات المستهدفة: الأكاديميون المسلمون الليبراليون في الجامعات ومراكز الأبحاث، حيث يستطيعون من خلالها التأثير على أراء الآخرين، ورجال الدين من الشباب المعتدلين الذين سيشكلون القيادة الدينية المستقبلية، وسيكون لهم أثرهم في إيجاد تيار معتدل ذي قاعدة شعبية عريضة وغيرهم من الكُتاب والصحفيين والمعنيين بالاتصال والنشطاء الحقوقيين، والتأكيد على أن يتضمن مشروع بناء الشبكات المعتدلة جهوداً لربط المجموعات العلمانية والإسلامية المعتدلة (الليبرالية) الصغيرة ببعضها البعض في بيئتها وبالجماعات المشابهة في الخارج.

ثانياً: موقف مراكز الدراسات من الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه الإرجائي، وشمل عدداً من التقارير التي تناولت ظاهرة د. عمرو خالد والدعاة الجدد، كما يلي:

١. المركز الألماني للإعلام German.information.center:

أكدت يوليا جيرلاخ الباحثة في شئون الإسلام بألمانيا أن ظاهرة "الإسلام الشبابي" في العالم العربي بدأت في التسعينات على يد الداعية التقدمي عمرو خالد وأنها لا تتعارض مطلقاً مع مطالب الاندماج داخل المجتمع الألماني. وأشارت جيرلاخ في بيان صادر عن المركز الألماني للإعلام إلى انتشار موجة من الدعاة الشباب في العالم العربي أثروا في عقلية وتفكير الكثير من الشباب، لافتة إلى انتشار ما أسمته ظاهرة "الإسلام الشبابي" في أوروبا وألمانيا على وجه الخصوص وأضافت "لن يلفت تي شيرت مكتوب عليه بالخط العريض" عيسى ومحمد - أخوة في الإيمان" الأنظار بسبب لونه الصارخ فحسب، فالرسالة تبعث على التفكير، حيث إن الإسلام في ألمانيا ليس واضحاً للعيان فقط، بل إنه يتميز بالاعتداد بالذات، لذا تحاول ثقافة "الإسلام الشبابي" توضيح أنه لا يوجد تعارض بين الإسلام والاندماج.

(١) لماذا تبني أمريكا "شبكات مسلمة معتدلة" علمانية؟ محمد جمال عرفة، المحلل السياسي بشبكة إسلام أون لاين. نت، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

وطبقاً لرأى الباحثة الألمانية فإن المروجين لظاهرة "الإسلام الشبابي" هم في الغالب من أبناء طبقات جيدة الأحوال المعيشية، ... وتعد أهم العلامات المميزة "للإسلام الشبابي" هي الموسيقى وكذلك الملابس الحديثة التي تنم عن الثقة بالذات، حيث يستعين الشباب بعناصر من ثقافة الشباب العالمية ولكنهم يضيفون إليها ملامح إسلامية خاصة، وتعني جيرلاخ بمسمى "الإسلام الشبابي" مزيجاً من الموسيقى والأزياء التي تنم عن الثقة بالذات وتطمح إلى النجاح داخل المجتمع[1].

٢. مركز "سيديج" البحثي الفرنسي بالقاهرة: (Center "Sidij" French research in Cairo

فقد كتب "باتريك هايني" الباحث في مركز "سيديج" البحثي الفرنسي بالقاهرة فقال: "السر في جماهيرية عمرو خالد الطريقة الطبيعية التي يتحدث بها، فهو يظهر وكأنه أخ أكبر للشباب .. فهو داعية عصري له مشروع يسير عليه". وأضاف قائلاً: "من أسباب نجاح عمرو خالد أنه استطاع التسويق لنفسه من خلال استخدام كافة الوسائل الإعلامية لتوصيل رسالته بما في ذلك أشرطة الفيديو ومواقع الإنترنت والسي دي (الأسطوانات المدمجة الخاصة بالكمبيوتر) والبرامج التليفزيونية ". وتابع باتريك: "رسالة عمرو خالد القائلة بأن الدين هو الحياة هي أيضاً سر في نجاحه، فهو لا يقدم الإسلام على أنه دين ترهيب"[2].

٣. "كلود جيبال" صحفية فرنسية: Claude Jibal" French journalist

وكتبت "ليبراسيون" يوم الاثنين الموافق ٢٠٠٣/٨/٤م، مقالاً جاء فيه: عمرو خالد خرج عن الشكل المعتاد للشيوخ، فهو لا يرتدي الجلباب الأبيض ولا يطيل لحيته، كما أنه استخدم أساليب العرض الأمريكية الجاذبة، وهذا كله أدى إلى زيادة جماهيريته ..

وقالت ليبراسيون في تقرير إخباري حول أسباب نجاح عمرو خالد: إنه خلال عامين

---

(١) عمرو خالد وراء ظاهرة "الإسلام الشبابي" في أوروبا (باحثة ألمانية)، كتب إبراهيم بدوي، جريدة اليوم السابع، الثلاثاء، ١٤سبتمبر ٢٠١٠م، www.youm7.com/News.

(٢) الغرب يتحدث عن عمرو خالد، موقع عمرو خالد www.amrkhaled.net، المكتبة.

فقط استطاع عمرو خالد - ٣٦ عاماً - أن يجمع حوله جمهوراً عريضاً تعدى حدود مصر بل ومنطقة الشرق الأوسط. وأضافت الصحيفة "استطاع عمرو خالد استخدام أساليب العرض الأمريكية الجاذبة، مثل استخدام حواسه أثناء إلقاء الدروس، من أجل مزيد من التأثير، فهو يبكي أحياناً، ويضحك أحياناً أخرى، وهذا الأسلوب سبب من أسباب قربه من جمهوره"(١).



(١) الغرب يتحدث عن عمرو خالد، موقع عمرو خالد www.amrkhaled.net، المكتبة.

المبحث الثاني:
مواقف الساسة

وسأقتصر في هذا المبحث والذي يليه على الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه الإرجائي. فقد تناولت بعض المراكز والمقالات السياسية الداعية د. عمرو خالد ودوره في بعض التغيرات السياسية على مستوى الدول والأفراد، وذلك من خلال دعوته والأسلوب الذي ينتهجه، كما استعانت به بعض الدول في برامج مكافحتها للإرهاب كبريطانيا واليمن، ومن ذلك ما يلي:

١. مركز الأبحاث السياسية والقانونية في القارة الأفريقية بجامعة السوربون: (Research Center, political and legal on the African continent at the U. of Sorbonne)

وفي إطار هذا الاهتمام كانت دوريته الفرنسية "السياسة الأفريقية" قد أصدرت عدداً خاصاً (العدد ٨٧) بعنوان "موضوعات الرب" لبحث التغيرات الجديدة على مستوى العلاقة بين اليومي، أو المعيش، والمقدس في قارة أفريقيا السمراء. وهي تعكس الاهتمام الفرنسي الكبير بالقارة السمراء التي شهدت منذ نهاية الثمانينيات نوعاً من العودة للدين على كل المستويات، وهو ما يحاول الملف رصد أشكاله المختلفة.

أما أهم دراسات الملف فكانت عن الشيوخ الجدد وظاهرة عمرو خالد، وأهميتها ليست فقط في كونها الوحيدة في الملف التي تتعرض للإسلام في أفريقيا قارة الإسلام، بل لأنها ربما كانت الأولى والأهم عن ظاهرة جديدة على الحقل الديني الإسلامي.

الدراسة أعدها "باتريك هايني" وهو باحث اجتماع سويسري يعيش في مصر وهو مختص في الظاهرة الإسلامية، وحصل على الدكتوراة من معهد الدراسات السياسية في باريس عن الدعوة الإسلامية في منطقة إمبابة "إحدى الضواحي الشعبية في مدينة القاهرة"، ونالت جائزة أحسن رسالة دكتوراة باللغة الفرنسية عن العالم الإسلامي لعام ٢٠٠١، ودراسة باتريك عن "الإسلام كظاهرة اجتماعية: الشيوخ الجدد – نموذج عمرو خالد وترى

أن نموذج عمرو خالد يمثل تلبية للاحتياجات الدينية للنخب والطبقات العليا في مصر ومحاولة لتقديم إسلام بمواصفات خاصة لأبناء هذه الشرائح التي تستقر بأعلى الهرم الاجتماعي في مصر بما يلبي رغبتها الحقيقية في التدين(١).

٢. صحيفة صنداي تايمز البريطانية: Britain's Sunday Times

كشفت صحيفة صنداي تايمز البريطانية الأحد ٣٠-٥-٢٠٠٤م: أن الحكومة البريطانية وضعت خطة شاملة لمواجهة ما تعتقد أنه الأسباب الأساسية التي تغذي التطرف، وتتضمن الاهتمام بمشاكل المسلمين الاجتماعية، ودعم الأئمة المعتدلين وتجريم المتشددين، وذكرت الصحيفة أن الخطة تدعم - في إطار رؤيتها لكيفية مكافحة الإرهاب - الأئمة المعتدلين والذين نشئوا في بريطانيا، وتعتبر الأئمة "المتشددين" الذين لم يلتزموا بالطريقة البريطانية في الحياة خارجين عن القانون.

واقترحت الخطة أسماء للأئمة المعتدلين مثل الداعية الإسلامي المصري عمرو خالد الذي تلقى منحة مدتها ٤ سنوات لنيل درجة الدكتوراة من جامعة ويلز البريطانية في السيرة النبوية (الإسلام والتعايش مع الآخر). وتدعو الخطة أيضاً إلى تمويل محطات الراديو والتلفزيون والصحف الإسلامية المعتدلة، وأعد الخطة وزراء ومسئولون كبار بالحكومة البريطانية بناء على طلب من رئيس الوزراء البريطاني توني بلير.

ونقلت الصحيفة عن الوزير أندوا تيرنبول الذي كلفه مجلس الوزراء البريطاني بوضع الخطة: "الهدف هو منع الإرهاب عبر التعامل مع أسبابه.. وتقليص التأييد للإرهابيين عبر تركيز الاهتمام على القضايا الاجتماعية والاقتصادية"(٢).

٣. إذاعة ال BBC القسم العربي: Broadcast the BBC Arabic section

---

(١) انظر: عمرو خالد .. الطبعة الإسلامية لليبرالية الجديدة، حسام تمام، موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com. بتصرف يسير.

(٢) بريطانيا تعتبر عمرو خالد من الأئمة المعتدلين، نشرت وحدة الاستماع والمتابعة لموقع إسلام أون لاين، الموقع الرسمي لعمرو خالد www.amrkhaled.net، المكتبة، بتاريخ ٣٠/٥/٢٠٠٤م.

نشرت خبراً مفاده: عمرو خالد: أسعى إلى اقتلاع جذور الإرهاب باليمن. كتب مات بروجر، بي بي سي، اليمن: يمتنع الرئيس اليمني علي عبد الله صالح عن إعطاء أي مقابلات صحفية، حتى الآن على الأقل. فهذا الرجل الذين يحكم اليمن منذ ٣٢ عاماً لم يعد يحتمل الصحافة التي دأبت على وصف بلاده على أنها "مهد الإرهاب" إلا أنه بالنسبة للداعية الإسلامي المصري عمرو خالد وضع استثناء، فقد وصفه صالح بأنه: "رجل طيب"، لكن الموضوع بلا شك لا يقف عند كونه رجلاً طيباً، فهناك أكثر من ذلك، إذ صارت شهرة خالد في العالم العربي قريبة من شهرة نجوم موسيقى الروك في الغرب.

يقول خالد: "هدفي الأكبر هو اقتلاع جذور الإرهاب في اليمن، وتشجيع الناس على الروح الايجابية، ومواجهة المتطرفين والقول لهم: " نحن لا نريدكم في بلادنا ". قال لي خالد إن مهمته في اليمن تتركز على تغيير عقلية الشباب، "الشباب يمكن أن يصنعوا الفرق، الشباب يمكن أن يغيروا، يمكنهم أن يقتلعوا جذور الإرهاب من اليمن". على مستوى تطبيقي بدأت جمعية "البداية الصحيحة"، التي أنشأها خالد، في تدريب القادة الشباب والأئمة لنشر رسالة الاعتدال في المساجد والمدارس[١].



(١) انظر: عمرو خالد: أسعى إلى اقتلاع جذور الإرهاب باليمن، تلفزيون وإذاعة BBC الشرق الأوسط www.bbc.co.uk/arabic، الثلاثاء، ٧ ديسمبر/كانون الأول ٢٠١٠م.

المبحث الثالث:

مواقف المفكرين والمثقفين

وكذلك تناول الداعية د. عمرو خالد بعض المفكرين والمثقفين العرب بكتاباتهم ومقالاتهم التي وقفت عليها، وكانوا بين مادح وذام، كما يلي:

١. الدكتور صلاح عبد المتعال الخبير الاجتماعي المصري[(١)]:

أجرى معه الداعية بوزارة الأوقاف بمصر، صباح هاشم، اللقاء التالي: والذي تركز الحديث فيه عن ظاهرة التدين الجديد والداعية عمرو خالد: بصفتك رجل اجتماع.. كيف تقيم هذه الظاهرة؟ وهل لك من تحفظات عليها؟

في تصوري: ظاهرة الدعاة الجدد ظاهرة محمودة، وعلينا تشجيعها ومباركتها، وإن كان لي عليها تحفظ، وهو أنها تبتسر الدين وتنتقص من شمولية الإسلام، وإن كان بعضهم لا يريد أن يتناول الإسلام بمفهومه الشامل، ولا يتطرق إلى أمور سياسية حتى لا تمنعه السلطات. غير أنه على أي حال جهد مشكور، وكلٌ يؤجر حسب نيته. وأنا شخصياً أرى أن "النماذج الذكية" من الدعاة هم الذين يريدون أن يوصلوا الدعوة للناس بكل طبقاتهم دون أن يصطدموا بجبروت السلطة، موضحاً أن البعض يسميها "تقية"، لكنني أسميها "الدعوة الذكية" أو "الحكيمة"، وهي عرض الدعوة المناسبة للجمهور المناسب في الوقت المناسب بالطريقة المناسبة.

ولكن أحد الدعاة الجدد وهو عمرو خالد – على سبيل المثال – لم يتطرق إلى هذه الأمور، ومع ذلك منعته السلطات المصرية .. فلماذا في رأيك تم هذا المنع؟

في تقديري أن السلطات منعت الداعية عمرو خالد من الخطابة وإلقاء الدروس عندما وجدوا أن أبناء الطبقة "الراقية" من أصحاب الجاه والسلطة والمال على رأس محبيه ورواده،

(١) الدكتور صلاح عبد المتعال الخبير الاجتماعي المصري، المستشار بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر، وهو من المتابعين والمراقبين لهذه الظاهرة.

رغم أنه لم يكن يتكلم في سياسة ولا غيرها، بل كان حديثه دائماً عن حب الرسول وأصحابه وأخلاقه ... إلخ.

بمناسبة ذكر عمرو خالد .. ما رأيكم فيه وفيما يقدمه؟

في اعتقادي وباختصار شديد: إن عمرو خالد نجح في أن يقدم للشباب وجبة شهية من "الدين اللذيذ"، دون "التكليف المر"؛ فلم يحمِّلهم هم هذا الدين حيث عرض عليهم دينا "لا شوكة فيه". وقد ذكرني ذلك ببعض الفرق المتصوفة التي تتقرب إلى الله وتقوم الليل وتصوم وتتعبد، أما المسئولية السياسية ومعايشة مشكلات الناس، فلا[1].

٢. محمد قطب الداعية والمفكر الإسلامي:

كتب محمد العوضي في جريدة الرأي العام الكويتية: قلت: كنت بين المغرب والعشاء في زيارة للأستاذ المفكر الإسلامي محمد قطب، وكونه حاصلاً على جائزة الملك فيصل، على كتابه "منهج التربية الإسلامية" سألته: يا أستاذ من وجهة النظر التربوية، ما رأيك في منهجية وإرشادات الداعية عمرو خالد؟

فقال: إنه يملك موهبة فذة وظفها في خدمة دينه، قلت له: بعض الناس يرى أنه ليس عالماً ومن ثم لا يجوز أن يأخذ هذا الحجم من الانتشار، قال قطب: كثير من العلماء عبارة عن خزانة معلومات مغلقة، أو نسخة من مكتبة، وهذا الداعية لم يقل إنه فقيه، وكون عليه ملاحظات، فمن ذا الذي ليس عليه ملاحظات، علينا النصح والتجاوز عن هذه العثرات في سبيل الانتفاع من الخير الكثير الذي يعطيه للناس، لأن المقابل هو النسخ المكتبية[2]!!

٣. د. عبد الوهاب المسيري[3] المفكر الإسلامي:

---

(١) الدين اللذيذ .. لغة الدعاة الجدد، في حوار أعده: صباح هاشم، موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(٢) محمد العوضي، جريدة الرأي العام الكويتية، ٢٠٠٥م، www.alraimedia.com.

(٣) عبد الوهاب المسيري ولد في مدينة دمنهور في مصر في تشرين أول عام ١٩٣٨م، مفكر مصري إسلامي يساري التوجه، وهو مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية أحد أكبر الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين، صدرت له عشرات الدراسات والمقالات عن إسرائيل =

الذي قال في حوار خاص حول الداعية الشاب عمرو خالد: أعتقد أن علينا أن نبدأ كلامنا بجملة محددة هي أن عمرو خالد ظاهرة جديرة بالاهتمام جديرة بالتشجيع وأيضاً بالنقد ... عمرو خالد أحسن توصيف له أنه جزء من تنشيط المجتمع المدني لأننا اكتشفنا في العالم بأسره أن الديمقراطية لا تفلح مع الدولة المركزية، وعبر التاريخ الإسلامي فإن فكرة الدولة القوية لم تمثل في مسئوليتها عن كل شيء في شئون الحياة وامتلاك رقبة المجتمع ولكن كانت بالأساس تتعلق بالأمن والحدود، وكان هناك دائماً وبشكل مستقل الأوقاف والعلماء والأعيان وقد كشفت كل التجارب العالمية المهمة في الديمقراطية والتمثيل الشعبي ضرورة أن يبقى جزء كبير من رقعة الحياة بعيداً عن هيمنة الدولة المركزية.

وأنا أعتبر عمرو خالد جزءاً من حركة تنشيط المجتمع، حيث يعي ضرورة تنشيط الحافز الفردي بهدف توظيفه في المجتمع أي أنه يعترف بفردية الفرد في إطار اجتماعي إسلامي ... لكن المفهوم الذي بثه عمرو خالد في الشباب يعني أن نقعد هنا في "وش بعض" وضرورة أن ننهض، بث الفكرة في حد ذاتها أمر جوهري قبل الدخول إلى التفاصيل، وأعتبر هذا هو الإنجاز الحقيقي للتجربة. عجبني اعتماده كثيراً على: آية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، فهي تشرح كيف أن الله يملك كل شيء ولكنه أعطانا حرية تغيير أنفسنا. ربط الثواب بالعمل فجوهر الإسلام هذه الثنائية التفاعلية بين الله والإنسان بين السماء والأرض بين الرجل والمرأة.

وما حققه الرجل من مكاسب عالية تجعل من بعض التنازلات التفصيلية أموراً يمكن التغاضي عنها. استخدامه في خطابه كلمات مهمة وحديثة مثل النهضة والإقلاع ولم يستخدمها غيره. حديثه عن الفن فمثلاً كانت تراسلني فتاة صغيرة وتحدثني عن أبيها المتشدد. وعمرو خالد بيضحك. تأكيد عمرو خالد عن أشياء مثل الحب الإلهي والحب النبوي والتضحية والإحسان والحب، ... وبالطبع تأكيده على العمل التطوع، أؤيد تجربة

= والحركة الصهيونية ويعتبر واحداً من أبرز المؤرخين العالميين المتخصصين في الحركة الصهيونية، توفي عام ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م (انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

عمرو خالد وأشجعه على الاستمرار(١).

قلت: وهذه الآراء مُقدرة ومحترمة لأصحابها، وقد ركزت على جانب من دعوة د عمرو خالد – وفقه الله لهداه – في أدائه وأسلوب إيصاله لدعوته، وتقديمه لبعض البرامج التفاعلية الشيقة، مع شيئ من تحفظهم، كما قال الدكتور صلاح عبد المتعال: (وإن كان لي عليها تحفظ، وهو أنها تبتسر الدين وتنتقص من شمولية الإسلام، وقوله: عمرو خالد نجح في أن يقدم للشباب وجبة شهية من "الدين اللذيذ"، دون "التكليف المر"؛ فلم يحمِّلهم هم هذا الدين حيث عرض عليهم ديناً "لا شوكة فيه". وقد ذكرني ذلك ببعض الفرق المتصوفة)، وما أشار إليه كذلك الشيخ محمد قطب رحمه الله من أهمية النصح ..، وعدم سلامة الإنسان من الملاحظات.

وبالنظر إلى دعوته بصورة متكاملة ومضامينها ومعانيها ومراميها، فإنها قد تضمنت إنحرافاً في جوانب شتى عقدية وعبادية فقهية وأخلاقية سلوكية كما سبق في ثنايا الأبواب السابقة.

ومتى ما عمل – وفقه الله - على تصحيح مسار دعوته وتصويب انحرافها، فسينفع الله به نفعاً عظيماً.



(١) الموقع الرسمي لعمرو خالد .amrkhaled.net، المكتبة، المفكر الكبير د. عبد الوهاب المسيري يفجر أكثر من قضية في حوار خاص للحلوة حول الداعية الشاب عمرو خالد. بتصرف.

الفصل السادس

شبهات وآثار ومخاطر دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين والرد عليها

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: الشبهات الفكرية والرد عليها
- المبحث الثاني: الشبهات المنهجية والرد عليها
- المبحث الثالث: الآثار العقدية وبيان خطرها
- المبحث الرابع: الآثار السلوكية وبيان خطرها
- المبحث الخامس: الآثار الاجتماعية وبيان خطرها

المبحث الأول:

الشبهات الفكرية والرد عليها

الشبهات الفكرية: الشّبهة لغةً: قال ابن منظور - رحمه الله -: ((الشَّبَه، والشِّبْه، والشّبيه، المثل، والجمع: أشباه، من أشبه الشّيءُ الشّيءَ أي: ماثله، والمشتبهات من الأُمور المشكلات والمتشابهات المتماثلات))[1].

والشّبهة: اسمٌ من الاشتباه وهو الالتباس، وشَبَّهَ عليه الأمر: أبهمه عليه حتى اشتبه بغيره، واشْتَبَهَ الأمر عليه: اختلط، يقال: اشتبهت الأمور وتشابهت: التبست فلم تتميّز و لم تظهر، ومنه اشتبهت القبلة ونحوها، والجمع فيها شبهٌ وشبهاتٌ.

والاشتباه في الاستعمال الفقهيّ الاصطلاحي أخصّ منه في اللّغة، فقد عرّف الجرجانيّ الشّبهة بأنّها: ((ما لم يتيقّن كونه حراماً أو حلالاً))[2].

الفكرية: قال ابن منظور: ((فكر الفَكْرُ والفِكْرُ إِعمال الخاطر في الشيء.. وأَفْكَرَ فيه وتَفَكَّرَ بمعنىً ورجل فِكِّير مثال فِسِّيق وفَيْكَر كثير الفِكْر.. التَّفَكُّر اسم التَّفْكِير ومن العرب من يقول الفِكْرُ الفِكْرَة والفِكْري))[3]. وجاء في المعجم الوسيط: فكر) في الأمر فكراً أعمل العقل فيه ورتب بعض ما يعلم ليصل به إلى مجهول، (أفكر) في الأمر فكر فيه فهو مفكر))[4].

والمقصود بالشبهات الفكرية: إثارة المشتبهات من الأُمور والمشكلات بإعمال العقل فيها وتقديمه على النقل، وترتيب بعضها مما يُعلم في الذهن ليصل بها إلى لبس الحق أو رده

وسأركز أولاً: على أهم الشبهات الفكرية المتعلقة بالانحراف المعاصر في مفهوم التدين

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج١٣ص٥٠٣.

(٢) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، (المتوفى:٨١٦هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الأولى، ج١ ص١٦٥.

(٣) لسان العرب، ابن منظور، ج٥ص٦٥.

(٤) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج٢ص٦٩٨.

في جانب المعتزلة العقلية ومن حذا حذوهم من الليبرالية، ومنها:

وجميع هذه الشُبه قد وردت في ثنايا أطروحاتهم وكتبهم ومقالاتهم، وتم إيراد كثير من الشواهد لها في البحث[1].

الشبهة الأولى: إباحة التعددية الدينية والفكرية، ويستدل الليبراليون عليها بقوله - تعالى -: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

الرد عليها: لا دلالة في الآية على إباحة التدين بغير دين الإسلام من وجوه أذكرها باختصار:

الوجه الأول: أن نفي الإكراه في الدين لا يعني أنه يجوز عدم الدخول فيه، بل نهي عن قتل من لم يدخل في دين الإسلام .. وفي الآية نفسها والتي بعدها بيان حال من يدخل في دين الإسلام وبين من يمتنع عن الدخول فيه.

قال - تعالى -: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦ - ٢٥٧].

فلو كان التدين بدين غير دين الإسلام مباحاً كما يعتقد الفلاسفة الليبراليون لما توعد من لم يدخل في الإسلام بالنار والعذاب .. وكذلك قد جاءت آيات أخرى قيدت هذه الآية فالواجب الإيمان بجميع الآيات وليس الإيمان ببعضها والكفر بالآخر.. فقد قيدت بمن لم يدخل أصلاً في الإسلام، وقيدت بأهل الكتاب عند كثير من العلماء..

الوجه الثاني: قال ابن القيم - رحمه الله -: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ وهذا نفي في معنى النهي أي: لا تكرهوا أحداً على الدين. نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد قد تهودوا وتنصروا قبل الإسلام فلما جاء الإسلام أسلم الآباء وأرادوا إكراه الأولاد على

---

(١) انظر: مجالات الانحراف المعاصر في مفهوم التدين (في جانبه المعتزلي العقلاني) ص ٢٤٣ وما بعدها.

الدين فنهاهم الله سبحانه عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام[1].

والصحيح أن الآية على عمومها في حق كل كافر، وهذا ظاهر على قول من يُجَوِّزُ أخذ الجزية من جميع الكفار، فلا يكرهون على الدخول في الدين، بل إما أن يدخلوا في الدين، وإما أن يعطوا الجزية كما يقوله أهل العراق وأهل المدينة، وإن استثنى هؤلاء بعضَ عبدة الأوثان.

ومن تأمل سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – تبين له أنه لم يُكره أحداً على دينه قط، وأنه إنما قاتل من قاتله، وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيماً على هدنته لم ينقض عهده، بل أمره الله – تعالى – أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له، كما قال – تعالى –: ﴿فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ﴾ [التوبة:٧]، ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم، فمَنَّ على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقتل بعضهم، وكذلك لما هادن قريشاً عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدءوا هم بقتاله ونقضوا عهده، فعند ذلك عزاهم في ديارهم وكانوا هم يغزونه قبل ذلك، كما قصدوه يوم أحد ويوم الخندق ويوم بدر أيضاً هم جاؤوا لقتاله ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم".

الوجه الثالث: قيل: إن الآية نزلت فيمن يكره ابنه على الكفر فنهى الله عن إكراههم على الكفر وهو يتوافق مع وجوب الدخول في الإسلام.

الوجه الرابع: قيل: إن المراد بالآية لا إكراه بالباطل، أما الإكراه بالحق فإنه من الدين، وهل يقتل الكافر إلا على الدين قال – صلى اللهُ عليه وعلى آله وسلم –: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله][2]، وهو مأخوذ من قوله – تعالى –: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣][3].

---

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ج٥ص٤٠٧.

(٢) البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة، حديث رقم (٦٩٢٤)، ج١٧ص٣٣٧. ومسلم، ١ كتاب الإيمان، ٨باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، حديث رقم (٣٣)، ج١ص٥٢.

(٣) انظر: أحكام القرآن، لابن العربي المالكي، (المتوفى:٥٤٣هـ)، لبنان بيروت، الناشر: دار الكتب =

الوجه الخامس: هب أن الآية يفهم منها جواز التدين بأي دين فهي مقابلة لآيات كثيرة توجب على الناس جميعاً الدخول في الإسلام، واتباع سنة سيد الأنام، وتعليق الفلاح والنجاة على اتباعه واقتفاء أثره والسمع والطاعة له مما يدل دلالة قاطعة على أن من اتخذ ديناً غير دين محمد، أو اتبع طريقاً غير طريقه فهو من الخاسرين والهالكين. ومنهج الراسخين في العلم إرجاع المتشابه إلى المحكم ولزوم المحكم وترك المتشابه .

قال – تعالى –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران: ٧ – ٩].

روى البخاري في صحيحه عن عائشة – رضي الله عنها– قالت: تلا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: [فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم](1).

هذه بعض الشبه التي يلبس بها الليبراليون على التعددية والحرية الفكرية والعقائدية، وهي شبه واهية، وحجج داحضة .. والمقرر في الكتاب والسنة وأجمع عليه العلماء أن الإسلام أعطى المسلم حظه من الحرية فيما أباحه له وجوزه له، أما ما أوجبه عليه فيلزمه الإتيان به إذا توفرت شروطه وتحققت أسبابه وتخلفت موانعه، وكذا يلزمه اجتناب ما حرمه عليه وفق الضوابط السابقة ..

أما التفلت وعدم الانضباط فلا يحقق أمناً ولا سعادة، ولا هو مما يقره عقل سليم ولا شرع صحيح .. فلا يقر تفلت الليبرالية وتناقضها إلا عقل سقيم أو شرع مبدل ومحرف ..

= العلمية، ٢٠٠٧م، الطبعة: الأولى، ج١ ص٤٦٤.

(١) البخاري، كتاب تفسير القرآن، بَاب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾، حديث رقم (٤٥٤٧)، ج١١ ص١٠٣.

ولا يحتاج المسلمون إلى زبالة أذهان الفلاسفة، ودهاقنة الغرب، وتخبطات الضُّلَّال ليبينوا لهم كيف يسعدون أو كيف يأمنون؟ فقد تجلت الأمور واتضحت، وبان طريق الخير من الشر، وانبلج الفجر لهذه الأمة منذ أن بعث رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – فجاء بالهدى والنور .. فمن اتبع النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وفقه دينه، وابتعد عن الغلو والجفاء، والإفراط والتفريط فإنَّ له السعادة والأمن التام في الدنيا والآخرة .. وبمقدار البعد عن هدي النبي – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – ودينه في أمور الدنيا والمعاش والتدين والتعبد يكون الشقاء واختلال الأمن.

الشبهة الثانية: إعادة قراءة النص الشرعي ليخرجوا لنا بـــ قراءة جديدة للإسلام، لتتواكب مع تطوُّرات الحياة ومتغيِّرات العصر كما زعموا. ولذا فهم يطالبون بأهمية تعدد القراءات، وأن ترتبط القراءة بسياقها التاريخي فكل قراءة تناسب العصر وأهله الذي يعيشون فيه.

يقول الشيخ محمد المنجد: ((وهذه الدَّعوةُ دعوةٌ قديمةٌ جديدةٌ، فهي قديمةٌ لوجود جذور تاريخيَّة لها، وقد ظهر في هذه الأمَّة سابقاً مَن حاوَلَ تحريفَ النُّصوص عن معانيها بالتَّأويل الباطل. وجديدة لأنَّها تقوم على أسس وقواعد وتأصيلات منهجيَّة لهذا المنحى الباطل؛ فهي مصنعٌ لتوليد المعاني الباطلة الموافقة لرغباتهم وأهوائهم، ومحاولة شرعنتها وإيجاد المستندات لها. وقد حَمَلَ هذا الاتجاهُ شعاراً هو الأخطرُ في سياق الشِّعارات المطروحة في هذا العصر، إنَّه شعار (التَّحديث والعصرنة للإسلام)، فهم يريدون منَّا تركَ ما أَجْمَعَتْ عليه الأُمَّةُ من معاني القرآن والسُّنَّة لفهم جديد مغاير لفهم السَّلَف الصَّالح يكون متناسباً مع هذا العصر الذي نعيش فيه))(١).

ومن الأمثلة المعاصرة على هذه الشبهة، ما يقوله يوسف أبا الخيل: ((كان الصحابة والتابعون الأوائل يقرأون نصوص القرآن وفقاً لما يعتقدون أنه مراد الله – تعالى – منها، إما

(١) بدعة إعادة فهم النص، محمد صالح المنجد، الخبر، الناشر: مجموعة زاد، ١٤٣١هـ، الطبعة: الأولى، ص٤١.

بالفهم المباشر المستنبط للمعنى من خلال التفاعل الحي مع مفردات لغة النص، كما هي حال الصحابة الذين عايشوا نزول القرآن باللغة التي كانوا يتعايشون معها وبها يومياً، وإما باستخدام آليات التأويل الإيجابية التي لا تقفز على معهود العرب اللغوي والحضاري الذي نزل القرآن بلغتهم، كما هي حال التابعين الأوائل، بعيداً عن أن يسقط أحدٌ منهم رغباته الأيديولوجية على القرآن ذاته. واستمر الأمر على هذه النحو من التفاعل الإيجابي المثمر مع النص القرآني، حتى بذر الخوارج بذرة الانحراف عن القراءة (العلمية) للقرآن، لصالح القراءة (الأيديولوجية) له مع تعليلهم رفضهم التحكيم الذي جرى بين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وخصومه من أهل الشام، بأن "الحكم لله وحده" بتفريغ الآيات التي تتحدث عن حكم الله – تعالى – من سياقها التاريخي الذي لا يستنبط معناها الحقيقي إلا بمراعاته))[1].

الرد عليها: الإسلامُ جاء بقواعد واضحة لفهم النُّصوص الشَّرعيَّة، حتى لا تزلَّ الأقدامُ أو تضلَّ الأفهام. ولا يستطيع المرءُ أن يعرف مرادَ الله ومرادَ رسوله – صلى الله عليه وسلم – إلا إذا استقام فهمُه لدلائل الكتاب والسُّنَّة على تلك القواعد. وما حدثت الأفكارُ والآراءُ والضَّلالاتُ إلا بسبب سوء الفهم. والنَّاسُ تشَطَّ عقولهم في الفهم شططاً بعيداً لو تُركت لهم النُّصوصُ كُلٌّ يفهم منها حسبما يُمليه عليه فهمُه وعقلُه،؛ لذلك كان لابُدَّ من أصول علميَّة نلتزم بها في فهم النُّصوص. من هذه الأصول:

أولاً: وجوبُ الرُّجوع لمنهج السَّلف الصَّالح في فهم النُّصوص الشَّرعية:

قد يَقول قائل: لماذا يجب علينا اتِّباعُ منهج السَّلف دون غيرهم؟! أليسوا رجالاً ونحن رجالٌ. فنقول: إنَّ السَّلفَ الصَّالحَ قد تميَّزوا بالفهمِ الصَّحيح والتَّطبيق العمليِّ لما جاء في الكتاب والسُّنَّة. وقد دلَّت الأدلَّةُ الشَّرعيَّةُ على وجوب الرُّجوع لفهم السَّلف لنصوص الكتاب والسُّنَّة، ومن ذلك:

١. أنَّ اللهَ توعَّدَ من خالف طريقهم ومنهجهم بالعذاب الأليم: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ**

(١) لكي لا نُسقِط على القرآن وزر تمذهبنا، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد: ١٤٤٠٠، الثلاثاء ١٧ذي القعدة ١٤٢٨هـ – ٢٧ نوفمبر ٢٠٠٧م. www.alriyadh.com.

بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، فمَن سلك طريقاً في الفهم مخالفاً لطريق المؤمنين فقد توعَّدَه اللهُ بالعقاب الأليم، وأوَّلُ مَن يدخل في قوله: ﴿ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ المؤمنون الأوائل الذين– رضي الله عنهم– بنصِّ القرآن، ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال عمر بن عبد العزيز – رحمه الله –: ((سَنَّ رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – وولاةُ الأمر بعدَه سُنَناً الأخذُ بها اتِّباعٌ لكتاب الله، واستكمالٌ لطاعة الله، وقوَّةٌ على دين الله، ليس لأحد من الخلق تغييرُها، ولا تبديلها، ولا النَّظر في شيء خالَفَها؛ مَن اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن تركها اتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين، وولَّاه اللهُ ما تولَّى، وأصلاه جهنمَ وساءت مصيراً))(١).

٢. أن النَّبي – صلى الله عليه وسلم – أَمَرَ باتِّباع سنتهم والعض عليها بالنواجذ والسَّير على منهجهم في قوله: [فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديِّين، عضّوا عليها بالنَّواجذ](٢). قال ابنُ القيِّم – رحمه الله –: ((وقد قرن رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – سنَّةَ أصحابه بسنَّته، وأمر باتِّباعها كما أمر باتِّباع سنَّته، وبالغ في الأمر بها حتى أمر بأن يُعَضَّ عليها بالنَّواجذ))(٣).

٣. أنَّ السَّلفَ الصَّالحَ هم أفضل هذه الأمَّة وخيرُها علماً وعملاً، قال – صلى الله عليه وسلم –: [خيرُ النَّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم](٤). وفي ذلك يقول

---

(١) حلية الأولياء، أبو نعيم، ج٦ ص٣٢٤.

(٢) سبق تخريجه، انظر: ص ١٣.

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (المتوفى:٧٥١هـ)، بيروت، ١٩٧٣م، الناشر: دار الجيل، ج٤ص١٤٠.

(٤) البخاري، كتاب المناقب، باب فضائل أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –، حديث رقم (٣٦٥١)، ج٩ ص١٨١، ومسلم، ٤٤ كتاب فضائل الصحابة – رضي الله تعالى عنهم –، ٥٢ باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم (٢١٢)، ج٤ ص١٩٦٢.

شيخ الإسلام ابنُ تيمية – رحمه الله –: ((ومن المعلوم بالضَّرورة لمن تدبَّر الكتابَ والسُّنَّة وما اتَّفق عليه أهل السُّنَّة والجماعة من جميع الطَّوائف، أنَّ خيرَ قرون هذه الأمَّة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كلِّ فضيلة أنَّ خيرَها القرنُ الأوَّلُ، ثمَّ الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – من غير وجه، وأنَّهم أفضلُ من الخلف في كلِّ فضيلة من علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان، وعبادة، وأنَّهم أولى بالبيان لكلِّ مُشْكل؛ هذا لا يدفعه إلَّا مَن كابر المعلوم بالضَّرورة من دين الإسلام، وأضلَّه اللهُ على علم، وما أحسن ما قال الشَّافعيُّ في رسالته: هم فوقنا في كلِّ علم، وعقل، ودين، وفضل، وكلِّ سبب ينال به علم، أو يدرك به هدىً، ورأيُهم لنا خيرٌ من رأينا لأنفسنا))(١).

٤. التَّمسُّكَ بما كانوا عليه سببٌ للنَّجاة عند وقوع الفتن والاختلاف والتَّفرُّق عن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((إنَّ بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّة، وتفترق أمَّتي على ثلاث وسبعين ملَّة، كلُّهم في النَّار إلَّا ملَّة واحدة)). قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: [ما أنا عليه وأصحابي](٢). وهذا يدلُّ على أنَّ فيصلَ التَّفريق بين الحقِّ والباطل باتِّباع الصَّحابة فيما كانوا عليه.

٥. أنهم أعلمُ بمراد الله – تعالى – ومراد رسوله – صلى الله عليه وسلم – من غيرهم؛ وهذه من أهمِّ مميِّزاتهم التي تجعل منهجَهم وطريقَهم هو المقدَّمُ. وهم أهل لذلك وأحظى الناس به كما قال ابن القيم – رحمه الله –: ((لما خصَّهم اللهُ – تعالى – به من توقُّد الأذهان، وفصاحة اللِّسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحسن الإدراك وسرعته، وحسن القصد وتقوى الرَّبِّ – تعالى –. فالعربيَّةُ طبيعتُهم وسليقتُهم، والمعاني الصَّحيحة مركوزةٌ في فطرهم وعقولهم، ولا حاجةَ بهم إلى النَّظر في الإسناد وأحوال الرُّواة وعلل الحديث والجرح والتَّعديل، ولا إلى النَّظَر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليِّين؛ بل قد غُنُوا عن ذلك كلِّه؛ فليس في حقِّهم إلا أمران:
أحدهما: قال الله – تعالى – كذا وقال رسوله كذا.

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٤ ص١٥٨.

(٢) سبق تخريجه ص ٨٣.

والثاني: معناه كذا وكذا.

وهم أسعد النَّاس بهاتين المقدِّمتين، وأحظى الأمَّة بهما، فقواهم متوفِّرةٌ مجتمعةٌ عليهما))[1].

والصحابة - رضي الله عنهم - هم من نزل القرآن عليهم وبألسنتهم، وهم أعلم الناس به، قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: (والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت ولو أعلم أحدا هو أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لركبت إليه)[2].

وهم إلى فَهم النُّصوص ودلالاتها أقربُ من غيرهم؛ لأنَّ القرآنَ يَتَنَزَّل عليهم بألسنتهم والنَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - بين ظهرانيهم يبيِّن لهم ما نزل إليهم، وما أشكل عليهم في شتَّى مسائل الدِّين. قال ابنُ تيمية - رحمه الله -: ((والصحابة أخذوا عن الرسول لفظ القرآن ومعناه، كما أخذوا عنه السُّنَّة))[3]. فتعلَّموا - رضي الله عنهم- القرآنَ بنصوصه ومعانيه، وقواعده وضوابطه، وتركهم النَّبيُّ- صلى الله عليه وسلم -على ملَّة قويمة مستقرَّة، ومحجَّة بيضاء ناصعة، لا خفاء فيها ولا غموض، ولا لبس ولا إبهام، وقال- صلى الله عليه وسلم -: [قد تركتُكم على البيضاء ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلَّا هالكٌ][4].

فكلُّ ما خفي وأشكل واشتبه فبيانُه وجلاؤُه في علم أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال الشَّاطبيُّ - رحمه الله -: ((فلهذا كلِّه يجب على كلِّ ناظر في الدَّليل الشَّرعيِّ مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصَّواب، وأقومُ في العلم والعمل))[5].

وقال الحافظُ ابنُ رجب الحنبليّ - رحمه الله -: ((فالعلمُ النَّافعُ من هذه العلوم كلِّها: ضبطُ نصوص الكتاب والسُّنَّة وفهم معانيها، والتَّقيُّد في ذلك بالمأثور عن الصَّحابة والتَّابعين

---

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم، ج٤ص١٤٩.

(٢) مسلم، ٤٤كتاب فضائل الصحابة رضي الله - تعالى - عنهم، ٢٢باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه - رضي الله عنهما-، أثر رقم (١١٥)، ج٤ص١٩١٣.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٣ ص٣٨٤.

(٤) سبق تخريجه، انظر: ص ٨٢.

(٥) الموافقات، الشاطبي، ج٣ص٢٨٩.

وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزُّهد والرَّقائق والمعارف وغير ذلك))[١].

وقال الحافظ ابنُ عبد الهادي[٢] – رحمه الله –: ((ولا يجوز إحداثُ تأويل في آية أو سنَّة لم يكن على عهد السَّلف، ولا عرفوه ولا بيَّنوه للأمَّة؛ فإنَّ هذا يتضمَّن أنَّهم جهلوا الحقَّ في هذا وضلُّوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر))[٣].

وقال شيخ الإسلام ابنُ تيمية – رحمه الله –: ((مَن فسَّر القرآنَ أو الحديث وتأوَّله على غير التَّفسير المعروف عن الصَّحابة والتَّابعين، فهو مفتر على الله، ملحدٌ في آيات الله، محرِّفٌ للكلم عن مواضعه؛ وهذا فتحٌ لباب الزَّندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام))[٤].

وأمَّا القولُ بأنَّ السَّلفَ بشرٌ غير معصومين فكيف نُلزَم باتِّباعهم؟ فجوابه: أنَّ العصمةَ للمنهج لا للأفراد؛ فالأفرادُ غيرُ معصومين؛ أمَّا المنهجُ الذي ساروا عليه فهو المعصوم الذي لا يدخله خللٌ، ولا يعتريه نقصٌ؛ لأنَّ الأمَّةَ لا تجتمع على ضلالة، وملخَّصُ منهجهم اتِّباعُ الكتاب والسُّنَّة وعدمُ معارضتهما بآراء الرِّجال واعتماد لغة العرب أساساً في فهم هذين الأصلين[٥].

---

(١) فضل علم السلف على الخلف، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، (المتوفى:٧٩٥هـ)، بيروت، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية، ص٦.

(٢) ابن عبد الهادي الإمام الأوحد المحدث الحافظ الحاذق الفقيه البارع المقرئ النحوي اللغوي ذو الفنون شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي أحد الأذكياء، ولد في رجب سنة خمس أو ست وسبعمائة وتردد إلى ابن تيمية ومهر في الحديث والفقه والأصول والعربية، (توفي:٧٤٤هـ) (انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ج١ص٢٣٣، والوافي بالوفيات، خليل الصفدي ج٢ ص١١٣).

(٣) الصَّارِمُ المنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، (المتوفى:٧٤٤هـ)، بيروت، لبنان، الناشر: مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى ج١ ص٣١٨.

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٣ ص٢٤٣.

(٥) انظر: بدعة إعادة فهم النص، محمد صالح المنجد، ص٧١ وما بعدها.

وارتبط بهذه الشبهة شبهٌ أخرى تصل إلى نفس النتيجة من ترك الحق في منهج السلف والانحراف إلى الباطل وأهواء أصحابه، ومن أبرز تلك الشُبه:

الشبهة الثالثة: القول بالاختلاف والتعددية: وأهمية تعددية الرؤى في المسألة الواحدة وذلك تمهيداً لاندماج الأمة الإسلامية اليوم في السياق الحضاري للعالم من حولها، وحتى لا تكون متخلفة عنه، كما يزعم المحمود الذي يقول: ((إن التعامل مع النص في ضوء المقاصد الكبرى للشريعة، باعتبار المصلحة مرتكزاً أساسياً في التعاطي مع النصوص من أهم الأسباب التي يجب أن تكون باعثاً على تعدد الرؤى في المسألة الواحدة، لأننا بحاجة إلى أكثر من رأي، ولسنا بحاجة إلى آراء مستنسخة، تؤدي في النهاية إلى رأي واحد عقيم، ينتج مجتمعاً عقيماً. إذن، فقد كان الخلاف موجوداً، وقد كان مشروعاً أيضا، وكما كان، فكذلك ينبغي أن يدوم، ويعمم بأقصى درجة ممكنة. ليس هذا فحسب. وإنما يجب أن يتعدد ويتنوع ويتسع باتساع الأمة الإسلامية اليوم، دون أن يتملكنا الخوف، من تعددية الآراء وتباين الرؤى، لأن العالم الإسلامي اليوم، يتنوع بمقدار ما يتغير. هذا التغير الحتمي الذي فرضه عليه احتياجه إلى الاندماج في السياق الحضاري))[1].

الرد عليها: وهم لا يريدون بهذه التعددية إلا مناقضة ما يسمونه اليوم في كتاباتهم وأطروحاتهم (الأحادية) وهو الرأي الواحد القائل بلزوم الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، ويرون أن (التحذير من أهل البدع) أحادية، و(وتكفير المقالات الكفرية) غلو وتطرّف والمناداة (بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم والتحذير من الأحزاب والرايات والولاءات والانتماءات المخالفة) تفريق للصف وتهييج للدماء.

والله يقول مُحذراً: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأنعام: ١٥٣]، قال أبو جعفر: ((يقول – تعالى – ذكره: وهذا الذي وصاكم به ربكم، أيها الناس، في هاتين الآيتين من قوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾، وأمركم بالوفاء به هو صراطه يعني: طريقه ودينه الذي

(١) مسائل الخلاف: شرعية مع وقف التنفيذ! محمد بن علي المحمود، جريدة الرياض، الخميس ٤ جمادى الثانية ١٤٢٥هـ – ٢٢ يوليو ٢٠٠٤ م. www.alriyadh.com.

ارتضاه لعباده ﴿ مُسْتَقِيمًا ﴾، يعني: قويماً لا اعوجاج به عن الحق ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾، يقول: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجاً تسلكونه، فاتبعوه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾، يقول: ولا تسلكوا طريقاً سواه، ولا تركبوا منهجاً غيره، ولا تبغوا ديناً خلافه، من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات ﴿ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾، يقول: فيشتّت بكم، إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان))[1].

فهذه الآية تبين أن لا تعددية فكرية، ولا تعددية عقدية، ولا تعددية منهجية، ولا تعددية مذهبية طائفية في دين الله؛ إذ أن صراط الله مستقيمٌ لا اعوجاج فيه. ألا تراه قد أفرد الصراط بقوله: (صراطي) وجمع السبل بقوله (السبل، مما يدل على دين الله واحد، وما عداه فليس بدين الله، ومن تسامح مع ما هو مخالف لشرع الله ودينه بإقرار التعددية والدعوة إليها فقد اتبع السبل المتفرقة الضالة المخالفة لسبيل الله وطريقه، بل وأقر ما تدعوا إليه هذه السبل الضالة من ضلالات وبدع وأهواء تصد عن السبيل الحق والصراط المستقيم، عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي- صلى الله عليه وسلم -فخط خطاً. وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: [هذا سبيل الله]. ثم تلا هذه الآية ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾][2].

قال ابن القيم – رحمه الله –: ((الطريق الموصل إلى الله واحد وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق))[3] فهذه الآية تدل على دين الله واحد، وما عداه فليس بدين الله إذ أن دين الله لا يتناقض. وهم يقولون أيضاً أن الحق يتعدد؟ وهي

---

(١) جامع البيان، الطبري، ج١٢ص٢٢٩.

(٢) سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، ١باب اتباع سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، حديث رقم (١١)، ج١ص٦. وقال الألباني (صحيح) انظر: ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:١٤٢٠هـ) بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، الطبعة: الثالثة، ج١ص٨.

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، ج١ص١٥.

من المسائل الأصولية التي اختلف فيها العلماء على قولين:

الأول: الحق واحد لا يتعدد لا في أصول الدين (ما لا يسوغ فيه الاجتهاد) ولا في فروعه (ما يسوغ فيه الاجتهاد).

الثاني: الحق يتعدد وهو تبع لاجتهاد المجتهد فما أدى إليه اجتهاده، فهو الحق في الأصول والفروع.

فأما القول الأول: أن الحق واحد لا يتعدد في الأصول والفروع فهو الحق عينا لموافقته النصوص الدالّة على أن الحق واحد لا يتعدد والأدلة على ذلك كثيرة قال الإمام ابن قدامة – رحمه الله –: ((الدليل أن الحق في جهة واحدة الكتاب والسنّة والإجماع))[(١)]. وذكر الإجماع العلامة الشوكاني – رحمه الله – في كتابه إرشاد الفحول[(٢)].

فالدليل من القرآن:

١. قوله – تعالى –: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾[البقرة: ٢١٣].

قال الإمام ابن كثير – رحمه الله –: ((قال الربيع بن أنس في قول الله – تعالى –: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: عند الاختلاف، أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل عند الاختلاف))[(٣)]. فهذه الآية تفيد أن الحق هو أحد الأقوال التي اختلفوا إليها ولهذا ذكر الله – تعالى – بأنه هدى ودلّ المؤمنين إلى الحق الذي هو دين الله من هذه الأقوال المختلف فيها.

---

(١) روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، (المتوفى:٦٢٠هـ)، مكان النشر الرياض، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، سنة النشر: ١٣٩٩هـ، ص٣٦٣.

(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (المتوفى:١٢٥٠هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى، ج٢ ص٢٣١.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١ ص٣٣.

٢. قوله – تعالى –: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال العلامة السعدي – رحمه الله –: ((ووحد الصراط وأضافه إليه لأنه سبيل واحد موصل إليه، والله هو المعين للسالكين على سلوكه))[١]. فهذه الآية تدل على أن دين الله واحد، وما عداه فليس بدين الله إذ أن دين الله لا يتناقض.

٣. قوله – تعالى –: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩]، فإذا كان الله – تعالى – حذّر رسوله– صلى الله عليه وسلم –وهو المعصوم من أن يُفتن عن بعض ما أنزل الله إليه، فكيف بمن هو دونه؟! فالمناداة بالتعددية في الآراء والفكر والطوائف هي من تعريض دين الناس للفتن والزيغ وهذا مخالف لأمر الله – تعالى – بالحذر من ذلك.

ولذا حذر الله عباده من مشابهة المشركين في تحزُبهم وتفريق دينهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١ – ٣٢]. وقال أيضاً آمراً رسوله أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

والدليل من السنّة:

١. قوله – صلى الله عليه وسلم –: [افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعين في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة، والذي نفسي بيده، لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعين في النار قيل يا رسول الله: من هم؟ قال: هم الجماعة وفي رواية: كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة وفي رواية: ما أنا عليه اليوم وأصحابي][٢].

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ ص١٤٩.

(٢) سبق تخريجه، انظر ص ٨٣.

فهذا الحديث يفيد أن الحق واحد لا يتعدد إذا لو كان الحق يتعدد لما كانت الفرق المخالفة لما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم – وصحابته – رضي الله عنهم – متوعدة بالنار. إذ أن الله – تعالى – لا يعّذب بالنار من اتبع ما يرضيه واجتنب ما يسخطه ويغضبه.

٢. قوله – صلى الله عليه وسلم –: [إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر](١).

قال الإمام ابن قدامة – رحمه الله – مبيناً هذا الحديث – رحمه الله –: إن المجتهد يكلف إصابة الحكم، وإنما لكل مسألة حكم معين يعلمه الله، كلف بالمجتهد طلبه، فإن اجتهد فأصابه كان له أجران وإن أخطأه فله أجر على اجتهاده وهو مخطئ وإثم الخطأ محطوط عنه))(٢).

٣. قوله – صلى الله عليه وسلم –: [من رغب عن سنتي فليس مني](٣)، قال الإمام ابن رجب – رحمه الله –: ((لأنه يقتضي أن هديه ليس هو أكمل الهدى وأفضله، وهذا خطأ عظيم، ولهذا كان الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول في خطبته: [وخير الهدي هدي محمد](٤).

ويقتضي أيضاً هذا الخطأ: أن الاقتداء به في العمل ليس هو أفضل، بل الأفضل الزيادة على هديه في ذلك، وهذا خطأ عظيم جداً، فإن الله – تعالى – قد أمر بمتابعته وحث عليها، قال – تعالى –: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]))(٥).

(١) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم (٧٣٥٢)، ج١٨ص٣٤٤. ومسلم، ٣٠كتاب الأقضية، ٦ باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، حديث رقم (١٥)، ج٣ص١٣٤٢.

(٢) روضة الناظر، ابن قدامة المقدسي، ٣٦٦.

(٣) البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم (٥٠٦٣)، ج١٢ص٥٣٤.

(٤) مسلم، ٧ كتاب الجمعة، ١٣باب تخفيف الصلاة والخطبة، حديث رقم (٤٣)، ج٢ص٥٩٢.

(٥) فتح الباري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن =

فهذا يفيد أن الحق واحد، ولو صح أن الحق يتعدد لما كان لتحذيره من فائدة، وتأمل هذا التحذير والإنكار فهو تحذير وإنكار في على الثلاثة الذين تقالّوا عبادته، وكيف أنكر عليهم مع أنهم اجتهدوا وقاسوا حاله وواقعه - عليه الصلاة والسلام - وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه، على حالهم وواقعهم الذي لا يأمن أمثالهم من عذاب الله، فرأيهم الذي صدَروا به إنما هو بعد نظر وتأمل في نص شرعي. ومع ذلك لم يقرّهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بحجّة أن الحق يتعدد وما أنتم عليه حق وما أنا عليه حق. بل حكم الله واحد وهو ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من الشرع.

وغير ذلك من الأدلة. وقال العلامة الشوكاني - رحمه الله - معلقاً على حديث [إذا اجتهد الحاكم ...]: ((فهذا الحديث يفيدك أن الحق واحد، وأن بعض المجتهدين يوافقه، فيقال له مصيب، ويستحق أجرين، وبعض المجتهدين يخالفه، ويقال له مخطئ، واستحقاقه الأجر لا يستلزم كونه مصيباً، وإطلاق اسم الخطأ عليه لا يستلزم أن لا يكون له أجر - إلى أن قال - فالحق الذي لا شك فيه ولا شبهة أن الحق واحد))(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عند حديثه على ترجيح الأقوال في باب القضاء: ((وعلم الناس بترجيح قول على قول أيسر من علم أحدهم بأن أحدهما أعلم وأدين، لأن الحق واحد ولا بد. ويجب أن ينصب الله على الحق دليلاً. وأدلة الأحكام من الكتب والسنة والإجماع))(٢).

فالتعددية: دعوة خبيثة يراد منها كسر حاجز (الولاء والبراء) بين المسلم والكافر، وبين السني والبدعي، وهدم لأعظم عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وتمييع لعقيدة الولاء

=

رجب، (المتوفى:٧٩٥هـ)، السعودية الدمام، دار النشر: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، الطبعة: الثانية، ج١ص٨٣.

(١) إرشاد الفحول، الشوكاني، ج٢ص٢٣٢.

(٢) الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى:٧٢٨هـ)، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، ج٥ ص٥٥٦.

والبراء التي تُحرف تحت شعارات مضللة (التسامح)، (تأليف القلوب)، (نبذ: الشذوذ والتطرف والتعصب)، (الإنسانية)، ونحوها من الألفاظ المعاصرة، والتي روج لها الإعلام، وهي في حقيقتها (مؤامرات تخريبية) تجتمع لغاية القضاء على الإسلام وتبديل أحكامه وثوابته. بل وزاد الأمر على ذلك، فباب الشُبه إذا فُتح على صاحبه لا يكاد يُسد فوصل بهم الحال إلى شبهة أعظم وهي:

الشبهة الرابعة: القول بنسبية الحقيقة: وهي مبدأ فلسفي يرى أنّ كلّ وجهاتِ النظر صحيحةٌ شرعيةٌ متساوية، وأنّ كل الحقائق نسبيةً إلى الفرد. وهذا يعني أن كلّ الأوضاع الأخلاقية، والأنظمةِ الدينية، والأشكال الأدبية، والحركاتِ السياسية؛ حقائقٌ نسبية للفرد[1] وانطلاقاً من مبدأ الحرية عند الليبراليين فإنهم يرون عدم الجزم والقطع بشيء، فلا يوجد لديهم حقيقة مطلقة حتى في المعتقدات: ((وفحواها: أنه لا أحد يمكنه القطع بأن معتقده هو الحق، وأن معتقدَ غيره خطأٌ قطعاً، وأقصى ما يمكنه الجزم به أن رأيه صوابٌ يحتمل الخطأ، وأن رأي غيره خطأ يحتمل الصواب، وهو ما يُسمى بنسبية الحقيقة))[2]، ولا يمكن الوصول إلى الكمال، لأن معنى الحياة عندهم يكمن في الصراع لا في الكمال، بل من أسباب التقدم لديهم، أن تؤمن وتقبل بنسبية الحقيقة، يقول تركي الحمد: ((لن تكون متقدماً أو صاحب أمل في التقدم، إذا قبلت الرأي على أنه حقيقة، والحقيقة على أنها مطلقة وليست نسبية))[3].

بل ويرون أن عدم القول بنسبية الحقيقة من أهم أسباب التعصب وأحادية الفكر والوحشية البشرية، يقول يوسف أبا الخيل: ((يأتي التعصب الديني كما المذهبي على رأس الأسباب التي تهوي بالإنسان سريعاً إلى مرحلة الوحشية البشرية التي تحدث عنها هوبز، إذ

(١) نسبيِّة الحقيقة في الفكر الليبرالي، ياسر بن عبدالله السليّم، ج١ص٤. موقع الدرر السنية، www.dorar.net.

(٢) الحقيقة النسبيّة ... أفيون العقيدة، سامي بن عبد العزيز الماجد، نوافذ، موقع الإسلام اليوم، www. islamtoday.net/nawafeth.

(٣) من هنا يبدأ التغيير، تركي الحمد، بيروت لبنان، دار الساقي للطباعة والنشر، ٢٠١٢م، الطبعة: الثانية، ص ٣٤٧.

أن هذا التعصب يتخلق بداية في رحم آحادية الفكر الناتج من انعدام التعددية الفكرية والدينية، مما يؤدي إلى قناعة الإنسان بأن دينه أو مذهبه هو الوحيد المتوافر على كلية الحقيقة وما سواه من الأديان أو المذاهب فلا تمتلك ذرة يقين أو حقيقة، وهذه هي البذرة الأولى للعنف، أما سقيا هذه البذرة فيأتي من اليقين التام الذي يتوافر عليه الإنسان الآحادي جراء انعدام فضيلة "نسبية الحقيقة" بأن عليه واجب إدخال الآخرين في حمى يقين دينه أو مذهبه، ولكن لأن من يخالفونه دينه أو مذهبه كُثُر ولا طاقة له بالتالي بهدايتهم ولأن معظمهم مرتدون عن الإسلام في نظره فلا عذر له عند ربه سوى إزهاق أرواحهم لزفهم إلى نار جهنم وبئس المصير))[(١)].

وأنه كذلك من أهم أسباب التطرف والإرهاب وإقصاء الآخر ((ويرى المردّدون لهذه المقولة أن القطعية في الأحكام والآراء، وادّعاء الإنسان بأن مذهبه هو الحق، وأن ما عداه فباطل من أهم أسباب التطرف والإرهاب، وأنه لا سبيل لمحاربة الإرهاب والتطرف إلا بمحاربة هذه اليقينية في الاعتقاد، ويستوجب ذلك تحصينَ فكر النشء من القطعية في تصويب معتقد وتخطئة آخر؛ حتى لا تحرضَه هذه القطعيةُ على إقصاء الآخر وتكفيره والاعتداء عليه! ويقولون لكل مستمسك برأي: إن اعتقادك بأنك على الحق ليس بأقوى من اعتقاد غيرك بأنه على حق))[(٢)].

الرد عليها: كل إنسان أو مجتمع لا يمكن له العيشَ بلا حقائقَ مطلقة مشتركة بين أفراده، ويقينيات راسخة تجعلهم أكثر وحدة وانسجاماً وألفة واجتماعاً وإيماناً وثباتاً، بعيداً من أن يتطرق إليهم التشرذم ويتولَّد بينهم النزاع، وتَتَصادمُ الآراء، ويحدثُ الشَّرخ الاجتماعي، والتمزق الثقافي، ويؤدي ذلك بالتالي إلى سقوط المجتمع أو ضعفه على أقل الأحوال.

(١) حالة الطبيعة الوحشية، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد: ١٤٠٠٩، الأربعاء ١٠ شوال ١٤٢٧هـ - ١ نوفمبر ٢٠٠٦م. www.alriyadh.com.

(٢) الحقيقة النسبيّة ... أفيون العقيدة، سامي بن عبد العزيز الماجد، نوافذ، موقع الإسلام اليوم، islamtoday.net/nawafeth

والشريعة بنيت على حقائق مطلقة وقطعيات راسخة ويقينيات صادقة لتستقر الأنفس ويزول الشك وتقوم المجتمعات وتُعمر الأرض. والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها:

الأدلة من القرآن: وقد عرض وأكد القرآن كثيراً من الحقائق المطلقة، ومنها: قوله – تعالى –: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]. قال ابن كثير – رحمه الله –: ((أي: أنت على الحق المبين وإن خالفك مَنْ خالفك، مِمَّنْ كتبت عليه الشقاوة وحَقَّت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل آية))[1].

وقوله – تعالى –: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [فاطر: ٣١]، وعلى الأمة أن تعمل به وتتبعه دون غيره، قال الإمام الطبري – رحمه الله – عن قوله تعالى: ((﴿هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ يقول: هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك))[2].

وكانت المفاصلة والإعلان الواضح البين بحقيقته المطلقة التي لا لبس فيها ولا غموض أنه من يطلب ديناً غير دين الإسلام ليدين لله به فلن يقبل منه ودينه مردود عليه، وليس هذا فحسب بل وأصبح في الآخرة من الخاسرين، قال الله – تعالى –: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وهذا الإيمان بالإسلام عقيدة مبنيَّة على اليقين المطلق الذي لا تخضع للمساوماتِ والمداهنات، فمجرد الشك بأنها هي الحق أو أن غيرَها من ملل الكفر قد يكون هو الحق أو هو حق مثلها؛ لهو خطرٌ يزلزل الإيمان من أصوله، ويجعل صاحبه من الشاكين المرتابين قال الله – تعالى –: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

وتكرار دعاء الله بالهداية إلى الصراط المستقيم في كل صلاة في قول الله جل وعلا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، ثم زاده بياناً ووضوحاً وتجلية، فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج٦ ص٢١٠.

(٢) جامع البيان، الطبري، ج٢٠ ص٤٦٤.

عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] وميزه عن غيره من طريق اليهود والنصارى، فقال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، وهو من أعظم الأدعية وأهمها للعبد لاشتماله على الهداية إلى دين الإسلام، والهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً.

قال الشيخ السعدي – رحمه الله –: ((فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك))[1].

فإذا كانت الحقيقة نسبية كما يزعم هؤلاء، فما الحاجة إلى هذا الدعاء وهذا الصراط، ومثله ما هدى الله إليه أهل الإيمان دون غيرهم عند الاختلاف في الحق، قال الله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وهذا كله يؤكد الحقيقة المطلقة ويبطل القول بنسبية الحقيقة.

ولو كان الأمر كما يزعمون، فما الداعي لإرسال الرسل وإنزال الكتب، ومحاسبة الناس وفق ذلك، ولما جاز أن يُهلِك اللهُ سبحانه الأممَ السابقة على تكذيب رُسلها؛ ولو كانت الحقائق كلها نسبيةً ليس فيها قطعيٌ يقينيٌ لما جاهد النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – الكفارَ على أصول الإيمان، ولعذرهم على مخالفتهم. والله أمر رسوله موسى – عليه السلام – أن يأخذ الكتاب بقوة، وبما يشمله هذا المعنى من التصديق والإيمان والعمل، وعدم المخالفة، وسوء وشناعة عاقبة المخالفين، قال الله: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

ولا يقول بهذه النسبية عاقل سليم العقل بل هي من سوفسطائية أهل الكلام المؤثرة في الاعتقاد، قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((حُكي عن بعض السوفسطائية أنه جعل جميع العقائد هي المؤثرة في الاعتقادات ولم يجعل للأشياء حقائق ثابتة في نفسها يوافقها الاعتقاد

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٣٩.

تارة ويخالفها أخرى بل جعل الحق في كل شيء ما اعتقده المعتقد وجعل الحقائق تابعة للعقائد وهذا القول على إطلاقه وعمومه لا يقوله عاقل سليم العقل))[١].

فلو لم يكن ثمةَ حقيقة مطلقة يمتلكها أحدٌ فيحتكر فيها الصواب، لكان أمرُ الله بلزوم الحقِّ واتِّباعه عبثاً لا معنى له. إضافة إلى أنه مبدأ "نسبية الحقيقة" متناقض في ذاته، ويحمل عوامل فساده في طياته، يقول ياسر السليم: ((وبالنظر إلى مبدأ "نسبية الحقيقة" في الفكر الليبرالي نجده يَغرق في تناقضاتٍ عديدة، منها:

١-إذا كانت الحقيقةُ نسبيةٌ، فإن عبارة "كل حقيقة نسبية" تعتبر عبارة مطلقة، والنسبيةُ ترفض المطلق، فالعبارة متناقضة في ذاتها، وعليه فإن مبدأ "كل حقيقة نسبية" باطل. وكذا فإن القول بـــ"نسبية الحقيقة" يرفضه الواقع، فهناك حقائق كثيرة مطلقة لا تحمل النسبية اتفاقاً، فالشمس محرقة، والسماء فوقنا، والإنسان ناطق نامي وغير ذلك من الحقائق التي يصعب حصرها.

٢-أن ما كان حقاً لديك ليس حقاً لدي: فالحق لدي أن النسبية باطلة، فإذا قلت لي: لا، هذا ليس صحيحاً. فهذا يلغي المبدأ الذي قررتْه النسبية، وعليه فإن النسبية باطلة.

وإذا قلتَ: نعم. وأقررت بقولي، فالنسبية باطلة. وإذا قلتَ: إن ذلك حقاً عندي فقط أن النسبية باطلة، فإن هذا يعني أنني أعتقد ببطلان النسبية، وإذا كان اعتقادي صحيحاً فكيف يمكن أن تكون النسبية صحيحة))[٢].

فلا يُسلم لمبدأ "نسبية الحقيقة"، لمناقضته لأصول الدين الحنيف، وقواعد الشرع المطهر، وأدلة الوحي المنزل، وأجوبة العقل الصريح.

الشبهة الخامسة: التقدم مرتبط بالنموذج الغربي، وأن التقدم مرهون لديهم بنبذ التراث وتبني المرجعية الغربية وخصوصاً في منظومتها الفكرية. وهذه الشبهة قد نخرت عظام

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٩ ص١٣٥.

(٢) نسبيِّة الحقيقة، ياسر السليّم، ج١ص٢١. موقع الدرر السنية، www.dorar.net.

أصحابها ودعاتها، بعد أن عششت في عقولهم واستقرت في نفوسهم. وهي أعظم باعث لهم اليوم، وحادٍ لهم على الطريق ليلحقوا بركب أسيادهم ويعيشوا حضارتهم، ويُطلقوا من أسر التخلف والجمود، كما يزعمون.

يقول إبراهيم البليهي: ((إن الحضارة الإنسانية لم تتقدم حتى وجدت مجتمعات تدرك أهمية التنوع سواء في الفروق الفردية داخل المجتمع الواحد، أو الاختلافات الثقافية بين المجتمعات والأمم، وكانت أمريكا من أبرز هذه المجتمعات المزدهرة التي عملت على استثمار عقول جميع أبنائها من جهة، وذلك بتشجيع النزعة الفردية وخلع القيود التي كانت تكبل العقول وإطلاق الحريات لتتفجر الطاقات البانية الكامنة في الأفراد .. ولولا هذا الانفتاح الذي ملأ حياتها بالتنوع والخصوبة والثراء لما كانت قادرة على إنجاز هذا السبق الحضاري المدهش لقد خلعت الأبواب الموصدة وكسرت القوالب الضاغطة ومزقت القيود الثقيلة وفتحت للعقول آفاق الإبداع والابتكار والتنوع))(١).

بل ويؤكدون أن من أهم أسباب التخلف غياب تلك المنظومة الفكرية الغربية عن الفكر التقليدي عند غيرهم، يقول المحمود: ((العالم الغربي المنتج للمعرفة، لا يزال غائباً – كمنظومة فكرية – عن وعي التقليدي، وإن حضر، لم يحضر إلا كمعلومات مجتزأة، تشوه الخطاب، وتربك الآلية، وتزيف المفاهيم، مع وهم مغلوط عن الأنا وعن الآخر وعن العلاقة "المثاقفة"، وهذا جهل بالآخر وعلومه أكثر مما هو علم، وبهذا تزداد الأوهام لا العلم بقدر ما تكثر الأوراق وتختلط))(٢).

ويرون حتمية تلك العلاقة مع الغرب والتأثر بثقافته وأنه لا خيار للأمة أمام هيمنة الحضارة الغربية وأهمية التفاعل الحضاري مع قيمه ومبادئه، يقول د. تركي الحمد عند حديثه عن (نحن والغرب):

((أولاً: أننا غير مخيرين في العلاقة مع الغرب المعاصر .. إذ إن هذا الغرب، شئنا أم أبينا،

(١) أمريكا واستراتيجية الكره والمنابذة، إبراهيم البليهي، جريدة الرياض، www.alriyadh.com.

(٢) التقليدي والحوار الناقد، محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٥٦٢، الخميس ٦ رجب ١٤٢٦هـ – ١١ أغسطس ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

أحببنا أم كرهنا، هو صاحب الحضارة ذات السيادة العالمية في العصر الراهن وإلى أجل غير منظور.

ثانياً: أن الغرب غير آيل إلى السقوط سريعاً وفجأة كما يتصور البعض، نتيجة هيمنة التفكير الرغبوي وما تصوره الرغبات لدى أصحاب ذلك الفكر.

ثالثاً: أن الكثير من قيم واتجاهات الغرب لابد وبالضرورة من أن تؤثر أو تخترق المجتمعات الأخرى والتي تشكل المجتمعات العربية والإسلامية جزءاً منها، هذه هي طبيعة الحضارة

رابعاً: طبيعة التفاعل الحضاري: أن قيم ومبادئ معينة لابد أن تنساب من هذه الحضارة أو تلك، إلى هذه الحضارة أو تلك. ثم يصل إلى نتيجة نهائية يلُخصها بقوله: نلخص هذا الحديث فنقول: إن العلاقة مع الغرب وضرورة التعامل والتفاعل معه ليست مسألة اختيارية بالنسبة لنا، بل هي إجبارية قسرية، شئنا أم أبينا، أحببنا أم كرهنا .. نحن مخيرون فقط في سلوكين: إما أن نرفض رفضاً مطلقاً ويكون السلب هو الموقف، وبذلك نحكم على أنفسنا بالفناء، لأن حركة هذه الحضارة، أي الحضارة الغربية، أقوى من السكون المختار والمتبنى.. وإما أن نتفاعل ونحاول أن نستوعب ومن ثم نتمثل مقولات ومفاهيم وقيم ومنتجات هذه الحضارة من أجل بناء مشروع حضاري ذاتي.. وهنا، في اعتقادي، تكون النجاة))[1].

وهذه الحتمية في تعميم المشروع الغربي وقيمه واتجاهاته، هي ما يؤمن به الليبراليون، الذين يؤكدون أن الليبرالية الغربية الحالية تمثل أرقى ما وصل إليه الفكر الإنساني وأن النموذج الليبرالي هو الأصلح والأرقى لقيادة الحياة البشرية، يقول يوسف أبا الخيل: ((قبل أن أسطر مداخلاتي على بعض ما دار في ذلك اللقاء، يجدر بي الإشارة إلى فوكاياما[2] نفسه

---

(١) السياسة بين الحلال والحرام أنتم أعلم بأمور دنياكم، تركي الحمد، بيروت لبنان، دار الساقي، ٢٠٠١م، الطبعة: الثانية، ص ٨٧، بتصرف يسير.

(٢) يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما كاتب ومفكر أمريكي الجنسية من أصول يابانية يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد، أحد الفلاسفة والمفكرين الأميركيين المعاصرين، تخرج فوكوياما من قسم الدراسات الكلاسيكية في جامعة كورنيل، حيث درس الفلسفة السياسية، بينما حصل على =

كمقدمة تعريفية ضرورية به قبل الدخول في ثنايا آرائه بأن أقول إنه صاحب نظرية "نهاية التاريخ" التي تتلخص حسب رؤيته بأن الليبرالية الغربية الحالية تمثل أرقى ما وصل إليه الفكر الإنساني من إمكانية اختراع النظم الصالحة للحياة بشكل عام سواء على مستوى السياسة أو على مستوى الاجتماع، وبالتالي فسيأتي اليوم الذي تقوم فيه المجتمعات الإنسانية الأخرى خارج منظومة المجتمعات الغربية بتطبيق هذا النموذج الليبرالي باعتباره - كما يرى - الأصلح والأرقى لقيادة الحياة البشرية على الأرض من خلال تطبيق مبادئ ونظم الديمقراطية الحقة في الحكم ومن خلال تطبيق مبادئ الليبرالية المدنية التي تقوم على حرية الضمير كأساس لتدشين نظام العلاقة بين الأفراد داخل المجتمع))(1).

الرد عليها: إن الله وهو العليم الخبير قد جعل أهل الإيمان هم خير البرية وأهل الخير والسعادة للبشرية جمعاء، بينما جعل المشركين من أهل الكتاب هم شر البرية على وجه الأرض، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة:٦]، ومع ما بلغته الحضارة الغربية في جانب المادية المعاصرة والمخترعات والمكتشفات العلمية والتقنية الصناعية وخدمة البشرية، إلا أنهم ممحلون فارغون في جانب الروح والإيمان، بل وأغرقوا في الضلال حتى أصبحوا أضل من البهائم والأنعام، كما وصفهم العليم بحالهم، فقال: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وهم علموا من الدنيا ما أعلمهم الله إياه وجهدوا وأخذوا بأسباب المعرفة والتجربة

=

الدكتوراه من جامعة هارفارد حيث تخصص في العلوم السياسية. كتب فرانسيس فوكوياما تحت عنوان " نهاية التاريخ" قائلا إن نهاية تاريخ الاضطهاد والنظم الشمولية قد ولى، لتحل محله الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية من كتبه كتاب (نهاية التاريخ والإنسان الأخير) و(الانهيار أو التصدع العظيم). (انظر: الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(١) فرانسيس فوكاياما والليبرالية الحقة، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد ١٣٤٦٦، السبت، ٢٨ ربيع الأول ١٤٢٦هـ - ٧ مايو ٢٠٠٥م. www.alriyadh.com.

فيها وأبدعوا في جوانب من هذه الدنيا بمكتشفاتهم وصناعتهم وبلغوا فيها مبلغاً، بينما غفلوا عن الآخرة وعن الحكمة من وجودهم وخلقهم قال الله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

قال سيد – رحمه الله –: ((ذلك أن علمهم سطحي، يتعلق بظواهر الحياة، ولا يتعمق سننها الثابتة وقوانينها الأصيلة، ولا يدرك نواميسها الكبرى، وارتباطاتها الوثيقة: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ... ثم لا يتجاوزون هذا الظاهر، ولا يرون ببصيرتهم ما وراءه. وظاهر الحياة الدنيا محدود صغير، مهما بدا للناس واسعاً شاملاً، يستغرق جهودهم بعضه، ولا يستقصونه في حياتهم المحدودة. والحياة كلها طرف صغير من هذا الوجود الهائل، تحكمه نواميس وسنن مستكنة في كيان هذا الوجود وتركيبه. والذي لا يتصل قلبه بضمير ذلك الوجود، ولا يتصل حسه بالنواميس والسنن التي تصرفه، يظل ينظر وكأنه لا يرى .. وأكثر الناس كذلك لأن الإيمان الحق هو وحده الذي يصل ظاهر الحياة بأسرار الوجود، وهو الذي يمنح العلم روحه المدرك لأسرار الوجود. والمؤمنون هذا الإيمان قلة في مجموع الناس. ومن ثم تظل الأكثرية محجوبة عن المعرفة الحقيقية. ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾))[1].

وذلك يؤكد أن الهداية توفيق واصطفاء من الله لتلك القلوب التي علم الله صدقها ومجاهدتها فيه سبحانه، وحرصها على الهداية وبلوغها، وأنها ليست بالذكاء والحذق بقدر ما هي بالزكاء والقرب منه – جل في علاه –، قال الله: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال الإمام الطبري: ((فوفق الله الذي آمنوا، وهم أهل الإيمان بالله وبرسوله محمد – صلى الله عليه وسلم – المصدّقون به وبما جاء به أنه من عند الله لما اختلف الذين أوتوا الكتاب فيه. وكان اختلافهم الذي خذلهم الله فيه، وهدى له الذين آمنوا بمحمد– صلى الله عليه وسلم –))[2].

فالمؤمنون الصادقون من هذه الأمة، والمقتفون لأثر النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، هم أولى الناس بقيادتها والسير بها إلى الخيرية والفلاح والطريق الأقوم لها في أمر

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٥ ص٤٧٩.

(٢) جامع البيان، الطبري، ج١ ص٢٤٤.

دنياها وأخراها، لأن معهم النور والروح والهدى، الذي أنزله الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم -، وجعل فيه الهداية والبشارة، قال الله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩]. قال الشيخ الشنقيطي - رحمه الله -: ((ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية، وأجمعها لجميع العلوم، وآخرها عهداً برب العالمين - جلَّ وعلا - يهدي للتي هي أقوم أي الطريق التي هي أسد وأعدل وأصوب))[1].

والحياة الطيبة في الدنيا والجزاء الحسن في الأخرى خصه الله بأهل الإيمان في سياق شرط وجوابه، فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]. قال الشيخ الشنقيطي - رحمه الله -: ((ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن كل عامل سواء كان ذكراً أو أنثى عمل عملاً صالحاً فإنه جل وعلا يقسم ليحيينه حياة طيبة، وليجزينه أجره بأحسن ما كان يعمل))[2].

والكفار المخالفون أصحاب النموذج الغربي اليوم والمقتفون له والذين يزعمون أن نموذجهم هو الأصلح والأرقى لقيادة الحياة البشرية على الأرض من خلال تطبيق مبادئ ونظم الديمقراطية الحقة في الحكم ومن خلال تطبيق مبادئ الليبرالية المدنية التي تقوم على حرية الضمير، هم فاقدون أصلاً للإيمان وأسباب السعادة والتوفيق، وتبعاً لذلك فهم في معيشة ضنك وشقاء دائم في خاصة أنفسهم، فكيف يحملون الحياة الطيبة ويقدمونها لغيرهم. وقد حذر اللهُ المؤمنين من اتباع أهواء اليهود والنصارى، وهم أهل الغرب اليوم وسدنته ودعاته والمحادون لله ورسوله ودينه، والمتربصون بالمؤمنين، فقال سبحانه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، (المتوفى:١٣٩٣هـ)، بيروت لبنان، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ج٣ص١١١.

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ج٣ص٦٩.

﴿ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

قال سيد قطب – رحمه الله –: ((سيظل اليهود والنصارى يحاربونك، ويكيدون لك ولا يسالمونك ولا يرضون عنك، إلا أن تحيد عن هذا الأمر، وإلا أن تترك هذا الحق، وإلا أن تتخلى عن هذا اليقين، تتخلى عنه إلى ما هم فيه من ضلال وشرك وسوء تصور، – ثم حصر سبحانه الهدى وقصره في هُداه: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ على سبيل القصر والحصر. هدى الله هو الهدى. وما عداه ليس بهدى. فلا براح منه، ولا فكاك عنه، ولا محاولة فيه، ولا ترضية على حسابه، ولا مساومة في شيء منه قليل أو كثير، ومن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. وحذار أن تميل بك الرغبة في هدايتهم وإيمانهم، أو صداقتهم ومودتهم عن هذا الصراط الدقيق، ثم حذر وأنذر من اتباع أهوائهم: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ بهذا التهديد المفزع، وبهذا القطع الجازم وبهذا الوعيد الرعيب.. ولمن؟ لنبي الله ورسوله وحبيبه الكريم! إنها الأهواء .. إن أنت ملت عن الهدى.. هدى الله الذي لا هدى سواه))(١).

وهكذا بكل وضوح وصفاء ونقاء وحزم وصدق، جعل الله الأسوة والقدوة الحقة والكاملة في رسوله ومصطفاه– صلى الله عليه وسلم –، فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]، قال ابن كثير – رحمه الله –: ((هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله – صلى الله عليه وسلم –في أقواله وأفعاله وأحواله))(٢).

وفي مقابل هذا التأسي والاقتداء والمتابعة، حذر سبحانه من المشاقة والمخالفة، فقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وقال من أمرنا الله باتباعه والتأسي به، والصدور عن هديه– صلى الله عليه وسلم –محذراً من سنن اليهود والنصارى: [لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبرا وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١ص٨٢. بتصرف يسير.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج١ص٣٩١.

جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟][1].

قال ابن بطال – رحمه الله – في شرحه: ((قال المهلب: أخبر – صلى الله عليه وسلم–: أن أمته قبل قيام الساعة يتبعون المحدثات من الأمور، والبدع والأهواء المضلة كما اتبعتها الأمم من فارس والروم حتى يتغير الدين عند كثير من الناس ..، وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من المسلمين لا يخافون العداوات، ويحتسبون أنفسهم على الله في القول بالحق، والقيام بالمنهج القويم في دين الله))[2].

فنعوذ بالله من اتباع طريق الضالين ومن الحور بعد الكور، ومن أن نرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله.

الشبهة السادسة: احتجاجهم بحديث: [أنتم أعلم بأمور]. والحديث عن أنس – رضي الله عنه –: [أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مر بقوم يلقحون فقال: لو لم تفعلوا لصلح قال فَخَرَجَ شيصاً فمر بهم فقال ما لنخلكم؟ قالوا قلت كذا وكذا قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم][3] ش (فخرج شيصاً) هو البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفاً.

ولمزيد بيانٍ فأني أسوق الرواية الأخرى فعن موسى بن طلحة عن أبيه قال: [مررت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –بقوم على رؤوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أظن يغني ذلك شيئاً قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم

(١) البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لتتبعن سنن من كان قبلكم، حديث رقم (٧٣٢٠)، ج١٨ص٣٠٧.

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، (المتوفى:٤٤٩هـ)، الرياض، دار النشر: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية، ج١٠ص٣٦٦.

(٣) مسلم، ٤٣كتاب الفضائل، ٣٨باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره – صلى الله عليه وسلم – من معايش الدنيا على سبيل الرأي، حديث رقم(١٤١)، ج٤ص١٨٣٦.

عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل][1]. (ش (يلقحونه) هو بمعنى يأبرون في الرواية الأخرى ومعناه إدخال شيء من طلع الذكر في طلع الأنثى فتعلق بإذن الله).

والليبراليون العلمانيون يقررون لأنفسهم من خلال هذا الحديث [أنتم أعلم بأمر دنياكم] قاعدة فاسدة تقول: مسائل الدنيا وأمورها، نحن أحق بها، ولا دخل للشريعة فيها. فالأنظمة السياسية على سبيل المثال، هي عندهم من أمور الدنيا التي هم أعلم بها ويرون أنهم أولى وأحق بإبداء الرأي فيها.

وقد كتب د. تركي الحمد كتاباً، تطرق فيه لعلاقة السياسة بالحلال والحرام، على وفق قاعدة [أنتم أعلم بأمر دنياكم]، قال فيه: ((في أمور لا علاقة لها بذات الدين ولم تنص مصادره الرئيسة بنص صريح واضح على أن هذا الأمر حرام أو أن ذاك الأمر كفر بواح. إن أهم القواعد الدينية التي تحدد مجرى السلوك في مثل هذه الشؤون، أي شؤون السياسة العملية، هي قواعد واضحة لا لبس فيها مثل أن «الأصل في الأمور الإباحة»، و[أنتم أعلم بأمور دنياكم]، وكذلك [الحلال بيّن والحرام بيّن]))[2].

وفي نفس السياق من شؤون الحكم والسياسة، يرون أنها مسائل دنيوية بحتة، ليست من تنظيم الشرع، يقول يوسف أبا الخيل: ((دنيوية الحكم والسياسة، مما عقله المفكرون المسلمون القدماء، فقرروا، على إثره، أن الوحي إنما يختص بالشرائع، وبالجملة ما ينظم علاقة الإنسان بربه، أما الحكم وشؤون السياسة فينظمهما العقل وتراكم الخبرة الإنسانية. في مقدمة أولئك المفكرين، يأتي المفكر العربي المعروف: عبدالرحمن بن خلدون، الذي قرر في مقدمته المشهورة أن شؤون الحكم ومسائل الاجتماع إنما هي مسائل دنيوية بحتة، وليست من تنظيم الشرع، ذلك " أنه – صلى الله عليه وسلم – إنما بعث ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات (ومن ضمنها شؤون الحكم والسياسة). وقد وقع له

(١) مسلم، ٤٣كتاب الفضائل، ٣٨باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره – صلى الله عليه وسلم – من معايش الدنيا على سبيل الرأي، حديث رقم(١٣٩)، ج٤ص١٨٣٥.

(٢) السياسة بين الحلال والحرام، تركي الحمد، صحيفة الجمهورية، العدد: ١٤٣٧٢، السبت ٧ مارس ٢٠٠٩م. www.algomhoriah.net.

في شأن تلقيح النخل ما وقع، فقال: [أنتم أعلم بأمور دنياكم]))[1].

الرد عليها: وسيكون الرد على هذه الشبهة من أربعة وجوه:

الوجه الأول: قولكم، لم يقله أحد من أهل العلم، بل هو مخالف لأقوالهم وما كان هذا سبيله فهو مردود على صاحبه، فقد بوب النووي - رحمه الله - على ذلك الحديث بقوله: "باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، دون ما ذكره - صلى الله عليه وسلم - من معايش الدنيا على سبيل الرأي".

وقال أيضاً في شرح هذه الأحاديث: ((قال العلماء: قوله - صلى الله عليه وسلم - [من رأى][2] أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على سبيل التشريع، فأما ما قاله باجتهاده ورآه شرعاً يجب العمل به، وليس إبار النخل من هذا النوع، بل من النوع المذكور قبله ... قال العلماء: و لم يكن هذا القول خبراً، وإنما كان ظناً كما بينه في هذه الروايات، قالوا: ورأيه - صلى الله عليه وسلم - في أمور المعايش وظنه كغيره، فلا يمتنع وقوع مثل هذا، ولا نقص في ذلك، وسببه تعلق هممهم بالآخرة ومعارفها والله أعلم))[3].

وما قاله - صلى الله عليه وسلم - "على سبيل الرأي" أي أنه قاله "لا على سبيل التشريع" فهو مقيد بأمرين:

الأول: أن جميع الأمور التي يقال فيها: [أنتم أعلم بأمور دنياكم] هي تلك الأمور التي لم تتناولها الأدلة الشرعية تناولاً عاماً أو تناولاً خاصاً، أو الأمور التي تناولتها السنة لا على سبيل التشريع وإنما على سبيل الرأي فقط.

الثاني: أن الأصل في كل ما تناولته النصوص الشرعية - ولو كان متعلقاً بأمر الدنيا أو

---

(١) السياسة بين الشرع والعقل، يوسف أبا الخيل، جريدة الرياض، العدد ١٥٦٥٠، السبت، ٢٦ جمادى الأولى ١٤٣٢هـ - ٣٠ إبريل ٢٠١١م. www.alriyadh.com.

(٢) مسلم، ٤٣ كتاب الفضائل، ٣٨باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره - صلى الله عليه وسلم - من معايش الدنيا على سبيل الرأي، حديث رقم(١٤٠)، ج٤ص١٨٣٥.

(٣) المنهاج، النووي، ج١٥ص١١٦.

المعاش أو غيره - أن يكون على سبيل التشريع إلا أن يدل الدليل أو القرينة على خلاف ذلك ويؤيده من سياق أحاديث قصة التأبير، أمران:

أ- تصرف الصحابة في القصة المذكورة حيث امتنعوا من تأبير النخل - رغم خبرتهم السابقة عن أهمية ذلك التلقيح وهو أمر أمور المعايش الدنيوية - وهذا يعني أنهم - رضي الله عنهم - يتعاملون مع أقواله - صلى الله عليه وسلم - ولو كانت في أمور المعايش - على أنها على سبيل التشريع حتى يأتي من الدليل الشرعي ما يبين أنها على غير سبيل التشريع.

ب- دقة صياغة العلماء للعبارات السابقة، فإنها واضحة كل الوضوح في أن الأصل في كل ما جاء في النصوص الشرعية إنما يتم التعامل معه على أنه جاء على سبيل التشريع، ولذلك احتاج هؤلاء العلماء أن يقيدوا الأمور التي لا يجب على المسلمين امتثالها من معايش الدنيا، بأنها التي جاءت "على سبيل الرأي" أو "لا على سبيل التشريع" وهذا يعني أن النصوص التي جاءت في معايش الدنيا أو غيرها ولم تظهر قرينة أو دليل يبين أنها جاءت على سبيل الرأي أو لا على سبيل التشريع فإنه يتم التعامل معها على أنها نصوص تشريعية يجب امتثالها.

الوجه الثاني: أن يقال إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يذكر الكلام في عدم تأبير النخل مطلقاً من كل قيد، حتى يقال: إن ما تناولته النصوص الشرعية مطلقاً من القيود وهو من أمور الدنيا فإن الشرع يترك - في هذه الحالة - ويرجع في تلك الأمور الدنيوية إلى أهل الدنيا[1].

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - كما في الحديث - لم يأمرهم أمراً مطلقاً، ولم ينههم نهياً مطلقاً - ولم يكن ما صدر منه على سبيل التشريع - ولذلك لما غلَّب بعض الصحابة - رضي الله عنهم - جانب التشريع في ذلك، بين لهم الرسول - صلى الله عليه

(١) انظر: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، علي بن نايف الشحود، موقع المكتبة الشاملة. www.shamela.ws.

وسلم - أنه لم يرد ذلك وأن كلامه السابق لا يدل عليه، ولذلك قال لهم معقباً على تصرفهم إزاء مقالته السابقة: [فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن] وقال: [إذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر] وقال: [أنتم أعلم بأمر دنياكم] فالروايات كلها في مبتداها ومنتهاها متضافرة على أن ما ذكره - صلى الله عليه وسلم - للصحابة كان من قبيل الرأي المتعلق بأمور المعاش القائم على الخبرة البشرية، ولم يكن كلاماً على سبيل التشريع، وإذا تبين ذلك، فقد بطل قولهم في أن النصوص الشرعية المتعلقة بأمور الدنيا، لا يعول عليها، ولا يرجع إليها، وإنما يرجع في مثل هذه الأمور إلى أهل الدنيا والمعرفة بها.

الوجه الثالث: أن يقال إن "أمر الدنيا" الذي عناه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حديثه، هو تأبير النخل فلا يقاس عليه إلا ما جرى مجراه وكان على شاكلته، وهو الخبرة العملية المتعلقة بشأن من الشئون المباحة التي لم يتعلق بها الخطاب الشرعي لا أمراً ولا نهياً، وليس المراد بذلك كل أمر متعلق بالدنيا، لأنه قد جاءت نصوص شرعية كثيرة في أمور الدنيا، وقد تعلق بها الخطاب الشرعي أمراً ونهياً، فكانت بذلك موكولة إلى الشرع يبين حلالها وحرامها وما يصح منها وما لا يصح إلى غير ذلك من تفاصيلها المطلوبة، ولم تكن موكولة إلى المسلمين - أو إلى غيرهم - يجتهدون فيها أو يعملون فيها بمقتضى عقولهم أو مصالحهم أو أهوائهم، والنظام السياسي وتفاصيله قد تعلق به الخطاب الشرعي أمراً ونهياً وتخييراً، فكان بذلك من النوع الموكول إلى الشرع يبين أحكامه وتفاصيله، ولم يكن من النوع الأول الذي وُكل إلى الخبرة البشرية حيث لم يتعلق به الخطاب الشرعي. وبذلك تسقط دعاوى العلمانيين الليبراليين ومن تابعهم في تحريف هذا الحديث للوصول إلى إخراج النظام السياسي من الدخول تحت ولاية الشرع.

الوجه الرابع: أن يقال ما هو الضابط الذي تعتمدون عليه في التفريق بين "أمر الدنيا" الموكول للبشر وبين "أمر الدين" الموكول إلى الشريعة؟ حيث إنكم لم تقدموا ضابطاً صحيحاً تفرقون به بين "أمر الدنيا" و"أمر الدين" فأنتم لستم تتبعون أو تتعلقون في قولكم: هذا من أمر الدنيا، وذاك من أمر الدين بنص شرعي، أو بكلام لأحد من أئمة العلم المعروفين لا قديماً ولا حديثاً، وإنما أنتم تتبعون في تفريقكم الباطل من قلدتموهم من أهل

الغرب أو الشرق الكافر الذين فصلوا الدولة عن الدين أو الدنيا عن الدين.

وقد تم الفصل الكامل عندهم بين: دائرة "أمور الدنيا"، ودائرة "أمور الدين"، وترتب على ذلك أن الدين أصبح محصوراً في نطاق الإنسان الفرد وحده، أو في داخل الكنيسة، إذاً فتعريف هؤلاء لأمر الدنيا، وما ترتب عليه من إخراج النظام السياسي في الإسلام من أمور الدين رغم تعلق الخطاب الشرعي به وإدخاله في أمور الدنيا التي لا دخل للشرع فيها، هو أمر مأخوذ أصلاً من طبيعة العلاقة بين الدين النصراني المحرف وبين الفكر العلماني، وغني عن البيان أن ما كان كذلك فلا يصح أن يكون حجة في دين المسلمين[1].

ثانياً: الشبهات الفكرية المتعلقة بالانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه الإرجائي

الشبهة الأولى: الدعوة للتعايش والتسامح مع المبتدعة والكفار.

وحلقات برنامج "دعوة للتعايش"، الذي قدمه الدكتور عمرو خالد والفعاليات قبلها وبعدها، ورسالته لنيل درجة الدكتوراه، كانت بعنوان: (الإسلام والتعايش مع الآخر) يتبين أن المراد بالتعايش الذي ينادي به في مرحلة من مراحله هو قبول الآخر، كافراً كان أو مبتدعاً، ومن شواهد ذلك ما صرح به لـــ"إسلام أون لاين. نت" على هامش حضوره الاحتفال بأعياد الميلاد مساء الأحد ٢٠٠٨/١/٦م، قال خالد: "أتيت بمبادرة شخصية، فلم يدعني أحد، والحقيقة أنني جئت إلى مقر الكاتدرائية المرقسية لكي أبدأ التنفيذ العملي لبرنامجي: دعوة للتعايش" وأعرب عن اعتقاده أن "بداية هذا التعايش تتمثل في مشاركتنا للإخوة الأقباط في أفراحهم"، وتساءل مؤكداً: "وهل هناك مناسبة أفضل من عيد ميلاد المسيح - عليه السلام -؟"))[2].

وفي العلاقة مع الغرب واليهود تحديداً، يؤكد د. عمرو خالد أن المصلحة في التعايش،

---

(١) انظر: المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام، علي بن نايف الشحود، موقع المكتبة الشاملة. www.shamela.ws.

(٢) شريف الدواخلي، ٢٠٠٨/٠١/٠٧م، موقع أون إسلام www.onislam.net/arabic/newsanalysis

ومن المهم تشجيع ودعم فكرة التعايش، فيقول: ((أعتقد أن أمامنا بديلين للمستقبل إما صدام الحضارات أو تعايش الحضارات. اعتقد أن من مصلحة المسلمين ومن مصلحة الشباب العربي ومن مصلحة الغرب ومصلحة الجميع أن نشجع فكرة التعايش وندعمها أن نبحث عن مثل هذه اللقاءات ليس للكلام فقط وإنما أن يكون هناك فكر صادق لدى كل الأطراف فعلاً بحيث تجيد التعايش لمزيد من الطمأنينة في الأرض خاصة وأننا في العشرين سنة القادمة إذا لم نقتنع بالتعايش بإيمان صادق ونبذل له خطوات حقيقية فسيكون صوت دعاة الصدام، فيعلو في الأرض ويؤدي إلى نتائج لن يستطيع معها العقلاء فعل أي شيء))[(١)].

بل زاد الأمر على ذلك إلى إقامة معسكرات مختلطة في بلد الكفر، فقد أقام عمرو خالد معسكراً في بريطانيا جمع فيه الفتيان والفتيات فوق سن العاشرة[(٢)].

الرد عليها: والتعايش المطلوب تشجيعه والحث عليه، بل والاقتناع به في دعوة د. عمرو خالد، يتعارض مع مُسلمات هذا الدين، وما جاء في آيات كتاب رب العالمين، ومنها قوله – تعالى –: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[ص: ٢٨]، وقوله – تعالى –: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ – ٣٦] وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

قال الشيخ السعدي – رحمه الله – في هذه الآية: ((أي أم حسب المسيؤون المكثرون من الذنوب المقصرون في حقوق ربهم ﴿أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بأن قاموا بحقوق ربهم واجتنبوا مساخطه و لم يزالوا مؤثرين رضاه على هوى أنفسهم أي أحسبوا أن يكونوا ﴿سَوَآءً﴾ في الدنيا والآخرة ساء ما ظنوا وحسبوا وساء ما حكموا به فإنه حكم

(١) موقع محطة البي بي سي العربية http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east الدوحة، الأحد ٢٦ فبراير ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: مخيم عمرو خالد الصيفي Training Camp Amr Khaled Summer موقع الفيسبوك Face book ٢٠١٠م.

يخالف حكمة أحكم الحاكمين وخير العادلين ويناقض العقول السليمة والفطر المستقيمة ويضاد ما نزلت به الكتب وأخبرت به الرسل بل الحكم الواقع القطعي أن المؤمنين العاملين الصالحات لهم النصر والفلاح والسعادة والثواب في العاجل والآجل كل على قدر إحسانه وأن المسيئين لهم الغضب والإهانة والعذاب والشقاء في الدنيا والآخرة))[1].

وقال عز وجل: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة: ١٨]، وهذا المعنى أوضح ما يكون في كتاب الله – عز وجل –، فالتعايش الذي يقوم على أساس المساواة والمكافئة منقوض بكتاب الله – عز وجل – نقضا باتاً، ومرفوض بما جبل الله عليه العباد من التفرقة بين المختلفين رفضاً قاطعاً، فليس بين الفريقين فريق الهداية وفريق الغواية تساو ولا تكافؤ لا في العيش ولا في الحقوق ولا في الواجبات بل ولا حتى السير في الطرقات، وأحرى أن لا يكون بينهما تساو في أمر الآخرة وأثناء وبعد الممات.

والمشكلة هي أن مصطلح (التعايش) بمدلوله الجديد في عصر العولمة، وسيطرة النموذج الغربي وحتمية سيادة الحضارة الغربية، يحمل معاني ودلالات ولوازم تمسُّ جوهر عقيدة الإسلام وشريعته ونظامه وهذا ما يفسِّر شيوع هذا المصطلح والزجَّ به في لغة الإعلام والخطاب والثقافة والفكر والحوار والعلاقات، ومن أخطر المعاني والدلالات التي أريد لهذا المصطلح أن يحملها :

١. إلغاء الفارق العقدي والشرعي والسلوكي بين المسلمين والكفار أو إضعافه، فهو مصطلح يحمل بديلاً عن أشياء أخرى عرفها المسلمون وعايشوها، وأساسها الفارق بين الإسلام والكفر وفروع هذا الفارق ولوازمه.
٢. الانتقال من البُعْد النظري أو العلمي إلى البُعْد العملي في حياة المسلمين، وذلك بأن يعايشوا الكفار على أساس إلغاء تلك الفروق بين المسلمين والكفار أو إضعافها، فهو مصطلح يرمي بالمسلمين عموماً إلى أن يعايشوا الكفار في عباداتهم وأخلاقهم وقوانينهم دون التفات إلى أصولها العقدية والفكرية .

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٧٧٧.

٣. الخطورة في التعايش، الظرف الزماني الذي يُنادى به اليوم؛ وما يرافقه من طغيان الحضارة الغربية بعقائدها ونُظمها وأخلاقها، حتى وُصفت بأنها هي الأعلى والأرقى، وأنها القدوة، والغاية التي تسعى كل الشعوب للحاق بها. كيف لا؟ وهي نهاية التاريخ، كما يزعمون وعبر بعضهم .وهي تدعو المغلوب إلى أن يقلِّد الغالب ويعايشه ويسير خلفه، وليس التعايش الذي يكون فيه المسلم هو الظاهر الأعز كما يريد الله، أو يكون التعايش تفاعل بين طرفين يضمن فيها كل طرف حقوقه ويُحافظ على خصوصيته على أقل تقدير.

ثم إن كثيراً من المبهورين والمعجبين بحضارة الغرب الكافر، والذين قد يرون شيئاً من الأخلاقيات الحسنة التي قد يتصفون ويشتهرون بها في تعاملاتهم، قد يغيب عن أذهانهم وينسون وهم في غمرة الانبهار والإعجاب، أن هؤلاء هم أعداؤنا الذين قد حادوا الله ورسوله، وأتوا في معتقداتهم بالعظائم والدواهي التي يشيب لهولها الولدان ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٣]، وكذبوا بكتاب الله - تعالى -، وكفروا برسالة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -.

بل وكثيرٌ منهم قد تبرأوا من الانتماء لأي نبي أو دين، فيغلب على قلوب هؤلاء المبهورين مسحةُ احترام لهؤلاء الكفرة المجرمين تُكسى ثوب الرحمة والرفق، فتراهم لا يذكرونهم ولا يخاطبونهم إلا بمعاني التوقير والإعجاب، ويتعاظمون ويستثقلون وصفهم بما يستحقون، ويهولهم رمي هؤلاء الكفرة بما نعتهم الله به ومواجهتهم بحقيقتهم، ويذهب عن أذهان هؤلاء أن أولئك «المتحضرين» هم من وصفهم العليم الخبير بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[البينة: ٦]، ونعتهم بما علمه عنهم فقال سبحانه: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الفرقان: ٤٤] فَلْيُتَنَبَّه لهذا الأمر ودخيلته.

المبحث الثاني:
الشبهات المنهجية والرد عليها

ومن الشبه المنهجية الرئيسة الواضحة الجلية عند أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانب المعتزلة العقلية ومن حذا حذوهم من الليبرالية:

١. إكبار العقل، وتقديمه على الوحي فيما لا مجال للرأي فيه، وجعله حاكماً عليه.

فردوا النصوص وأولوها وحرفوها، تحت شعار الحرية الفكرية، وعلى حساب نقض مناهج الدين وإجماع سلف الأمة المقتفين لسنة سيد المرسلين- صلى الله عليه وسلم -. فالسابقون من المعتزلة العقلية قد شابهم وحذا حذوهم اللاحقون من الفلاسفة التنويرية الليبرالية الذين يرون أن العقل الحر النامي المتطور هو: الذي لا يستسلم للنقل بل ولا ينقاد له، حتى لا يكون معتقلاً مكبلاً محاصراً.

يقول محمد المحمود: ((عندما تقول التقليدية إن العقل الصريح لا يعارض مع النقل الصحيح، فهي لا تطرح العقل الحر، العقل النامي المتطور، العقل المتحرّر والمحرّر، بل العقل المعتقل، العقل المكبل بالقيود، والمحاصر بالمحصنات والمقدسات والمصنّمات. أي العقل المحكوم لا الحاكم، العقل المقاد لا القائد، العقل التابع الذليل الذي يستحيل عليه أن يكون حراً، ومن ثم يستحيل عليه أن ينتج إنساناً حراً. إنه عقل الاتباع، العقل المسْتَعبَد، والمسَتعبِد، إنه عقل الاستعباد الداعم للاستبداد، والمناهض لكل أنشطة التحرر ولكل صور الاستقلال))[(١)].

وآخر يرى أن العقل النقدي هو الحي بينما العقل النقلي ميت، وأن الاستسلام للنقل وصاية كهنوتية، وتقليد للآباء، يقول د. خالص جلبي: ((فالعقل مصادر ومؤمم وملغي حتى إشعار آخر. فطائفة أعلنت الوصاية على العقل ورفعت شعار التخصص فيما يشبه الكهنوت ووضعت شروطاً للاجتهاد لن تجتمع إلا في كائن أسطوري فوق بشري ... وعقلية التقليد الآبائية وضعت الخطوط الحمر أمام جدار كهربي صاعق عليه إشارة (جمجمة وعظمتين)

(١) تغييب العقل وأزمة غياب الإنسان! محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٦٠٠٥، الخميس ٢٧ جمادى الأولى ١٤٣٣هـ - ١٩ إبريل ٢٠١٢م. www.alriyadh.com.

كما في غرف التوتر الكهربي العالي والعقل النقدي حي والعقل النقلي ميت))[١].

وترتبط الحرية في الفكر الليبرالي بالعقل، إذ يعتبر المذهب الليبرالي جزءاً من مشروع التنوير، فالفكرة المركزية والرئيسية في رؤية التنوير هي إطلاق العنان للعقل وتحرير البشرية من قيود الخرافة والجهل، فهم يقدمون العقل على النقل لأسباب منها:

- بالعقل يكون الإنسان رشيداً قادراً على تحديد مصلحته والسعي وراء منفعته الشخصية.
- سلطة العقل تعطي الإنسان القدرة على تحمل مسئولية نفسه وحياته وتقرير مصيره.
- العقلانية تحرر الفرد من قبضة الماضي ومن ثقل العادات والتقاليد والتعصب.
- العقل وسيلة للتقدم الإنساني وتحسين الأوضاع من خلال الحصول على المعرفة فيزداد الفهم تصاعدياً وتهجر الخرافات.
- العقل يعطي أساساً جيداً لتقييم المطالب والدعاوى المتنافسة إذا كانت منطقية[٢].

وارتبط مع هذه الشبهة ودخل تحتها شبهة يُدندُن حولها الليبراليون في عصرنا، وهي قولهم: بتقديم المصلحة المتوهمة على النص، ونشأ ذلك من اعتقادهم أن العقل له الأهلية التامة والصلاحية الكاملة في أن يستقل بإدراك المصالح والمفاسد بعيداً عن نور الوحي وهذا مثل سابقه في إكبارهم للعقل وعدم استسلامهم للشرع والحق، والمصالح إما أن تكون معتبرة يؤخذ بها وهي ما دل الدليل على اعتبارها وجوازها وحليتها ودعا إليها، وإما أن تكون مصالح ملغاة لا اعتبار ولا ميزان لها، وهي ما جاء النص صراحة بإلغائها، والليبراليون يصرحون باعتبار المصالح الملغاة، تبعاً للهوى وما تمليه عليهم شهواتهم وأهواؤهم ويضربون بالنصوص الشرعية التي تُعارض هذه المصالح عرض الحائط.

---

(١) فلسفة التفكير والتعبير، د. خالص جلبي، موقع بيتنا، في ٠٥/٠٣/٢٠٠٣م، www.bettna.com.

(٢) انظر: الليبرالية .. أيدلوجية مراوغة أفسدها رأس المال (الجزء الأول)، د. هبة رؤوف عزت، www.heba-ezzat.com. بتصرف يسير.

ومن ذلك ما يقوله مشاري الذايدي: ((نحن مطالب منا أن نمارس السياسة وفق مصالحنا، وحيث ما كانت المصلحة كان دين الله، هكذا أفهم الأمور))[1].

ويؤكد ذلك محمد المحمود ويطالب بقطيعة تراث الأمة وترك ما يسميه بالنصوصية الظاهرية ليتصل مع النص مباشرة ويصل به إلى المصلح العليا والمقاصد الكبرى، التي لم يعيها ويدركها علماء السلف، فيقول: ((ما نحتاجه الآن: قطيعة نوعية مع تراث بشري تراكم على مدى أربعة عشر قرناً، يقابله اتصال خلاق بالنص الأول في مقاصده الكبرى، وليس مجرد ظاهرية نصوصية لا تعي ما بين يديها ولا ما خلفها))[2].

الرد عليها: إن الله أمر الناس باتباع الوحي المطهر والشرع المنزل، والأمر يدل على الوجوب؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩] فكيف نخالف أمر الله – تعالى – بأن نتبع غير الوحي؟ قال أبو جعفر: ((يقول – تعالى – ذكره: واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحيه إليك، وتنزيله الذي ينزله عليك، فاعمل به، واصبر على ما أصابك ..))[3].

ومن أعظم علامات الإيمان ودلائله، تقديم حكم الله ودينه وشرعه على حكم العقول وآراء الرجال من خلالها، بل والرضى والتسليم الكامل لشرع رب العالمين والله يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ومن أعظم معاني العبادة الرضى به حَكَماً سبحانه: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا

---

(١) إضاءات: لقاء مع تركي الدخيل، مشاري الذايدي، الخميس ١١ ذو القعدة ١٤٢٥هـ – ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٤م، موقع العربية www.alarabiya.net/programs.

(٢) المرأة: مسيرة العقوق والحقوق، محمد المحمود، جريدة الرياض، العدد: ١٣٤٩٢، الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ – ٢ يونيو ٢٠٠٥ م. www.alriyadh.com.

(٣) جامع البيان، الطبري، ج١٥ص٢٢١.

﴿تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]، فالدين القيم أن تجعل تحاكمك لله والمرد إلى دينه وشرعه، وذلك في جميع الأحوال، وخاصة عند الاختلاف في أي أمر، فحكمه إلى الله وحده، لا إلى العقول والأهواء، قال الله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ١٠]، وكلمة ﴿شَيۡءٖ﴾ نكرة في سياق النفي وهذا من صيغ العموم، فكل شيء نختلف فيه فالحكم فيه لله، ثم أكد على إرادة العموم بـــ﴿مِن﴾ التي تفيد التأكيد. وحكم الله أحكم وأحسن لعباده من عقولهم المحدودة القاصرة التي لا تدرك حكمة الله وعظيم رحمته بخلقه. فقد قال سبحانه: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾[التين: ٨]، وقوله - تعالى -: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾[المائدة: ٥٠] وذلك لأنه سبحانه قد وصف نفسه بقوله: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾[الأعراف: ٨٧].

ولهذا فلا يصح تقديم العقل على النقل، بل إن تقديم العقل على النقل قدح في العقل، قال ابن أبي العز - رحمه الله -: ((إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه. وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل. فالواجب كمال التسليم للرسول - صلى الله عليه وسلم -، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولاً))[١].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى:٧٩٢هـ)، الرياض، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ، الطبعة: الأولى، ج١ ص٤٤٥.

وهو ملمح عظيم ووجه لطيف، مضمونه: أننا لو سلمنا بتقديم العقل على النقل لم يرتفع الاختلاف أبداً، ولم يحصل الاهتداء، بل أصبح الناس مضطربين في أمور معاشهم ناهيك عن اضطرابهم في عقائدهم ومفاهيمهم، مما يورثهم اختلافاً واضطراباً وشكاً وارتياباً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف فوجب الثاني دون الأول، وذلك لأن كون الشيء معلوماً بالعقل أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمه لشيء من الأشياء بل هو من الأمور النسبية الإضافية فإن زيداً قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر.

والمسائل التي يقال إنه قد تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيه العقلاء ولم يتفقوا فيها على أن موجب العقل كذا بل كل من العقلاء، يقول: إن العقل أثبت أو أوجب أو سوغ ما يقول الآخر إن العقل نفاه أو أحاله أو منع منه، بل قد آل الأمر بينهم إلى التنازع فيما يقولون إنه من العلوم الضرورية، فيقول هذا نحن نعلم بالضرورة العقلية ما يقول الآخر إنه غير معلوم بالضرورة العقلية، كما يقول أكثر العقلاء: نحن نعلم بالضرورة العقلية امتناع رؤية مرئي من غير معاينة ومقابلة، ويقول طائفة من العقلاء: إن ذلك ممكن ...

وأما الشرع فهو في نفسه قول الصادق وهذه صفة لازمة له لا تختلف باختلاف أحوال الناس والعلم بذلك ممكن ورد الناس إليه ممكن؛ ولهذا جاء التنزيل برد الناس عند التنازع إلى الكتاب والسنة، وهذا يوجب تقديم السمع، وهذا هو الواجب؛ إذ لو ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال وآرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يزدهم هذا الرد إلا اختلافاً واضطراباً وشكاً وارتياباً، ولذلك قال – تعالى –: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]))[1].

ويلحق به ويُماثله ما يدعيه الليبراليون من تقديم المصلحة المتوهمة على النص وإدراك مقاصده الكبرى مباشرة بعقولهم، وهو اعتقاد خطير قد يقودهم إلى مفسدتين عظيمتين

(١) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج١ص٨٣.

ألا وهما:

١. اتهام الله – جل وعلا – بالعبث في أفعاله وتقديره – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – لأن من غايات إنزال الكتب وإرسال الرسل تعريف الناس بالشر والخير وبيان المصالح والمفاسد لهم.

٢. مقتضى اعتقاد كثير من الليبراليين من أن العقل البشري يعرف المصلحة استقلالاً: نفي الحكمة من إنزال الكتب وإرسال الرسل حينئذ، ولا طائل من ورائها ولا جدوى فيها. وهذه المفاسد الخطيرة الناجمة عن اعتقادهم باستقلال العقل في إدراك المصالح والمفاسد تكفي العاقل المنصف في بيان فساد هذا الاعتقاد وانحرافه عن جادة الصواب.

الرد عليها: إن الله أمر الناس باتباع الوحي المطهر والشرع المنزل، والأمر يدل على الوجوب؛ فقال سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩] فكيف نخالف أمر الله – تعالى – بأن نتبع غير الوحي؟ قال أبو جعفر: ((يقول – تعالى – ذكره: واتبع يا محمد وحي الله الذي يوحيه إليك، وتنزيله الذي ينزله عليك، فاعمل به، واصبر على ما أصابك ...))(١).

ومن أعظم علامات الإيمان ودلائله، تقديم حكم الله ودينه وشرعه على حكم العقول وآراء الرجال من خلالها، بل والرضى والتسليم الكامل لشرع رب العالمين والله يقول: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ومن أعظم معاني العبادة الرضى به حَكَماً سبحانه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [يوسف: ٤٠]، فالدين القيم أن تجعل تحاكمك لله والمرد إلى دينه وشرعه، وذلك في جميع الأحوال، وخاصة عند الاختلاف في أي أمر، فحكمه إلى الله

(١) جامع البيان، الطبري، ج١٥ص٢٢١.

وحده، لا إلى العقول والأهواء، قال الله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ١٠]، وكلمة ﴿شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق النفي وهذا من صيغ العموم، فكل شيء نختلف فيه فالحكم فيه لله، ثم أكد على إرادة العموم بـ﴿مِن﴾ التي تفيد التأكيد. وحكم الله أحكم وأحسن لعباده من عقولهم المحدودة القاصرة التي لا تدرك حكمة الله وعظيم رحمته بخلقه. فقد قال سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[التين: ٨]، وقوله – تعالى –: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠] وذلك لأنه سبحانه قد وصف نفسه بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[الأعراف: ٨٧].

ولهذا فلا يصح تقديم العقل على النقل، بل إن تقديم العقل على النقل قدح في العقل، قال ابن أبي العز – رحمه الله –: ((إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول – صلى الله عليه وسلم –، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه فلا يجوز تقديمه. وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يجز أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل. فالواجب كمال التسليم للرسول – صلى الله عليه وسلم –، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يعارضه بخيال باطل يسميه معقولاً))[١].



(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ج١ص٤٤٥.

المبحث الثالث:
الآثار العقدية وبيان خطرها

الانحراف المعاصر في مفهوم التدين خلف وراءه عدداً من الآثار المترتبة عليه، وهي نتيجة طبيعية لذلك الانحراف، وقد تنوعت وتعددت تلك الآثار، لتعدد صور ومجالات الانحراف في مفهوم التدين، وكان منها العقدي والسلوكي والاجتماعي، والتي سأعرض لها بشيء من التفصيل.

أولاً: الآثار العقدية وبيان خطرها عند أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين:

١. اتساع الخلل في مفهوم لا إله إلا الله، ومخالفة منهج السلف في معنى توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وانتشار الشرك ومظاهره من عبادة قبور الأولياء والصالحين.

والشواهد على ذلك جلية شاهدة في بعض بلاد المسلمين، ووجد من لا يُقر بتقسيم التوحيد إلى أقسامه الثلاثة المشتهرة عند السلف، وهي ظاهرة بيِّنَة في آيات الكتاب المبين، وعقدوا لأجل ذلك المؤتمرات: مثل مؤتمر سعيد فودة[1] المنعقد في ٢٠٠٩م، وكان من أهم موضوعاته تقسيم التوحيد، وألفوا الكتب: ومنها: التنديد بمن عدد التوحيد: إبطال محاولة

---

(١) سعيد عبد اللطيف فودة (مواليد مدينة الكرامة الأردنية، ١٩٦٧م) أصل عائلته من مدينة يافا الفلسطينية، من قرية بيت دجن، هاجر أهله منها بعد الاحتلال الإسرائيلي فاستقروا في الأردن، متكلم في العقائد الإسلامية، أشعري المعتقد، التحق بجامعة العلوم والتكنولوجيا لدراسة الهندسة الكهربائية حيث تخصص في مجال الاتصالات والإلكترونيات في مدينة إربد، ثم حصل بعد ذلك على شهادة البكالوريوس والماجستير في العقيدة من الجامعة الأردنية. وكانت رسالته تتحدث عن أثر ابن رشد في الفلسفة الغربية والمفكرين الحداثيين، وهو يحضر لرسالة الدكتوراة في جامعة الأزهر. ناظر العديد ممن عدّهم مخالفين لعقيدة أهل السنة والجماعة وأغلب هؤلاء المخالفين كانوا من السلفيين الوهابيين الذين اعتبرهم مجسمة، من كتبه التي بلغت الثمانين: "الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية". و"الكاشف الصغير عن عقائد ابن رشد الحفيد". و"بحوث في علم الكلام". انظر (الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki) بتصرف يسير.

التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية، لحسن بن علي السقاف، من إصدارات دار الإمام النووي، ١٩٩٢م. أثبت فيه – بزعمه – إبطال التثليث في تقسيم التوحيد إلى توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية وتوحيد أسماء وصفات، حيث انتشر هذا التقسيم في هذا الزمان، وألقوا الخطب: ومن أبرزهم وآخرهم عدنان إبراهيم[١]، الذي يقول ببطلان هذا التقسيم، ويرى أنه مُبتَدع من قبل شيخ الإسلام ابن تيمية وتبعه فيه محمد بن عبد الوهاب – رحمهما الله –.

وأما أبرز مظاهر الخلل في مفهوم لا إله إلا الله: هو انتشار الشرك ومظاهره من عبادة قبور الأولياء والصالحين في طول العالم الإسلامي وعرضه. فها هي في مصر والسودان والعراق والشام واليمن والحبشة وتركيا وباكستان والهند وبنغلادش وأوزبكستان، وتعد القباب والمزارات والأضرحة في بعض تلك البلدان بالمئات، فعلى سبيل المثال لا الحصر:

في مصر: فمن بين ألوف الأضرحة المنسوبة إلى الأنبياء والصحابة والأولياء في العالم الإسلامي يشتهر في مصر من بين أكثر من ستة آلاف ضريح أكثر من ألف ضريح ومن الأضرحة الكبرى في القاهرة: ضريح الحسين، وضريح السيدة زينب، وضريح السيدة عائشة، وضريح السيدة سكينة، وضريح السيدة نفيسة، وضريح الإمام الشافعي، وضريح الليث ابن سعد ... وخارج القاهرة تشتهر أضرحة: البدوي بطنطا، وإبراهيم الدسوقي بدسوق، وأبي العباس المرسي بالإسكندرية، وغيرها كثير[٢].

في الشام: فيوجد في دمشق وحدها ١٩٤ ضريحاً ومزاراً، منها ٤٤ ضريحاً، منسوب للصحابة منها أكثر من سبعة وعشرين قبراً، لكل واحد منها قبة ويزارويتبرك به.

في العراق: في بغداد: يوجد بها أكثر من مئة وخمسين جامعاً في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وقلّ أن يخلو جامع منها من ضريح، وفي الموصل يوجد أكثر من ستة وسبعين ضريحاً مشهوراً كلها داخل جوامع.

---

(١) محاضرة للدكتور عدنان ابراهيم، بعنوان: ابن تيمية وتقسيم التوحيد، بتاريخ ٢٠١٢/٠٤/٢١.

(٢) انظر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، سعاد بنت ماهر محمد، سنة الطبع: بدون، نشر: وزارة الأوقاف، مصر، الطبعة: بدون، ج١ص٤٤.

في الهند: يوجد أكثر من مئة وخمسين ضريحاً مشهوراً يؤمها الآلاف من الناس[1]. ومع فشو وظهور وإعلان الرفض ومذهب الباطنية في كثير من دول العالم، صاحبها تقديس للقبور والأضرحة وتعظيم للمشاهد والحج إليها، وذيوع صور الشرك الأكبر بدعاء غير الله.

٢. شيوع المعتقدات الباطلة في مجتمعات المسلمين، كالإلحاد، والفلسفة، والاعتزال، والإرجاء، والتشيع، والتصوف.

الشواهد: عبادة الشيطان ظاهرة لها وجود في بعض أوساط العرب والمسلمين، وتوجد عدد من الدراسات التي بينت وأكدت وجود هذه الظاهرة، ومنها دراسة بعنوان (ظاهرة عبادة الشيطان - دراسة وتحليل لطارق عمر التلباني، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في العقيدة من الجامعة الإسلامية بغزة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، وكان من ضمن مطالب البحث: مواطن انتشار عبادة الشيطان في العالم الإسلامي، ونص على: مصر ولبنان والأردن والبحرين وتركيا وماليزيا، وكان من نتائج البحث: (بدأت عبادة الشيطان تغزو بعض بلاد المسلمين حتى كادت تصبح ظاهرة في بعض المجتمعات الإسلامية مثل مصر ولبنان وغيرهم، الأمر الذي يدعو إلى دق ناقوس الخطر والتنبيه على هذا الخطر الداهم)[2].

وأما الإلحاد فمن أعظم أسباب ظهوره إغواء إبليس لمن اتبعه فقد أقسم على أن يبعد الناس عن ربهم ويغويهم عن اتباع أمره وشرعه عز وجل. ومنها أسباب أخرى هي من صنع الإنسان تتناسب مع العصر الذي نعيش فيه وما نسمعه من تنامي الدعوة إلى الحرية الشخصية، رافقها تأجيج للشهوات دفعت برغبة جامحة عند البعض بالانفلات التام من الدين وأوامره ونواهيه لتحقيق رغباتهم الشهوانية والانسلاخ من كل ما يمتُ إلى الدين بصلة ومن أعظمها الإيمان بالله.

---

(١) انظر: مجلة البيان، العدد: ١٣١ ملفات، (القبور والأضرحة دراسة وتقويم) انتشار القبور والأضرحة وعوامل استمرارها، فسطاط الخرافة .. الجذور والواقع، خالد محمد حامد، رجب - ١٤١٩هـ، ص٣٩.

(٢) انظر: ظاهرة عبادة الشيطان - دراسة وتحليل لطارق عمر التلباني، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، في العقيدة من الجامعة الإسلامية، بغزة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

فوُجد في بعض مجتمعات المسلمين التي تربت على التوحيد من ألحد وكفر بالله، والعجيب أن أكثرهم من المتعلمين أو الكتاب أو الصحفيين، وتزامن مع دعوى الحريات الشخصية الدعوة إلى الحرية الفكرية وأهمية تحكيم العقل والخروج من تحت كهنوت ووصاية الدين ورجاله – زعموا –، ومن ثم إعادة قراءة النصوص ويقصدون بها الكتاب والسنة قراءة جديدة ومعاصرة تتفق وروح العصر ومعطياته، مما دفع ببعض من يُسمون بالمفكرين في مجتمعات المسلمين إلى الفلسفة والاعتزال، وقد عرضت لأقوال بعضهم في ثنايا هذا البحث، مثل: حسن حنفي ومحمد أركون ومحمد الجابري ومحمد شحرور ونصر حامد أبو زيد وعدنان إبراهيم، وبعض كتاب الصحف الذين اعتنقوا المذهب ذاته وأصبحوا يبثون أفكارهم الفلسفية والاعتزالية عبر مقالاتهم وخطبهم وبرامجهم اليومية والأسبوعية، والتي بلغت لدى بعضهم بالآلاف.

واوضح د. إبراهيم نجم –مستشار مفتي جمهورية مصر العربية – حسب مرصد دار الإفتاء المصرية: (أن عدداً من الدراسات والإحصاءات أظهرت أن الإلحاد – في السنوات الأربع الماضيه – قد شهد نشاطاً كبيراً فسرعان ما ظهرت عشرات المواقع الإلكترونيه على الإنترنت تدعو للإلحاد وتدافع عن الملحدين ... وأشار مستشار المفتي أن مركز "ريد سي" التابع لمعهد "جلوبال" قد وضع مؤشراً للإلحاد في كل دول العالم، وقال أن مصر بها ٨٦٦ ملحداً، ورغم أن الرقم ليس كبيراً إلا أنه الأعلي في الدول العربية، فليبيا ليس بها سوي ٣٤ ملحداً، أما السودان ففيها ٧٠ ملحداً فقط، واليمن فيها ٣٢ ملحداً، وفي تونس ٣٢٠ ملحداً، وفي سوريا ٥٦ ملحداً، وفي العراق ٢٤٢ ملحداً، وفي السعوديه ١٧٨ ملحداً، وفي الأردن ١٧٠ ملحداً، وفي المغرب ٣٢٥ ملحداً)[(١)].

وأما الإرجاء، فقد أصبحت ظاهرة بادية للعيان على مستوى بعض الأفراد والمجتمعات بل حتى الدول أحياناً. ومن صور ومظاهر الإرجاء في بعض المسلمين ومجتمعاتهم ما سبقت الإشارة إليه من الخلل في مفهوم التوحيد وانتشار القبورية، زيادة صور الفجور والفساد

(١) دار الإفتاء المصرية، المركز الإعلامي، في ١٠ / ١٢ / ٢٠١٤م، الموقع الرسمي لدار الإفتاء، www.dar-alifta.org.

الأخلاقي ومظاهر التعري ونزع الحجاب في أوساط مجتمعات المسلمين، والجرأة على دين الله والاستهزاء والسخرية به وبأهله من الزنادق والملاحدة، وأحياناً من العامة. وانتشار العلمانية وتحكيم القوانين الوضعية.

ومن الشواهد على انتشار ظاهرة الإرجاء، هو شيوعها في بعض مجتمعات المسلمين وأوساطهم، يقول الشيخ سفر الحوالي: (أصبحت الأمة في القرون الأخيرة تتبنى الإرجاء عقيدة ومنهجاً، وتعد مخالفه خارجاً مارقاً، وتضبط دينها وأحكام إيمانها بأصوله وقواعده.فصارت تعتقد أن التصديق القلبي المجرد من قول اللسان وعمل الأركان هو حقيقة الإيمان الذي أنزل به الله الكتب وبعث به الرسل ... وأصبح معنى كون الصلاة والزكاة والصيام والحج أركاناً للإسلام هو اعتقاد وجوبها والإقرار به وإن لم يعمل من ذلك شيئاً.ونحو ذلك مما يستغربه الناظر أول وهلة، ثم يتأمل فإذا هو عندهم حقيقة واقعة)[1].

وأما التصوف: فقد وجد أرضية خصبة له وبريداً يركب عليه من خلال مذهبي الإرجاء والرفض، وكان هذان العاملان من أعظم أسباب فشو التصوف.

إذ أن الإرجاء عبادة بلا تكاليف عند أصحابه، ويكون المعتمد على ما في القلب، وإن عصت الجوارح، تحت شعارهم (لا يضر مع الإيمان معصية) مع بقاء بعض صور ومسحات للتعبد كحضور بعض الموالد والحضرات، ولف العمائم وطقطقة المسابح، مشابهة للمتصوفة الذين يصل بهم الحال إلى إسقاط التكاليف الشرعية عن غلاتهم ومشائخهم.

وأما الرفض: وما قام عليه من الغلو في الأولياء وتقديسهم، وزيارة القباب والأضرحة والعتبات المقدسة – كما يزعمون – وما تزامن للشيعة في عصرنا الحالي من ظهور وانتشار وتمدد في كثير من دول العالم العربي والإسلامي، وتصدير للعقيدة الرافضية عبر حُسينياتهم التي وصلت إلى كثير من بلدان ومدن المسلمين، واستقطابهم للطلاب والدارسين من خلال المنح في جامعاتهم وحوزاتهم، رافق ذلك دعم مالي واقتصادي وعسكري لبسط نفوذهم وعقيدتهم بمالا يخفى على أحد .والتصوف وليد التشيع[2]، وهذان العاملان وغيرهما كانا

---

(١) ظاهرة الإرجاء، سفر الحوالي، ج١ص١١.

(٢) انظر: الصلة بين التصوف والتشيع، د. بليل عبدالكريم، ٢٧ / ١ / ١٤٣٣هـ، شبكة الألوكة، =

بمثابة الأرضية الخصبة للتصوف والصوفية للتمدد والانتشار والذيوع في بعض أوساط المسلمين ومجتمعاتهم، واستقر واستوطن بعضها بشكل أكبر كما هو الحال في أندونيسيا وبنغلاديش ومدينة تريم باليمن وغيرها، وأصبح للتصوف مدارسه ومعاهده وجامعاته وقنواته ومشائخه، الذين يعملون على نشره والدعوة إليه.

ويرى فيه أعداء الله بديلاً جيداً ومناسباً يخدم حربهم على الإسلام الحق، فعملوا على نشر التصوف في العالم الإسلامي ودعمه، بل والتسويق له حتى يحل محل فهم السلف: (إن المتأمل للنشاط الصوفي المعاصر يجد نفسه أمام تيار جديد، صوفي المشرب، متحضر الأدوات، واسع النظرة يتعامل مع الواقع السياسي، ويتبنى العمل التربوي المنظم من افتتاح حلقات تحفيظ القرآن واللقاءات المنظمة واستخدام الدعوة الفردية إلى تهيئة رحلات ودروس خاصة للمريد مع لقاءات تتلى فيها البردة في حلقات فلكلورية يردد فيها لفظ الجلالة إلى حد الفناء والجذب. ولْيكنْ معلوماً أن التصوف بطرقه ورجالاته ومريديه وأربطته لم يعد حالة من الزهد والتعبد الفردي كما بدأ؛ بل صار مؤسسات ضخمة لها امتداد عابر للقارات، بعضها يجتهد في أن يلعب دوراً دينياً وسياسياً واجتماعياً)[(١)].

ويقول د. عبد الوهاب المسيري: (مما له دلالته أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام، يشجع الحركات الصوفية. وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية؛ فالزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضعف ولا شك صلابة مقاومة الاستعمار الغربي)[(٢)].

والتشيعُ: والذي يراه ويتابعه الجميع وأصبحت آثاره غير خافيه على أحد، والمد الإيراني

=

www.alukah.net. وانظر: التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، لاهور باكستان، إدارة ترجمان السنة.

(١) نقض العرى .. رؤية في البديل الغربي للتيار السلفي، محمد بن عبد الله المقدي، مجلة البيان، عدد ٢٢٣ ص١٥.

(٢) الإسلام والغرب، عبدالوهاب المسيري، الأحد ١٤ / ١١ / ١٤٢٥هـ - ٢٦ / ١٢ / ٢٠٠٤م، موقع شبكة الجزيرة، www.aljazeera.net.

الصفوي لتصدير الثورة الإيرانية الخُمينية، بكل وسيلة عسكرية ودينية وثقافية وإعلامية، وعملها المتواصل في نشر التشيع في بعض دول العالم الإسلامي مثل العراق وسوريا واليمن والسودان وأندونسيا وتركيا ونيجيريا وغانا، وما رافق ذلك من إنشاء عشرات القنوات الفضائية لنشر الفكر الرافضي، وفتحت الجامعات الإيرانية والحوزات الشيعية منحها وأبوابها أمام الطلاب ليتلقوا تعليمهم على مناهج الرافضة ويحملوا فكرهم ويعملوا على نشره في بلدانهم إذا رجعوا إليها، وقد تُوبعت جميع تلك المشروعات والبرامج الصفوية، وكُتبت فيها بعض الدراسات والتقارير ومنها: (جهات الإنفاق عديدة ومتنوعة لعشرات المليارات من الدولارات التي ضخت لتصدير الثورة ونشر عقيدتها في العالم الإسلامي على مدى السنوات الثلاثين التي تلت الثورة الإيرانية، أخذت فيها استراتيجية التمدد و"التبشير" والهيمنة مفاعيل مختلفة، ومرت بأطوار تناسبت في وتائرها مع المد والجزر في السياسة الإيرانية الخارجية التي ارتبطت في سني الثورة الخمينية الأولى بمرحلة من المد الثوري المتسم بالصدام مع الأنظمة والحكومات الإسلامية وتأييد حركات المعارضة الإسلامية التي ابتلع معظمها الطعم الإيراني، "وقد استخدمت إيران المؤتمرات العالمية لأئمة الجمعة وأسابيع الوحدة الإسلامية، والاحتفالات السنوية بيوم القدس ومؤسستي الشهيد والمستضعفين، ومنظمة العلماء المجاهدين، كآليات لتعبئة رجال دين وكتاب ومفكرين وقياديين إسلاميين من كافة أنحاء العالم الإسلامي، لتلقينهم عقائدياً والتأثير عليهم فكرياً، بما يتفق مع أفكار الثورة الإيرانية ومصالح الجمهورية الإسلامية. كما وظفت الثورة الإيرانية اللجنة الدائمة للحج، ومكتب الدعوة الإسلامية كمؤسستين حكوميتين لتصدير فكر الثورة الإيرانية وتوسيع تأثيرها الخارجي. وقد جاءت تصريحات لعدة مسئولين إيرانيين لتؤكد أن إيران لن تأمن من مؤامرات الدول الكبرى إلا إذا حدثت ثورات مماثلة في العالم الإسلامي ووعدت بمساعدة كل حركات التحرير والحركات الإسلامية الراديكالية في أي مكان في العالم)[1].

---

(١) انظر: التشيع في العالم الإسلامي .. القابلية والمستقبل، أمير سعيد ٣٠ / ٥ / ١٤٣٤هـ، موقع المسلم www.almoslim.net. وحقيقة الإنتشار الشيعي في العالم [دراسة حول عدد الرافضة في العالم]، من حسن قطامش. مركز التنوير للدراسات الإنسانية www.altanweer.net.

٣. إهمال أركان الإسلام والإيمان، واقتصار العبادة على مافي القلب من التصديق فقط، والتفلت من أوامر الشرع ونواهيه، وترك العمل والدعة، ميلاً مع رغبة النفوس وشهواتها.

والشواهد: في ذلك ظاهرة في بعض أفراد المسلمين بل ومجتمعاتهم، فتجد مسلمين بلا إسلام، قد عطلوا وأهملوا أركان الإسلام كالصلاة والصيام والزكاة والحج، وقد يعود بعضهم إليها في آخر عُمره وبعد أدائه لفريضة الحج، وكذلك ما يعيشه كثير من الناس من التنافس في الدنيا والحرص عليها ونسيان الآخرة وقلة العمل لها، وكثرة الشهوات والفتن، دفع إلى التعلق بالدنيا والجري خلفها.

وبعض مجتمعات المسلمين قد غلب عليهم الجهل، فبعض المسلمين فيها مسلم بالوراثة فقط، فهو لم يعرف من الإسلام إلا أن والده أو جده كان مسلماً، ولذا فهو لا يُقيم شيئاً من أركانه وشعائره. وبعضهم يرى أن مافي قلبه من الإسلام أو العاطفة للمسلمين تكفيه. ووجد مثل هذا في صفوف بعض شباب المسلمين في بعض المجتمعات المحافظة والمتعلمة، فمع غلبة الدنيا وشهواتها خَلَفَ خَلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات.

٤. زعزعة ثوابت العقيدة الصحيحة لدى شباب المسلمين وعدم حفظهم من التيارات المنحرفة وسلخ المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، وإحلال وإشاعة عقائد الكفر والزندقة في عقولهم وقلوبهم، ونسبة الناس إلى مسميات فرق ضالة يزعمون أنها من الإسلام وهي مناقضة له، والتشبه بالكفار والفساق في المظهر واللباس والزينة.

والشواهد: تظهر وتبين يوماً عن يوم، فالغزو الفكري والثقافي المتتابع والمركز على شباب المسلمين بزعزعة عقيدتهم، والدعوة لهم إلى العقائد الضالة والأفكار المنحرفة عبر الوسائل الموجهة من القنوات والشبكات والمواقع الاجتماعية وما خدمها وسهل لها من الأجهزة الذكية التي أصبحت في أيديهم جميعاً، كم هائلٌ وحجم لا قبل لهم به، مما أورث تلك الانحرافات العقدية والأخلاقية في صفوف شباب الأمة على وجه الخصوص.

٥. إلف البدعة والمنكر، والابتداع والاختراع في الدين بما يوافق أصولهم، وعدم السعي إلى التغيير أو الإنكار.

الشواهد: الجهل وضعف التمسك بالسنة لدى بعض المسلمين، كما سبق، أورثهم

بدعاً تأصلت في بعض مجتمعاتهم حتى ألفوها وشب عليها الصغير وشاب عليها الكبير، ولم تُنكر في تلك المجتمعات، بل أصبحت من المعارف، وعندها أصبح إنكارها أكثر صعوبة، ومنها بدع العقائد مثل دعاء الأموات، والاستغاثة بالأموات، والاستغاثة بالجن أو بالملائكة، كذلك البناء على القبور، واتخاذ المساجد عليها بدعة دون الكفر، وهي وسيلة للكفر، إذا بنى مسجداً على القبر. وبدعة الاحتفال بمولد النبي – صلى الله عليه وسلم –، أو الشيخ عبد القادر الجيلاني، أو السيدة نفيسة أو السيدة زينب، أو ما أشبه ذلك، كلها بدع منكرة لا تجوز وهي من وسائل الشرك، نعوذ بالله من ذلك، فبعض الناس في المولد يشرك بالله، في مولد النبي يدعو النبي، ويستغيث به هذا من الشرك الأكبر، وبعضهم في مولد علي يستغيث بعلي، وينذر له ويدعوه من دون الله، هذا شرك أكبر[1].

ومنها أيضاً بدع العبادات ومنها الذكر الجماعي بعد الصلاة وإقامة المآتم على الأموات واستئجار المقرئين، وأن ذلك ينفع الميت في قبره. والاحتفال بالمناسبات الدينية كمناسبة الإسراء والمعراج ومناسبة الهجرة النبوية. وما يفعله بعض الناس في شهر رجب من عمرة رجب أو كثرة التطوع بالصلاة أو الصيام، وهذا كله لا أصل له لأن رجب لا ميزة له عن غيره من الشهور. وتخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام ويوم النصف من شعبان بالصيام وكل ذلك من البدع التي لا أصل لها، فإنه لم يثبت عن النبي – صلى الله عليه وسلم – شيء من ذلك.

٦. ذوبان المسلمين في المجتمعات الكافرة، وعدم تميز المسلم بعقيدته، وكسر حاجز الولاء والبراء، تحت شعار التعايش والتسامح مع المبتدعة والكفار.

الشواهد: وهذا ظاهر كثير في زماننا، من خلال كثير من المهاجرين أو المسافرين أو الدارسين عبر برامج الابتعاث، الذين استوطنوا واستقروا في دول الغرب أو الشرق والمجتمعات الكافرة وطُبع بعض المسلمين وخاصة الأبناء الذين وُلدوا في تلك البلدان بطابع غربي وأصابهم ما أصابهم من أخلاق وسلوكيات الغرب وذابوا في تلك المجتمعات ولم يعد

(١) انظر: فتاوى نور على الدرب، ابن باز، باب ما جاء في ذم البدع، الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، www.alifta.net.

بعضهم يتميز بدينه وعقيدته، وكُسر لدى أكثرهم حاجز الولاء والبراء، وتعايشوا مع الكفار، مع إلغاء الفارق العقدي والشرعي والسلوكي بينهم وبين والكفار أو إضعافه.

٧. الاعتراض على دين الله، بدلاً من القبول والانقياد والتسليم لأمر الله وحكمه وشرعه، والاعتماد على أوهام العقول والظنون، التي وضعها الناس لأنفسهم وأسموها عقليات أو قواعد عقلية، وجعلوها هي الأصل في تقرير العقيدة وأصول الدين، وقدموها على نصوص الكتاب والسنة، ودلالة القرآن عندهم لفظية سمعية، والدلالة السمعية اللفظية لا تفيد اليقين، وردوا خبر الواحد فأخبار الآحاد لا تفيد العلم عندهم. والجرأة على الله ودينه، والاعتراض على شرعه واستحسان الهوى وكلام الفلاسفة. والقول على الله بغير علم، فضلوا وأضلوا.

الشواهد: المعتزلة العقلية والفلاسفة الكلامية هم أهل الاعتراض والرد وعدم التسليم لأمر الله وحكمه وشرعه، وهم مستمرون على منهجهم هذا حتى اليوم، فأصحاب المدرسة العقلية والفلسفة الغربية والذين سبق الحديث عنهم في ثنايا الرسالة هم أصحاب القواعد العقلية وقرروا أصولهم من خلالها، ولذا جعلوا دلالة القرآن ظنية وردوا خبر الواحد واجترأوا على دين الله واعترضوا على شرعه واستحسنوا الهوى وكلام الفلاسفة.

٨. الانحراف في باب العلم، والإعراض عن فهم كتاب الله كما فهم الصحابة والتابعون وأئمة الهدى. وأخذ العلم عن الأصاغر، والتلقي من أصحاب الأهواء عبر القنوات والشبكات.

الشواهد: كثرة القنوات والشبكات والمتحدثين والمفتين فيها باسم الدين والشريعة، واختلاط المشرب، وعدم الصدور عن العلماء الراسخين في العلم، وأصبح البعض من المسلمين يتلقون دينهم عمَّن لا يعرفون، وتَصَدَّرَ لذلك أقوام بعضهم من أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، ومن أصحاب فقه التيسير، وسهلت القنوات والشبكات هذه الثقافة، ووجد لبعض الأقوال والفتاوى الشاذة من يقول بها ويروج لها، ولُبس على الناس دينهم، وبعدوا عن فهم الصحابة والتابعين، فحصل فساد وانحراف في الاعتقاد والتعبد في حياة فئام من الناس.

٩. تعطيل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستمراء الذنوب والمعاصي، وهجر الاحتساب على الناس والولاة.

الشواهد: كثرة الذنوب والمعاصي وفشو بعض المنكرات وذيوعها وانتشارها، مما ضعَّف إنكارها والاحتساب على أهلها، في صفوف بعض الدعاة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، مع بعض ما يلاقونه من صدود وجفاء وترصد من قبل أصحاب الشهوات والمنكرات، مما جعل البعض يؤثر الصمت والسلامة، ويهجر المنكر وأهله ومكانه، فَقَلَّ في الناس العمل بهذه الشعيرة وهجرها بعضهم.

١٠. ترك فريضة الجهاد ودفع المعتدي على أمة الإسلام وغياب مفهوم الموالاة والمعاداة.

الشواهد: فريضة الجهاد في سبيل الله غابت في حياة كثير من المسلمين، مع أن أراضيهم وبلدانهم هي غرض وهدف لرمي الأعداء في كثير من الأحداث القائمة اليوم، وأصبحت هذه الفريضة بين مُضيعٍ لها وبين مُدعٍ منتسبٍ إليها بدون حقها.

تزامن مع ذلك حرب الأعداء المستمر لأهل الإسلام، وذروة سنام إسلامهم، لعلمهم أن الجهاد في سبيل الله هو مصدر عزة الإسلام وأهله، ووجهوا إليه التهم الباطلة بدعوى الحرب على الإرهاب، لفرض مزيد من التسلط والإذلال والقتل والنهب يزاوله أهل الكفر ومن شايعهم من ملل ونحل الضلال المبتدعة من الباطنية وغيرهم، على أهل الإسلام والسنة خصوصاً، وهذا غير خافٍ على أحد، ولا يُرفع ذلك الذل إلا بما قال – صلى الله عليه وسلم –: [إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم][1].

١١. فشو عقيدة سب الصحابة والنيل منهم – رضي الله عنهم –، لإسقاط عدالتهم، وعدم قبول ما ورد من جهتهم.

الشواهد: مع ظهور وتطاول مذهب الرفض والتشيع، ظهرت هذه العقيدة الخبيثة من سب أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والنيل منهم، وعرضت لشيء من تلك

(١) سنن أبي داود، باب فِى النَّهْىِ عَنِ الْعِينَةِ، حديث رقم (٣٤٦٤)، قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح سنن أبي داود، الألباني، ج٧ص٤٦٢.

العقيدة في ثنايا الرسالة، ساهم في ذلك ما تنقله وتبثه وسائل الإعلام من القنوات والشبكات.

١٢. التطاول والجرأة من أصحاب المذاهب المنحرفة في إظهار باطلهم وكثرتهم ومن ينتمي إليهم، ظناً منهم أن ذلك لا يؤثر على أصل الدين، وشاعت بعض صور السخرية والاستهزاء بالدين من بعض الكتاب والشعراء.

الشواهد: مع الانفتاح الإعلامي وكثرة مواقع التواصل الاجتماعي، وسرعة تناقل الأخبار والمعلومات، وكثرة الغثاء من المذاهب المنحرفة والأفكار الهدامة في القنوات والشبكات، وقلة العلم لدى الناس من عامة المسلمين، وتلقي قلوبهم وأسماعهم يومياً للشبهات الموجهة والمبثوثة من أعداء الإسلام والمتربصين به وبأهله، مما جعل لتلك البشهات والمناهج المنحرفة رواجاً وقبولاً عند بعض المسلمين وخاصة شبابهم وفتياتهم، ساهم في ذلك أذناب أولئك الأعداء من بعض الكتاب والصحفيين الذين سوقوا لتلك الأفكار المضللة عبر مواقعهم ومجلاتهم وصُحفهم السيارة اليومية وهم يبثون تلك الأفكار، وسخروا أقلامهم للسخرية بالدين وأهله والنيل منهم.

١٣. إشاعة الحقد والبغضاء والكراهية بين المسلمين، وإثارة والشحناء والعداوات بينهم وتفريق صفوفهم، وإشعال الفوضى والاضطراب والحروب الطاحنة في دولهم. وموالاة أعداء الله من اليهود والنصارى، ودلالتهم على عورات المسلمين ومساعدتهم في الاستيلاء على بلاد المسلمين، (فقد جهد الاستعمار الأوروبي ليجد أسلحة يهدم بها الإسلام ويسيطر على المسلمين).

الشواهد: مع خروج المستعمر بجسده وعتاده، من كثير من دول الإسلام، أبقوا على بعض حدود تلك الدول بين بعضها البعض، قابلة للاقتتال والاشتعال في أي لحظة مرتقبة، وما أشاعوه كذلك من الشحناء والعداوات بين المسلمين، مما ولَّد بعض الأحقاد بين المسلمين، وأصبح بعضهم يبغي على بعض أو يستهزأ بعضهم ببعض ويسخر بعضهم من بعض، وقد يوالي بعضهم الكافر على أخيه، وما ذاك إلا لغياب حق الأخوة بين المسلمين، وهذا مُشاهد بين بعض أبناء الإسلام ومجتمعاتهم ووصل بعضها إلى أقطارهم وبلدانهم.

ومن المخاطر المترتبة على تلك الآثار: ترك منهج السلف وكثرة البدع والأهواء، والانحراف عن الدين الصحيح، وإضعاف واقع المسلمين، وتقليد المسلمين لليهود والنصارى، وتسلط الأعداء عليهم.



المبحث الرابع:

الآثار السلوكية وبيان خطرها

عقيدة المسلم، هي الموجهة لسلوكه وأخلاقياته وسيرته، وأعظم أساس يقوم عليه السلوك هو العقيدة الصحيحة، ومن الآثار السلوكية عند أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين:

١. شيوع مبدأ الحرية الشخصية، والانفلات من القيم وعدم الالتزام بالدين والشرع.

٢. استحلال الحرام والتجاسر عليه قولاً وفعلاً.

٣. معايشة ومخالطة الكفار والسفر إلى بلادهم والتأثر بعاداتهم وأخلاقهم.

٤. ضعف جانب التدين الصحيح وظهور البدع والرذائل.

٥. ذوبان شخصية المسلم، وعدم تميزه عن غيره من الكفار والمبتدعة.

٦. ضعف اعتزاز المسلم بدينه، وغياب مظاهر عزة المسلمين.

٧. التعلم عبر الوسائل المختلطة وأخذ العلم عن غير أهله ومن الأصاغر.

٨. شيوع المنكرات وذيوعها، وقلة المنكرين لها، حتى أصبحت معروفاً في أوساط بعض الناس.

٩. سفور المرأة وتبرجها واختلاطها بالرجال والزج بها في كثير من الأعمال بدعوى مساواتها بالرجل، وضعف خُلق الحياء.

الشواهد: ظاهرة معلنة، في حياة بعض المسلمين، وتنتشر وتفشو في بعض مجتمعاتهم وتقل في مجتمعات أخرى، وهي كذلك على مستوى الأسر والأفراد، على حسب التدين والتربية على الإسلام والتمسك بالشريعة. فمنهم:

١. من يردد: (أنا حر) من الرجال أو النساء، متأثراً بمبدأ الحرية الشخصية[1]، وأنه ليس

(١) حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، د. عبد الرحيم السلمي، ص١٤. الأسس الفكرية لليبرالية، الأساس الأول: الحرية.

لأحد عليه سبيل، وأنه يفعل مايشاء ويلبس ما يشاء ويأكل ويشرب ما يشاء، وأن الدين والشرع لا يدخل في كل شيء من حياتنا – بزعمهم – ويكفي أن يكون في المسجد وعند العبادات فقط. فانفلت كثير منهم من القيم والآداب، وتجاسروا على فعل الحرام بأقوالهم وأفعالهم.

٢. من انبهر بالحضارة الغربية، وتأثر بعاداتهم وتقاليدهم وحياتهم – التي اهتموا بها وجعلوا فيها من الأنظمة ووسائل الرفاهية ما مكنهم منها – في مقابل ما تعيشه بعض مجتمعات المسلمين وحياتهم اليومية من تخلف وفساد – بما صنعت وكسبت أيديهم– فرغب بعضهم في العيش في بلاد الكفار وتكرار السفر إليهم للدراسة والعلاج والسياحة، ومع كثرة المخالطة ضعف جانب الحلال والحرام واعتاد بعضهم على مظاهر الحرام، ولم تصبح في دائرة المنكرات، وسُكت عنها، وتَخَلَّقَ بعضهم بها، وذابت شخصياتهم في غيرهم، وضَعُف اعتزاز المسلم بدينه وغابت مظاهر عزته، وتميزه عن عدوه.

٣. من تأثرت بالمرأة الغربية، فرأت في سفورها واختلاطها بالرجال ومزاحمتها لهم في كل ميدان من العلم والعمل(١)، صورة جديرة بالتقليد والمحاكاة والتبعية، فوُجد من نساء المسلمين من خلعت حجابها وقلَّ حياءها، فتبرجت وزاحمت الرجال، بل وزُج بها في كل ميدان بدعوى مساواتها مع الرجل.

ومن المخاطر المترتبة على تلك الآثار السلوكية، تحريف الدين، وترك سنة سيد المرسلين – صلى الله عليه وسلم –، وانحراف التدين، والانفلات من القيم، وتقليد الكفار والأخذ عن المبتدعة، وغياب المنهج الصحيح لطلب العلم، وفساد المرأة المسلمة وما نتج عنه من فساد في مجتمعات المسلمين.

---

(١) انظر: حركة التغريب في السعودية (تغريب المرأة أنموذجاً)، عبد العزيز بن أحمد البداح، رسالة علمية دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية الدعوة، ١٤٣١هـ. وقضايا المرأة في المؤتمرات الدولية دراسة نقدية في ضوء الإسلام، لفؤاد بن عبدالكريم العبدالكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نشر: مركز باحثات، الرياض، ١٤٣٠هـ.

المبحث الخامس:

الآثار الاجتماعية وبيان خطرها

ومن الآثار الاجتماعية عند أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين:

١. انحراف بعض أفراد المجتمع، وانحسار التدين، وظهور بعض صور الفساد والرذيلة.
٢. ضعف جانب التواصي بالحق والتواصي بالصبر، ودور الممانعة المجتمعية في حفظ أخلاق المجتمع وآدابه وقيمه.
٣. التغريب لجوانب من حياة الناس، والتطبيع المتعمد لبعض العادات والقيم الاجتماعية.
٤. الانفتاح على المجتمعات الغربية عبر القنوات، ووسائل التواصل الاجتماعي، وبرامج الابتعاث في التعليم.
٥. إفساد المرأة المسلمة والزج بها في كل حدث بحجة المطالبة بحقوقها.
٦. ضعف دور الأسرة في حفظ الأبناء وتربيتهم وتحقيق الأمن الاجتماعي.
٧. ظهور بعض الأخلاق والعادات السيئة لدى الشباب والفتيات لضعف تربيتهم.
٨. ضعف وغياب دور بعض قنوات التوجيه الاجتماعي في أداء دورها المناط بها.
٩. ظهور وتنامي بعض أفراد وجوانب الإفساد في المجتمع عبر وسائل الإعلام وغيرها مع ولائهم للفكر الغربي، واستقوائهم بالأجنبي.

الشواهد:

١. ظهور بعض صور الانحراف والفساد والرذيلة في بعض مجتمعات المسلمين، لم تكن موجودة من قبل، في مقابل ما كانت عليه من التدين والمحافظة، وضعف جانب التدين الصحيح في حياتهم.
٢. تقليد الناس لبعضهم في جوانب الشر لظهورها وكثرتها، في مقابل قلة جوانب الخير وصور الفضيلة، مع ضعف التواصي بالحق والتواصي بالصبر.
٣. تنامي وسائل التواصل في حياة الناس، وما يعرف بالقرية الكونية الواحدة وتأثر المغلوب بالغالب، سهل لعوامل التغريب أن تغزوا مجتمعات المسلمين وأن تتسور عليهم بيوتهم دون رقيب، وأن تمرر ثقافتهم لحياة شباب المسلمين وفتياتهم خصوصاً.

٤. المرأة ومشاركتها في كثير من الأعمال التجارية والصناعية، والتي دفُعت إليها دفعاً، في مقابل عملها ورسالتها الرئيسة وهي الأمومة، مما أحدث فساداً لها، وترك فراغاً لا يُسد في دورها كأم في تربية الأبناء والعناية بهم[1]، مما كان سبباً في فساد أخلاق بعض الشباب والفتيات.

٥. انتشار المعلومة وسهولة الوصول إليها، واستقبال الناس للكم الهائل من المعلومات كوَّن نوعاً من الغثائية، في الوصول إلى المعلومة الصحيحة والموقف السليم، للشباب مم جعلهم في حيرة[2]، وأضعف دور قنوات ووسائل التوجيه كالمدرسة والجامعة وغيرها، إذا قارنا كذلك قنوات وشبكات التوجيه والإصلاح الاجتماعي بغيرها من قنوات الشر والفساد.

ومن المخاطر المترتبة على تلك الآثار الاجتماعية، تفكك المجتمع وغياب دوره كحارس على الأخلاق والقيم، وغياب دور الأسرة والمرأة المسلمة في تربية الأجيال وصناعة الأبطال وتغريب المجتمع بإحلال قيم الغرب فيه، وفساد بعض مجتمعات المسلمين.



(١) انظر: الآثار الأسرية والاجتماعية المترتبة على العمل (خارج المنزل) للمرأة المتعلمة المتزوجة ولها أولاد، إعداد: بدرية بنت محمد العتيبي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – كلية العلوم الاجتماعية، ١٤١٤هـ.

(٢) انظر: القنوات الفضائية وتأثيرها على منظومة القيم الاجتماعية لدى طلاب الثانوية العامة بمدينة الرياض، إعداد: إبراهيم حمد المبرز، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

الفصل السابع

وسائل وأساليب تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: وسائل تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته
- المبحث الثاني: أساليب تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته
- المبحث الثالث: نقد كتابات المؤيدين للتدين الجديد ودعاته

ولعلاج صور الانحراف في مفهوم التدين، لابد من ذكر الوسائل والأساليب المفيدة والناجعة بإذن الله في تقويم وعلاج هذا الانحراف، والتي ستكون من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول:

وسائل تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته

يوجد عدد من الوسائل التي يمكن أن تُسهم في تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته ودراسة أسبابه ومصادره، ومنها:

أولاً: نشر العلم الشرعي، وإحياء الدروس العلمية، وترتيبها والإعداد لها من المختصين وتقديمها لطلبة العلم، ليحذروا من صور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، ويُبينوها للناس. وتقريب العلم من عامة الناس عبر الوسائل المتاحة، فمتى عرف الناس الحق فرقوا بينه وبين الباطل.

ثانياً: إنشاء المراكز البحثية المتخصصة، لتُعنى بدراسة وتتبع الأفكار ورصد الظواهر المنحرفة والدخيلة على الفكر الإسلامي والرد عليها.

ثالثاً: تبني الدراسات والبحوث العلمية وتوجيه طلبة الدراسات العليا بالجامعات وعمادات البحث العلمي، واللجان العلمية على مستوى الكليات، لدراسة وبحث ظواهر الانحراف في مفهوم التدين وتقويمها.

رابعاً: التوسع في تدريس مادة المذاهب الفكرية المعاصرة في جامعاتنا وأهمية التحديث المستمر لها، بإضافة كل ما هو جديد من الأفكار والظواهر المحْدَثة.

خامساً: عقد المؤتمرات والندوات العلمية، والدعوة إليها من خلال محاور تُناقش الأفكار المنحرفة وتضع لها وسائل العلاج المناسبة.

سادساً: إقامة المحاضرات والحلقات العلمية في المساجد والجامعات والقنوات وغرف البالتوك لنشر الحق والتدين الصحيح وبيانه للناس.

سابعاً: تأليف الكتب وكتابة المقالات العلمية والفكرية، لبيان مستجدات العصر

ونوازله ومواجهة الفكر المنحرف ودعاته وتفنيد شُبهم والرد عليها وبيان أخطائهم.

ثامناً: إنشاء وفتح القنوات الفضائية والشـــبكات المعلوماتيـــة والمواقـــع والمـــدونات والمنتديات والغرف الإلكترونية واستغلالها في بيان الحق ورد الباطل بالدليل .



المبحث الثاني:

أساليب تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته

يوجد عدد من الأساليب التي يمكن أن تُسهم في تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته وتبين لهم الحق، ومنها:

أولاً: حب الخير للمسلمين الذين وقعوا في إحدى صور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين والإحسان إليهم، وهذا الشعور يفتح مغاليق القلوب، ويُعطي أرضية لسماع الحق وقبوله.

ثانياً: بيان الحق والمنهج الصحيح في التدين في جانب المعتقد والتعامل مع الناس من واقع حياته وسيرته- صلى الله عليه وسلم -.

ثالثاً: الترغيب في سلوك سبيل المؤمنين ومنهج سيد المرسلين- صلى الله عليه وسلم - في التدين وما رتب الله عليه من مجاورته جل جلاله في دار الكرامة والنعيم.

رابعاً: الترهيب من مشاقة الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم -بالانحراف عن مفهوم التدين الصحيح، وما رتب الله عليه من الوعيد وبلوغ دار النكال والجحيم.

خامساً: ضرب المثل من أقوال وأحوال الموافقين المتبعين للتدين الصحيح وحسن مآلهم في الدنيا والآخرة، وما يقابلها من أقوال وأحوال المخالفين المبتدعين والمنحرفين في مفهوم التدين، وسوء منقلبهم في الدنيا والآخرة.

سادساً: تفنيد شبهات أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين والرد عليها من خلال الدليل والبيان والتحليل.

سابعاً: الحوارات الهادئة المتجردة مع أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وإقامة الحجج الشرعية والعقلية وبيانها لهم.

ثامناً: استصدار الفتاوى بسؤال أهل العلم عن صور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ونشرها بين الناس بياناً للحق.



المبحث الثالث:
نقد كتابات المؤيدين للتدين الجديد ودعاته

إن المتتبع لصور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وما عُرف أيضاً بالتدين الجديد، يجد بعض الكتابات المؤيدة لهذه التوجهات والمرحبة بها، وذلك إما لجهلهم بالحق وما كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم –، وعدم علمهم بمقاصد الشرع المطهر، وإما اتباعاً للهوى واستسلاماً للشبهات وجرياً وراء الشهوات والملذات، وإما هزيمة نفسية يشعرون بها فينقادون خلف الغالب ويُقلدون الغرب الكافر، فتجدهم يتبعون كل ناعق ولو خالف الوحي الإلهي والهدي النبوي، ويمجدونه ويُثنون عليه، بل ويرون أنه النموذج الأرقى الذي لابد من اتباعه ومحاكاته والصدور عن ثقافته والإفادة من حضارته، وهنا سأقف مع نموذجين من الكتابات المؤيدة لصور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وذلك في جانبيه:

أولاً: نموذج لكتابات وكتاب مؤيدين للانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه المعتزلي الليبرالي:

من الكتابات والأطروحات المؤيدة للانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه المعتزلي الليبرالي:

١. كتاب إسلام المجددين لمحمد حمزة من إصدارات دار الطليعة ببيروت، ضمن سلسلة دراسات (الإسلام واحداً ومتعدداً) تحت إشراف د. عبد المجيد الشرفي[1]، والذي

(١) ولد في مدينة تونس، وتعلم بها، حصل على دكتوراه الدراسات الإسلامية. وظائفه: أستاذ الحضارة العربية الإسلامية بجامعة تونس، عضو رابطة العقلانيين العرب، عضو اتحاد الكتاب التونسيين، مشرف على سلسلة معالم الحداثة.

أهم أعماله: ((الفكر الإسلامي في المد على النصارى))، ((تحديث الفكر الإسلامي))، ((الإسلام بين الرسالة والتاريخ))، ((الإسلام والحداثة)). هو أحد أبرز الباحثين والمفكرين التونسيين المعاصرين، ومن أعمدة التدريس في الجامعة التونسية، وكان من أوائل الذين كتبوا حول الإسلام والحداثة في المجال العربي، وقد أشرف على عدد كبير من الرسائل الجامعية، سواء في مستوى الكفاءة في البحث، أو =

لخص في خاتمته ما وصل إليه عن إسلام المجددين قائلاً:

- خطاب التجديد ثورة فكرية حقيقية.
- عدولاً عن العديد من الحلول التي ارتضاها القدماء.
- نقيضاً صارخاً لكل ما انطوى عليه الفكر الإسلامي المحافظ من تقليد.
- أكد على أن المعرفة الدينية شأنها في ذلك شأن بقية المعارف.
- الرفض القاطع لسلطة رجال الدين، وادعائهم امتلاك الحلول المناسبة لمعضلات الواقع الراهن باسم الله.
- للمسلم المعاصر أن يحيا تدينه على النحو الذي يرتضيه.
- المواقف الجديدة على قلتها تعمل على تجاوز النظرة التقديسية للتراث.
- إعادة النظر إلى المسلمات التي رُسخت في الضمير الديني..
- إنها نقيض صارم للكتابات السلفية التمجيدية التي تروجها اليوم الهيئات والمؤسسات التعليمية المحافظة والتي تهمش كل حس نقدي في تناول التراث وتظهره للقارئ المسلم نتاجاً فكرياً هداماً وهرطقات لا صلة لها بالعقيدة الدينية الصحيحة..
- إسلام المجددين يبدو واعداً ومتنوعاً يعمل على تقديم أجوبة لأسئلة تطرح نفسها بحدة على الضمير الديني الحديث.
- يشكل مصالحة مع الذات ومع الوعي التاريخي الحديث.
- يبدو واثقاً من الأرضية التي يقف عليها.

= الماجستير، أو دكتوراه المرحلة الثالثة، أو دكتوراه الدولة؛ مما جعله رأس مدرسة خاصة في دراسة الفكر الإسلامي لا مثيل لها تقريباً في الوطن العربي. وإضافة إلى ذلك، أشرف الأستاذ الشرفي على سلسلة كتب " الإسلام واحداً ومتعدداً " التي ألفها أساتذة تونسيون (انظر: دار الفكر www.fikr.co مؤمنون بلا حدود مؤسسة دراسات وأبحاث. www.mominoun.com).

- يتحمل مسؤولية الأخطار الإبستمولوجية والاجتماعية التي يمكن أن تنتج عن خطابه[1].

وذلك الباطل والزيف كله بناه من خلال تمهيد وفصول كتابه الثلاثة.

٢. كتاب إسلام الفلاسفة، لمنجي لَسوَد، من إصدار دار الطليعة. والذي لخص في خاتمته إسلام الفلاسفة قائلاً:

- إسلام الفلاسفة تتجاذبه ثقافتان: (الثقافة الإسلامية وثقافة فلسفية).
- إسلام الفلاسفة ليس إسلام غيرهم من المسلمين، فهم لم يخرجوا عن منطق الصراعات السائدة في المجتمع الإسلامي.
- إسلام الفلاسفة أصحابه يرون تفوقهم المعرفي ويدعون إمتلاكهم للحقيقة كغيرهم. وذلك لطبيعة خطابهم الفلسفي واعتمادهم على العقل.
- إسلام الفلاسفة أصحابه، يرون أن الفقهاء ورجال الحديث هم الأعداء الأوائل لهم.
- إسلام الفلاسفة أصحابه، ينظرون باحتقار إلى كل من يُخالفهم في المنهج والأفكار.
- إسلام الفلاسفة أصحابه، يكفرون الخصم وينزعون صفة الإيمان عنه، بمرر حديث الفرقة الناجية[2].

النقد: ما عُرض في هذين الكتابين:

- مناقضة صريحة لما نص عليه كلام الله:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]. وقوله جل وعلا: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١) انظر: إسلام المجددين، محمد حمزة، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م، الطبعة: الأولى، ص١٥٤ وما بعدها.

(٢) انظر: إسلام الفلاسفة، مُنجي لَسوَد، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠١١م، الطبعة: الثانية، ص١١٧.

- وكلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم:

قال – صلى الله عليه وآله وسلم –: [إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة. كلها في النار إلا واحدة. وهي الجماعة][1]. ثم بينها – صلى الله عليه وآله وسلم – بوصف دقيق بيِّن، قال فيه: [وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي][2].

فالنجاة من النار تكون لمن كان على ما كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – وأصحابه – رضي الله عنهم – في الاعتقاد والقول والفعل، اهتداءً وتمسكاً بما كانوا عليه.

- أكثر اعتماد الكاتبين: كانت على كتابات الفلاسفة العقلانيين من أمثال محمد أركون ومحمد الجابري وحسن حنفي ونصر حامد أبو زيد، ومحمد شحرور وعبد المجيد الشرفي وعبده الفيلالي الأنصاري[3] ورشيد بن زين[4] .. وغيرهم.
- كتاباتهم تكررت في هذين الكتابين، حول: موضوعات وشبهات كما هي في ثنايا الرسالة، وأبدأ بما دونه:

أولاً: محمد حمزة في إسلام المجددين من خلال فصوله ما يلي:

---

(١) سنن ابن ماجه، ٣٦كتاب الفتن، ١٧ باب افتراق الأمم، حديث رقم (٣٩٩٣) ج٢ص١٣٢٢. قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ج١ص٣٨١.

(٢) سنن الترمذي، كتاب ٤١ الإيمان عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، باب ١٨ ما جاء في افتراق الأمة، حديث رقم (٢٦٤١)، ج٥ ص٢٦، قال الألباني (حسن) انظر: صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، الطبعة: الأولى، ج٦ص١٤١.

(٣) مغربي، من أصحاب الفكر التقدمي، صاحب كتاب: إصلاح الإسلام. (انظر حوار مع الدكتور عبده الفيلالي الأنصاري، موقع محمد أسليم www .aslimnet.free).

(٤) مغربي، من أصحاب الفكر التقدمي، صاحب كتاب: مفكرو الإسلام.

- الموقف من النص: وبنوه على ثلاثة مرتكزات:

١. مراجعة مفهوم النص الإسلامي وعدم التقيد بالحدود اللاهوتية التي سيّج القدامى النص داخلها.

٢. توسيع حدود النص ليشمل إلى جانب النص الرسمي النصوص الهامشية التي أقصاها الإسلام الرسمي.

٣. النظر في المستوى التأويلي، أي علاقة النص الديني بقرائه.

- الموقف من المعنى: إن تنزيل فهم معنى النص القرآني في التاريخ يفرض الإقرار بأمرين:

١. النص القرآني هو النص المولد للتعدد في تاريخ الأمة الإسلامية بامتياز.

٢. ألاَّ تظل التفسيرات التي أجريت على هذا النص مقبولة إلى الأبد، مع إمكان وضرورة الوصول إلى تفسيرات جديدة.

- الحق: لا وجود لنص يقول حقيقة مطلقة، بل لكل نص حقيقته، التي تفرضها إحداثيات الزمان والمكان.

• في منهجية القراءة: وانتخب نموذجين للقراءة الجديدة[١]:

١. عبد المجيد الشرفي والمنهج التاريخي والمقارني، والذي من خصائصه:

- بلورة قراءة حديثة تعوِّض عن القراءة التي سادت طويلاً.

- الاستفادة من الدرس المقارني، والمفاضلة بين التأويلات التي تم القضاء عليها بقوة السيف والسلطان لا بقوة الحجة والبيان.

- كل قراءة هي في الواقع ثمرة عملية جدلية بين النص وقرائه من جهة والبنى الاجتماعية والنفسانية للقراء من جهة ثانية في الأديان جميعها.

- إبراز بعض العناصر القارة في قراءة النصوص المقدسة.

---

(١) انظر: إسلام المجددين، محمد حمزة، ص٦٢ وما بعدها.

٢. محمد أركون ومشروع الإسلاميات التطبيقية. والذي سعى فيه إلى:

- وضع التجربة التيولوجية في الإسلام على محك النقد التاريخي الصارم.
- إعادة النظر في التركيبات التيولوجية في الإسلام بكل أنواعها من تفسير وحديث وفقه باعتبارها نتاجاً بشرياً.
- يدعو إلى التخلي عن العقل الدوغمائي والاستعاضة عنه بالعقل المنبثق حديثاً.
- تشكيل ابستيمولوجيا تاريخية تستوعب كل منتجات العقل الديني والفلسفي والعلمي.

٣. نقد العلوم الدينية: علم الحديث أنموذجاً. وأورد تحت هذا العنوان قوله:

ونحن نعتقد جازمين أن النقد الذي مورس في شأن الحديث النبوي ورواته ومناهجه وطرق تبليغه قد قلب رأساً على عقب كل المسلمات المتصلة بالنص الإسلامي التي كانت قد استقامت بناءً متماسكاً قبل أن تعصف به رياح الحداثة الفكرية[1].

النقد: أن جميع ما سبق من حديثهم عن النص وحقيقته وتاريخه وقراءته، تضمن ما يلي:

أ- التشكيك في الوحي وانكاره وعدم الانقياد له.

ب- الطعن في النصوص ونقدها، ونفي قداستها.

ج- يرون الحق نسبي في نصوص الكتاب والسنة، ولا حقيقة ثابتة لها.

وهذا ظلال مبين: فنصوص الكتاب والسنة النبوية الصحيحة هي وحي من عند الله، قال الله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣- ٤].

وكلام الله واجب الإيمان به واعتقاد ثبوته والانقياد لأحكامه، مقدسٌ عن الشك به أو تحريفه وتبديله وجعله عُرضة للنقد.

(١) انظر: إسلام المجددين، محمد حمزة، ص٩٦ وما بعدها.

وشريعة العليم الحكيم الخبير في آيات الكتاب أو الأحاديث الصحاح، صالحة ومصلحة لكل زمان ومكان، قادرة على استيعاب كل المستجدات، مع ثبات مبادئها وحفظ أصولها وقواعدها الكلية، التي قام عليها الدين الحق القيم: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[الروم: ٣٠]، ثم إن العليم الخبير هو صاحب الخلق والأمر: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فكما أن الخلق خلقه فالأمر أمره سبحانه، فهو صاحب الكمال والعلم المطلق، الأعلم بخلقه وبما يُصلحهم ويصلُح لهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

فلا سعادة ولا فلاح ولا هداية ولا استقامة إلا بالتمسك والعمل بشريعة صاحب الشريعة: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٤]. والاعتصام بالكتاب والسنة للسلامة من كل فتنة مُضلة، فقد قال - صلى الله عليه وسلم -: [إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه][1].

- الموقف من القيم الحديثة: ويتضح من خلال ما يلي:

١. الحرية: ويعتبرها: مكسباً إنسانياً كونياً لا غنى للمسلم في العصر الحديث عنها وخصوصاً حريتا التفكير والمعتقد أُسين مركزيين لمن يروم التحديث الفعلي.

ويسعى الخطاب الجديد إلى فضح دوغمائية وانغلاق الخطاب الفقهي وممارساته التسلطية على ضمائر الناس طوال حقب.

٢. المساواة بين الجنسين: فجوهرية في فكر الحداثة صارت بمقتضاها المرأة في العصر الحديث تعمل وتحكم وتنتخب، بعد ماكانت وظيفتها تقتصر على الإنجاب والاهتمام ببيتها، وصارت تتساوى مع الرجل في الحقوق المدنية وفي الواجبات.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب العلم، حديث رقم (٣١٨) ج١ص١٧١. وقال الألباني (صحيح)، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، حديث رقم (٤٠) ج١ص١٠.

٣. من التشريعات الفقهية إلى حقوق الإنسان: واستخلص أهم نتيجتين لخطاب التجديد بعد قراءته للفقه الإسلامي:

- أنَّ عدداً كبيراً من قواعد الفقه منافية لحقوق الإنسان ومعادية لمبادئ الحرية الفردية والمساواة بين جميع البشر.
- قواعد الفقه ليست في حقيقتها ذات طبيعة دينية، وإنما هي قواعد من وضع البشر في سياق تاريخي معين ويمكن للبشر إصلاحها أو تطويرها[1].

النقد:

- والحرية المزعومة التي ينشدون هي خروج عن الدين الحق وحدود الشريعة المبينة، وأساس تلك الحريات تبدأ بحرية التفكير والمعتقد، والتي تقتضي منافاة لا إله إلا الله التي قام عليها هذا الدين، والتي من أهم شروطها[2]، الانقياد والقبول واليقين، ومعناه قام على: الاستسلام للّه المتضمن غاية الانقياد، في غاية الذل والخضوع: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]. وذلك الطريق هو الذي سيجعله مستمسكاً بالعروة الوثقى التي من تمسك بها، فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه، قال الله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

والعروة الوثقى: هي الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، التي لا يتم اعتبار المسلم مسلماً إلا بنطقها ملتزماً بمعناها، وعاملاً بمقتضاها، وبتحقيق ركنيها: النفي "لا إله" وتعني البراءة من الشرك وأهله، والإثبات "إلا الله" وتعني إفراد الله بالعبادة. وقد ناقضت الفلسفة الإيمان[3] من خلال زعمها تطبيق أعلى قيمها على الإنسان، بإعطائه حريته المطلقة

---

(١) انظر: إسلام المجددين، محمد حمزة، ص١٤٢ وما بعدها.

(٢) انظر: ص ١٢٨.

(٣) انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، الفصل الثاني: الحكم الشرعي في الليبرالية، د. عبد الرحيم بن صمايل السلمي، جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٢٩هـ - =

وتحلله من قيود الدين والأخلاق والقيم. في مقابل ما يصفونه من انغلاق ودوغمائية الخطاب الإسلامي، وتسلطه على ضمائر الناس.

- ودعوى المساواة بين الجنسين، والزج بالمرأة في كل مكان، والمطالبة بمساواتها بالرجل في كافة الحقوق والواجبات، هو في الحقيقة ظلمٌ لها وهضم لحقوقها، وإنما جاءت هذه المطالبة بالمساواة في الغرب وغير من المجتمعات غي المسلمة، نظراً لما تعانيه المرأة من اضطهاد، وتمييز في المعاملة، وسلب للحقوق، ولهذا عملت تلك المجتمعات والدول والمنظمات في داخلها على سن القوانين والأنظمة، التي نصت على المساواة التامة بين الجنسين في جميع ميادين الحياة ومجالاتها من حيث الحقوق والواجبات والمسؤوليات، ولم تراع طبيعة خلق المرأة وفطرتها وأنوثتها، والتي حفظها الإسلام وصانها ومنحها حقوقها، فقد قال العليم الحكيم: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦]. وأن المرأة ليست كالرجل في خلقتها وقوتها وجلدها وما يطرأ عليها وما يناسب ذلك من المهام والأعمال اليومية لكي تحقق التكامل مع الرجل في عمارة هذه الأرض، وفي المقابل منحها الحقوق كاملة مثل الرجل، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٢٨].
- وقولهم أن القواعد الفقهية، منافية لحقوق الإنسان وأنها من وضع البشر، فمردود عليهم، وهم يقصدون هنا الحدود الشرعية، وأنها لا تتوافق وطبيعة العصر، وأن فيها من الوحشية وهدر الحقوق ما هو ظاهر مثل رجم الزاني وقتل القاتل وقطع يد السارق. وهي الرحمة كلها والحياة لكل ذي لب يعي ويدرك حكمة الله في سنها وكتابتها: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩].

والحدود والقصاص في الإسلام، لا تقام إلا على من انطبقت عليه الشروط التي لا تتوافر إلا في حالات معدودة، وبها يحافظ المجتمع المسلم على سلامته وأمنه وحفظ كرامة كل فرد ينتمي إليه، وفيها من تقويم السلوك الإنساني، وحماية المجتمع من الجرائم وعبث

=

٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى، ص٥٧٠.

العابثين والمفسدين ما هو ظاهر.

ثم إن هذه الحدود هي من عند الله، وقد قال الله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩]. ومن فصله الله لنا وبينه في قوله: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢]. وقوله سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة: ٣٨]. فهي ليست من وضع البشر، ومن ادعى إصلاحها وتطويرها فقد حكم بغير ما أنزل الله.

ثانياً: مُنجي لَسوَد في إسلام الفلاسفة[١] من خلال فصوله كما يلي:

- الفصل الأول: تضمن الحديث عن: مكانة الفلسفة والفلاسفة عند المسلمين:

١. الفلاسفة في كتب التراجم. وترجم لعدد من الفلاسفة منهم: الفارابي وابن سينا والغزالي وغيره من كتب: سير أعلام النبلاء للذهبي ولسان الميزان لابن حجر – رحمهم الله – ثم بعد ذلك قال: ((يستطيع المرء أن يكتشف من خلال هذه الأمثلة حجم العداء الذي يُكنه أهل الحديث وكذلك الفقهاء للفلسفة وللفلاسفة، ثم نقل كلاماً للسيوطى – رحمه الله –: صرح فيه بالحط من مكانتهم وعدم قبول رواياتهم عند عدد من المحدِثين والعلماء وأن المذاهب الأربعة اتفقت على فساد الفلاسفة وفلسفتهم التي مُلئت بالأباطيل والضلالات))

ثم ذكر بعض من أثنى على الفلاسفة وفلسفتهم، وقال بعد ذلك: وكان أهم أعداء الفلاسفة الفقهاء وأهل الحديث .. وقد كان لفهمهم الخاص للإسلام أثر في تأجيج هذه العداوة واستنفار العامة ضدهم.

٢. الفلاسفة والعامة: وأن أصحاب الثقافة التقليدية النقلية من الفقهاء وأصحاب الحديث هم الأعداء الأساسيين للفلاسفة، وأنهم انتصروا على الفلاسفة وهزموهم بفضل إقحامهم للعامة في هذا الصراع لترجيح الكفة لصالحهم.

---

(١) إسلام الفلاسفة، مُنجي لَسوَد، ص١٥.

٣. مكانة الفلسفة والدين في تصنيف العلوم: وأن الفلاسفة في تقسيمهم للعلوم قدموا علم اللسان والمنطق والعلوم الرياضية والفلسفية وأنهم جعلوا علوم الشريعة ثانوية، وعرض بعد ذلك لمن فضل وقدم علوم الشريعة وبين بطلان وفساد علوم الفلسفة، ومن عقد فصلاً في بيان العلوم المحمودة والعلوم المذمومة، وختم حديثه متسائلاً: كيف فهم الفلاسفة الإسلام في ظل تشبُعهم بمبادئ المعرفة الفلسفية التي يعتبرها غيرهم منابذة للشرائع[١]؟

النقد: أهل الحديث والفقهاء، هم المتمسكون بكلام الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – وطريقتهم لا تلتقي مع طريقة الفلاسفة أبداً، وهم ناصحون لعامة المسلمين كما ينصحون لأئمتهم، ولذا فهم يُحذرون العامة من الفلاسفة وطريقتهم ومنهجهم أخذاً بوصية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وقوله: [.. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة][٢].

ويرون بناءً على ذلك أن الفلسفة من العلوم المذمومة التي لا يتعلمونها ولا يُعلمونها، إلا بقدرٍ تدعوا إليه الحاجة، ولمن استجمع الشروط، ذباً عن دين الله وتفنيداً لشبه الفلاسفة ونقضاً لأباطيلهم، وهم الذين يدَّعون المعرفة الحقة والفهم الصحيح للإسلام.

● الفصل الثاني: تضمن الحديث عن: تصور الفلاسفة للوحي والنبوة والقرآن:

١. مفهوم الوحي: حديث الفلاسفة عن الوحي يندرج ضمن حديثهم عن المنزع الإيماني الذي اتصفوا به، وهو يوازي المنزع العقلي في تقبل الأشياء ومحاولة فهمها. واندرج أيضاً في إطار الحديث عن: المعرفة ومسالكها و:نظرية المعرفة عند الفلاسفة، والمقارنة بين العلم الإلهي والعلم البشري.

---

(١) إسلام الفلاسفة، مُنجي لَسوَد، ص٤٦.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، (٦) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢)، ج١ ص١٥، قال الألباني (صحيح) انظر: إرواء الغليل، الألباني، ج٨ ص١٥٠.

وأن العلم الإنساني: مهم في معرفة الحق، والوصول إلى الحق يكون بالتعمق في دراسة العلوم العقلية وأهمها المنطق والرياضيات، وثمار العلم تتأتى بعد الجهد والحيلة والتروض في طلبه. وتحصيل المعرفة عندهم تتم بطريقين: طريق الوحي وطريق العقل، والطريقان يلتقيان عندهم في نقطة واحدة في نهاية المطاف، فالإنسان سواء كان فيلسوفاً أم نبياً، فلا بد له أن يتصل بما يسمونه بالعقل الفعال. والفيلسوف يمكن أن يتدرج في سلم المعرفة - بزعمهم - حتى يصل للعقل المستفاد، ويُوحى إليه حينئذٍ. ووصول الفيلسوف إلى ما يسمونه بالفيض، والتي تقابلها المخيلة القوية عند النبي. ومنهم من يرى أن النبوة التي يحصل بها الوحي لا تتم إلا بثلاثة شروط[1]:

- قوة قدسية: تسمح له بالاتصال بالعقل الفعال من غير فكر ولا نظر.
- مخيلة قوية: تعينه على تخيل الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة.
- نفس محركة: ليصبح قادراً على الإهلاك وقلب الحقائق والإتيان بالمعجزات.

٢. منزلة النبي: عندهم كل نبي فيلسوف، وفي ظل غياب السلطة الدينية فلليلسوف الأحقية بريادة مجتمعه. ولتصور مقارنة مكانة النبي بالفيلسوف قالوا:

- النبي أرفع من الفيلسوف.
- الفيلسوف أرفع من النبي.

ثم ساق تحتها أقوال بعض الفلاسفة، وقال: ومن هذه الزاوية تبدأ كفة الفيلسوف في الرجحان، لأن النبي شخص ليس له مما يتكرر وجوده، وشريعته تجيئ مرة واحدة، بينما الفيلسوف وجوده متواصل بتواصل الاجتماع البشري.

٣. تفسير الفلاسفة للقرآن: وفيه أهمية تفسير الفلاسفة للقرآن وكيفية فهمهم للنص القرآني، واختلافهم في هذا الفهم عن بقية المسلمين.

٤. ظاهرة التوفيق بين الفلسفة والدين: ويبنون ذلك على حسب تصورهم في التوفيق بين الفلسفة والوحي، والفلسفة علم الفلاسفة والوحي علم الأنبياء. وبعضهم اعتبر أن الدين لا يختلف عن الفلسفة. ومنهم من اعتبر أن كلاً منهما يكمل الآخر. ومنهم

---

(١) إسلام الفلاسفة، مُنجي لَسوَد، ص٥٨.

من اعتبر أنه لا حجة ولايقين أحكم من اجتماع عقول كثيرة (فلا شيء أصح مما اعتقدته، وشهدت به، واتفقت عليه) والعقل الواحد ربما يُخطئ في الشيء الواحد. وهذا دفعهم إلى:

- الدعوة إلى حتمية الاعتراف بما لدى الحضارات الأخرى من معرفة.
- ضرورة أن تكون العلوم الفلسفية هي الأولى بالاهتمام.
- تأويل النص الديني من قبل الفلاسفة المسلمين وتطويعه ليتلاءم مع العلوم(1).

النقد:

أولاً: مفهومهم عن الوحي: وأنه منزع إيماني يوازي منزع العقل، وأنه يمكن الحصول عليه بالرياضة والتدرج في سلوك سبيل المعرفة، والتي يُتحصل عليها بطريقين: طريق الوحي وطريق العقل. وهذا مخالف لقول الله: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾ [الحج: ٧٥].

فهي اصطفاءٌ واختيار من عند الله: ﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨].

فهو سبحانه وحده يختار عن علم وحكمة، البقاع ويفضل بعضها على بعض، والناس كذلك ن ويختار منهم من يحمل النبوة ويكون جديراً بنزول الوحي والرسالة عليه قال الله: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴾ [الشورى: ٥١].

وكذلك ما اشترطه بعضهم لتحصيل الوحي من القوة القدسية والمخيلة القوية والنفس المحركة، وأنه للعبد أن يسعى في تحصيل ذلك والوصول إليه، وأن ذلك لا علاقة له باصطفاء الله واختياره وذلك من الباطل الذي لا يقوله عاقل، وهو يصادم ظاهر القرآن كما سبق بيانه.

ثانياً: منزلة النبي: وأنهم يرون أن الفيلسوف أرفع من النبي، وذلك هو الضلال بعينه،

---

(١) إسلام الفلاسفة، مُنجي لَسوَد، ص٨٢.

نبي مرسل يوحى إليه، وممن أنعم الله عليهم، يرى هؤلاء المنحرفون أن الفلاسفة المناطقة أرفع منهم، والله يقول في حق أنبيائه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩]، فهم في أول المنعم عليهم وسابقين لغيرهم ممن دونهم من الصديقين والشهداء والصالحين، وقال في حق الرسل – عليهم صلوات الله وسلامه –: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال بشأن نبيه – صلى الله عليه وسلم –: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال أيضاً: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح: ٤]. فقد أعلى الله ذكر نبيه، وشرفه بأن جعل له الذكر الحسن والمكان الرفيع العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، فما يذكر الله إلا وذكر معه نبيه – صلى الله عليه وسلم – في الشهادتين عند دخول الإسلام وفي كل أذان وإقامة وصلاة وغيرها. فأين الفلاسفة؟! هم في أحط المنازل حتى أنهم لا تقبل روايتهم، واتفقت المذاهب على فسادهم وفساد طريقتهم.

ثالثاً: تفسير الفلاسفة للقرآن: ويكفيهم مخالفتهم لما عليه أهل الإسلام من تفسير كلام الله وبيان معناه[1].

رابعاً: ظاهرة التوفيق بين الفلسفة والدين: وبينهما بعد المشرقين، فالدين مصدره الوحي، بينما الفلسفة مصدرها عقل الإنسان، وقد ترك أصحابها القرآن وعمدوا إلى القواطع العقلية والبراهين اليقينية التي في مناهجهم الفلسفية وطرقهم الكلامية – كما يزعمون – حتى خرجوا من الإيمان، وذلك من كيد عدو الله إبليس بهم وتلبيسه عليهم.

قال ابن القيم رحمه الله: ((ومن كيده بهم وتحيله على إخراجهم من العلم والدين: أن ألقى على ألسنتهم أن كلام الله ورسوله ظواهر لفظية لا تفيد اليقين وأوحى إليهم أن القواطع العقلية والبراهين اليقينية في المناهج الفلسفية والطرق الكلامية فحال بينهم وبين اقتباس الهدى واليقين من مشكاة القرآن وأحالهم على منطق يونان وعلى ما عندهم من

(١) انظر: إعادة فهم النص، سبق ص ٣٦٧.

الدعاوى الكاذبة العرية عن البرهان وقال لهم: تلك علوم قديمة صقلتها العقول والأذهان ومرت عليها القرون والأزمان فانظر كيف تلطف بكيده ومكره حتى أخرجهم من الإيمان كإخراج الشعرة من العجين))[1].

- وأما: دعوتهم إلى حتمية الاعتراف بما لدى الحضارات الأخرى من معرفة.
- وقولهم بضرورة أن تكون العلوم الفلسفية هي الأولى بالاهتمام.

فهذه جميعاً مردودة عليهم ففي كتاب ربنا وسنة نبينا الهداية والكفاية، قال الله: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]. قال الشيخ السعدي: ((أي: مشتملاً على ما اشتملت عليه الكتب السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاءت به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه.

وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه))[2].

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما –: [أن عمر بن الخطاب أتى النبي – صلى الله عليه وسلم – بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي – صلى الله عليه وسلم – فغضب فقال: أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى – صلى الله عليه وسلم – كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني][3].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (المتوفى:٧٥١هـ)، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، الطبعة: الثانية، ج١ص١١٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٢٣٤.

(٣) مسند أحمد، مسند جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما–، حديث رقم (١٥١٢٣)، ج٢٣ص ٣٣٣ قال الألباني: (حسن)، انظر: إرواء الغليل، الألباني، ج٦ص٣٤.

قال صاحب المشكاة: ((أمتهوكون) أي متحيرون في الإسلام، لا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من غير كتابكم ونبيكم (أنتم) للتأكيد (كما تهوكت اليهود والنصارى) أي كتحيرهم حيث نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتبعوا أهوائهم ورهبانهم وأحبارهم. (لقد جئتكم بها) أي بالملة الحنيفية بقرينة الكلام (بيضاء) أي واضحة، حال من ضمير "بها". (نقية) صفة "بيضاء" أي ظاهرة صافية خالصة، خالية عن الشرك والشبهة))[1].

ولما تتصف به شريعة الإسلام من النقاء والصفاء، فهي الظاهرة المهيمنة، التي يجب أن يصدر عنها كل أحد، وتقدم على كل كتاب وعلى كل قول.

• الفصل الثالث: تضمن الحديث عن: مسائل الخلاف بين الفلاسفة والمسلمين: ونعرض لأهم المسائل التي كفَّر علماءُ الإسلام الفلاسفة لأجلها:

١. قدم العالم وحدوثه: الفلاسفة يقولون باستحالة حدوث العالم لأن الله قديم، ولا يمكن أن يصدر عن القديم حادث، والحادث متغير، وحدوث العالم يلزم منه عندهم تغير يلحق بذات الله.

النقد: قال الله سبحانه واصفاً نفسه العلية: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[الحديد: ٣]، فهو الأول سبحانه الذي ليس قبله شيء، وقال سبحانه مبيناً خلقه للسموات والأرض وأن عرشه كان على الماء: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود:٧]، وأنه كان الله ولم يكن شيءٌ قبله، فعن عمران بن حصين قال إني عند النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ جاءه قوم من بني تميم فقال [اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء ..][2].

(١) مشكاة المصابيح، الخطيب التبريزي، ج١ص٦٦٢.

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، حديث (٧٤١٨)، ج١٨ ص٤٣٩.

وقد فند شيخ الإسلام شبهتهم فقال - رحمه الله -: ((فإن الرسل مطبقون على أن كل ما سوى الله محدث مخلوق كائن بعد أن لم يكن. ليس مع الله شيء قديم بقدمه وأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام. والعقول الصريحة تعلم أن الحوادث لا بد لها من محدث فلو لم تكن إلا العلة القديمة الأزلية المستلزمة لمعلولها لم يكن في العالم شيء من الحوادث. فإن حدوث ذلك الحادث عن علة قديمة أزلية مستلزمة لمعلولها ممتنع فإنه إذا كان معلولها لازما لها كان قديماً معها لم يتأخر عنها فلا يكون لشيء من الحوادث سبب اقتضى حدوثه فتكون الحوادث كلها حدثت بلا محدث وهؤلاء فروا من أن يحدثها القادر بغير سبب حادث وذهبوا إلى أنها تحدث بغير محدث أصلاً لا قادر ولا غير قادر. فكان ما فروا إليه شراً مما فروا منه وكانوا شراً من المستجير من الرمضاء بالنار))[1].

ولهذا صرح - رحمه الله - بأن الله لم يزل خالقاً فعالاً، ودوام خالقيته سبحانه من لوازم وجوده: ((وما ثم قديم أزلي إلا الله وحده. وإذا قيل: "لم يزل خالقاً" فإنما يقتضي قدم نوع الخلق و"دوام خالقيته" لا يقتضي قدم شيء من المخلوقات. فيجب الفرق بين أعيان المخلوقات الحادثة بعد أن لم تكن فإن هذه لا يقول عاقل إن منها شيئاً أزلياً. ومن قال بقدم شيء من العالم - كالفلك أو مادته - فإنه يجعله مخلوقاً بمعنى أنه كان بعد أن لم يكن، ولكن إذ أوجده القديم. ولكن لم يزل فعالاً خالقاً ودوام خالقيته من لوازم وجوده. فهذا ليس قولاً بقدم شيء من المخلوقات بل هذا متضمن لحدوث كل ما سواه))[2].

وكل ما سوى الله كائن بعده محدث مخلوق مربوب وعبدٌ له سبحانه: ((وأن الله وحده هو القديم الأزلي ليس معه شيء قديم تقدمه بل كل ما سواه كائن بعد أن لم يكن فهو المختص بالقدم كما اختص بالخلق والإبداع والإلهية والربوبية وكل ما سواه محدث مخلوق مربوب عبد له وهذا المعني هو المعروف عن الأنبياء وأتباعهم من المسلمين واليهود والنصارى وهو مذهب أكثر الناس غير أهل الملل من الفلاسفة وغيرهم))[3].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٩ ص٢٨١.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج١٦ ص٩٥.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج١ص٧٢.

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - بكفر من قال من المتكلمين بقدم العالم، وأنهم ألقوا الحجج في عهد المأمون وقالوا: ((إما أن يكون العالم مخلوقاً أو قديماً. وهذا الثاني كفر ظاهر، معلوم فساده بالعقل والشرع. وإذا كان العالم مخلوقاً محدثاً بعد أن لم يكن، لم يبق قديم إلا اللّه وحده، فلو كان العالم قديماً، لزم أن يكون مع اللّه قديم آخر))[1].

٢. علم الله: وانقسم الفلاسفة إلى:

أ- أن الله لا يعلم إلا نفسه.

ب- أن الله يعلم غيره.

النقد: قال الله في بيان سعة علمه سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾ [المائدة: ٩٧]، وقال أيضاً: ﴿ قَالَ رَبِّي يَعۡلَمُ ٱلۡقَوۡلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [الأنبياء: ٤].

وقال تبارك وتعالى مبيناً علمه بمخلوقاته: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الملك: ١٤]، قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: ((فمن خلق الخلق وأتقنه وأحسنه، كيف لا يعلمه؟! ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾الذي لطف علمه وخبره، حتى أدرك السرائر والضمائر، والخبايا))[2].

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - أن علم الله ثابت في علم نفسه سبحانه، وعلم غير من مخلوقاته: ((تقسيم العلم إلى فعلي وانفعالي .. وهذا التقسيم ثابت في علم الله تعالى فإنه يعلم نفسه ويعلم مخلوقاته أيضاً والأول علم بموجود والثاني علم بمقصود ..))[3].

٣. أحوال المعاد الأخروي. وهي من المسائل التي اهتم بها الفلاسفة، وآراء الناس عندهم في المعاد قُسمت إلى طبقتين:

أ- طبقة تنكر المعاد، وهي قليلة العدد ضعيفة البصيرة.

ب- طبقة مقرة به، وهي السواد الأعظم، وهم الأظهرون معرفة وبصيرة، وهم ثلاث

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج٥ ص٥٥٣.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١ص٨٧٦.

(٣) جامع الرسائل، ابن تيمية، ج٢ص٣٩٥.

فرق:

- فرقة تجعل المعاد للأبدان وحدها.
- فرقة تجعله للنفوس وحدها.
- فرقة تجعله للنفوس والأبدان جميعاً[1].

وما يتبع ذلك من اللذات النفسية والجسمانية وكذلك الآلام، وأن ذلك يقع على النفس دون البدن كما يرى ابن سينا.

النقد: قال الله عن حقيقة المعاد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الحج: ٥ – ٦].

وقال سبحانه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. وذلك المعاد الذي ذكره الله في كتابه يكون للبدن والروح معاً، وهو دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المسلمين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في بيان أحوال الناس في المعاد: ((فإن لبني آدم في المعاد أربعة أقوال:

أحدها: القول بمعاد البدن والروح جميعاً وأن الروح المفارقة للبدن التي يسمونها النفس الناطقة تكون بعد فراق البدن منعمة أو معذبة ثم إن الله يعيدها عند القيامة الكبرى إلى البدن وهذا قول الصحابة والتابعين لهم بإحسان .. وعليه دل الكتاب والسنة.

(١) إسلام الفلاسفة، مُنجي لَسوَد، ص١٠٠.

والثاني: القول بمعاد البدن فقط وهذا قول كثير من أهل الكلام من الجهمية والقدرية ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم.. وإنكار بقاء النفس بعد الموت قول مبتدع في الإسلام.

والثالث: قول من يقول بمعاد الأرواح التي هي النفس الناطقة فقط كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة.

والرابع: إنكار المعادين مطلقاً كما هو قول المكذبين بالجزاء بعد الموت كما كان عليه المكذبون بذلك من مشركي العرب وغيرهم))(١).

ومما سبق يظهر جلياً فساد ما ذهب إليه الكاتب محمد حمزة في كتابه كتاب إسلام المجددين، وكذلك ما ذهب إليه مُنجي لَسوَد في كتابه إسلام الفلاسفة. وأنها تمثل صورة جديدة من صور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

ومن أحدث تلك الكتابات أيضاً والبرامج المؤيدة للانحراف ما طالعنا به د. طارق السويدان من رؤى وأفكار تنحى في منحاها إلى أصول وأسس المعتزلة الليبرالية في صورتها الجديدة: ويتضح ذلك جلياً من خلال برامج ومحاضرات الدكتور طارق السويدان وخصوصاً في برنامجه الوسطية(٢) وغيره، عبر قناة الرسالة وإنتاجه المطبوع والمرئي والمسموع غزير جداً، تضمن بعض جوانب الانحراف، وسأشير إلى أبرزها:

أولاً: العقل ومكانته من التشريع: يرى د. طارق أن العقل هو أساس الشرع، وأن الشريعة كلها قامت على العقل، فيقول في حديثه عن العقل: ((موضوع العقل، هذا الموضوع شغلني كثيراً إلى درجة أني كنت أفكر، كأن الطرح الإسلامي يقول أن العقل هذا شيء ثانوي، والشرع هو الأهم، وأن هناك شيء من صراع بين العقل والوحي، أنا ما

---

(١) الصفدية، لابن تيمية، ج٢ص٢٦٧.

(٢) الوسطية: هو برنامج تلفزيوني في قناة الرسالة يقدمه الداعية الإسلامي والمدرّب القيادي الكويتي طارق السويدان. ويتمثل البرنامج في مناظرة فكرية بين الجمهور الحاضر حول موضوع معين مثل الكفر والتكفير، الحجاب، الولاء والبراء، حوار الحضارات. ويحكم الجمهور على نتائج الحوار عبر التصويت في كل حلقة، (قناة الرسالة www.alresalah.net) بتصرف يسير.

أتصور هذا إطلاقاً، رغم أني في بداياتي ونشأتي، كنت استسلم لمثل هذه الأطروحات التي كانت لا تُقال صراحة، من باب الحق، لكنها كان يوحى بها إيحاءً إلى الشباب، فلما كبرت وشببت عن الطوق، كما يقولون، وجدت أن المسألة ليست هذه على الإطلاق، وأن الشريعة قدرت العقل واحترمته، بل أكثر من هذا، الشريعة كلها قامت على العقل، فأساس الشرع كله هو العقل ...

ثم يقول: مفهوم إسلامي أساسي، يقول هذا المفهوم: العقل حاكم: هذا من مفاهيم الدين الذي للأسف لا يتم التحدث عنها عند العلماء، وفي المحاضرات، وفي الدروس، كل الحديث وعظ!! هذا جزء مهم، الوعظ مهم، لكن الأهم من الوعظ هو العقل، أنا أقول بكلام واضح، الكلام العقلاني أهم من الكلام الوعظي، لماذا؟ الكلام الوعظي آثاره تستمر كم؟ نصف ساعة؟ ساعة؟ أسبوع؟ ثم يزول تأثير الوعظ، أما الكلام العقلي فهو الذي يغير طريقة تفكير الإنسان فيغير طريقة نظرته للحياة فيغير أهدافه في الدنيا، سيتغير كل شيء، العقل حاكم، حاكم على الهدف حاكم على الوسيلة، حاكم حتى على قبول الدليل أو رفضه، حاكم على قبول النص فالعقل حاكم حتى على النص، خلونا نحترم العقل، خلونا نقدس هذا العقل، لكن تقديس لا يصل إلى درجة إلغاء الوحي، فعندي لا تناقض بين العقل والوحي ...

من يقول أن الفلسفة تتعارض مع الدين، هذا الدين يجمع جمع عجيب بين العقل والنقل، وأنا أقول لكم شيئاً والبرنامج: علمتني الحياة، أنا علمتني الحياة، أنا عقلي لا يتحمل أني يمر علي شيء يناقض العقل، وأمشيه، والله حتى لو كان من الدين، ما أمشيه!! والله لو شعرت أن هذا الدين يتناقض مع عقلي لتركت الدين، لكن بحمد الله بعد أن درست الفلسفة والمنطق في الغرب قبل الشرق، وبعد ما تأملت في أصول عقيدتنا وأصول شريعتنا ما في تعارض، عجيب هذا الدين، ما في تعارض بين العقل والنقل))[1].

ثانياً: وبناءً على ذلك، اختط د. طارق السويدان طريقاً، قدم فيه ما يرى حقه التقديم،

(١) برنامج علمتني الحياة، العقل، د. طارق السويدان، www.youtube.com/watch?v=WoaFpnkFk6g.

وهو العقل، فجعل بعض قضايا الدين وأحكامه الدينية والاجتماعية محلاً للتصويت والاستفتاء والنقاش من خلال برنامجه المشهور والمباشر عبر قناة الرسالة: الوسطية: وهو برنامج تلفزيوني في قناة الرسالة يقدمه د. طارق السويدان. ويتمثل البرنامج في مناظرة فكرية بين الجمهور الحاضر حول موضوع معين مثل الكفر والتكفير، الولاء والبراء، الحجاب الفن حوار الحضارات. ويحكم الجمهور على نتائج الحوار عبر التصويت في كل حلقة ومن المؤاخذات على هذا البرنامج ما يلي:

موضوع البرنامج: التصويت والاستفتاء على قضايا شرعية مستقرة في دين الله، وقال أهل العلم فيها قولهم، وتعرض هذه القضايا وكأنها قضايا تجريبية أو مادية مع أنها قضايا شرعية لا يجوز القول على الله فيها بغير علم، وهو ما يجب تربية الأمة عليه من أهمية التفقه في دلالات النصوص والتسليم فيها لله رب العالمين.

المقدم: وهو د. طارق السويدان، دكتوراه في هندسة البترول، وغير مؤهل شرعياً لتقديم وطرح هذه الموضوعات من قضايا الأمة العميقة والدقيقة والمهمة، يقول د. طارق: ((برنامج الوسطية هذا البرنامج الذي نطرح فيه قضايا الأمة التي لا تناقش للأسف في كثير من الأحيان إلا في حلقات مغلقة، فأحببنا أن نفتحها على مستوى الأمة))[1].

اختيار الضيوف: الضيوف المشاركون في البرنامج ليسوا بعلماء، وهم في الغالب غير مؤهلين للقضايا المطروحة وقد تكون القضايا المطروحة أكبر من مستوى أولئك الضيوف المتواجدين في الأستوديو. ويجمع في الحلقات غالباً بين ضيوف متناقضين أو متضادين في الفكر، وكلٌّ يطرح رأيه، وكأن الدكتور طارق سيجمع شملهم ويوحد كلمتهم وآراءهم في ساعة واحدة وهذا يؤدي إلى إرباك المشاهد والتشويش عليه.

الجمهور: مختلط من الرجال والنساء، والمحجبات والمتبرجات، والمتعلمين وأنصافهم وأصحاب الآراء الشاذة، وحل بعضهم ضيوفاً في بعض حلقات البرنامج.

---

(١) المرأة والإعلام بين القيود والانطلاق، د. طارق السويدان، www.youtube.com/watch?v=EkFTaQwUqys.

المداخلات: إرباك الضيوف بكثرة المداخلات والتعقيبات من الدكتور طارق السويدان، وعدم ترك مجال وفسحة للضيوف ليعبروا عن فكرهم بصورة متكاملة.

تصويت الجماهير: يصوت على القضايا المطروحة من قبل الجماهير الحاضرين في الاستديو والمتابعين عبر الشاشات، وغالبهم عوام، ويتم التصويت إلكترونياً عبر أجهزة مخصصة لذلك، وبطريقة توحي بأن الجمهور هو صاحب الرأي والقاضي الفصل في القضية المطروحة للنقاش.

ثالثاً: حرية تبديل واختيار الدين: حيث يرى د. طارق السويدان: أن حد الردة حد سياسي وغير ديني، وأنه للإنسان الحرية في اختيار دينه الذي يريد، ويعتقد أنه على المسلمين أن يحموا حرية الاعتقاد وأن يحموا كنائس النصارى، وأن ذلك من الواجبات الشرعية، فيقول: ((حتى حد الردة أنا بالنسبة لي لا أعترف به أنه حد ديني، أعتبره حد سياسي .. في بداية الإسلام كان في ناس قرروا هذا في القرآن، اليهود قرروا يلعبوا لعبة: أدخلوا الإسلام بداية النهار واكفروا آخره حتى نشكك في الإسلام، فصدر قرار: [من بدل دينه فاقتلوه](1) اليوم لو واحد بدل دينه في باكستان حيأثر علينا؟؟ خليه هو حر، بينه وبين الله عز وجل ..

هذا يتناقض مع القرآن نفسه، القرآن يقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢]، ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ﴾ [الكهف:٢٩] ﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، كلها سنلغيها عشان حديث فيه احتمال، وهي آيات محكمات .. فاتركوا الناس يختاروا دينهم، أنا أعتقد واجب شرعاً على المسلم أن يحمي حرية الاعتقاد لغير المسلم، واجب شرعاً على المسلم أن يحمي كنائس النصارى ... أنا أؤمن بحرية التعبير، خلي المسيحي يدعو لدينه واليهودي يدعو لدينه، والشيوعي يدعو لأفكاره وسأواجههم بالفكر، وإذا كنت أنا فعلاً أؤمن أن حجة الله بالغة وأن هذا الدين فعلا قوي الحجة، حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم -واضح: لن يشاد هذا الدين أحد

---

(١) البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب إثم من أشرك بالله وعقوبته في الدنيا والآخرة، حديث رقم (٦٩٢٢)، ج١٧ص٣٣٤.

إلا غلبه، فما أحد يخاف من حرية الفكر إلا الضعيف، القوي ما يخاف))(١).

ويكرر ذلك أيضاً في موضع آخر فيقول: ((الحرية الدينية، الله - سبحانه وتعالى - كفلها للبشر فقال: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[الكهف:٢٩]، ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[الغاشية:٢٢]، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩] وغيرها وغيرها فلا يجوز إكراه إنسان على شيء، وبالتالي من حق الإنسان أن يختار الدين الذي يراه ومن حقه أن يختار الطائفة، يريد أن يكون شيعي، سني، درزي، هو حر، ومن حق كل إنسان أن يعبد الرب الذي يختاره بالطريقة التي يختارها، فلا تُمنع كنائس، ولا تُمنع معابد، ومن حق الناس أن يكون لهم ذلك))(٢).

رابعاً: حرية التعبير: يرى د. طارق السويدان أهمية حرية التعبير والاعتراض على الإسلام أو على الله أو على رسوله- صلى الله عليه وسلم -، فيقول: ((جزء آخر من قضية الحرية بالنسبة لي هي الحرية المتعلقة بالتعبير، حرية التعبير، من حق الناس أن تقول ما شاء في غير الفساد الأخلاقي، الدعوة إلى الأفكار، الاعتراض على الدولة، الاعتراض على الحاكم، الاعتراض حتى على الإسلام، ما عندي مشكلة فيه حتى الاعتراض على الله - تعالى - وعلى رسول الله - العفو- أليس هذا في القرآن ألم يتكلم المنافقون بكلام سيئ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ووضع هذا في القرآن الكريم، هذا موجود، هذا موجود))(٣).

ويؤكد مفهوم هذه الحرية عنده ويرى أهمية حماية الحريات الدينية لكل أحد، فيقول: ((أنا أعرف الشيعة وأقول كلمة صريحة جداً جداً أنا لا أتفق مع الشيعة لا في الأصول ولا في الفروع، في كثير من الأشياء أخالفهم فيها لكني مستعد أن أضحي بحياتي من أجل حماية

---

(١) حد الردة وحرية الإعتقاد في الإسلام، د. طارق السويدان، قناة اليوتيوب www.youtube.com/watch?v=VKXlJxs5XLY.

(٢) من حق الإنسان أن يختار الدين الذي يريد والرب الذي يعبد، د. طارق السويدان، www.youtube.com/watch.

(٣) حدود حرية التعبير، د. طارق السويدان، www.youtube.com/watch?v=sbSLa_i_4OY.

عبادتهم وحماية حريتهم، هكذا أفهم الدين هكذا علمني الدين، فأرجوكم كلامي ليس منطلقاً من جهل أو عدم معرفة بهم أنا أعرفهم وعندي مكتبة شيعية كاملة، أعرفهم تماماً وأعتبرهم من المسلمين وأخلفهم وأحمي حريتهم الإنسانية والدينية أحميها))(١).

ويرى د. طارق السويدان أن أهل السنة لديهم قصور في محبتهم لآل البيت - رضي الله عنهم - ويرى صدق الرافضة في غلوهم في آل البيت، فيقول خلال حديثه عن: الحوار في الساحة الإسلامية واقع ومعالجات: ((واعتقد أن نقاط الاتفاق كثيرة جداً، واعتقد أيضاً أن نقاط القصور كثيرة جداً، ولأضرب مثالاً واضحاً من القضايا الرئيسية يعتز به الأخوة الشيعة: قضية تبجيل وتعظيم أهل البيت - عليهم السلام -، وكنت تأملت في هذه المسألة عند أهل السنة والجماعة فوجدت أيضاً عند أهل السنة والجماعة تبجيل وتعظيم لأهل البيت، لكن إظهار هذا التبجيل والتعظيم عند أهل السنة بالتأكيد أقل مما هو عند الشيعة، وهذا أنا أقوله بلا تردد قصور عند الأخوة السنة، ويجب أن يعبروا عن حبهم وولائهم وتعظيمهم لأهل البيت أنا ما أقول هذا الكلام مجاملة لكم، هذا دين، هذا كلام دين موجود في كتاب الله - تعالى - وموجود في السنة النبوية، وموجود في التطبيق الواضح فتعبيرنا نحن السنة عن قضية حبنا لأهل البيت أقلّ مما ينبغي فيجب أن يزاد))(٢).

خامساً: مفهوم الولاء والبراء مع غير المسلمين: والذي أيضاً طرحه د. طارق السويدان ضمن برنامجه الوسطية، في حلقة عنون لها بالولاء والبراء مع غير المسلمين بين التساهل والتشدد، والتي افتتحها بحديثه عن الوسطية، قائلاً: ((الوسطية برنامج حواري نأخذ فيه قضية من قضايا المجتمع أو قضايا الدين، ونتحاور فيها ووجهات النظر المختلفة فيها، لنصل فيها إن شاء الله إلى الوسطية... ثم تكلم عن موضوع الحلقة: موضوع الولاء والبراء كمفهوم، مفهوم رئيس من مفاهيم الدين في كل المذاهب وكل الفرق، وانبنت على هذا

---

(١) طارق السويدان يضحي بحياته لحماية عبادة الشيعة، د. طارق السويدان، www.youtube.com/watch?v=H-lAY5Q48Ws.

(٢) الحوار في الساحة الإسلامية واقع ومعالجات، د. طارق السويدان.

الموضوع الهام مجموعة من المواقف ومجموعة من الفتاوى وصل فيها إلى حد تكفير البعض وتكفير بعض المسلمين لبعضهم بناءً على هذه المسألة الخطيرة ... ثم طرح السؤال الرئيس في الحلقة للمتابعين خلف الشاشات للتصويت عليه، والسؤال: الولاء والبراء مصطلح قديم يسبب إشكالات في واقعنا اليوم:

١. أوافق ويجب تعديله.

٢. لا أوافق ويجب المحافظة عليه))[١].

سادساً: حجاب المرأة: وعُقدت في برنامج الوسطية حلقة، تحت عنوان: الحجاب عادة أم عبادة: مناظرة بين السويدان وإقبال بركة التي كانت متبرجة سافرة، وطرحت رأيها رافضة للحجاب تماماً: فتقول: ((مسألة لباس المرأة أنا أراها من الفروع واعذروني إذا رأيتها أمراً هامشياً حقيقة لا أهمية له لقد بالغنا كثيراً في الاهتمام بهذه المسألة! ثم سألها د. طارق: أنت اختلافك: أنه واجب شرعي أقل ويجب عدم التركيز عليه؟ فقالت: أنا لا أرى أنه واجب شرعي، أنا أراه عادة كانت موجودة في الجاهلية قبل الإسلام بمئات السنوات، وأن الإسلام تركه لكي يتلاشى مع الزمن كما ترك الرق .. وتضيف: قضية الحجاب ليس أصلاً من الدين الفرضي الفريضة التي سيعاقب عليها، ثم سألها د. طارق: هل هو مستحب عندك؟ فقالت: ليس مستحباً على الإطلاق أنا سأواجه ربي في يوم من الأيام، وأريد أن أكون صادقه، أنا لا أحبه!!))[٢].

وختم الدكتور طارق السويدان بقوله: أن الحجاب يبقى واجب من واجبات الدين.

سابعاً: المرأة ومشاركتها في الإعلام المرئي: ويرى د. طارق أهمية مشاركتها في الإعلام وظهورها بكامل زينتها بل وجاذبيتها فيقول في رده على إحدى المداخلات التي انتقدت

---

(١) الولاء والبراء مع غير المسلمين بين التساهل والتشدد، د. طارق السويدان، برنامج الوسطية، www.youtube.com/playlist?list=PL2538F68241945B43.

(٢) الحجاب عادة أم عبادة: مناظرة بين السويدان وإقبال بركة، د. طارق السويدان، برنامج الوسطية، www.youtube.com/watch?v=RcjHHGLtlQU.

ظهور المرأة في البرامج الدينية بكامل زينتها ومكياجها الكامل، وأن ذلك لا ينبغي لها، في حلقة المرأة والإعلام بين القيود والانطلاق، فرد عليها د. طارق السويدان قائلاً: ((ليش نحن نعتبر أن ظهورها بمظهر جميل مش من حقها؟! أنا أقدم برامج دينية وأحرص أن ملابسي تكون نظيفة .. أنا لما أرى رجل دين يتكلم في الوعظ وشكله ما يشدني ومكشر وملابسه ملخبطة! ما حنشد، بينما لما أشوف عمرو خالد بابتسامته الجميلة وبدلته الحلوة حنشد ليش نحن نعتبرها ضد المرأة؟! حلال على الرجل وحرام على المرأة؟!))[1].

ثم يؤكد على أهمية تقديم المرأة العاملة في الإعلام والنماذج المشرفة التي بدأت تظهر ويتمنى زيادتها فيقول: ((نحن لو استطعنا أن نجد معادلة ونجد شيء من مرونة تساعدنا أن نخطوا خطوة كما يقول سيدنا عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس – رحمه الله – لما جاءه ابنه يشتكي من أن الفساد انتشر، وأنت أمير المؤمنين، والله اعمل وغير حتى لو طارت رقبتي ورقبتك فقال يا بني: (إني أعالج أمراً قد شب عليه الصغير وشاب عليه الكبير ألا ترضى من أبيك أن يمحو في كل يوم بدعة ويُحي في كل يوم سُنة) [2] ما أقدر أن أعملها كلها دفعة واحدة خلونا يكون عندنا الاستعداد خلونا يكون عندنا المرونة إننا نتقدم خطوة خطوة، الإسلام والصحوة الإسلامية بدأت تدخل في الإعلام، تحتاج مساندة، تحتاج شيء من مرونة حتى تسامح، تحتاج دعم رئيسي من أخواتنا بالذات أن يُقدمن هذه النماذج المشرفة التي بدأت تظهر، ونتمنى أن تزيد، أتمنى أن تُستغل الفرصة الآن في هذه الأعداد الكبيرة من القنوات التي فتحت أيديها وأتمنى بالذات من المسؤلين في دولنا أن يحترموا اختيار المرأة عندما تلتزم أن لا يقللوا من عقلها ويعطوها الفرصة ونحي النماذج المميزة التي شاركتنا وإلى مزيد من الوسطية))[3].

---

(١) المرأة والإعلام بين القيود والانطلاق، د. طارق السويدان، برنامج الوسطية، www.youtube.com/watch?v=EkFTaQwUqys.

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم، (توفي ٢١٤هـ)، مكان النشر: بيروت، لبنان، الناشر: عالم الكتب، سنة النشر: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ج١ص٤٢.

(٣) المرأة والإعلام بين القيود والانطلاق، د. طارق السويدان، برنامج الوسطية، =

وامتد ذلك أيضاً إلى الدعوة في حياة المرأة وظهورها على وسائل الإعلام داعية إلى الله، كما تضمنته حلقة الوسطية: المرأة الداعية بين النجومية والعوائق، والتي كان سؤالها الرئيس المقدم للجمهور للتصويت عليه: ظهور المرأة الداعية في وسائل الإعلام:

١. ممتاز

٢. ضرره أكبر من نفعه

٣. مرفوض.

وافتتح د. طارق الحلقة بقوله: ((قبل أن أقدم هذه الحلقة كنت أعاني، هل نعاتب أخواتنا على عدم نجوميتهن الكافية؟ أم نشكرهن على ما وصلن إليه؟ وختم د. طارق الحلقة بقوله: ظهور المرأة على وسائل الإعلام وممارسة المرأة للدعوة أصلاً في المجتمع وممارسة الدعوة على وسائل الإعلام، التي هي من أقوى الوسائل للوصول إلى الناس والمجتمع هي فرض واجب، لا أستطيع أنا أن أكون قدوة لفتيات مراهقات نحن نحتاج أخواتنا الداعيات صاحبات الكفاءة والدين والالتزام الشرعي، أن يظهرن على وسائل الإعلام ويتحدثن ليس فقط في قضايا الأسرة وإنما في كل قضايا الحياة، ما في شيء يجعل هذه القضايا ممنوعة عليهن، مرة أخرى هناك جانب القدوة، الذي أشير إليه كثيراً، القدوة في اللبس القدوة في الطرح، القدوة حتى لما تمارس دورها في الحياة، لأن النجومية هذه ابتلاء، لا شك أن هناك ثقافة مجتمعية، ما زالت تأبى هذه المسألة، هذا ميراث وتراث ليس له علاقة بالدين، وليس له علاقة بحقيقة الدور الذي تقدمه أخواتنا، أنا أعتقد أن هناك واجب شرعي، أن نكتشف مزيد من هؤلاء الداعيات ونُبرزهن على الإعلام ونوصيهن مرات ومرات بالإخلاص، وبأن يكن قدوة، وبأن يُقدمن أعلى مستوى ممكن أعتقد أن هذا ممكن، بل هذا واجب شرعي علينا وعليهن، ولعل هذا هو الوسطية في الموضوع))(١).

=

.www.youtube.com/watch?v=EkFTaQwUqys

(١) حلقة المرأة الداعية بين النجومية والعوائق، د. طارق السويدان، برنامج الوسطية، .www.youtube.com/watch?v=1SsG1TYAQAA

ثامناً: مشاركة المرأة في العمل السياسي: ويرى د. طارق السويدان أهمية مشاركة المرأة في العمل السياسي، وأن من حقها أن تصل إلى جميع المناصب، وله رأيه الخاص في حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: [لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة][1]. فيقول: ((درست هذا الحديث بكل تفاصيله وبكل قصصه واثنين وعشرين رواية لهذا الحديث وللأسف معظم الذين تكلموا في هذا الحديث لم يدرسوا إلا رواية واحدة قصة الحديث باختصار أنه جاء ملك فارس والعائلة الساسانية التي كانت تحكم فارس توسعت وصارت بينها صراعات شديدة فصدر قرار بقتل جميع الذكور من بني ساسان كل الأبناء الذكور من العائلة المالكة يقتلوا، ويبقى فقط ابنه، حتى يكون ولي عهد حتى لا ينازعه أحد، وفعلاً تم قتل جميع الذكور، والذي حدث أن ابنه مات قبله، وبعدين مات كسرى نفسه فلم يجدوا رجلاً من بني ساسان يحكم فولوا امرأة فالنبي– صلى الله عليه وسلم – عندها ذكر الحديث [لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة] ما لقوا رجل، النبي – صلى الله عليه وسلم – يذكرها مستغرباً!

وهناك رواية أخرى للحديث أيضاً، صحيحة تقول [لن يفلح قوم ملكوا أمرهم امرأة]، فالقضية أنها ملك وليست ولاية أيضاً .. طبعاً بعض الناس سيقولوا العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. أن هذا لفظ عام، وهذا سبب خاص ونحن لازم نأخذ الحكم بعمومه، صحيح ونعم هذه قاعدة أصولية العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب لكن هناك حالات استثنائية أيضاً لهذه القاعدة، وهذه من الحالات الاستثنائية بعدين طبعاً تغيرت هذه المرأة لما وجدوا طفلاً صغيراً اسمه يزدجر من العائلة الحاكمة كان قد نجا من القتل فصار ملك كسرى فهو الذي حدثت الحروب بين المسلمين وبينه فهذه قصة هذا الحديث عشان الذي ما يعرفها يعرفها))[2].

---

(١) البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – الفتنة من قبل المشرق، حديث رقم (٧٠٩٩)، ج١٧ص٥٩٩.

(٢) حلقة: مشاركة المرأة في العمل السياسي، د. طارق السويدان، برنامج الوسطية، www.youtube.com/watch?v=zdyyDDwN-h4.

ويقول في نهاية حلقة مشاركة المرأة في العمل السياسي: ((أنا شخصياً بعد التأمل الطويل وكان لي رأي آخر مبني على ما تعلمتُه ولكن بعد التأمل الطويل، وقد بحثت وبعمق في هذه المسألة، أنا صار عندي قناعة أن المرأة من حقها أن تشارك ليس فقط في المناصب السياسية، بل يجب أن تشارك في المناصب السياسية، ومن حقها أن تصل إلى جميع المناصب بما فيها رئاسة الدولة ما عندي حرج في هذا، فهذا رأي في المسألة))[1].

النقد: سبق معنا أن المعتزلة العقلانية قدموا العقل على النقل والشرع، وأن ذلك هو سبب انحرافهم عن منهج أهل السنة، وابتداعهم وبعدهم عن الحق، وهذا ما وقع فيه د. طارق السويدان، الذي أسأل الله أن يرده إلى جادة الصواب، وعقلانيته هي التي أوردته الموارد وأن يقول على الله بكل جرأة، وأن يأتي بالطوام السابقة الذكر، والتي أوصله إليها هي تنكبه لمنهج أهل السنة، واتباعه لمنهج المعتزلة العقلانية، التي أوصلته إلى صورتها اليوم من الليبرالية التي تقوم على العقلانية والتعددية والحرية الفكرية والعقائدية، وادعاء الوسطية كما يذكر من خلال برامجه، وأعظم ما أتذكره في هذا المقام هو قول الله – تعالى –: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وقوله – صلى الله عليه وسلم –: [تعرض الفتن على القلوب، كالحصير عوداً عودا فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه][2]. وقال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((الناس لا يفصل بينهم النزاع إلا كتاب منزل من السماء وإذا ردوا إلى عقولهم فلكل واحد منهم عقل))[3].

(١) حلقة: مشاركة المرأة في العمل السياسي، د. طارق السويدان، برنامج الوسطية، www.youtube.com/watch?v=zdyyDDwN-h4.

(٢) مسلم، ١كتاب الإيمان، ٦٥ باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وإنه يأرز بين المسجدين حديث (٢٣١)، ج١ص١٢٨.

(٣) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج١ص١٣٣.

وما يُغني عقل كل إنسان مجرد بنفسه، في مقابل كلام اللطيف الخبير الذي فيه الهدى والنور والهداية للتي هي أقوم في كل الأمور: ((وحاصل ما عولوا عليه تحكيم العقول مجردة، فشركوها مع الشرع في التحسين والتقبيح. ثم قصروا أفعال الله على ما ظهر لهم ووجهوا عليها أحكام العقل ...، ولو وقفوا هنالك لكانت الداهية على عظمتها أيسر، ولكنهم تجاوزوا هذه الحدود كلها إلى أن نصبوا المحاربة لله ورسوله، باعتراضهم على كتاب الله وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم –))[1].

ووافق د. طارق السويدان الليبرالية اليوم في أطروحاتهم، وأكتفي بجانبين رئيسين متلازمين، وهي مما يكرره ويركز عليه د. طارق هداه الله، في كثير من برامجه وخصوصاً الوسطية.

الجانب الأول: الحرية: والتي تعد القيمة العليا المشتركة في الفكر الليبرالي، التي يزعمون أنه لا يمكن للفرد ممارسة حقه في الاختيار ومصالحه ما لم يتم تحقيق الحرية، باعتبارها حقاً طبعي ملازم للوجود الإنساني.

الجانب الثاني: العقل: وترتبط الحرية في الفكر الليبرالي بالعقل وحري الرأي أولاً، ثم تتبعها بقية الحريات، إذ يعتبر الفكر الليبرالي جزءاً من مشروع التنوير الذي يتمحور فكره في تحرير البشرية من قيود الخرافة وإطلاق العنان للعقل.

وكلا الجانبين يتعارضان مع العبودية والتسليم والخضوع لله رب العالمين، والحرية وإطلاق العنان للعقل معناه: عدم القبول والانقياد والتسليم لشرع رب العالمين، وأعظم ما وصف الله به أنبياءه عليهم الصلاة والسلام استسلامهم وخضوعهم وانقيادهم وقبولهم بما جاء من عند الله، قال الله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[البقرة: ٢٨٥].

ودين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هو دين الإسلام، وهو الدين عند الله، كما قال

---

(١) كتاب الاعتصام، الشاطبي، ج٢ ص٢٦٨.

سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩]، ولا يقبل الله سواه، والخسارة والبوار لمن ابتغى غيره، قال الله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] وهو الدين الذي وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وهو ما دعا اللهَ، به إبراهيمُ وإسماعيلُ لأنفسهما ولذريتهما من بعدهما فقالا وهما يرفعان القواعد من البيت: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

ومبنى هذا الدين قام على لا إله إلا الله، والتي من أهم شروطها[1]، الانقياد والقبول واليقين ومعناه قام على: الاستسلام للّه المتضمن غاية الانقياد، في غاية الذل والخضوع، والاستسلام له سبحانه بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك ومعاداة أهله، ولا أحسن ديناً ولا أسعد نفساً ولا أرجح عقلاً ولا أصوب رأياً ممن أسلم وجهه لله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [النساء: ١٢٥]. وذلك الطريق هو الذي سيجعله مستمسكاً بالعروة الوثقى التي من تمسك بها، فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه، قال الله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

والعروة الوثقى: هي الكلمة العظيمة، كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، التي لا يتم اعتبار المسلم مسلماً إلا بنطقها ملتزماً بمعناها، وعاملاً بمقتضاها، وبتحقيق ركنيها: النفي "لا إله" وتعني البراءة من الشرك وأهله، والإثبات "إلا الله" وتعني إفراد الله بالعبادة.

وقد ناقضت الليبرالية الإيمان[2] من خلال زعمها تطبيق أعلى قيمها على الإنسان، بإعطائه حريته المطلقة وتحلله من قيود الدين والأخلاق والقيم، بناءً على ما أسسته من تعظيم العقل الإنساني وماديته وما تدعيه من الفكر الحر وتفرضه من اللحظة التاريخية على العالم

(١) انظر: ص ١٢٨.

(٢) انظر: حقيقة الليبرالية، د. عبد الرحيم السلمي، ص٥٧٠.

كله. وهذا الانحراف العقدي الخطير، يدل على ما وراءه من انحراف خُلقي واجتماعي واقتصادي، سببه الهوى، والتقديم بين يدي الله ورسوله الذي، نهى الله عنه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [الحجرات: ١].

ثانياً: نموذج لكتابات وكتاب مؤيدين للانحراف المعاصر في مفهوم التدين في جانبه الإرجائي:

سبق وأن أشرت أن هذا الجانب من الانحراف يظهر من خلال دعوة الدكتور عمرو خالد وأبرز وأوضح وأحدث الكتابات المؤيدة لدعوة الدكتور عمرو خالد، هي ما كتبه الأستاذ محمد نجاتي سليمان بمعاونة مجموعة من الباحثين والباحثات، وعنون له بـــ عمرو خالد بين ناقديه ومادحيه، نشر دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٠م. ويقع في ١٩٦ صفحة من القطع المتوسط، وأرى أنه جدير بالقراءة في هدفه ومراميه، وما قصد فيه كاتبه من الذب عن عرض أخيه وأخينا د. عمرو خالد.

و أما النقد لهذا الكتاب: فهو من خلال ما يتعلق بموضوع الرسالة: الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وأن الدين الصحيح فيه سعادة العباد في الدارين، والضابط فيه قوله- صلى الله عليه وسلم -: عندما ذكر افتراق الأمم وأن الفرق كلها في النار إلا واحدة قال- صلى الله عليه وسلم -: [إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة. وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة. كلها في النار إلا واحدة. وهي الجماعة][1].

ثم بينها - صلى الله عليه وسلم - بوصف دقيق بيِن، قال فيه: [وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما أنا عليه وأصحابي][2]. وقال الملا علي القاري - رحمه الله - في وصف هذه الفرقة الناجية: ((قال ما

(١) سنن ابن ماجه، ٣٦كتاب الفتن، ١٧ باب افتراق الأمم، حديث رقم (٣٩٩٣) ج٢ص١٣٢٢قال الألباني: (صحيح) انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ج١ص٣٨١.

(٢) سنن الترمذي، كتاب ٤١الإيمان عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، باب ١٨ ما جاء في افتراق الأمة، حديث رقم (٢٦٤١)، ج٥ ص٢٦ قال الألباني (حسن) انظر: صحيح سنن الترمذي، الألباني، ج٦ ص١٤١.

أنا عليه وأصحابي أي هي ما أنا عليه وأصحابي قيل جعلها عين ما هو عليه مبالغة في مدحها وبياناً لباهر اتباعها حتى يُخيل أنها عين ذلك المتبع))[1].

وذلك الاتباع هو ما نتواصى به كدعاة أولاً وكمدعوين ثانياً، لأجل النجاة والسعادة، وسعادة الدكتور عمرو خالد، الأكثرون يشعرون بصدق دعوته وسهولة عبارته ومتعة خطابه، وسعة وعمق أثره في الساحة الدعوية وحضوره الإعلامي وخصوصاً في أوساط الشباب، حتى بلغ عدد المتابعين والمتأثرين بدعوته من خلال القنوات وموقعه الخاص والمواد البصرية والسمعية التي قدمها، الملايين من الشباب والفتيات.

وأهم ما يُنقد به هذا الكتاب بعيداً عن كاتبه أو المكتوب عنه، فالأشخاص والذوات نقدر لهم حبهم للإسلام ودعوتهم إليه وحرصهم على أبنائه وأخلاقهم وقيمهم ونهضتهم، وأما الدعوة التي هي مقصود كلاً من الكاتب الأستاذ محمد نجاتي أو المكتوب عنه الدكتور عمرو خالد: فأبدي عليها بعض النقد، والهدف منه التصحيح والتوجيه وبيان الحق، والله أسأل السداد للصواب:

أولاً: نتفق جميعاً على ما قدم به الكاتب كتابه تحت عنوان: همسة، قوله: أن الحق لا يُعرف بالرجال ولكن الرجال يُعرفون بالحق.

ثانياً: عند تعريف الكاتب بالدكتور عمرو خالد تحت عنوان: الداعية الإسلامي عمرو خالد في سطور: وجاء فيها: كان عضو فريق الناشئين بالنادي الأهلي المصري ١٩٨٥م ثم كان رئيساً لاتحاد طلاب كلية التجارة بجامعة القاهرة ١٩٨٨م ثم أصبح نائب رئيس اتحاد كليات جامعة القاهرة ١٩٨٨م. متفرغ للعمل الدعوي والإصلاحي في مختلف وسائل الإعلام (فضائيات – صحف – مجلات – إذاعات)، الدراسة والخبرة العملية بكالوريوس تجارة – شعبة محاسبة – جامعة القاهرة ١٩٨٨م، ثم دبلوم معهد الدراسات الإسلامية ٢٠٠١م، ثم: حصل على الدكتوراه من جامعة وليز بالمملكة المتحدة. عنوان الرسالة: (الإسلام والتعايش مع الآخر) عام ٢٠١٠م.

---

(١) على القاري، مرقاة المفاتيح، ج١ ص٢٤٨.

وفي جميع سطور التعريف لم أجد شيئاً من طلب العلم الشرعي أو العلماء الذين درس عليهم وأخذ عنهم العلم سوى دبلوم معهد الدراسات الإسلامية ٢٠٠١م، ومن أهم وأعظم الشروط التي يلزم أن تتوفر في الداعي إلى الله ما جاء في قوله – تعالى –: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [النحل: ٣٦]، فدعوته – صلى الله عليه وسلم – على علم وهدى وبينة من ربه – جل في علاه –.

وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله – عن البصيرة: ((تشمل: العلم بالشرع، والعلم بحال المدعو، والعلم بالسبيل الموصل إلى المقصود، وهو الحكمة، فيكون بصيراً بحكم الشرع، وبصيراً بحال المدعو، وبصيراً بالطريق الموصلة لتحقيق الدعوة))[1]. خاصة مع التفرغ للعمل الدعوي، وهذا التوسع والانفتاح والتصدر والحديث والتأليف والنشر، ألا يرى أخي الدكتور عمرو خالد أهمية التعلم وأخذ العلم عن العلماء الربانيين، ولا أخاله إلا فاعلاً، للتصحيح وتقليل الأخطاء والاستمرار في العطاء، وذلك لا يضيره بل يزيده رفعة في الدنيا والآخرة.

ثالثاً: كتب تحت عنوان: الأركان الستة في دعوة عمرو خالد: نقلاً عن د. عبد الحليم عويس، قوله: ((وبحق يُعد (عمرو خالد) ظاهرة مستقلة استفاد صاحبها من كل الأخطاء السابقة التي عاقت الدعاة عن دعوتهم، ثم ذكر الركن الثالث، (٣): حافظ على استقلاله وتجرد للدعوة والقضية التي وهب نفسه لها فلا لوم عليه ولا تثريب بل يُحسب هذا له، لأنه نجح في استخلاص دعوته من الاتجاهات السياسية أو الحزبية أو الدينية ذات الطابع السياسي)).

وهذا الاستقلال، مظنة للزلل والخطأ المهلك وقد يعود على الدين بالنقض واتباع المحدثات، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، ويد الله مع الجماعة، وطريق الدعوة أصيل، وقد قال الله فيه: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]. وعن العرباض ابن سارية – رضي الله عنه – قَالَ: [قام فينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، ابن عثيمين، ج٩ ص١١٩.

وذرفت منها العيون. فقيل يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. وعظتنا موعظة مودع. فاعهد إلينا بعهد. فقال (عليكم بتقوى الله. والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً. وسترون من بعدي اختلافاً شديداً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم والأمور المحدثات. فان كل بدعة ضلالة][(١)]. فالقرب من العلماء والأخذ عنهم والصدور عن رأيهم علامة توفيق للعبد وسداد لرأيه وفكره.

رابعاً: كتب تحت عنوان: الداعية الإسلامي عمرو خالد في سطور: وجاء فيها: الجوائز التي حصل عليها عمرو خالد: تم اختيار عمرو خالد في استفتاء مجلة النيوزويك واحداً من أكثر الكتاب والمفكرين تأثيراً في الشرق الأوسط عام ٢٠٠٤م، تم اختيار عمرو خالد ضمن أكثر ١٠٠ شخصية مؤثرة حول العالم في استفتاء مجلة التايم الأمريكية ٢٠٠٧م. واختيار وتكريم هذه المجلات وقُرائها مؤشر سلبيٌ أكثر منه أن يكون إيجابي، أربأ بأخي الدكتور عمرو خالد أن يفرح به، فضلاً عن أن يعتبر اختياره ضمن قائمة المجلة رسالة له على سلامة منهجه وأنه يسير على الطريق الصحيح.

فقد قال في لقاء مع جريدة الشرق الأوسط: ((ليس لي أن أسعد باختيار المجلة ولكنني بالفعل أشعر بالسعادة لهذا الاختيار الذي جاء بعد عام طويل تعرضت فيه لكثير من الانتقادات، ولهذا شعرت بمجرد إبلاغي بالخبر وكأنها رسالة بأنني على الطريق الصحيح))[(٢)]. والله يقول: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

(١) سنن ابن ماجه، محمد القزويني، ج١ ص١٥، كتاب المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٢) قال الألباني (صحيح) انظر: صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، الألباني، ج١ص١١٤.

صحيح سنن ابن ماجه — ضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الرياض، دار النشر: دار المعارف، سنة الطبع: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الطبعة: الأولى، ج١ص١١٤.

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، العدد:١٠٣٩٧، الخميس ٠١ جمـــادى الأولى ١٤٢٨هـ – ١٧ مايو ٢٠٠٧م. www.aawsat.com.

خامساً: كتب تحت عنوان: الأركان الستة في دعوة عمرو خالد: نقلاً عن د. عبد الحليم عويس، قوله: فقد قرر في البداية أن يكون داعية بعيداً عن الفتوى لأن الفتوى منطقة خلاف وتطاحن، ثم إنه ليس متخصصاً فيه، فمن فقه الدعوة ألاّ يتكلم في غير تخصصه، بل يترك هذا لأهل الذكر، وما نُسب إليه من قول بالفتوى هو في الحقيقة كلام عام في فقه الدعوة وفقه الإسلام وليس فقهاً في الفروع والأحكام، حتى وإن تقوَّل عليه المتقولون بغير ذلك ... سامحهم الله ... هذا أولاً. وتكرر قوله في أسباب نجاح عمرو خالد، (٨) عمرو خالد، داعية بعيد عن الفتوى.

وعرض الكاتب: في ثنايا الكتاب فتاوى للدكتور عمرو خالد في موضوعات متفرقة ومنها: الحوار مع الدنمارك، وأن خلافه مع من رأى المنع مثل الشيخ يوسف القرضاوي، اختلاف تكامل وتضافر لا اختلاف تضاد وتنافر، ومنها كذلك: التدخين والحجاب واللحية والغناء والفن والموسيقى وشرعية وجود الرجال والنساء في درس ديني، بغض النظر عن الفتوى، ولكنها جاءت على خلاف المبدأ والركن الأول من أركان دعوته، وفقه الله.

سادساً: موضوع هل كفر إبليس؟ أم لا؟ والذي طال فيه الجدل والأخذ والرد، ولبيان الأمر وحقيقته إن شاء الله، سأورد ما ذكره الدكتور عمرو خالد فقد قال بالضبط وبعد مرور عشرين دقيقة وحوالي ٤٣ ثانية من بدء المحاضرة التي كانت بعنوان قصة آدم وحواء ((أرجو التركيز يا جماعة إبليس كفر بربنا أم لم يكفر؟ لأ لم يكفر .. هو إبليس ماذا يقول لربنا: ﴿خَلَقۡتَنِي﴾ [الأعراف: ١٢] ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف: ١٢]، إذن هو اعترف إن الله هو الذي خلقه يعنى أنت يارب خلقتني وأنت يارب الذي خلقته، وفي آية ثانية يقول فيها: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: ٨٢]، إذن إبليس مدرك عزة الله – عز وجل – أليس كذلك؟؟

وفي آية ثالثة يقول له فيها: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩]، لأن الموضوع ليس بيدي بل بيدك أنت، إذاً هل أنكر إبليس أن الله هو الخالق؟ لأ.. هل أنكر إبليس أن الله هو الرب؟؟ لأ ... فماذا أنكر إذاً؟؟؟ ماهي مشكلة إبليس؟؟ رفض الطاعة.. نعم هذه مهمة جداً أنت رب؟ نعم، لكن أنت إله تقول لي أعمل كذا ولا أعمل كذا لأ .... واضحة النقطة هذه

أم غير واضحة؟ ربنا موجود؟؟ طبعاً ربنا موجود، فهل نفذ كلامه.. لا، فلماذا إذاً؟!!! في الأصل هذا موضوع وهذا موضوع، ربنا الذي خلقنا؟ نعم، لكن نحن نسير ونعيش في الدنيا بأمزجتنا، من أجل ذلك جاءت الآية أمام عنيك ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، انظر هذه الآية ... الذي خلق؟؟؟؟ يأمر ... ألا له الخلق والأمر فلا تحدثوا فرقاً، ويوجد أناس كثير لديهم اختلاف يقول لك ربنا إله عظيم، ويقول لك كلام أنت لا تعرف أن تقول له ربنا عظيم، وهو الخالق، المدبر الـــ، الـــ، فهل تعبده؟؟؟ وتنفذ قرآنه؟؟؟ لأ .. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

يا جماعة عنوان ديننا الإسلام، الدين هذا استسلام: معناها ماذا؟...، معناها الاستسلام لأوامر الله – عز وجل –، أنا مسلم .. يعنى أنا مستسلم لله – عز وجل –، يا جماعة ربنا جعل اسم الدين هكذا .. الإسلام، يعنى: الاستسلام لأوامر الله – عز وجل –، من أجل ذلك كانت قصة إبليس وآدم "أ، ب إسلام"، مشكلة إبليس أنا لن أستسلم لأوامرك .. لكن أنت الخالق، وأقول لك وبِعِزَّتِك لكن لن أستسلم لأوامرك، فيا ترى أحد عنده مشكلة كهذه؟؟" !! .. هذا هو ما قاله عمرو خالد في المقطع الذي أورد فيه حديثه عن كفر إبليس))[1].

قلتُ: كان أخي الدكتور عمرو خالد في غنى عن كل هذا، وما تبع حديثه هذا من جدل واتهام للنيات، وإشغال لطلبة العلم بل والعلماء في تعليقهم أو فتواهم على ذلك الحديث من كفر إبليس!! لو اتبع منهج وطريقة السلف في تفسير الآية: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فأئمة التفسير وغيرهم ممن فسر الآية، لم يقل أحدٌ منهم بما قاله الدكتور عمرو خالد، وعلمهم وطريقتهم أحكم وأسلم في الوصول إلى المعنى المراد من الآية، وهذا يعيدنا إلى ما ذكر سابقاً من أهمية التعلم وأخذ العلم عن العلماء الربانيين، وعدم الاستقلال بالرأي لأنه مظنة عثرة وزلة.

---

(١) عمرو خالد بين ناقديه ومادحيه، محمد نجاتي سليمان بمعاونة مجموعة من الباحثين والباحثات، القاهرة، نشر دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٠م، الطبعة الأولى، ص٣٨. بتصرف.

وفي بيان أسلوب د. عمرو خالد يقول الكاتب وفقه الله معلقاً وموضحاً على ذات الموضوع: ((الأستاذ عمرو خالد يعتمد في محاضراته على أسلوب التشويق والحبكة القصصية والدرامية، وهو أسلوب فعال ومؤثر في الناس، يبدأ فيه بعقدة محيرة يحتار لها الناس ويُشد انتباههم لها، ثم يزداد الأمر تعقيداً، فيزداد الانتباه إلى أن يصل إلى ذروته، ثم تُحَل هذه العقدة ببساطة ليخرج للناس منها بمغزى معين وسط صفاء ذهني شديد))(1). وقد لا يخرج الناس أو بعضهم من تلك العقدة، بل ويدخلون في غبش ذهني وعقدي، شديد أيضاً.

سابعاً: تعليقه على حديث [ناقصات عقل ودين] فعن أبي سعيد الخدري قال: [خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم –في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم قلن بلى قال فذلك من نقصان دينها](2).

ود. عمرو خالد قال: ((أرجو التركيز: النساء ناقصات عقل ودين متى النبي قال هذا الحديث؟! يوم العيد الصبح وهو خارج من صلاة العيد أول ما قابل النساء اللواتي خرجن من صلاة العيد... بالله عليكم! يوم العيد الصبح! والنساء حضروا صلاة العيد وليس لم يحضروا! حضروا صلاة العيد.. النبي الحكيم الرحيم أول ما يقابل النساء يقول لهن أنتن ناقصات عقل ودين؟! في يوم عيد الذي هو يوم الفرحة ..!!! أنا أريد أن أقولكم إن الموضوع لا يستقيم .. يوم العيد الذي هو يوم الفرحة، والنساء خارجات وجزاهم الله خيراً حضروا صلاة العيد .. والنبي الحكمة والرحمة يقابلهم ويقول لهن أنتن ناقصات عقل

(1) عمرو خالد بين ناقديه ومادحيه، محمد نجاتي، ص٤١.

(2) البخاري، كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، حديث رقم (٣٠٤)، ج١ص٣١٤، ومسلم، ١ كتاب الإيمان، ٣٤ باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، حديث رقم (١٣٢)، ج١ص٨٦.

ودين!!!! لا يمكن أن يكون هذا المفهوم، ألا يمكن أنه كان يمازحهنَّ؟؟ وللعلم أحد العلماء أو كثير من العلماء قالوا بذلك: لعله كان يداعب النساء!! وأخذت وحُرفت!! وأصبح كل من يريد أن يشتم امرأة يقول لها أنت ناقصة عقل ودين والمعنى لم يكن كذلك))[1] انتهى.

قلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونص الحديث كما سبق وهو متفق عليه ثم إن أخانا د. عمرو خالد يقول: إن الموضوع لا يستقيم، وتساءل: ألا يمكن أنه كان يمازحهنَّ؟؟ واستفهامه تقريري، أكده بقوله: وللعلم أحد العلماء أو كثير من العلماء قالوا بذلك: لعله كان يداعب النساء!! وهو ما أكده الكاتب أيضاً، فقال: إذا يتضح للكل من كلام الداعية عمرو خالد أنه لم ينكر الحديث الصحيح وإنما أنكر استخدام الحديث بطريقة التقليل من شأن النساء وقال ما قاله بعض أهل العلم وهو: "لعل مقصد النبي من قوله للنساء إنكن ناقصات عقل ودين، صباح يوم العيد من باب مزاحه- صلى الله عليه وسلم -معهن، وقد حدث مثل هذا مع المرأة العجوز التي قال لها ممازحاً: لا يدخل الجنة عجوز.

وبحثت في شروح الحديث كابن حجر والنووي وكتب غيرهم من أهل العلم، فلم أجد أحداً منهم قال بهذا القول، وأورد الكاتب في حاشيته بعض الذين قالوا بهذا القول من المعاصرين: ((يقول بهذا أيضا الدكتور محمد سليم العوا[2]، ضمن توضيحه لمقصد النبي من حديث ناقصات عقل ودين، وألمح إلي هذا الأمر الشيخ عبد الحليم أبو شقة[3] – رحمه الله

---

(١) عمرو خالد بين ناقديه ومادحيه، محمد نجاتي، ص٣٣. بتصرف.

(٢) محمد سليم العوَّا (٢٢ ديسمبر ١٩٤٢م بالإسكندرية) مفكر إسلامي وكاتب ومحامي، متخرج في جامعة الإسكندرية، ومن المختصين بالدراسات القانونية الجنائية، ينتمي إلى الاتجاه "العصراني"، وأحد رواد ما يسمى باليسار الإسلامي، قسم سنة الرسول صلى الله عليه وسلم تشريعيه وسنة غير تشريعية، وادعى أن أغلب المروي عنه صلى الله عليه وسلم هو من النوع الثاني. (انظر: سلسلة "نظرات شرعية في فكر منحرف"، المجموعة السادسة، محمد سليم العوا، من إعداد سليمان بن صالح الخراشي. والموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(٣) عبد الحليم محمد أحمد أبو شقة ولد بالقاهرة في ٢٨ أغسطس ١٩٢٤م، عالم ومفكر إسلامي مصري، عمل معلماً ووكيلاً ثم مديراً لإحدى المدارس الثانوية بقطر، في أواخر الأربعينيات اتجه أبو شقة إلى الاهتمام بقضايا الفكر والتربية، من أشهر أعماله موسوعة تحرير المرأة في عصر =

- في بحثه الرائع تحرير المرأة في عصر الرسالة))[1].

قلت: ونعود مرة أخرى إلى أهمية التعلم وأخذ العلم عن العلماء الربانيين، وأن الذين عناهم د. عمرو خالد بقوله: وللعلم أحد العلماء أو كثير من العلماء قالوا بذلك: لعله كان يداعب النساء، وأشار إليهم الكاتب في حاشية كتابه، مخالفون لمنهج السلف ولديهم انحراف عن مفهوم التدين الصحيح[2].

والقول بأن الحديث جاء على وجه المزاح والمداعبة للنساء، قول مُتكلف أبعد صاحبه فيه النجعة، ((هذا التأويل البعيد المتكلف للحديث، غير صحيح، وهو غلط بيّن، نسأل الله أن يهدي قائله، ويعفو عنه، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن في سياق المزاح، وهو في حال خطبة يعلم فيها الناس، وهي خطبة العيد الذي هو مجمع ديني عظيم ومهم، يتلقى فيه المسلمون خاصتهم وعامتهم، تعاليم دينهم، وقد قال - تعالى - ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ** ﴾[النجم: ٣ - ٤].

وقد اتفق العلماء أن كل ما يقوله النبيّ - صلى الله عليه وسلم - وحيٌ يجب قبوله، وأما مداعباته- صلى الله عليه وسلم -، فكانت قليلاً جداً، مثل قوله لأنس: [يا ذا الأذين][3]، وقوله: [يا أبا عمير ما فعل النُغير][4]، ونحو ذلك، وفي سياق يدل دلالة واضحة

=

الرسالة.. (انظر: نقـــد كتاب "تحرير المرأة في عصر الرسالة" لمؤلفه عبد الحليم أبو شقة من إعداد سليمان بن صالح الخراشي. والموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki).

(١) عمرو خالد بين ناقديه ومادحيه، محمد نجاتي، ص٣٤ الحاشية.

(٢) ولمزيد بيان، انظر: سلسلة "نظرات شرعية في فكر منحرف"، المجموعة السادسة، محمد سليم العوا. ونقـــد كتاب "تحرير المرأة في عصر الرسالة" لمؤلفه عبد الحليم أبو شقة، وكلاهما من إعداد سليمان بن صالح الخراشي وفقه الله.

(٣) سنن الترمذي، ٢٨ - كتاب البر والصلة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، باب ٥٧ ما جاء في المزاح، حديث رقم (١٩٩٢)، ج٤ ص٣٥٨، قال الألباني (صحيح) انظر: صحيح سنن الترمذي، ج٨ ص٣٢٨.

(٤) البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، حديث رقم (٦١٢٩)، ج١٥ص٣٦١، =

على أنه مزاح، لئلا يلتبس بغيره، ومع ذلك فإنه حتى لو مزح لا يقول إلا حقاً. فعن أبي هريرة قال: [قالوا يا رسول الله!: إنك تداعبنا قال: إني لا أقول إلا حقاً][1]، قال ابن حجر "كما سيجيء في باب المراء عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال: [إني لا أقول إلا حقاً]: أي عدلاً وصدقاً لعصمتي عن الزلل في القول والفعل" ... ومن المهم أن نبين هنا خطورة منهج تطويع نصوص الشرع، لتلائم ضلالات الأفكار العصرية المبنيّة على أهواء الذين لا يعلمون من المفكرين ...، وخوفاً من سُعار الهجمة على ثقافة الإسلام، فإن ثمار هذا المنهج خطيرة جداً، فهي تؤدي إلى تحريف الدين، وكفى به إفكاً مبينا))[2].

ثامناً: موضوع حضور د. عمرو خالد المجالس المختلطة وجمعه الرجال والنساء غير المحجبات في صعيد واحد في كثير من برامجه الفضائية، ويتبادل معهن الابتسامات والضحكات والتعليقات مع تعمد القناة تصوير النساء المتبرجات أحياناً، وهذا ظاهر بين، والكاتب عفا الله عنه، ينسب ذلك إلى القناة التي يتحدث فيها عمرو خالد، وأنها هي المسئولة الوحيدة عن حضور الجمهور وترتيب جلوسهم.

قلت: من الواجب على الداعية أن يتنبه من أن تتخذه مثل هذه القنوات جسراً لتطبيع الاختلاط في برامجه، وأن يُصبح أمراً مستساغاً ومقبولاً لدى الدعاة ومن يحضر لهم في الاستديو أو يتابعهم خلف الشاشات، والأمر الآخر أن د. عمرو خالد هو المطلوب وصاحب الموقف الأقوى، لما حباه الله من حسن الأسلوب والعرض، فله أن يشترط، ولا تفرض عليه القنوات ما تريد بل هو يفرض عليها ما يريد.

= ومسلم، ٣٨ كتاب الآداب، ٥باب استحباب تحنيك المولود..، حديث رقم (٣٠)، ج٣ص١٦٩٢.

(١) البخاري، باب المزاح، حديث رقم (٢٦٥)، ج١ص١٠٢، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الأدب المفرد، بيروت، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م، الطبعة الثالثة، ج١ص١٠٢.

(٢) مقال نظرية الممازحة والمداعبة وحديث ناقصات عقل ودين، حامد بن عبد الله العلي، شبكة النور، موقع المختار الإسلامي www.islamselect.net/mat. بتصرف يسير.

ومع الأسف أيضاً ففي بعض البرامج الأخرى الخاصة ظهر فيها الدكتور عمرو خالد مع النساء في تبسط وضحكات متبادلة وفرق عمل مشتركة، ومنها: وبرنامج بعنوان: (كلام من القلب عمرو خالد يستضيف الممثلة السابقة سهير البابلي) برنامج (تليفزيون الواقع) بمشاركة ١٦ شاباً وفتاة بينهما اثنان من السعودية معالي فقيه وعبد العزيز النعمان نموذجان مشرفان للشباب في (مجددون). عمرو خالد: (مجددون) برنامج (تليفزيون الواقع) الهادف الأول من نوعه في العالم العربي قدمنا برنامجاً تنموياً في صورة عصرية جذابة لم تغفل الجانب الترفيهي وقال د. عمرو خالد: إن الشباب الذين يشاركون في البرنامج عاشوا مع عمرو خالد لمدة ٨ أشهر تلقوا خلالها تدريباً تنموياً ومهارياً وإعلامياً وتدريباً للقدرات على التحمل. هذا العام نقدم للعالم العربي ١٦ شاباً وفتاة وفي العام المقبل سنقدم عدداً أكبر.

والبرنامج الصيفي للفتيان والفتيات في صيف ٢٠١٠م ببريطانيا للشباب من الجنسين فوق سن ١٠ سنوات لغاية ١٧ سنة ويستمر لمدة أسبوعين في الفترة مابين ١٠-٢٤ يوليو في مدينة برمنجهام ونور فولك. وهذه جميعاً صور لتطبيع الاختلاط بين الجنسين، وإقحام المرأة في كثير من البرامج التي لا تليق بها وتخدش حياءها، وهذه البرامج تتم على الهواء المفتوح، ويتم تناقلها ومتابعتها عبر الشاشات والشبكات، وهي دعوة مبطنة لخروج المرأة ومزاحمة الرجال، وهذا ما حصل حتى شاركت الفتاة من المجتمعات المحافظة.

تاسعاً: موضوع التعايش مع الآخر، الذي لم يتطرق له الكاتب وهو من أبرز، نشاطات وأعمال وأبحاث د. عمرو خالد، ومن أبرز خصائص دعوته وبرامجه وأشدها خطراً وخصوصاً على أكثر الشرائح تأثراً بدعوته وتفاعلاً معها وهم الشباب والنساء، حتى أن رسالته لنيل درجة الدكتوراه كانت بعنوان: الإسلام والتعايش مع الآخر، ويقول د. عمرو خالد: ((مؤكداً أن المصلحة في التعايش، ومن المهم تشجيع ودعم فكرة التعايش، فيقول: أعتقد أن أمامنا بديلين للمستقبل إما صدام الحضارات أو تعايش الحضارات. اعتقد أن من مصلحة المسلمين ومن مصلحة الشباب العربي ومن مصلحة الغرب ومصلحة الجميع أن نشجع فكرة التعايش وندعمها أن نبحث عن مثل هذه اللقاءات ليس للكلام فقط وإنما أن يكون هناك فكر صادق لدى كل الأطراف فعلاً بحيث تجيد التعايش لمزيد من الطمأنينة في

الأرض ...))[1].

والمشكلة هي أن مصطلح (التعايش) بمدلوله الجديد في عصر العولمة، وسيطرة النموذج الغربي وحتمية سيادة الحضارة الغربية يحمل معاني ودلالات ولوازم تمسُّ جوهر عقيدة الإسلام وشريعته ونظامه، وسبق الإشارة إليها[2].

عاشراً: القدوة في شخص د. عمرو خالد من حيث اللحية واللباس، والأولى فيها له ولكل داعية أن يتأسى برسول الله – صلى الله عليه وسلم –الذي قال الله عنه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] وهديه – صلى الله عليه وسلم – في أمر اللحية واللباس، والدكتور عمرو خالد محل قدوة ونظر وتأسي ممن يُخاطبهم ويدعوهم إلى الله ومقام الحال أعظم من مقام المقال عندهم، وقد ساق الكاتب وفقه الله رأي د. عمرو خالد في اللحية في معرض جواب له على سؤال.

السؤال أتى من السائلة: رهف مارديني – سوريا وكان نصه: لو سمحت لي بالسؤال الذي يدور في بالي الآن ومنذ زمن .. لماذا لا تربّي لحية؟؟ وإن كان السؤال غير مقبول فاعذرني، وحفظك الله من كل سوء.

إجابة الأستاذ عمرو خالد: جزاك الله خيراً يا رهف على الدعاء لي، سؤالك مقبول طبعاً، وموضوع اللحية يتلخص فيما يلي: اللحية سنة واجبة، لكنها إذا تعارضت مع فرض من الفروض أكبر منها فالأولوية للفرض، وهذا الفرض مثل الدعوة إلى الله، فإذا تعارضت سنة مع فريضة فالأولوية للفريضة وحتى لو كانت اللحية فرضاً وتعارضت مع فرض أكبر منها "الدعوة إلى الله" فالأولوية للفرض الأكبر .

وهنا يأتي سؤال: هل هناك تعارض عندك بين هذه السنة والفريضة التي تقوم بها؟ فأقول: نعم يوجد تعارض منذ أن كنت في مصر، وأستأذنك أني لا أستطيع أن أبدي ما هو

---

(١) موقع محطة البي بي سي العربية http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east الدوحة، الأحد ٢٦ فبراير ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: ص ٤٠١.

هذا التعارض، فإني أحتفظ بهذا الأمر لا أعلن عنه على الهواء مباشرة حتى أستمر في أداء الفرض.

الخلاصة: إذاً الأستاذ عمرو خالد غير منكر لوجوب اللحية، ولا لأهمية تربيتها لأنها من سنن الفطرة ومن سمت الرجال وفيها مخالفة للمشركين، وبعيداً عن الخلافات الدائرة قديماً وحديثاً عن حكمها. قال الرجل بالأحوط ولكن هناك أمور تمنعه من تطبيق هذا الأمر الذي استقرت إليه نفسه. فعلينا أن ندعو الله له أن يذلل له الصعاب، وأن يوفقه لكل ما يحب ويرضى(1).

نسأل الله تذليل المصاعب والتوفيق لكل ما يحبه الله ويرضاه لنا وله وللكاتب ولجميع المسلمين، وأحسب أن التعارض المشار إليه بين إعفاء اللحية والدعوة إلى الله، قد زال، وكم هم الدعاة إلى الله في مصر الذين قد أعفوا لحاهم في السابق واللاحق، ولا زال أخانا د. عمرو خالد يُصر على مخالفة هدي النبي – صلى الله عليه وسلم – في أمر إعفاء اللحية، مع كل ظهور له في البرامج إن لم يكن يومياً، بل في اليوم أكثر من مرة لمتطلبات التصوير الفضائي، وتابعه أخانا الكاتب محمد نجاتي في ذلك، تاب الله علينا أجمعين ورزقنا حسن الاتباع قولاً وعملاً، كما قال الله ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١].

وكذلك اللباس والزي الغربي الذي تعود د. عمرو خالد الظهور به في جميع البرامج والمناسبات مما انعكس على كثير من متابعيه ومحبيه ومنهم الكاتب، فتجد الزي الغربي مسيطر وطاغ على الشباب والفتيات متابعي برامج د. عمرو خالد، وهذا التشابه في الظاهر أورث سلوكيات أخرى ذات مسحة وثقافة غربية في حياتهم، ومع طول المخالطة الحسية أو عبر القنوات والشبكات، والنظر والسماع للبرامج والأفلام وكذلك برامج المحادثة والدردشة مع الغرب، والتأثر بالثقافة الغربية، فقد طبعت بعض السلوكيات والأخلاق والصفات في حياة المخالطين لهم والمتعايشين معهم غالباً، وخصوصاً الشباب من الجنسين.

(١) عمرو خالد بين ناقديه ومادحيه، محمد نجاتي، ص١٤٧.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((فالمشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة، توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي. وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين، هم أقل كفراً من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيماناً من غيرهم ممن جرد الإسلام، والمشاركة في الهدي الظاهر توجب أيضاً مناسبة وإئتلافاً، وإن بعد المكان والزمان فهذا أيضاً أمر محسوس ..

ويقول أيضاً: فنقول: مشابهتهم في الظاهر سبب ومظنة لمشابهتهم في عين الأخلاق والأفعال المذمومة، بل في نفس الاعتقادات، ويقول: أن المشابهة تورث نوع مودة ومحبة وموالاة بين المتشابهين، الوجه الثامن: أن المشابهة في الظاهر تورث نوع مودة ومحبة، وموالاة في الباطن، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة))[1].

وتلك النقاط العشرة التي وردت في ثنايا الكتاب عمرو خالد بين ناقديه ومادحيه وغيرها كثير، تُبين بعض جوانب الانحراف في دعوة د. عمرو خالد، عما كانت عليه دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه – رضي الله تعالى عنهم –، ومطلوب منا جميعاً أن نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر، وهو ما يدعو إليه الكاتب الأستاذ محمد نجاتي سليمان في كتابه، وأن الحق لا يُعرف بالرجال ولكن الرجال يُعرفون بالحق، وأعظم الحق وأوضحه وأنقاه هو ما كان عليه نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –، وأن نصحح الأخطاء ونعدل المسار بكل شجاعة وصبر وإخلاص لنمضي في دعوتنا على طريقه – صلى الله عليه وسلم –، مستنيرين ومحققين لقوله – تعالى –: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨].



(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، ج١ ص٢٢١

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله يوفق المرء للحسنات والخيرات ويُهدى للصراط المستقيم والطاعات التي كانت فضلاً من سبحانه على عباده وأوليائه فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٩ – ٧٠].

نسأل الله أن يمن علينا ويجعلنا منهم فيهدينا لما هداهم إليه ديناً قويماً وصراطاً مستقيماً وخلال بحثي هذا الذي عنونت له بــ:"الانحراف المعاصر في مفهوم التدين" تناولت فيه جوانب مهمة في تدين الإنسان المسلم وشملت تعريف الدين والتدين، وكذلك التدين الصحيح وضوابطه والهدي النبوي في التدين والتدين الباطل وتعريفه، ومفهومه عند المعتزلة والمرجئة، والسمات المشتركة مع أصحاب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، وتعريف الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، ونشأته وأسبابه، ومجالاته، وأصوله، وسماته ومسالك القائلين به، وموقف مراكز الدراسات والساسة والمفكرين والمثقفين، وشبهات وآثار ومخاطر دعاة الانحراف المعاصر في مفهوم التدين والرد عليها، ووسائل وأساليب تقويم الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته.

وبعد ذلك خلصت إلى أهم نتائج البحث وتشمل ما يلي:

أولاً: التدين الصحيح هو ما كان عليه الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم –، وأصحابه – رضي الله عنهم–، وهم الأسوة والقدوة في التدين ومن سار على نهجهم من أئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة، ملتزمون بما جاء في الكتاب والسنة ومقتفون لأثر النبي – صلى الله عليه وآله وسلم –، والسلف الصالح إلى يومنا.

ثانياً: وجوب الرُّجوع لفهم السَّلفَ الصَّالحَ، فقد تميَّزوا بالفهمِ الصَّحيحِ والتَّطبيقِ العمليِّ لما جاء في الكتاب والسُّنَّة. وقد دلَّت الأدلَّةُ الشَّرعيَّةُ على ذلك، فلهذا يجب على كلِّ ناظر في الدَّليل الشَّرعيِّ مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به، فهو أحرى بالصَّواب، وأقومُ في العلم والعمل.

ثالثاً: استمرار كيد الأعداء لهذا الدين، من داخله وخارجه، وهجومهم عليه، لتغييره وإضعافه، وتلبيسه على أهله، وتمرير ثقافتهم وغزوهم للمسلمين، حسداً من عند أنفسهم وحرباً باردة موجهة على الإسلام وحياضه وحدوده، وذلك مصداقاً لقوله - تعالى -: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [سبأ: ٣٣]؛ ليكون الإسلام مسخاً بعيداً عن أصوله وثوابته، ومبتسراً يقتصر على بعض أعماله وفضائله.

رابعاً: أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، قام على أصول الفرق المخالفة لمنهج السلف من الفرق القديمة كالجهمية والمعتزلة والمرجئة والشيعة والنصيرية الباطنية والمتصوفة ومن سار على نهجهم من الفرق المعاصرة من البهائية والقاديانية والرافضة والأحباش، وهم من أعظم أسباب الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

خامساً: الفلسفة الغربية ودعاة فلسفة العلوم (الإبستمولوجيا)، وروادها من الكتاب المعاصرين من أمثال د. محمد أركون ود. محمد الجابري ود. نصر حامد أبو زيد ود. محمد شحرور ود. حسن حنفي ود. حسن الترابي، من أعظم أسباب صور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

سادساً: الفكر الإرجائي، جنا جناية كبرى على الأمة الإسلامية، والتي ظلت - مع عوامل أخرى - تفرغ لا إله إلا الله من معناها الحقيقي تدريجياً، حتى أحالتها في النهاية إلى كلمة خاوية من روحها، وتركت دينها أرق من الثوب السابري.

سابعاً: الفتاوى الشاذة من بعض المتصدرين للفتوى من غير أهلها، من أمثال جمال البنا، عامل من أهم العوامل في فساد تدين الناس وانحرافه عن الدين الحق والشريعة الصحيحة.

ثامناً: الجهل والتصدر لدعوة الناس على علم وبصيرة، من أسباب الانحراف والميل عن سبيل المؤمنين والابتداع في الدين.

تاسعاً: دعوة د. عمرو خالد - هداه الله للصواب -، من الدعوات المعاصـــرة التي انحرفت في مفهوم التدين، ووُصفت دعوته بالتدين الجديد، كما وُصف هو أنه من الدعاة الجدد .

عاشراً: دعوة د. خالص جلبي، وإبراهيم البليهي، ويوسف أبا الخيل، ومشاري الذايدي، ومنصور النقيدان، وعبد الله بن بجاد، - أصلح الله الجميع -، من خلال كتاباتهم خاصة، من الدعوات المعاصرة القائمة على الجمع بين الفلسفة الغربية، والمدرسة المعتزلية العقلانية والتي انحرفت في مفهوم التدين.

الحادي عشر: دعوة د. طارق السويدان - أصلحه الله وهداه -، العلنية المسموعة والمرئية والمقرؤة، وخاصة عبر قناة الرسالة وبرنامج الوسطية، وكذلك دعوة د. عدنان إبراهيم عبر مسجده وخطبه وموقعه، من الدعوات المعاصرة التي انحرفت في مفهوم التدين القائمة على فكره المعتزلي العقلاني، كما يوجد عدد من الدعوات المشابهة والمعاصرة لعدد من الدعاة هي بحاجة إلى تتبع ودراسة.

الثاني عشر: وسائل الاتصال والإعلام المعاصرة هي من أعظم الأسباب في بث الأفكار المسمومة والمعتقدات الفاسدة والتصورات الخاطئة، وهذه الوسائل قد تعددت وتفننت في نقل الشر وتزيينه لمشاهديه ومُستمعيه وقُرائه، واتسعت دائرة تأثيرها في نشر أصول الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، ووسائل الإعلام المحلية والإقليمية وخاصة الصحف صدرت رموزه، وجعلت منهم مفكرين إسلاميين ، وخبراء في الحركات الإسلامية، وصناع للرأي العام.

الثالث عشر: صلاح حال الأمة ودعاتها، وسلامة تدينهم واستقامتهم، لا يكون إلا بالعودة الصادقة إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم - صلى الله عليه وآله وسلم -، بناءً على فهم سلفهم - رضي الله عنهم- ورحمهم.

وأبرز التوصيات:

وبعد تلك النتائج السابقة الذكر، وحرصاً على استثمارها في الخروج بتوصيات نافعة علمية وعملية تكون في حيز التنفيذ، لصد خطر الانحراف المعاصر في مفهوم التدين ودعاته، فإني أوصي بما يلي:

١. نشر مفهوم الدين والتدين الصحيح، وتفعيل دور العلماء والمفكرين والمعلمين من خلال البرامج والخطط الموجهة، للمحافظة على العقيدة الصحيحة والتدين الصحيح

عبر جميع الوسائل المتاحة في الأمة، ليصل إلى جميع شرائحها وكافة مستوياتها ومؤسساتها.

٢. أهمية العلم والعلماء الربانيين الذين يعلمون الناس على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة – رحمهم الله –.

٣. رد الفتوى إلى أهلها والصدور عنهم في مسائل العلم، وما يتجدد في حياة الأمة من قضايا ومشكلات.

٤. الحذر من كيد الأعداء لهذا الدين، وهجومهم عليه، لتغييره وإضعافه، وتلبيسه على أهله، وتمرير ثقافتهم وغزوهم للمسلمين، حسداً من عند أنفسهم، وحرباً باردة موجهة للإسلام وحياضه وحدوده، وذلك مصداقاً لقوله – تعالى –: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ﴾ [سبأ: ٣٣]. وحتى لا يكون الإسلام مسخاً بعيداً عن أصوله وثوابته، وابتساراً يقتصر على بعض أعماله وفضائله، يتمثل في هذه الظواهر الحادثة المعروفة اليوم بالتدين الجديد، أو الإسلام الذي يريده الغرب.

٥. حماية فكر الأمة وعقيدتها، وتحصينها ضد الفرق الضالة والبدع والأفكار والمعتقدات الدخيلة والمنحرفة، وتحذير الأمة من صور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين.

٦. استبانة سبيل المجرمين، واجتناب سُبل الضالين، ومقاومة وسائل المنحرفين المبدلين، واحتساب العلماء العاملين والدعاة المخلصين في كشف وبيان انحراف المغيرين، وتحريك الأمة للذود عن عقيدتها وسلامة دينها وأخلاقها.

ومن التوصيات العملية كذلك:

١. المراكز البحثية المتخصصة في العقائد والفكر، والسعي في إنشائها لتُعنى بدراسة وتتبع الأفكار ورصد الظواهر المنحرفة والدخيلة على الفكر الإسلامي وأصحابها، والرد عليها.

٢. الدراسات والبحوث العلمية وتوجيه طلبة الدراسات العليا بالجامعات وعمادات البحث العلمي، واللجان العلمية على مستوى الكليات، لدراسة وبحث ظواهر

الانحراف في مفهوم التدين وتقويمها.

٣. مادة المذاهب الفكرية المعاصرة المدرسة في جامعاتنا وأهمية التحديث المستمر لها، بإضافة كل ما هو جديد من الأفكار والظواهر المحدثة.

٤. المؤتمرات والندوات العلمية، والدعوة إليها وعقدها من خلال محاور تُناقش الأفكار المنحرفة وتضع لها وسائل العلاج المناسبة.

٥. المحاضرات والحلقات العلمية في المساجد والجامعات والقنوات وغرف البالتوك لنشر الحق والتدين الصحيح وبيانه للناس.

٦. الدروس العلمية، وترتيبها والإعداد لها من المختصين وتقديمها لطلبة العلم، ليحذروا من صور الانحراف المعاصر في مفهوم التدين، ويُبينوها للناس.

٧. الكتب والمقالات العلمية والفكرية المؤلفة والمكتوبة لبيان مستجدات العصر ونوازله.

٨. الجلوس مع الدعاة أصحاب الفكر المنحرف، ومحاورتهم من قبل المختصين ومواجهتهم بشُبههم وتفنيدها والرد عليها وبيان أخطائهم.

٩. الدراسة البحثية المتخصصة والمنفردة لفكر كلاً من: د. محمد أركون، ود. محمد الجابري، ود. نصر حامد أبو زيد، ود. محمد شحرور، ود. حسن حنفي، ود. حسن الترابي، ود. عدنان إبراهيم، ود. خالص جلبي، وكذلك الكتاب: إبرهيم البليهي، ود. محمد المحمود، ويوسف أبا الخيل، ومشاري الذايدي، ومنصور النقيدان، ود. طارق السويدان، ود. عمرو خالد، تشمل أفكارهم وجوانب الانحراف لديهم من خلال كتاباتهم وبرامجهم وجميع ما قدموه، مع ذكر وسائل تقويمهم.

١٠. القنوات الفضائية والشبكات المعلوماتية والمواقع والمدونات والمنتديات والغرف الإلكترونية واستغلالها في بيان الحق ورد الباطل بالدليل.





الفهــارس العامة

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النَّبويِّة
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

م	الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
١	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	الفاتحة: ٥	١	٢٦٧، ٢٧٥
٢	﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	الفاتحة: ٦	١	٣٨٧
٣	﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾	الفاتحة: ٧	١	٣٨٧
٤	﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾	الفاتحة: ٧	١	٣٨٨
٥	﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	البقرة: ٨٥	٢	١٣
٦	﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾	البقرة: ١١٢	٢	٨٠
٧	﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	البقرة: ١٢٠	٢	٣٩٤، ٤٦٨
٨	﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾	البقرة: ١٢٨	٢	٤٦٤
٩	﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾	البقرة: ١٣٢	٢	٤٦٤
١٠	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	البقرة: ١٤٣	٢	٣٤
١١	﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	البقرة: ١٧٩	٢	٤٤١
١٢	﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾	البقرة: ١٩١	٢	٣٤٤
١٣	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	البقرة: ١٩٣	٢	٣٤٤
١٤	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾	البقرة: ١٩٣	٢	٣٧١

م	الآيــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
١٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾	البقرة: ٢٠٨	٢	١٠٦
١٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾	البقرة: ٢٠٨	٢	٤، ١٢، ٣٦
١٧	﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	البقرة: ٢١٣	٢	٣٨١، ٣٨٨، ٣٩٣
١٨	﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ﴾	البقرة: ٢١٣	٢	٤٠٩
١٩	﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾	البقرة: ٢٢٨	٢	٤٤١
٢٠	﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾	البقرة: ٢٥٣	٢	٤٤٦
٢١	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾	البقرة: ٢٥٦ – ٢٥٧	٢	٣٧٠
٢٢	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ﴾	البقرة: ٢٥٦	٢	٢٦٦
٢٣	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾	البقرة: ٢٥٦	٢	٣٤، ١٥٥، ١٦٣، ١٦٥، ٤٥٥
٢٤	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	البقرة: ٢٨٥	٢	٤٦٣

م	الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
٢٥	﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	البقرة: ٢٨٦	٢	٢
٢٦	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾	آل عمران: ٧	٣	٥
٢٧	﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	آل عمران: ٧ – ٩	٣	٣٧٢
٢٨	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	آل عمران: ١٨–١٩	٣	٣٥
٢٩	﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	آل عمران: ١٩	٣	١٢، ٣٤، ١٠٢، ٤٣٥، ٤٦٤
٣٠	﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾	آل عمران: ١٩	٣	٤
٣١	﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	آل عمران: ٣١	٣	٣٨٣، ٤٧٧
٣٢	﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾	آل عمران: ٣٦	٣	٤٤١
٣٣	﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾	آل عمران: ٨٣	٣	٣٤

م	الآيــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
٣٤	﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	آل عمران: ٨٤—٨٥	٣	١٢
٣٥	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	آل عمران: ٨٥	٣	٤، ٣٨٧، ٤٦٤
٣٦	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	آل عمران: ٨٥	٣	٣٤، ٤٣٥
٣٧	﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	آل عمران: ١٠٤	٣	٤١
٣٨	﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾	آل عمران: ١٥٩	٣	٩٤
٣٩	﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾	النساء: ٣٦	٤	٢٦٧، ٢٧٥
٤٠	﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾	النساء: ٤٦	٤	٣٠
٤١	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾	النساء: ٦٥	٤	٤٠٧، ٤١٠
٤٢	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾	النساء: ٦٩	٤	٤٤٦
٤٣	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾	النساء: ٦٩ — ٧٠	٤	٤٧٩
٤٤	﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾	النساء: ١١٥	٤	١١٨، ٣٧٤

م	الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
٦٠	﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾	الأنعام: ١٢٢	٦	٤٠
٦١	﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	الأنعام: ١٥٣	٦	٣٧٩، ٣٨٢
٦٢	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾	الأنعام: ١٥٩	٦	٣٨٢
٦٣	﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾	الأعراف: ١٢	٧	٤٦٩
٦٤	﴿خَلَقْتَنِى﴾	الأعراف: ١٢	٧	٤٦٩
٦٥	﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾	الأعراف: ٥٤	٧	٤٧٠
٦٦	﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	الأعراف: ٥٤	٧	٤٣٩
٦٧	﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾	الأعراف: ٨٧	٧	٤٠٨، ٤١١
٦٨	﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	الأعراف: ١٤٥	٧	٣٨٨
٦٩	﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	الأعراف: ١٥٧	٧	٤١
٧٠	﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)﴾	الأعراف: ١٦٩	٧	١٢٤
٧١	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾	الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣	٧	٣٩

م	الآيــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
٧٢	﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾	الأعراف: ١٧٩	٧	٣٩٢
٧٣	﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾	التوبة: ٧	٩	٣٧١
٧٤	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾	التوبة: ٢٩	٩	٢٧٥
٧٥	﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾	التوبة: ٢٩	٩	٣٤
٧٦	﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾	التوبة: ١٠٠	٩	٣٧٥
٧٧	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	التوبة: ١٢٨	٩	٨٠، ٩٢
٧٨	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾	التوبة: ١٢٨	٩	٨٨
٧٩	﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾	التوبة: ١٢٨-١٢٩	٩	١٠٣
٨٠	﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	يونس: ٩٠	١٠	١٢٥
٨١	﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾	يونس: ٩٤	١٠	٣٨٧

م	الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
٨٢	﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾	يونس: ٩٩	١٠	١٦٥، ٤٥٥، ٤٥٦
٨٣	﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾	يونس: ١٠٩	١٠	٤٠٧، ٤١٠
٨٤	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾	هود: ٧	١١	٢٩٦، ٤٤٨
٨٥	﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾	يوسف: ٤٠	١٢	٤٠٧، ٤١٠
٨٦	﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	يوسف: ٤٠	١٢	١٠٢
٨٧	﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	يوسف: ١٠٨	١٢	٩٨، ٤٦٧، ٤٧٨
٨٨	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾	الرعد: ١١	١٣	٣٦٦
٨٩	﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾	الرعد: ١٧	١٣	١٩٦
٩٠	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾	الحجر: ٩	١٥	١٤٦، ٢٤٤
٩١	﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾	الحجر: ٩٩	١٥	٨٩، ١٢١
٩٢	﴿ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾	النحل: ٣٦	١٦	١٠٠، ٤٦٧
٩٣	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	النحل: ٣٦	١٦	٨٩، ٩٩
٩٤	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) ﴾	النحل: ٨٩	١٦	٤٤٢
٩٥	﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾	النحل: ٩٧	١٦	٣٩٤
٩٦	﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾	النحل: ١٢٥	١٦	٩٩
٩٧	﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾	الإسراء: ١	١٧	٨٦

م	الآيـــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
٩٨	﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾	الإسراء: ٩	١٧	٣٩٤
٩٩	﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	الإسراء: ٢٣	١٧	٢٦٧، ٢٧٥
١٠٠	﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾	الكهف: ٢٦	١٨	١٠٢
١٠١	﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾	الكهف: ٢٩	١٨	١٦٣، ١٦٥، ٢٧٤، ٤٥٥، ٤٥٦
١٠٢	﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾	الكهف: ٢٩	١٨	٢٦٦، ٣٥١
١٠٣	﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾	الكهف: ١١٠	١٨	٨٠
١٠٤	﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾	مريم: ٨٨ – ٩٣	١٩	٤٠٤
١٠٥	﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾	طه: ١٢٣ – ١٢٤	٢٠	٤٣٩
١٠٦	﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾	طه: ١٢٣ – ١٢٦	٢٠	٣٨
١٠٧	﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	الأنبياء: ٤	٢١	٤٥٠
١٠٨	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	الأنبياء: ١٠	٢١	٩٣

م	الآيــــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
١٠٩	﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١ ﴾	المؤمنون: ٧١		٣٢٤
١١٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ... وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾	الحج: ٥ – ٦	٢٢	٤٥١
١١١	﴿ وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٦٨ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾	الحج: ٦٨ – ٦٩	٢٢	٢٦٥، ٣٥١
١١٢	﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾	الحج: ٧٥	٢٢	٤٤٥
١١٣	﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ ﴾	النور: ٢	٢٤	٤٤٢
١١٤	﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾	النور: ٥٤	٢٤	١٠٣
١١٥	﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	النور: ٦٣	٢٤	١٠٨، ٣٩٥
١١٦	﴿ أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾	الفرقان: ٤٤	٢٥	٤٠٤
١١٧	﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴾	النمل: ٧٩	٢٧	٣٨٧
١١٨	﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٠ ﴾	القصص: ٥٠	٢٨	٣٢٤

م	الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
١١٩	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	القصص: ٦٨	٢٨	٤٤٥
١٢٠	﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾	الروم: ٧	٣٠	٣٩٣
١٢١	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الروم: ٣٠	٣٠	٤٣٩
١٢٢	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾	الروم: ٣٠	٣٠	٣٨
١٢٣	﴿ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾	الروم: ٣١ – ٣٢	٣٠	٣٨٢
١٢٤	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	الروم: ٤٧	٣٠	٢٠٠
١٢٥	﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾	لقمان: ٢٢	٣١	٤٤٠، ٤٦٤
١٢٦	﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾	السجدة: ١٨	٣٢	٤٠٣
١٢٧	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾	الأحزاب: ٢١	٣٣	٧٩، ١٠٢، ٣٩٥، ٤٧٦
١٢٨	﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾	الأحزاب: ٣٣	٣٣	٢٥٠
١٢٩	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾	الأحزاب: ٣٦	٣٣	٤٠٧، ٤١٠، ٤٧٠
١٣٠	﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾	الأحزاب: ٤٠	٣٣	١٣٣، ٤٤٦
١٣١	﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾	الأحزاب: ٤٠	٣٣	١٣٣

م	الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
١٣٢	﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ﴾	سبأ: ٣٣	٣٤	١٥، ٢٣٨، ٤٨٠، ٤٨٢
١٣٣	﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	فاطر: ٣١	٣٥	٣٨٧
١٣٤	﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾	ص: ٢٨	٣٨	٤٠٢
١٣٥	﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾	ص: ٧١ – ٧٢	٣٨	٣٨
١٣٦	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	ص: ٧٩	٣٨	٤٦٩
١٣٧	﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾	ص: ٨٢	٣٨	٤٦٩
١٣٨	﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾	الزمر: ٢	٣٩	٢٦٨، ٢٧٥
١٣٩	﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾	الزمر: ١١	٣٩	٨٧
١٤٠	﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾	الزمر: ١٤	٣٩	٨٧
١٤١	﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾	الشورى: ١٠	٤٢	٤٠٨، ٤١١
١٤٢	﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾	الشورى: ١٥	٤٢	٢٦٥، ٣٥١
١٤٣	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾	الشورى: ٢١	٤٢	٨٢، ١٠٢
١٤٤	﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾	الشورى: ٥١	٤٢	٤٤٥
١٤٥	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾	الشورى: ٥٢	٤٢	٤٠

م	الآيـــــــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
١٦٣	﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا﴾	الجن: ١٩	٧٢	٨٦
١٦٤	﴿لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ﴾	الغاشية: ٢٢	٨٨	١٦٥، ٤٥٥، ٤٥٦
١٦٥	﴿وَٱلۡفَجۡرِ ١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ٣﴾	الفجر: ١ ـ ٣	٨٩	٢٩٥
١٦٦	﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾	الشرح: ٤	٩٤	٤٤٦
١٦٧	﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾	التين: ٨	٩٥	٤٠٨، ٤١١
١٦٨	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾	البينة: ٥	٩٨	٢٦٨، ٢٧٥
١٦٩	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾	البينة: ٦	٩٨	٣٩٢، ٤٠٤
١٧٠	﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾	العصر: ١ـ ٢	١٠٣	٣٢



فهرس الأحاديث النَّبويِّة

م	الحديث	الصفحة
١	أتكلمني في حد من حدود الله. قال أسامة: استغفر لي يا رسول الله، فلما كان العشي قام رسول الله خطيباً فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها	٩٦
٢	أحبُّ الناس إلى الله أنفعُهم، وأحب الأعمال إلى الله – عز وجل – سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحبُّ إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له أثبت الله – تعالى – قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل	٩٦
٣	إذا اجتهد الحاكم ...	٣٨٤
٤	إذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر	٤٠٠
٥	إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم	٤٢٢
٦	إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر	٣٨٣
٧	افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، واحدة في الجنة وسبعين في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعين في النار وواحدة في الجنة، والذي نفسي بيده، لتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، واثنتان وسبعين في النار قيل يا رسول الله	٣٨٢
٨	اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان قال كان الله و لم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء	٤٤٨

م	الحديث	الصفحة
٩	الإسلام علانية والإيمان في القلب	١٢٠
١٠	الحلال بيّن والحرام بيّن	٣٩٧
١١	اللهم لا تجعل قبري وثناً لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد	٨٨
١٢	أما رسول الله – صلى الله عليه وسلم –لم يول يومئذ – كان أبو سفيان بن الحارث آخذاً بعنان بغلته – فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول: أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، قال: فما رُئي من الناس يومئذ أشد منه	٩٧
١٣	أما والله إن كنت لأعرفها لكم. قولوا ما شاء الله ثم شاء محمد	٨٨
١٤	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله	١٥٥
١٥	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله	٢٦٨، ٢٧٥، ٣٧١
١٦	أن النبي – صلى الله عليه وسلم – دخل عليها وعندها امرأة قال: من هذه؟ قالت: فلانة تذكر من صلاتها قال: مَه، عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا. وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه	٩٠
١٧	أن النبي – صلى الله عليه وسلم – مر بقوم يلقحون فقال: لو لم تفعلوا لصلح قال فَخَرَجَ شيصاً فمر بهم فقال ما لنخلكم؟ قالوا قلت كذا وكذا قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم	٣٩٦
١٨	إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة. كلها في النار إلا واحدة. وهي الجماعة	٨٣، ٤٣٦، ٤٦٥
١٩	إنَّ بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّة، وتفترق أمَّتي على ثلاث وسبعين ملَّة، كلُّهم في النَّار إلَّا ملَّة واحدة)). قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي	٣٧٦
٢٠	أن تشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن باللّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: فما الإحسان؟ قال أن تعبد اللّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ثم قال	٨٧

م	الحديث	الصفحة
٣١	جاء جبريل – عليه السلام – يعلمكم دينكم	٣٥
٣٢	خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم –في أضحى أو فطر إلى المصلى فمر على النساء فقال يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار فقلن وبم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن قلن وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل قلن بلى قال فذلك من نقصان عقلها أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم قلن بلى قال فذلك من نقصان دينها	٤٧١
٣٣	خير القرون هو قرني ثم الذي يليه	١٥٨
٣٤	خيرُ النَّاس قرني، ثم الذين يلوهم، ثم الذين يلوهم	٣٧٥
٣٥	صلوا كما رأيتموني أصلي	٩١
٣٦	فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم	٣٧٢
٣٧	فإني إنما ظننت ظناً، فلا تؤاخذوني بالظن	٤٠٠
٣٨	فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقيل يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. وعظتنا موعظة مودع. فاعهد إلينا بعهد. فقال: أوصيكم بالسمع والطاعة فإنه من يَعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة	١٣، ١٤، ٣٧٥، ٤٤٣
٣٩	قالوا يا رسول الله! إنك تداعبنا قال: إني لا أقول إلا حقاً	٤٧٤
٤٠	قام فينا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم فوعظنا موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون. فقيل يا رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. وعظتنا موعظة مودع. فاعهد إلينا بعهد. فقال (عليكم بتقوى الله. والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً. وسترون من بعدي اختلافاً شديداً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين. عضوا عليها بالنواجذ. وإياكم والأمور المحدثات. فان كل بدعة ضلالة	٤٦٧
٤١	قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك	٨٢، ٣٧٧

الصفحة	الحديث	م
٩٢، ١٠٤	كان خلقه القرآن	٤٢
٩٣	كان غلام يهودي يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض فأتاه يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه - وهو عنده - فقال: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي- صلى الله عليه وسلم - وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار	٤٣
٣٩	كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء	٤٤
٣٨٢	كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة	٤٥
٩٧	كُنَّا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منه	٤٦
٣٨٠	كنا عند النبي- صلى الله عليه وسلم - فخط خطاً. وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال: [هذا سبيل الله]. ثم تلا هذه الآية ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾	٤٧
٨٨	لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم	٤٨
٨٩	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد. فقولوا: عبد الله ورسوله	٤٩
٢	لا يَشْكُر الله مَن لا يَشْكُر النَّاس	٥٠
٩١	لأن أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس	٥١
٩١	لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه	٥٢
٣٩٥	لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبرا وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن؟	٥٣

م	الحديث	الصفحة
٥٤	لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت – وأنا مهموم – على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت، فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال	٩٥
٥٥	لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه	٤٥٥
٥٦	لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة	٤٦١
٥٧	لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجل من فارس – أو قال – من أبناء فارس حتى يتناوله	١٣٤
٥٨	ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات على الأرض، يستأذن الله في أن ينتضح عليهم، فيكفه الله – عز وجل	٣٤٥
٥٩	ما أنا عليه اليوم وأصحابي	٣٨٢
٦٠	ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق ابن آدم: يارب إيذن لي أن أغرق ابن آدم ... فقد أكل رزقك وعبد غيرك ... وتقول الأرض مثل ذلك، وتقول الجبال مثل ذلك... فيقول الله: دعوهم، لو خلقتموهم لرحمتموهم	٣٤٥
٦١	مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، وهو يذبُّهُن عنها، وأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدي	٩٤
٦٢	مررت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –بقوم على رؤوس النخل فقال ما يصنع هؤلاء؟ فقالوا يلقحونه يجعلون الذكر في الأنثى فيتلقح فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما أظن يغني ذلك شيئاً قال فأخبروا بذلك فتركوه فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإني إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإني لن أكذب على الله عز وجل	٣٩٦
٦٣	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد	١٣، ٨٠، ١٠٧، ١٠٨، ٣٢٧
٦٤	من بدل دينه فاقتلوه	٢٦٩، ٢٧٦، ٤٥٥

م	الحديث	الصفحة
٦٥	من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه	٩١
٦٦	من رغب عن سنتي فليس مني	٣٨٣
٦٧	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	١٣، ٨٠، ١٠٧، ١٠٨، ٣٢٧
٦٨	من غير دينه فاقتلوه	١٥٤
٦٩	مَن مات لا يشرك بالله شيئاً، دخَل الجنة	١٢٢
٧٠	ناقصات عقل ودين	٤٧١
٧١	وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم	٣٩
٧٢	وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي	٨٣، ١٠٣، ٤٣٦، ٤٦٥
٧٣	وخير الهدي هدي محمد	٣٨٣
٧٤	يا أبا عمير ما فعل النُغير	٤٧٣
٧٥	يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة	٩٣
٧٦	يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه	٨٣
٧٧	يا أيها الناس، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه وهو يقول: يا أيها الناس، لا تطيعوا هذا فإنه كذاب فقلت ..	١٠٠
٧٨	يا ذا الأذين	٤٧٣
٧٩	يا رَسُولَ اللَّهِ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال أن تجعل لله نداً وهو خلقك قال قلت له إن ذلك لعظيم قال قلت ثم أي؟ قال ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال قلت ثم أي؟ قال ثم أن تزاني حليلة جارك، فأنزل الله في هذا قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾	٢٦٨

م	الحديث	الصفحة
٨٠	يا رسول الله أي الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك. قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك)، فأنزل الله في هذا قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾	٢٧٥



فهرس الأعلام

م	العلـم	الصفحة
١٨	القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسني العلوي، أبو محمد، المعروف بالرسي	١٦٨
١٩	النضر بن شميل أبو الحسن المازني البصري النحوي (توفي٢٠٣هـ)	١٢٣
٢٠	باسكال بليز (توفي ١٦٦٢م)	٢٠٢
٢١	برهان غليون (معاصر)	٧٣
٢٢	جمال أحمد حمزة خاشقجي (معاصر)	٣٠٥
٢٣	جمال البنا (معاصر)	٧٤
٢٤	جمال الدين الأفغاني (المتوفى١٨٩٧م)	٦٩
٢٥	جهم بن صفوان، أبو محرز الراسبي، مولاهم، السمرقندي (توفي١٢٨هـ)	٤٥
٢٦	حسن حنفي (معاصر)	٧٢
٢٧	حسن عبد الله الترابي (معاصر)	٧٥
٢٨	خالص مجيب جلبي كنجو (معاصر)	٧٤
٢٩	رشيد بن زين (معاصر)	٤٣٦
٣٠	رينيه ديكارت (توفى سنة ١٦٥٠م)	٢٠١
٣١	زكريا بن أحمد بن محمد بن يحيى اللحياني الهنتاني (المتوفى٧٢٧هـ)	٣٢
٣٢	زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي (توفي٨٤هـ وقيل٩٦هـ)	١١١
٣٣	سعيد عبد اللطيف فودة (معاصر)	٤١٢
٣٤	سليمان بن مهران الأعمش الأسدي أبو محمد (توفي١٤٨هـ)	١١١
٣٥	سيد أحمد خان الهندي (المتوفى ١٣١٦هـ)	٦٨
٣٦	طارق بن عبد الله المحاربي (صحابي)	٩٩
٣٧	طارق بن محمد السويدان (معاصر)	٧٥
٣٨	عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد أبو الحسن الهمذاني (توفي٤١٥هـ)	٥١
٣٩	عبد الحليم محمد أحمد أبو شقة (معاصر)	٤٧٢
٤٠	عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي البيساني (توفي سنة ٥٩٦هـ)	٣
٤١	عبد السلام بن أبي علي محمد الجبائي أبو هاشم (توفي ٣٢١هـ)	٤٤

م	العلـم	الصفحة
٤٢	عبد الله بن الحسين اليزدي (المتوفى ١٠١٥هـ)	٣٣
٤٣	عبد اللهِ بن بجاد العتيبي (معاصر)	٢٠٦
٤٤	عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان البصري أبو محمد (توفي ٢٤٥هـ)	٤٤
٤٥	عبد المجيد الشرفي (معاصر)	٤٣٣
٤٦	عبد الوهاب المسيري (توفي ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م)	٣٦٥
٤٧	عبده الفيلالي الأنصاري (معاصر)	٤٣٦
٤٨	عدنان إبراهيم (معاصر)	٧٥
٤٩	علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري، أبو الوفاء، يعرف بابن عقيل (توفي٥١٣هـ)	٥٨
٥٠	عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (المتوفى١٨٠هـ)	٣٣
٥١	عمرو محمد حلمي خالد (معاصر)	١٩١
٥٢	لويل ديورانت (توفي ١٩٨١م)	٢٠١
٥٣	محمد أركون (معاصر)	٧٢
٥٤	محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم السلمي، المناوي (المتوفى٨٠٣هـ)	٣٤٥
٥٥	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي (توفي ٦٧١هـ)	١٢٤
٥٦	محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي شمس الدين (توفي٧٤٤هـ)	٣٧٨
٥٧	محمد بن الهذيل بن عبيد الله بن مكحول أبو الهذيل العلاف (توفي ٢٣٥هـ)	٥٩
٥٨	محمد بن علي المحمود (معاصر)	٢٠٧
٥٩	محمد بن علي بن محمد بن أحمد الأندلسي، محيي الدين المعروف بابن عربي (توفي ٦٣٨هـ)	٥٣
٦٠	محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (توفي٦٠٦هـ)	٦١
٦١	محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان الفارابي أبو نصر (توفي٣٣٩هـ)	١٥٦

م	العلـم	الصفحة
٦٢	محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد (توفي ٥٠٥هـ)	٢٠١
٦٣	محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (توفي ٣٣٣هـ)	٤٥
٦٤	محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (المتوفى ٧١١هـ)	٢٩
٦٥	محمد سليم العوّا (معاصر)	٤٧٢
٦٦	محمد شحرور بن ديب (معاصر)	٧٣
٦٧	محمد عابد الجابري (معاصر)	٧٢
٦٨	محمد عبده (المتوفى ١٩٠٥م)	٧٠
٦٩	مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتازاني (توفي ٧٩٣هـ)	١١٦
٧٠	مشاري سالم عبدالرحمن الذايدي (معاصر)	٢٠٩
٧١	منصور إبراهيم موسى النقيدان (معاصر)	٢١٠
٧٢	نديم بن حسين بن محمد بن مصطفى الجسر (توفي ١٩٨٠م)	٢٠١
٧٣	نصر حامد أبو زيد (معاصر)	٧٣
٧٤	يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي (المتوفى ٢٠٧هـ)	١٦
٧٥	يوسف بن عبد العزيز أبا الخيل (معاصر)	٢١٢
٧٦	يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما (معاصر)	٣٩١



فهرس المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.

(٢) الاتجاهات العقلية الحديثة، ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى.

(٣) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، محمد مرتضى الزبيدي، بيروت، دار النشر: دار الفكر، الطبعة: بدون.

(٤) الآثار الأسرية والاجتماعية المترتبة على العمل (خارج المنزل) للمرأة المتعلمة المتزوجة ولها أولاد، إعداد: بدرية بنت محمد العتيبي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كلية العلوم الاجتماعية، ١٤١٤هـ.

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مصر، مكتبة ابن تيمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، الطبعة: الأولى.

(٦) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير - الاستِشراق - الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دمشق، الناشر: دار القلم، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الثامنة.

(٧) أحكام القرآن لابن العربي المالكي، لبنان بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٧م، الطبعة: الأولى.

(٨) أخلاق المؤمن، د عمرو خالد، بيروت لبنان، دار المعرفة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٩) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، بيروت، الناشر: دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، الطبعة الثالثة.

(١٠) الأذكار النووية، محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، بيروت، الناشر: دار الفكر، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، طبعة جديدة.

(١١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى.

(١٢) إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة: الثانية.

(١٣) أساس التقديس في علم الكلام، فخر الدين الرازي، بيروت، نشر: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى.

(١٤) أسس الدعوة ووسائل نشرها، د. محمد عبد القادر أبو فارس، عمان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.

(١٥) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، بيروت لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٤٨م، الطبعة: الأولى.

(١٦) إسلام الفلاسفة، مُنجي لَسوَد، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠١١م، الطبعة: الثانية.

(١٧) إسلام المجددين، محمد حمزة، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م، الطبعة: الأولى.

(١٨) الإسلام والتعايش مع الآخر، د. عمرو خالد، بريطانيا، مكتبة جامعة ويلز، ٢٠١٠م، أصل الرسالة، الطبعة: بدون.

(١٩) الإسلام والحداثة، أدونيس وأركون وآخرون، بيروت، الناشر: دار الساقي للطباعة والنشر، تاريخ النشر: ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى.

(٢٠) الأسلوب، أحمد الشايب، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية عشرة.

(٢١) الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، بيروت، الناشر دار الجيل ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الطبعة: بدون.

(٢٢) الأصول الثلاثة، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، الرياض، وزارة الشئون الإسلامية، ١٤٢١هـ، الطبعة: الحادية عشرة.

(٢٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، بيروت لبنان، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الطبعة: بدون.

(٢٤) الاعتصام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الرياض، نشر: دار ابن عفان، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى.

(٢٥) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، بيروت، الناشر: دار الجيل، ١٩٧٣م، الطبعة: بدون.

(٢٦) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م، الطبعة: الخامسة.

(٢٧) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، جمال الدين الأفغاني، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٩م، الطبعة: الأولى.

(٢٨) الأعمال الكاملة لمحمد عبده، محمد عمارة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٦م، الطبعة: الأولى.

(٢٩) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، الطبعة: الثانية.

(٣٠) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، القاهرة، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٩هـ، الطبعة: الثانية.

(٣١) انحرافات خالص جلبي، إعداد سليمان بن صالح الخراشي، ١٤٢٢هـ.

(٣٢) الإيمان، أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: خرج أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الرابعة.

(٣٣) البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، لبنان بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: بدون.

(٣٤) البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الطبعة: الأولى.

(٣٥) بدعة إعادة فهم النص، محمد صالح المنجد، الخبر، الناشر: مجموعة زاد، ١٤٣١هـ، الطبعة: الأولى.

(٣٦) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، لبنان صيدا، الناشر: المكتبة العصرية.

(٣٧) بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، محمد عابد الجابري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩م، الطبعة: التاسعة.

(٣٨) البهائية نقد وتحليل، إحسان إلهي ظهير، دار الإمام المجدد، طبعة شرعية، بدون ت ط.

(٣٩) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، مكة المكرمة الناشر: مطبعة الحكومة، ١٣٩٢هـ، الطبعة: الأولى.

(٤٠) تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، محمد رشيد رضا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.

(٤١) تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦م، الطبعة: الخامسة.

(٤٢) تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون.

(٤٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م.

(٤٤) التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد الإسفراييني، بيروت، الناشر: عالم الكتب ١٩٨٣م، الطبعة: الأولى.

(٤٥) تجديد أصول الفقه الإسلامي، للدكتور حسن عبد الله الترابي، الخرطوم، مكتبة دار الفكر، ١٩٨٠م، الطبعة الأولى.

(٤٦) تجديد الفكر الإسلامي، د. حسن الترابي، المغرب، دار القرافي للنشر والتوزيع، بدون ت ط، الطبعة: الأولى.

(٤٧) التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان محمد أمامة، الدمام، الناشر: دار ابن الجوزي، ١٤٢٤هـ، الطبعة الأولى.

(٤٨) تجريد البخاري ومسلم من الأحاديث التي لا تلزم، جمال البنا، القاهرة، دار الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

(٤٩) تجفيف منابع الإرهاب، محمد شحرور، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

(٥٠) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي الحنبلي، الرياض، الناشر: مكتبة الرشد، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: بدون.

(٥١) تحولات النخب، محمد بن سعود البشر، الرياض، غيناء للنشر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الطبعة الثانية.

(٥٢) التدين الجديد محاولة لفهم الظاهرة والأبعاد، وسام فؤاد، بيروت لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الطبعة الأولى.

(٥٣) التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب في مجتمعاتنا، أنور قاسم الخضري ، جدة، نشر مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

(٥٤) تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت - لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.

(٥٥) التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، لاهور باكستان، إدارة ترجمان السنة.

(٥٦) التطرف المسكوت عنه أصول الفكر العصراني المعاصر، د. ناصر بن يحيى الحنيني، الرياض، دار التوحيد للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، الطبعة: الثانية.

(٥٧) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الأولى.

(٥٨) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، مكة المكرمة، الناشر دار طيبة للنشر والتوزيع١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية.

(٥٩) تفنيد دعوى حد الردة، جمال البنا، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

(٦٠) تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، مكان النشر: سوريا، الناشر: دار الرشيد، سنة النشر ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الطبعة: بدون.

(٦١) تلخيص كتاب الاستغاثة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المدينة المنورة، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية ١٤١٧هـ، الطبعة: الأولى.

(٦٢) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، القاهرة، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٧٧م، الطبعة: الثانية

(٦٣) تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، بيروت، الناشر: دار الفكر، ١٤٠٤هـ، الطبعة: الأولى.

(٦٤) تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، الطبعة: الأولى.

(٦٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، بيروت لبنان، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

(٦٦) الثقات، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، بيروت، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م الطبعة الأولى.

(٦٧) الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب، محمد ناصر الدين الألباني، الكويت، غراس للنشر والتوزيع، سنة النشر: ١٤٢٢هـ، الطبعة: الأولى.

(٦٨) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد الآملي أبو جعفر الطبري، بيروت لبنان، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى

(٦٩) جامع الرسائل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الرياض، الناشر: دار العطاء، ١٤٢٢هـ، الطبعة: الأولى.

(٧٠) الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: بدون.

(٧١) الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، بيروت، الناشر: دار ابن كثير، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة الثالثة.

(٧٢) جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ، الطبعة: الأولى.

(٧٣) جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، بيروت، الناشر: مؤسسة الريان - دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى.

(٧٤) الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، القاهرة، الناشر: دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

(٧٥) جناية قبيلة حدثنا، جمال البنا، القاهرة، دار الفكر الإسلامي، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

(٧٦) الجهاد، جمال البنا، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٩م، الطبعة: الأولى.

(٧٧) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الرياض، الناشر: دار العاصمة، ١٤١٤هـ، الطبعة: الأولى.

(٧٨) جواز إمامة المرأة للرجال، جمال البنا، القاهرة، دار الشروق، ٢٠١١م، الطبعة: الأولى.

(٧٩) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، مكان النشر: كراتشي، الناشر: مير محمد كتب خانه، سنة النشر: ١٣٣٢هـ.

(٨٠) الحجاب، جمال البنا، القاهرة، دار الشروق، ٢٠١٠م، الطبعة: الثانية.

(٨١) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، د محمد أحمد الخطيب، عمان، الأردن، مكتبة الأقصى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الطبعة: الثانية.

(٨٢) حركة التغريب في السعودية (تغريب المرأة أنموذجاً)، عبد العزيز بن أحمد البداح، رسالة علمية دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية الدعوة، ١٤٣١هـ.

(٨٣) حقيقة البدعة وأحكامها، سعيد بن ناصر الغامدي، الرياض، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٨٤) حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها الفصل، د. عبد الرحيم بن صمايل السلمي، جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

(٨٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الرابعة.

(٨٦) الحوار القومي - الديني، محمد عابد الجابري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م، الطبعة: الأولى.

(٨٧) خاطرات جمال الدين، محمد حسن المخزومي، لبنان، دار الفكر الحديث، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، الطبعة: الثانية.

(٨٨) الخطاب العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، دار الطليعة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢م.

(٨٩) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الرياض، الناشر: دار الكنوز الأدبية، ١٣٩١هـ، الطبعة: بدون.

(٩٠) الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ في الأجوبة النجدية، علماء نجد الأعلام، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: السادسة. www.shamela.ws.

(٩١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة حيدر أباد الهند، شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، الطبعة: بدون.

(٩٢) دعوة التقريب بين الأديان، أحمد القاضي، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، الطبعة: الأولى.

(٩٣) الدفاع عن الله ورسوله وشرعه - الرد على جمال البنا، حسن أبو الأشبال الزهيري.

(٩٤) الدولة والمجتمع، محمد شحرور، دمشق، الناشر: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ١٩٩٤م، الطبعة: الأولى.

(٩٥) الدين والدولة وتطبيق الشريعة، محمد عابد الجابري، بيروت، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، سنة الطبع: ٢٠٠٤م، الطبعة: الثانية.

(٩٦) الرد على المنطقيين، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، بيروت، الناشر: دار المعرفة، بدون ت ن.

(٩٧) رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينوزا، بيروت، الناشر: جداول للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ٢٠١١م، تقديم: حسن حنفي، ترجمة، تحقيق: حسن حنفي/ فؤاد زكريا، الطبعة: الأولى.

(٩٨) رسائل ودراسات في الأهواء، ناصر العقل، الرياض، نشر: دار الوطن، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية.

(٩٩) روضة الناظر وجنة المناظر، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، مكان النشر الرياض، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، سنة النشر: ١٣٩٩هـ، الطبعة: بدون.

(١٠٠) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، الطبعة: السابعة والعشرون.

(١٠١) سبل السلام، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، مصر، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م، الطبعة: الرابعة.

(١٠٢) سلسلة "نظرات شرعية في فكر منحرف"، سليمان بن صالح الخراشي. المجموعة السادسة، محمد سليم العوا. www.shamela.ws، الطبعة: بدون.

(١٠٣) سلسلة "نظرات شرعية في فكر منحرف"، سليمان بن صالح الخراشي، الجزء الثالث، محمد شحرور.

(١٠٤) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، دار النشر: دار المعارف، سنة الطبع: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى.

(١٠٥) السلسلة الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، الناشر: مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، الطبعة الأولى.

(١٠٦) السنة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ، الطبعة: الثالثة.

(١٠٧) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، بيروت، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون.

(١٠٨) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون.

(١٠٩) سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، مكة المكرمة، الناشر: مكتبة دار الباز، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، الطبعة: بدون.

(١١٠) سنن الدارمي، عبدالله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى.

(١١١) السياسة بين الحلال والحرام أنتم أعلم بأمور دنياكم، تركي الحمد، بيروت لبنان، دار الساقي، ٢٠٠١م، الطبعة: الثانية.

(١١٢) سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: التاسعة.

(١١٣) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم، مكان النشر: بيروت، لبنان، الناشر: عالم الكتب، سنة النشر: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(١١٤) سيكولوجية العنف وإستراتيجية الحل السلمي، د. خالص جلبي، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.

(١١٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد العسكري، دمشق، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى.

(١١٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، هبة الله ابن الحسن بن منصور أبو القاسم اللالكائي، الرياض، الناشر: دار طيبة، ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى.

(١١٧) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار ابن أحمد بن عبد الجبار، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، الطبعة: الثالثة.

(١١٨) شرح العقائد النسفية، مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين التفتازاني، نشر: بيروت، مكتبة دار البيروتي، ٢٠٠٧م، الطبعة: الأولى.

(١١٩) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الرياض، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، ١٤١٨هـ، الطبعة: الأولى.

(١٢٠) شرح العمدة في الفقه، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الرياض، الناشر: مكتبة العبيكان، ١٤١٣هـ، الطبعة: الأولى.

(١٢١) شرح الكوكب المنير، تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد الفتوحي المعروف بابن النجار، الرياض، الناشر: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: الطبعة الثانية.

(١٢٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الرياض، نشر: دار الوطن، ١٤٢٦هـ، الطبعة: بدون.

(١٢٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، الرياض، دار النشر: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية.

(١٢٤) الصَّارِمُ المنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي، بيروت، لبنان، الناشر: مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، الطبعة: الأولى.

(١٢٥) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، الناشر: مكتبة المعارف، الطبعة: الخامسة.

(١٢٦) صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الطبعة الثانية.

(١٢٧) صحيح سنن ابن ماجه – ضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، دار النشر: دار المعارف، سنة الطبع: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، الطبعة: الأولى.

(١٢٨) صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، توزيع: المكتب الإسلامي، ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى.

(١٢٩) صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، الناشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج، سنة ١٤٠٩هـ الطبعة الأولى.

(١٣٠) صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، الرياض، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، الطبعة: الأولى.

(١٣١) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، الطبعة: الأولى، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٣٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، القاهرة، مطبعة التقدم، ١٩٧٧م، الطبعة: الثالثة.

(١٣٣) صفة الصفوة، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الطبعة: الثانية.

(١٣٤) الصفدية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ١٤٠٦هـ، الطبعة الثانية.

(١٣٥) الصلة، خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، بيروت، نشر: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩م، الطبعة: الأولى.

(١٣٦) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الرياض، الناشر: دار العاصمة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، الطبعة: الثالثة.

(١٣٧) طبقات الشافعية، أبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة، بيروت، دار النشر: عالم الكتب ١٤٠٧، الطبعة: الأولى.

(١٣٨) طبقات الفقهاء الشافعية، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، مكان النشر بيروت، الناشر دار البشائر الإسلامية، سنة النشر ١٩٩٢م، الطبعة: الأولى.

(١٣٩) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري، مكان النشر: بيروت، الناشر: دار صادر، سنة النشر: ١٩٩٨م، الطبعة: الثانية.

(١٤٠) طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنروي، المدينة المنورة، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.

(١٤١) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، هولندا، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى.

(١٤٢) ظاهرة عبادة الشيطان - دراسة وتحليل لطارق عمر التلباني، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، في العقيدة من الجامعة الإسلامية، بغزة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

(١٤٣) ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الثالثة.

(١٤٤) العبر في خبر من غبر، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مكان النشر: الكويت، الناشر: مطبعة حكومة الكويت، سنة النشر ١٩٨٤م، الطبعة: بدون.

(١٤٥) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد بن حامد الناصر، الرياض، مكتبة الكوثر، ١٤٢٢هـ، الطبعة الثانية.

(١٤٦) عمرو خالد بين ناقديه ومادحيه، محمد نجاتي سليمان بمعاونة مجموعة من الباحثين والباحثات، القاهرة، نشر دار البشير للثقافة والعلوم، ٢٠١٠م، الطبعة الأولى.

(١٤٧) العودة إلى القرآن، جمال البنا، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٨م، الطبعة: الأولى.

(١٤٨) غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، الناشر: المكتب الإسلامي، ١٤٠٥هـ، الطبعة: الثالثة.

(١٤٩) الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى.

(١٥٠) فتاوى نور على الدرب، ١١٥ الإسلام يدعو للعقيدة الصحيحة، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد، www.alifta.net مختصراً.

(١٥١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ، الطبعة: بدون.

(١٥٢) فتح الباري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، السعودية الدمام، دار النشر: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ، الطبعة: الثانية.

(١٥٣) الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، بيروت، الناشر: دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، الطبعة: الثانية.

(١٥٤) فرقة الأحباش، نشأتها عقائدها آثارها، سعد بن علي الشهراني، مكة المكرمة، نشر: دار عالم الفوائد، ١٤٢٣هـ، الطبعة: الأولى.

(١٥٥) الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ، الطبعة: الأولى.

(١٥٦) فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بيروت، الناشر: مكتبة العصرية، تاريخ الطبع: ١٤٢٢هـ، بدون ت ط.

(١٥٧) فضل علم السلف على الخلف، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، بيروت الناشر: دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٣م، الطبعة: الثانية.

(١٥٨) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، محمد أركون، بيروت، دار الساقي للطباعة والنشر، ٢٠١٢م، الطبعة: السادسة.

(١٥٩) الفكر الإسلامي: قراءة علمية، محمد أركون، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

(١٦٠) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، محمد أركون، بيروت، دار الساقي، ٢٠١١م، الطبعة: الرابعة.

(١٦١) الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م، الطبعة: بدون.

(١٦٢) الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، الطبعة: الثانية.

(١٦٣) في النقد الذاتي، د. خالص جلبي، عمان الأردن، نشر: دار البشير للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى، ص٧٧.

(١٦٤) في ظلال القرآن، سيد بن إبراهيم قطب، بيروت، دار الشروق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، الطبعة: العاشرة.

(١٦٥) في فقه التدين فهماً وتنزيلاً، د. عبد المجيد النجار، دولة قطر، الناشر: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، سلسلة كتاب الأمة، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م، الطبعة: الأولى.

(١٦٦) القادياني والقاديانية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، جدة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، الطبعة: الخامسة.

(١٦٧) القاديانية دراسات وتحليل، إحسان إلهي ظهير، القاهرة، دار الإمام المجدد، ١٤٢٦هـ، الطبعة: الأولى.

(١٦٨) قاموس إنجليزي عربي، منير البعلبكي، بيروت، نشر: دار العلم للملايين، ٢٠٠٨ م ١٤٢٩هـ، الطبعة: بدون.

(١٦٩) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٥م، الطبعة: الثانية.

(١٧٠) القرآنيون، خادم حسين إلهي بخش، الطائف، مكتبة الصديق، ١٤٠٩هـ، الطبعة: الأولى.

(١٧١) قضايا المرأة في المؤتمرات الدوليةدراسة نقدية في ضوء الإسلام، لفؤاد بن عبدالكريم العبدالكريم، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، نشر: مركز باحثات، الرياض، ١٤٣٠هـ.

(١٧٢) قضايا في نقد العقل الديني (كيف نفهم الإسلام اليوم)، محمد أركون، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠٠م، الطبعة: الثانية.

(١٧٣) قضية القبلات وبقية الاجتهادات، جمال البنا، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠١٠م، الطبعة: الثانية.

(١٧٤) القنوات الفضائية وتأثيرها على منظومة القيم الاجتماعية لدى طلاب الثانوية العامة بمدينة الرياض، إعداد: إبراهيم حمد المبرز، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.

(١٧٥) القول السديد شرح كتاب التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، السعودية، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، تاريخ النشر: ١٤٢١هـ، الطبعة: الثانية.

(١٧٦) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، الإمام محمد بن عبد الوهاب، القاهرة، مطبعة المنار، ١٣٤٦هـ، الطبعة: الأولى.

(١٧٧) الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة، محمد شحرور، لبنان، الناشر: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، تاريخ النشر: ٢٠١١م، الطبعة: العاشرة.

(١٧٨) الكراديب، تركي الحمد، بيروت لبنان، دار الساقي للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م، الطبعة: الثالثة.

(١٧٩) كشف الشبهات، الإمام محمد بن عبد الوهاب، المملكة العربية السعودية، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ، الطبعة: الأولى.

(١٨٠) الكُنى والأسماء، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، بيروت لبنان، الناشر: دار ابن حزم، سنة النشر: ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: بدون.

(١٨١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، بيروت، الناشر: دار صادر، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، الطبعة الأولى.

(١٨٢) لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، بيروت، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، الطبعة الثالثة.

(١٨٣) الليبرالية في السعودية والخليج دراسة وصفية نقدية، وليد بن صالح الرميزان، بيروت، روافد للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، الطبعة: الأولى.

(١٨٤) ماذا تنقمون من عمرو خالد، د. محمد بن رزق بن طرهوني، مكتبة مشكاة الإســـلامية.

(١٨٥) متن القصيدة النونية، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية، القاهرة، الناشر: مكتبة ابن تيمية ١٤١٧هـ، الطبعة: الثانية.

(١٨٦) مجموع فتاوى ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، الإصدار الثاني.

(١٨٧) مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز - رحمه الله - نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء. عبد العزيز بن عبد الله بن باز، http://www.alifta.com، الطبعة: بدون.

(١٨٨) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الرياض، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، ١٤١٣هـ، الطبعة: الأخيرة.

(١٨٩) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، مكان النشر: بيروت، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، سنة النشر: ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(١٩٠) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، الطبعة: الثانية.

(١٩١) مدخل إلى القرآن الكريم، محمد عابد الجابري، بيروت، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م، الطبعة: الثانية.

(١٩٢) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني - ترجمة محمد حرب عبد الحميد - القاهرة، دار الأنصار، ١٩٥٥م.

(١٩٣) المرأة المسلمة بين تحرير القرآن وتقييد الفقهاء، جمال البنا، القاهرة، دار الفكر الإسلامي، ٢٠١١م، الطبعة: الأولى.

(١٩٤) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع، د. حسن الترابي، جدة، الدار السعودية، ١٩٨٤م، الطبعة: الأولى.

(١٩٥) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا القاري، ملتان، باكستان، الناشر: مجلس إشاعة المعارف، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، الطبعة: بدون.

(١٩٦) مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، سعاد بنت ماهر محمد، سنة الطبع: بدون، نشر: وزارة الأوقاف، مصر، الطبعة: بدون.

(١٩٧) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، الطبعة الأولى.

(١٩٨) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للحافظ، أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي المعروف بابن الدمياطي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.

(١٩٩) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية.

(٢٠٠) مسئولية فشل الدولة الإسلامية في العصر الحديث، جمال البنا، القاهرة، الناشر: دار الفكر الإسلامي، ١٩٩٤م، الطبعة: الأولى.

(٢٠١) مشكاة المصابيح للعلامة الشيخ مع شرحه مرعاة المفاتيح للشيخ أبي الحسن عبيد الله بن العلامة محمد عبد السلام المباركفوري، ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي، بلد النشر: بنارس الهند، دار النشر: الجامعة السلفية، سنة الطبع ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة: الثالثة.

(٢٠٢) مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، مكة المكرمة، الناشر: عباس أحمد الباز، الطبعة: بدون.

(٢٠٣) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، الدمام، الناشر: دار ابن القيم ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الطبعة: الأولى.

(٢٠٤) معالم التنزيل في التفسير والتأويل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى.

(٢٠٥) المعتزلة، زهدي حسن جار الله، القاهرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٤٧م، الطبعة: الأولى.

(٢٠٦) معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، بيروت، الناشر: دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، الطبعة: بدون.

(٢٠٧) المعجم الصغير، سليمان بن أحمد ابن أيوب أبو القاسم الطبراني، بيروت، عمان، الناشر: المكتب الإسلامي دار عمار، سنة النشر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة: بدون.

(٢٠٨) معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، محمود عبدالرحمن عبد المنعم الناشر: دار الفضيلة - القاهرة، سنة الطبع: ١٩٩٩م، الطبعة: بدون.

(٢٠٩) معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، بيروت، الناشر مكتبة المثنى - دار إحياء التراث العربي، الطبعة: بدون.

(٢١٠) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، القاهرة، جمهورية مصر العربية، نشر: مطابع دار المعارف، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، الطبعة: الثانية.

(٢١١) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، بيروت، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، الطبعة: الأولى.

(٢١٢) معركة النص، فهد بن صالح العجلان، الرياض، مكتب مجلة البيان، ١٤٣٣هـ، الطبعة: الأولى.

(٢١٣) مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، القاهرة، دار الشروق، ١٩٠٥م، الطبعة: الأولى.

(٢١٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد، لبنان، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: بدون.

(٢١٥) مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين، محمود بن أحمد الطحان، الكويت، مكتبة دار التراث، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، الطبعة: الثانية.

(٢١٦) مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، ٢٠٠٠م، الطبعة: الخامسة.

(٢١٧) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الثالثة.

(٢١٨) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، بيروت لبنان، دار صادر للطباعة والنشر، ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

(٢١٩) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، برهان الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح، الرياض، الناشر مكتبة الرشد، الطبعة: بدون.

(٢٢٠) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، بيروت، الناشر: دار المعرفة، ١٤٠٤هـ، الطبعة: بدون.

(٢٢١) من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، بيروت، المركز الثقافي العربي، دار التنوير للطباعة والنشر تاريخ النشر: ١٩٨٨م، الطبعة: الأولى.

(٢٢٢) من هنا يبدأ التغيير، تركي الحمد، بيروت لبنان، دار الساقي للطباعة والنشر، ٢٠١٢م، الطبعة: الثانية.

(٢٢٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ، الطبعة الثانية.

(٢٢٤) منهج ابن تيمية في الدعوة، د. عبد الله رشيد الحوشاني، الرياض، دار إشبيليا، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى.

(٢٢٥) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الناشر: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، الطبعة: الأولى.

(٢٢٦) موسوعة التاريخ الإسلامي، د أحمد شلبي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٩م.

(٢٢٧) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، علي بن نايف الشحود، المكتبة الشاملة، www.shamela.ws.

(٢٢٨) الموسوعة العربية العالمية: مستمدة من دائرة المعارف العالمية، وإضافات الباحثين العرب، الرياض، مؤسسة سلطان بن عبد العزيز آل سعود الخيرية، الناشر: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٩هـ، الطبعة الثانية.

(٢٢٩) موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة لمجموعة من الباحثين بإشراف علوي السقاف، www.dorar.net.

(٢٣٠) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، الطبعة: الرابعة.

(٢٣١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٩م، الطبعة: الأولى.

(٢٣٢) موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، بيروت، الناشر: عويدات للنشر والطباعة، ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى.

(٢٣٣) موقف المدرسة العقلية الحديثة من الحديث النبوي الشريف، دراسة تطبيقية على تفسير المنار: شفيق بن عبد الله شقير، بيروت، تاريخ النشر: ١٩٩٨م، الناشر: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى.

(٢٣٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥م.

(٢٣٥) نحن والتراث، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، محمد عابد الجابري، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، الطبعة: السادسة، ١٩٩٣م.

(٢٣٦) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي - فقه المرأة، محمد شحرور، دمشق، الناشر: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.

(٢٣٧) نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، محمد أركون، بيروت، دار الساقي، ٢٠١١م، الطبعة: الأولى.

(٢٣٨) نحو فقه جديد، جمال البنا، القاهرة، دار الفكر الإسلامي، ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى.

(٢٣٩) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم -، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، جدة، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة.

(٢٤٠) نظرات شرعية في فكر الدكتور حسن الترابي، سليمان بن صالح الخراشي. www.shamela.ws، الطبعة: بدون.

(٢٤١) نقد الخطاب الديني، نصر حامد أبو زيد، القاهرة، الناشر: سينا للنشر، ١٩٩٣م، الطبعة: الثانية.

(٢٤٢) نقـــد كتاب "تحرير المرأة في عصر الرسالة" لمؤلفه عبد الحليم أبو شقة من إعداد سليمان بن صالح الخراشي.

(٢٤٣) نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، عثمان بن سعيد الدارمي، الرياض، الناشر: مكتبة الرشيد، ١٩٩٨م، الطبعة: الأولى.

(٢٤٤) الوابل الصيب من الكلم الطيب، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، بيروت، الناشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، الطبعة: الأولى.

(٢٤٥) الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، مكان النشر: بيروت، الناشر: دار إحياء التراث، سنة النشر: ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: بدون.

(٢٤٦) واقعنا المعاصر، محمد قطب، جدة، مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤٠٧هـ، الطبعة: الأولى.

(٢٤٧) وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، محمد عابد الجابري، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١م، الطبعة: الرابعة.

(٢٤٨) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، بيروت، الناشر: دار صادر، ١٩٧١م، الطبعة: الأولى.

فهرس المصادر الإلكترونية والمجلات

(١) حقيقة برهان غليون.elghada.wordpress.com

(٢) مجلة أخبار الولايات المتحدة يو إس نيوز U.S. News.

(٣) مجلة البيان.

(٤) مجلة المجتمع.

(٥) مجلة الوحدة الجزائرية.

(٦) محاضرة د. حسن الترابي، بعنوان: (الفقه الإسلامي بين التقليد والتجديد) بجامعة الخرطوم، الثلاثاء ٢٨/٤/٢٠٠٩م

(٧) محاضرة د. عوض بن محمد القرني، بعنوان: (أساليب ووسائل الليبراليين مخاطر وشبهات).

(٨) مدونات هيئة الدفاع عن عمرو خالد.hafedelbanna.arabblogs.com .

(٩) مركز التنوير للدراسات الإنسانية www.altanweer.net

(١٠) موقع إسلام أون لاين www.islamonline.net.

(١١) موقع إسلام ويب مركز الفتوى www.islamweb.net/ver2/Fatwa.

(١٢) موقع الإسلام اليوم. islamtoday.net.www.

(١٣) موقع الدرر السنية. www.dorar.net/enc/hadith.

(١٤) الموقع الرسمي لدار الإفتاء، www.dar-alifta.org

(١٥) الموقع الرسمي للدكتور عمرو خالد. www.amrkhaled.net.

(١٦) الموقع الرسمي لمنصور النقيدان. www.alnogaidan.com.

(١٧) موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، www.alifta.com.

(١٨) موقع العرب نيوز. www.alarabnews.com.

(١٩) موقع العربية www.alarabiya.net/programs.

(٢٠) موقع الفيسبوك Face book ٢٠١٠م.

(٢١) موقع المجهر. www.almijher.com.

(٢٢) موقع المختار الإسلامي. www.islamselect.net/mat.

(٢٣) موقع المسلم. www.almoslim.net .

(٢٤) موقع المكتبة الشاملة www.shamela.ws.

(٢٥) موقع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، ar.wikipedia.org/wiki.

(٢٦) موقع اليوتيوب، www.youtube.com/watch.

(٢٧) موقع أنا المسلم www.muslm.net.

(٢٨) موقع أون إسلام www.onislam.net/arabic/newsanalysis

(٢٩) موقع بيتنا www.bettna.com.

(٣٠) موقع تقرير واشنطن www.Taqrir Washington.com.

(٣١) موقع تلفزيون وإذاعة BBC الشرق الأوسط www.bbc.co.uk/arabic.

(٣٢) موقع جريدة الأيام السودانية.

(٣٣) موقع جريدة البديل، www.Elbadeil.com.

(٣٤) موقع جريدة الرأي العام الكويتية. www.alraimedia.com.

(٣٥) موقع جريدة الرياض. www.alriyadh.com.

(٣٦) موقع جريدة الشرق الأوسط. www.aawsat.com.

(٣٧) موقع جريدة الغد المصرية، www.elghad.com.

(٣٨) موقع جريدة المدينة، www.al-madina.com.

(٣٩) موقع جريدة الوطن. www.alwatan.com.

(٤٠) موقع جريدة اليوم السابع. www.youm7.com.

(٤١) موقع جريدة صوت الكويت www.sootkw.com.

(٤٢) موقع جسد الثقافة aljsad.com..www.

(٤٣) موقع د. هبة رؤوف عزت www.heba-ezzat.com.

(٤٤) موقع شبكة الأدب واللغة.

(٤٥) موقع شبكة الإقلاع www.eqla3.com..

(٤٦) موقع شبكة الألوكة. www.alukah.net.

(٤٧) موقع شبكة الجزيرة، www.aljazeera.net

(٤٨) موقع شبكة العزوف. www al3zof.com.

(٤٩) موقع شبكة القلم الفكرية www.alqlm.net.

(٥٠) موقع شبكة المثقفين السعوديين. www.sa-top.com.

(٥١) موقع صحيفة الاتحاد الإماراتية، www.alittihad.ae.

(٥٢) موقع صحيفة الجزيرة الثقافية، www.al-jazirah.com/culture.

(٥٣) موقع صحيفة الجمهورية www.algomhoriah.net.

(٥٤) موقع صحيفة الحياة www.alhayat-j.com.

(٥٥) موقع صحيفة القاهرة، www.alkaheranews.com. .

(٥٦) موقع صحيفة المرصد الإلكترونية www.al-marsd.com.

(٥٧) موقع صحيفة برق الالكترونية، www.albarg.org.

(٥٨) موقع صحيفة سعورس www.sauress.com.

(٥٩) موقع صيد الفوائد، www.saaid.net/arabic.

(٦٠) موقع عدنان إبراهيم www.adnanibrahim.net

(٦١) موقع قناة الرسالة www.alresalah.net.

(٦٢) موقع مجلة التايم، www.time.com. .

(٦٣) موقع مجلة العصر، alasr.ws/articles/view.

(٦٤) موقع محطة البي بي سي العربية http://news.bbc.co.uk/hi/arabic/middle_east

(٦٥) موقع محمد أسليم www .aslimnet.free.

(٦٦) موقع مركز التأصيل للدراسات والبحوث www.taseel.com.

(٦٧) موقع مركز دراسات الظاهرة الإسلامية www.islamismscope.com.

(٦٨) موقع مفكرة الإسلام، www.islammemo.cc. .

(٦٩) موقع منتدى التوحيد، www.eltwhed.com.

(٧٠) موقع منتدى الجامعات السعودية. www.ksau.info.

(٧١) موقع منتديات yahoo مكتوب. forum.maktoob.com.

(٧٢) موقع منتديات جامعة قطر. www.qataru.co.

(٧٣) موقع منتديات نجوم مصرية.

(٧٤) موقع مؤسسة الحوار المتمدن www.ahewar.org.

(٧٥) موقع مؤسسة راند www.rand.org.



فهرس الموضوعات

